شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

صيد الخاطر

المؤلف

عبدالرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي)

الملاحظات

- أصل هذه النسخة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٩٨٨٢٠

الفـــن : ..... الرقم : ٤٩٠٣

العنـــوان : صيد الخاطر ٥٥٩٧

اسم المؤلف : ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد بن الجوزي الحافظ المتوفى

مصـادره : .....

أولـــه : .....

.....

آخـــره : .....

.....

اسم الناسخ : محمد بن حمد العاقي

نوع الخط وتاريخ النسخ : كتبت بتعليق سنة ١٢٢٦هـ

ملاحظـات : .....

عدد الأوراق : ٤٩٦ صفحة عدد الأسطر : ١٩ المقاس : ١٧ × ٢٠ سم

المكتبة المصور عنها المخطوط ورقمه فيها : جستربتي من الحاقي رقم (١١) ٥٩٨ ل (٧)

قال محيي الدين محمد بن تميم الأسعردي

عرضت كتابي كي يباع بدرهم ∴ على مشتر عند الوفاء صحيح
رأى خطه ذا علة فأعاده ∴ (ومن يشتري ذا علة بصحيح)

من صحيفة من شرح الامية للصفدي

وقد ضمن هذين البيتين شطر أمن بيتين لابن الدمينة وهما

ولي كبد مقروحة من يبيعني ∴ بها كبد أليست بذات قروح
أبى الناس ويح الناس ان يشتروها ∴ ومن يشتري ذا علة بصحيح

نقلتها من صحيفة (٥٦٠) من الجزء الثالث من خزانة الأدب للبغدادي

اما الأسعردي فقد ولد سنة (٦١٩) هـ وتوفي (٦٥٦) هـ وكان من كبار شعراء الملك الناصر وله به اختصاص وكان ماجناً خليعاً

ومن مجونه ∴

قلت إذ راح ناعساً ثم أبدى ∴ ضرطة آذنت لشملي بجمع
فاتني ان أرى الديار بطرفي ∴ فلعلي أرى الديار بسمعي

وله ديوان شعر كله من هذا النمط

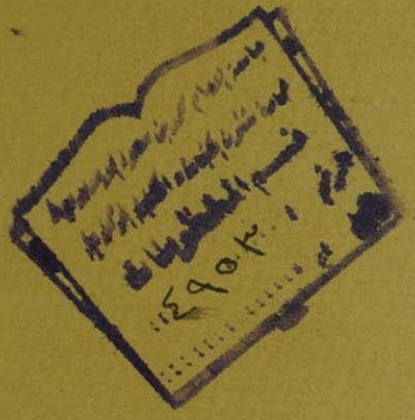
اما ابن الدمينة فهو عبد الله بن عبيد الله احد بني عامر من خثعم وامه الدمينة من سلول وله ديوان شعر منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية وهو من شعراء الجاهلية انتهى من صحيفة من الجزء الأول من تاريخ آداب اللغة العربية

٨ لعل الاسعردي من شعراء المستنصر بالله الذي بويع يوم وفات والده الظاهر بن الناصر في ١٤ رجب سنة ٦٢٢ وتوفي لعشر خلون من جمادى الاخرة سنة ٦٤٠ وهو الخليفة (٢٦)

اما الناصر فقد بويع في ٢ ذي القعدة سنة ٥٧٥ وتوفي في آخر ليلة من رمضان سنة ٦٢٢ وهو الخليفة (٢٤)

واما الظاهر بن الناصر فقد بويع له بعد وفات ابيه في اول شوال سنة ٦٢٢ وتوفي في ١٤ رجب سنة ٦٢٣ فكانت خلافته ثمانية اشهر و١٤ يوماً

هذا اذا صح ان الاسعردي مولود سنة ٦١٩ وانه توفي سنة ٦٥٦ اي سنة خراب بغداد وسقوط بيد التتار وملكهم (هولاكو) الفاجر وذلك بخيانة وتحريض ابن العلقمي الرافضي وزير المستعصم الخليفة السابع والثلاثين الذي انتهت بقتله الخلافة العباسية في المشرق





كتاب
صيد الخاطر

تصنيف ابي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن ابي الحسن علي بن محمد
بن الجوزي الحنبلي الواعظ الحافظ العلامة المفنن المشهور
ولد في سنة ٥٠٨ ق ٥١٠ وتوفي ليلة الجمعة ١٧ رمضان سنة ٥٩٧ وقد اختصر
هذا الكتاب الشيخ محمد بن سلوم وسماه بهجة الناظر
المنتخب من كتاب صيد الخاطر
بخ الفقير اليه تعالى
محمد بن حمد
العساني





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يبلغ رضاه وصلى الله على اشرف من اجتباه وعلى من صاحبه ووالاه وسلم تسليما لايدرك منتهاه لما كانت الخواطر تجول فى تصفح اشياء تعرض لها ثم تعرض عنها فتذهب كان من اولى الأمور حفظ ما يخطر للسليا ينسى وقد قال عليه الصلاة والسلام (قيدوا العلم بالكتابة) وكم قد خطر لى شئ فاتشاغل عن اثباته فيذهب فأتأسف عليه ورأيت من نفسى انى كلما فتحت بصر التفكر سنح له من عجائب الغيب مالم يكن فى حسابه فانثال عليه من كثيب التفهم مالا يجوز التفريط به فجعلت هذا الكتاب قيدا لصيد الخاطر والله ولى النفع انه قريب مجيب

١ فصل

قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة فاذا انفصل عن مجلس الذكر عادت القساوة والغفلة فتدبرت السبب فى ذالك فعرفته ثم رأيت الناس يتفاوتون فى ذالك فالحالة العامة ان القلب لايكون على صفة من اليقظة عند سماع الموعظة بعدها لسببين احدهما ان المواعظ كالسياط والسياط لاتولم بعد انتضائها ايلامها وقت وقوعها والثانى ان حالة سماع المواعظ يكون الانسان فيها مزاح العلة قد تخلى بجسمه وفكره عن اسباب الدنيا وانصب بحضور قلبه فاذا عاد الى شواغله اجتذبته نافاتها وكيف يصح ان يكون كما كان وهذه حالة تعم الخلق الا ارباب اليقظة يتفاوتون فى بقاء الأثر فمنهم من يعزم بلا تردد ويمضى من غير التفات فلو توقف بهم ركب الطبع لضجوا كما قال حنظلة عن نفسه نافق حنظلة ومنهم اقوام يميل بهم الطبع

الى الغفلة

الى الغفلة احيانا ويدعوهم ماتقدم من المواعظ الى العمل احيانا فهم كالسنبلة تميلها الرياح واقوام لايؤثر فيهم الطبع الا بمقدار سماعه كما درجة على صفوان

٢ فصل

جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة ثم هى من داخل ذكر الآخرة امر خارج عن الطبع ثم هى من خارج ورجاطن من لاعلم له ان جواذب الآخرة اقوى لما سمع من الوعيد فى القرآن وليس كذالك لان مثل الطبع فى ميله الى الدنيا كالماء الجارى فانه يطلب الهبوط وانما رفعه الى فوق يحتاج الى الكلف ولهذا اجاب معلم الشرع بالترغيب والترهيب ليقوى حينئذ العقل فاما الطبع فجواذبه كثيرة وليس العجب ان يغلب انما العجب ان يغلب

٣ فصل

من عاين بعين بصيرته تناهى الأمور فى بدايتها نال خيرها ونجى من شرها ومن لم ير العواقب غلب عليه الجزع فعاد عليه بالملام ماطلب منه السلام وبالنصب مارجى منه الراحة وبيان هذا فى المستقبل تبين بذكر الماضى وهو انك لايخلو ان تكون عصيت الله فى عمرك او اطعته فاين لذة معصيتك واين تعب طاعتك هيهات رحل كل ~~طاعة~~ بما فيه فليت الذنوب اذ تخلت خلت وان يذكر فى هذا بيانا مثل ساعة الموت الساعة وانظر الى مرارة الحسرات على التفريط ولا اقول كيف تغلب حلاوة اللذات وان حلاوة اللذات استحالت حنظلا فبقيت مرارة الاسى بلا مقاوم اترك ماعلمت ان الامر بعواقبه فليت العواقب تسلم ولا تمل مع سوى الحسب تندم

٤ فصل

من تفكر فى عواقب الدنيا اخذ الحذر ومن ايقن بطول الطريق تأهب للسفر ما اعجب امرك يامن يوقن بامر ثم ينساه ويتحقق ضرر ماله ثم يغشاه

وتخشى الناس والله احق ان تخشاه تغلبك نفسك على ما تظن ولا تغلبها
على ما تستيقن اعجب العجاب سرورك بغرورك وسهوك فى لهوك عما قد
خبالك تغتر بصحتك وتنسى دنو السقم وتفرح بعافيتك غافلا عن قرب
الألم لقد اراك مصرع غيرك مصرعك وابدى مضجع سواك قبل الممات
مضجعك وقد شغلك نيل لذاتك عن ذكر خراب ذاتك شعر

كانك لم تسمع باخبار من مضى ∴ ولم ترَ فى الباقين ما يصنع الدهر
فان كنت لا تدرى فتلك ديارهم ∴ محاها بحال الريح بعدك والقطر
كم رأيت صاحب منزل ما نزل لحده حتى نزل وكم شاهدت والى قصر وليه
عدوه لما عزل فيا من كل لحظة الى هذا اليسرى وفعله فعل من لا يفهم ولا يدرى
وكيف تنام العين وهى قريرة ∴ ولم تدر فى اى المحلين تنزل

٥ فصل

من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة ومن ادعى الصبر وكل الى نفسه ولرب
نظرة لم يناظر واحق الاشياء بالضبط والقهر اللسان والعين فاياك
اياك ان تغتر بعزمك على ترك الهوى مع مقاربة الفتنة فان الهوى
مكايد وكم من شجاع فى صف الحرب اغتيل فاتاه مالم يحتسب ممن يأنف النظر
اليه واذكر حمزة مع وحشى شعر

فتصبر ولا تشم كل برق ∴ رب برق فيه صواعق حين
واخفض الطرف تستريح من غرام ∴ تكتسب فيه ثوب ذل وشين
فبلاء الفتى موافقة النفس وبدو الهوى طموح العين

٦ فصل

اعظم المعاقبة

اعظم المعاقبة ان لا يحسن المعاقب بالعقوبة واشد من ذلك يقع السرور بما هو
عقوبة كالفرح بالمال الحرام والتمكن من الذنوب ومن هذه حاله لا لفوت طاعة
وانى تدبرت اكثر احوال العلماء والمتزهدين فرأيتهم فى عقوبات لا يحسون بها
ومعظمها من قبل طلبهم للرياسة فالعالم منهم يغضب ان رد عليه حظاؤه
والواعظ متصنع بوعظه والمتزهد منافق مراءٍ فاول عقوباتهم اعراضهم
عن الحق شغلا بالخلق ومن خفى عقوباتهم سلب حلاوة مناجاته ولذة
التعبد لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يحفظ الله بهم الأرض لوطئهم
كظوا هرهم بل اجلى وسرائرهم كعلانيتهم بل احلى وهمهم عند الثريا بل اعلا
ان عرفوا تنكروا وان رؤيت لهم كرامة انكروا فالناس فى غفلاتهم وهم
فى قطع فلاتهم تحجبهم بقاع الارض وتفرح بهم املاك السما نسئل الله
عز وجل التوفيق لاتباعهم وان يجعلنا من اتباعهم

٧ فصل

من علامة كمال العقل علو الهمة والراضى بالدون دنى

ولم ارَ فى عيوب الناس عيبا ∴ كنقص القادرين على التمام
سبحان من سبقت محبته لاحبابه فمدحهم عليها وهب لهم واشترى منهم ما اعطاهم
وقدم المتأخر من اوصافهم لموضع ايثارهم فبالهى بهم فى نومهم واحب خلوف
افواههم يا لها من خليلة مصونة لا يقدر عليها كل خاطب ولا يبلغ كنه
وصفها كل واصف

٨ فصل

الواجب على العاقل اخذ العدة لرحيله فانه لا يعلم متى يفجاه امر ربه ولا يدرى
متى يشتهى وانى رأيت خلقا كثيرا اغرهم الشباب ونسوا فقد الأقران
والهاهم طول الأمل وربما قل العالم المحصن لنفسه اشتغل بالعلم ثم عمل به

فيتساهل فى الزلل بحجة الراحة ويؤخر الرجاء لتحقيق التوبة ولا يخاشى من غيبة ولا من سماعها ومن كسب شبهة يهمل ان يمحوها بالورع وينسى ان الموت قد يبغته فالعاقل من اعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فان بغته الموت كان مستعدا وان نال الأمل ازداد خيرا

٩ فصل

خطرت لى فكرة فيما يجرى على كثير من العالم من المصائب الشديدة والبلايا العظيمة التى تتناهى الى نهاية العقوبة فقلت سبحان الله ان الله اكرم الاكرمين والكرم يوجب المسامحة فما وجه هذه المعاقبة فتفكرت فرأيت كثيرا من الناس فى وجودهم كالعدم لا يتصفحون ادامة الوجدانية ولا ينظرون فى اوامر الله ونواهيه بل يجرون على عاداتهم كالبهائم فان وافق الشرع مرادهم والا فهو لهم على اغراضهم وبعد حصول الدنيا لا يبالون امن حلال كان او حرام وان سهلت عليهم الصلاة فعلوها وان لم تسهل تركوها وفيهم من يبارز بالذنوب العظيمة مع نوع معرفة الناهى فربما قويت معرفة عالم منهم وتفاقمت ذنوبه فعلمت ان العقوبات وان عظمت دون اجرامهم فاذا اوقعت عقوبة لتمحص ذنبا صاح مستغيثهم ترى هذه بأى ذنب وينسى ما قد كان ما تزلزل الارض لبعضه وقد يهان الشيخ فى كبره حتى ترحمه القلوب ولا يدرى ان ذلك لاهماله حق الله تعالى فى شبابه فمتى رأيت معاقبا فاعلم انه لذنوب

١٠ فصل

تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا فان علماء الاخرة يتوادون ولا يتحاسدون كما قال عز وجل (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا) وقال تعالى (والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا

ولاخواننا الذين

ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا) وقد كان ابو الدرداء يدعو كل ليلة لجماعة من اخوانه وقال الامام احمد بن حنبل لولد الشافعى ابوك من الستة الذين ادعو لهم وقت السحر والامر الفارق بين الفئتين ان علماء الدنيا ينظرون فى الرئاسة فيها ويحبون كثرة الجمع والثناء وعلماء الاخرة بمعزل عن ايثار ذلك وقد كانوا يتخوفونه ويرحمون من بلى به وكان النخعى لا يستند الى سارية وقال علقمة اكره ان يوطأ عقبى ويقال علقمة وكان بعضهم اذا جلس اليه اكثر من اربعة قام عنهم وكانوا يتقون الفتوى ويجبون الخمول ومثل القوم كمثل راكب البحر وقد غب فعنده شغل الى ان يوقن بالنجاة وانما كان بعضهم يدعو لبعض ويستفيد منه لانهم ركب تصاحبوا فتوادوا فالايام والليالى مراحلهم الى سفر الجنة

١١ فصل

من احب تصفية الأحوال فليجتهد فى تصفية الأعمال قال الله عز وجل (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) وقال النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل لو ان عبادى اطاعونى لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وقال صلى الله عليه وسلم البر لا يبلى والاثم لا ينسى والديان لا ينام وكما تدين تدان وقال ابو سليمان الدارانى من صانى صنت له ومن كدر كدرت عليه ومن احسن فى ليله كوفى فى نهاره ومن احسن فى نهاره كوفى فى ليله وكان شيخ يدور المجالس ويقول من سره ان تدوم له العافية فليتق الله وكان الفضيل بن عياض يقول انى لأعصى الله تعالى واعرف ذلك فى خلق دابتى وجاريتى واعلم وفقك الله انه لا يحسن بضربه مبتدئ وانما يعرف الزيادة من النقصان المحاسب لنفسه ومتى رأيت تكثيرا فى حال فاذكر نعمة ما شكرت

اوزلة قد فعلت واحذر من نفار النعم ومفاجاة النقم ولا تغتر بسعة بساط الحلم فربما عجل انقباضه وقد قال الله عز وجل (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) وكان ابو علي الروذباري يقول من الاغترار ان تسيء فيحسن اليك فتترك التوبة توهما انك تسامح في العقوبات

١٢ فصل

تفكرت يوما في التكليف فرأيته ينقسم الى سهل وصعب فاما السهل فهو اعمال الجوارح الا وان منه ما هو اصعب من بعض فالوضوء والصلاة اسهل من الصوم وربما كان عند قوم اسهل من الزكاة واما الصعب فيتفاوت فبعض اصعب من بعض فمن المستصعب النظر والاستدلال الموصولان الى معرفة الخالق فهذا اصعب عند من تغلب عليه امور الحس سهل عند اهل العقل ومن المستصعب غلبة الهوى وقهر النفوس وكف الطباع عن التصرف فيما يؤثره وكل هذا يسهل على العاقل النظر في ثوابه ورجاء عاقبته وان شق عاجلا وانما اصعب التكاليف واعجبها انه قد ثبت حكمة الخالق عند العقل ثم يراه المتشاغل بالعلم المقبل على العبادة حتى يعضه الفقر بناجذيه فيذل للجاهل في طلب القوت ويغنى الفاسق مع الجهل حتى تفيض الدنيا عليه ثم تراه يغشى الاجسام ويحكمها ثم ينقض بنا الشباب في مبدأ امره وعند استكمال بنائه فاذا به قد عاد هشيما ثم تراه يؤلم الاطفال حتى يرحمهم كل طبع ثم يقال له اياك ان تشك انه ارحم الراحمين ثم يسمع بارسال موسى الى فرعون ويقال له اعتقد ان الله اضل فرعون واعلم انه ما كان لآدم بد من اكل الشجرة وقد وبخ بقوله (وعصى آدم ربه) وفي مثل هذه الاشياء تحير خلق حتى خرجوا الى الكفر والتكذيب ولو فتشوا على سر هذه الاشياء لعلموا ان تسليم

هذه الامور

هذه الأمور تكليف العقل ليذعن وهذا صل اذا فهم حصل السلامة و التسليم نسئل الله عز وجل ان يكشف لنا من الغوامض التي حيرت من ضل انه قريب مجيب

١٣ فصل

ينبغي للانسان ان يعرف شرف زمان وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ويقدم الافضل فالافضل من القول والعمل ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما يعجز عنه البدن من العمل كما جاء في الحديث (نية المؤمن خير من عمله) وقد كان جماعة من السلف يبادرون اللحظات فنقل عن عامر بن عبد قيس ان رجلا قال له كلمني فقال له امسك الشمس قال ابن ثابت البناني ذهبت القرابي فقال يا بني دعني فاني في ورد السادس ودخلوا على بعض السلف عند موته وهو يصلي فقيل له فقال الآن تطوى صحيفتي فاذا علم الانسان وان بالغ في الجد فان الموت يقطعه عن العمل عمل في حياته ما يدوم له اجره بعد موته فان كان له شئ من الدنيا وقف وقفا وغرس غرسا وكرى نهرا ويسعى في تحصيل ذرية تذكر الله بعده فيكون له الاجر وان يصنف كتابا في العلم فان تصنيف العلم ولده المخلد وان يكون عاملا بالخير عالما فيه فينقل ما يقتدى الغير به فذلك الذي لم يمت

عن ابي

من نقله

قدمات قوم وهم في الناس احياء ... شعر
يقولون نسل المرء يحيى بذكره ... وليس له ذكر اذا لم يكن له نسل
فقلت لهم نسلي بدائع حكمة ... فان فاتنا نسل فانا بها نسلو

شعر آخر

تراه من الذكاء نحيل جسم ... عليه من توقده دليل
اذا كان الفتى ضخم المعاني ... فليس يضره الجسم النحيل

الألوكة
www.alukah.net

١٤ فصل

رأيت من اعظم حيل الشيطان ومكره انه يخبط ارباب الاموال بالآمال في التشاغل باللذات القاطعة عن الآخرة واعمالها فاذا اهلكهم تحريضه على جمعه حثا على تحصيله و دقائق الحيل الخفية ان خوف من جمعه المؤمنين فنفر طالب الآخرة منه وبادر التائب يخرج ما في يده ولا يزال الشيطان يحرضه على الزهد ويأمره بالترك ويخوفه من طرقات الكسب اظهارا لنصحه وحفظ دينه وفي خفايا ذلك عجائب من مكره وربما تكلم الشيطان على لسان بعض المشائخ الذين يقتدى بهم التائب فيقول له اخرج من مالك وادخل في زمرة الزهاد ومتى كان ذلك لك غداء وعشاء فلست من اهل الزهد ولا تنال مراتب العزم وربما كرر عليه الأحاديث البعيدة عن الصحة والواردة على سبب ولمعنى فاذا اخرج ما في يده وتعطل من مكاسبه عاد يعلق طمعه بصلة الأخوان او بحيث وله صحبة السلطان لانه لا يقوى على طريق الزهد والترك الا اياما ثم يعود الطبع فيتقاضى مطلوباته فيقع في اقبح مما فر منه ويبذل اول السلع في تحصيل دينه وعرضه ويصير متمندلا به ويقف في مقام اليد السفلى ولو انه نظر في سير الرجال ونبلائهم وتأمل صحاح الاحاديث عن رؤسائهم لعلم ان الخليل عليه الصلاة والسلام كان كثير المال حتى ضاقت بلدته بمواشيه وكذلك لوط عليه السلام وكثير من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والجم الغفير من الصحابة وانما صبروا عند العدم ولم يمتنعوا من كسب ما يصلحهم ولا من تناول المباح عند الوجود وكان ابو بكر رضي الله تعالى عنه يخرج للتجارة والرسول صلى الله عليه وسلم حي وكان اكثرهم ما يأخذ من بيت المال ويسلم من ذل الحاجة الى الاخوان ولهذا كان ابن عمر لا يرد شيئا ولا يسأله واني تأملت على اكثر اهل الدين والعلم هذه الحال فوجدت العلم يشغلهم عن المكاسب في بدايتهم فلما احتاجوا الى نفوسهم ذلوا وهم احق بالعز وقد كانوا

قديما يكفيهم

قديما يكفيهم من بيت المال فضلا عن الأخوان فلما عدم ما في هذا الأوان لم يقدر متدين على شيء الا ببذل شيء من دينه وليته قدر فربما تلف الدين ولم يحصل له شيء فالواجب على العاقل ان يحفظ ما معه وان يجتهد في الكسب ليربح مداراة ظالم او مداهنة جاهل ولا يلتفت الى ترهات المتصوفة الذين يدعون في الفقر ما يدعون فما الفقر الا مرض العجز والصابر على الفقر ثواب الصابر على المرض اللهم الا ان يكون جبانا عن التصرف مقنعا بالكفاف فليس ذلك من مراتب الابطال بل هو من مقامات الجبناء الزهاد واما الكاسب يكون المعطي لا المعطى والمتصرف لا المتصرف عليه فهي مراتب الشجعان الفضلاء ومن تأمل هذا علم شرف الغنى وخاطرة الفقر

١٥ فصل

تأملت احوال الفضلاء فوجدتهم في الاغلب قد بخسوا من حظوظ الدنيا ورأيت الدنيا غالبا في ايدي اهل النقائص فنظرت في الفضلاء فاذا هم يتأسفون على ما فاتهم مما ناله اولو النقص وربما تقطع بعضهم اسفا على ذلك فخاطبت بعض المتأسفين فقلت له ويحك تدبر امرك فانت غالط من وجوه احدها انه ان كانت لك همة في طلب الدنيا فاجتهد في طلبها تربح التأسف على فوتها فان قعودك متأسف على ما ناله غيرك مع قصور اجتهادك غاية العجب والثاني الدنيا انما تراد لتعب لا لتعب وهذا هو الذي يدلك عليه علمك او يبلغه فهمك وما يناله اهل النقص من فضولها تؤذي ابدانهم واديانهم فاذا عرفت ذلك ثم تأسفت عليه على فقد ما فقدوه اصلحك كان تاسفك عقوبة لتاسفك على ما تعلم المصلحة في بعده فاقنع بذلك عذابا عاجلا ان سلمت من العذاب الأجل والثالث انك قد علمت بخس حظ الأدنى في الجملة من مطاعم الدنيا ولذاتها بالاضافة الى الحيوان البهيم لانه ينال ذلك اكثر مقدارا مع امن وانت تناله مع فوت وقلة مقدار فاذا ضوعف حظك من ذلك لبخسك كان ذلك لاحقا بالحيوان البهيم من جهة انه يشغله

ذالك عن تحصيل فضائل وتخفيف المؤن يحث صاحبه على نيل مراتب فاذ الآثرت
مع قلة الفضول عدت على ماعلمت بالازراء فشتت عليك ودللت على اختلاط
زائد

١٦ فصل

تا تأملت اقدام العلماء بالعقاب على شهوات النفس المنهى عنها فرأيتها
مرتبة تزاحم الكفر ولا تلوح معنى وهوان الناس عند مواقعة المحظور يتفاوتون
فمنهم جاهل بالمحظور انه محظور فهذا نوع عذر ومنهم من يظن المحظور مكروها
لامحرما فهذا قريب من الاول وربما دخل فى هذا القسم آدم صلى الله عليه وسلم
ومنهم من يتأول فيغلط كما يقال ان آدم عليه السلام نهى عن شجرة بعينها
فاكل من جنسها لامن عينها ومنهم من يعلم التحريم غير ان غلبات الشهوات
انسته تذكر ذالك فشغله مارأى عما يعلم ولهذا لايذكر السارق قطع
اليد بل يغيب بكليته فى نيل الحظ ولا يذكر راكب الفاحشة الفضيحة ولا
الحد ولان مايرى يذهله عما يعلم ومنهم المحظور ويذكره غير ان الاخذ
بالحزم اولى بالعاقل كيف وقد علم ان هذا الملك الحكيم قطع اليد فى
ربع دينار وهدم بناء الجسم المحكم بالرجم بالحجارة لالتذاذ ساعة
وخسف ومسخ واغرق

١٧ فصل

من تأمل افعال البارى سبحانه رآها على قانون العدل وشاهد الجزاء مراصده
للجارى ولو بعد حين فلا ينبغى ان يغتر مسامح فالجزاء قد يتأخر ومن اقبح
الذنوب التى قد اعدلها الجزاء العظيم الأصرار على الذنب ثم يصانع صاحبه
باستغفار وصلاة وتعبد وعنده ان المصانعة تنفع واعظم الخلق اغترارا
من اتى ما يكرهه الله تعالى وطلب منه ما يحبه هو كما روى فى الحديث
والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى ومما ينبغى للعاقل
ان يترصد وقوع الجزاء فان ابن سيرين قال عيرت رجلا قلت له يا مفلس

فافلست بعد

فافلست بعد اربعين سنة وقال ابن الجلا رآنى شيخ لى وانا انظر الى امرد
فقال ماهذه التجدن غبها فنسيت القرآن بعد اربعين سنة وقال بعضه من هذا
كل من عمل خيرا وصحح نيته فلينظر جزاءها الحسن وان امتدت المدة قال الله
عز وجل (انه من يتق ويصبر فان الله لايضيع اجر المحسنين) وقال عليه الصلاة
والسلام (من غض بصره عن محاسن امرأة اتاه الله تعالى ايمانا يجد حلاوته
فى قلبه) فليعلم العاقل ان ميزان العدل لايحابى

١٨ فصل

تأملت احوال الصوفية والزهاد فوجدت اكثرها منحرفا عن الشريعة بين جهل
بالشرع وابتداع بالرأى يستدلون بآيات لايفهمون معناها وباحاديث
لها اسباب وجمهورها لايثبت فمن ذالك انهم سمعوا فى القرآن العزيز
(وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور) (انما الحياة الدنيا لهو ولعب وزينة)
ثم سمعوا فى الحديث (للدنيا اهون على الله من شاة ميتة على اهلها) فبالغوا
فى هجرها من غير بحث عن حقيقتها وذالك انه مالم يعرف حقيقة الشئ
فلا يجوز ان يمدح ولا ان يذم فاذا بحثنا عن الدنيا رأينا هذه الأرض
البسيطة التى جعلت قرار الخلق يخرج منها اقواتهم ويدفن فيها
امواتهم ومثل هذا لايذم لموضع المصلحة فيه ورأينا ما عليها من ماء
وزرع وحيوان كله لمصالح الآدمى وفيه حفظ لسبب بقائه ورأينا
بقاء الآدمى سببا لمعرفة ربه وطاعته اياه وخدمته وما كان
سببا لبقاء المعارف العابد يمدح ولا يذم فبان لنا ان الذم
انما هو لافعال الجاهل او المعاصى فى الدنيا فانه اذا اقتنى المال
المباح وادى زكاته لم يلم فقد علم ما خلف الزبير وابن عوف
وغيرهما وبلغت صدقة على رضى الله عنه اربعين الفا وخلف ابن

مسعود تسعين الفا وكان الليث بن سعد يستغل كل سنة عشرين
الفا وكان سفيان يتجر بمال وكان ابن مهدى يستغل كل سنة الفى دينار

النكاح

وان اكثر من النكاح والسرارى كان ممدوحا لا ملوما فقد كان للنبى صلى الله
عليه وسلم زوجات وسرارى وجمهور الصحابة كانوا على الاكثار من ذلك
وكان لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه اربع حرائر وسبع عشرة امة
وتزوج ولده الحسن نحوا من اربع مائة فان طلب التزوج للأولاد فهو
الغاية فى التعبد وان اراد التلذذ فمباح يندرج فيه من التعبد ما لا يحصى
من اعفاف نفسه والمرأة الى غير ذلك وقد انفق موسى عليه السلام
من عمره عشر سنين فى مهر بنت شعيب فلو لا ان النكاح من افضل الاشياء
لما ذهب كثير من زمان الانبياء فيه وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما
خيار هذه الامة اكثرها نساء وكان لعلى رضى الله عنه جارية له وينزل فى اخرى قالت
سرية الربيع بن خيثمة كان الربيع يعزل

المطعم

واما المطعم فالمراد منه تقوية
هذا البدن لخدمة الله عز وجل وحق على ذى الناقة ان يكرمها لتحمله وقد
كان النبى صلى الله عليه وسلم يأكل كلما وجد فان وجد اللحم اكله ويأكل
لحم الدجاج واحب الاشياء اليه الحلوى والعسل وما نقل عنه انه
امتنع عن مباح وجئ لعلى رضى الله عنه بفالوذج فاكل منه وقال ما هذا
قالوا يوم النوروز فقال نوروز كل يوم وانما يكره الاكل فوق الشبع

اللبس

واللبس على وجه الاختيال والبطر وقد امتنع اقوام بالدون من ذلك
لان الحلال الصافى لا يكاد يمكن فيه تحصيل المراد والافقد لبس
النبى صلى الله عليه وسلم حلة شريت له بسبعة وعشرين بعيرا وكان
لتميم الدارى حلة اشتريت بالف درهم يصلى فيها بالليل فجاء اقوام

فاظهروا الزهد

فاظهروا الزهد وانكروا طريقة زينها لهم الهوى ثم تطلبوا لها الدليل وانما
ينبغى للانسان ان يتبع الدليل لا ان يتبع طريقا ويتطلب دليلها ثم انقسموا
فمنهم متصنع فى الظاهر ليث الشرى فى الباطن يتناول فى خلواته الشهوات
ويعكف على اللذات ويرى الناس بزيه انه متصوف على متزهد وما
تزهد الا القميص واذا نظر الى احواله فعنده كبر فرعون ومنهم سليم الباطن
الا انه فى الشرع جاهل ومنهم من تصدر وصنف فاقتدى به الجاهلون
فى هذه الطريقة وكانوا اعمى اتبعوا اعمى ولو انهم تلمحوا الامر الأول الذى
كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله عنهم لما زلوا و
لقد كان جماعة من المحققين لا يبالون بمعظم فى النفوس اذا حاد عن
الشريعة بل لو سعونه لومنا فنقل عن احمد انه قال له المروذى ما تقول
فى النكاح فقال سنة النبى صلى الله عليه وسلم فقال وقد قال ابراهيم
قال فصاح بى وقال جيتنا بلبنات الطريق وقيل له ان سريا السقطى
قال لما خلق الله الحروف وقف الالف وسجدت لينا فقال نفروا الناس
عنه واعلم ان المحقق لا يهوله اسم معظم كما قال رجل لعلى رضى الله عنه
اتظن انا نظن ان طلحة والزبير كانا على الباطل فقال له ان الحق لا يعرف
بالرجال اعرف الحق تعرف اهله ولعمرى انه قد وقر فى النفوس تعظيم
اقوام فاذا نقل عنهم شئ فسمعه جاهل فى الشرع قبله كما ينقل عن
الى يزيد رضى الله عنه انه قال تراءت نفسى فخلفت لا اشرب الماء
سنة وهذا اذا صح عنه كان خطأ قبيحا وزلة فاحشة لان الماء
ينفذ الأغذية الى البدن ولا يقوم مقامه شئ فاذا لم يشرب فقد سعى
فى اذى بدنه وقد كان يستعذب الماء لرسول الله صلى الله عليه وسلم

نسخة الألوكة www.alukah.net

افترى هذا فعل من يعلم ان نفسه ليست له وانه لا يجوز التصرف فيها
الا عن اذن مالكها وكذلك ينقلون عن بعض الصوفيه انه قال سرت الصوفيه
الى مكة على طريق التوكل حافيا على مسح فكانت عيني اذا المتنى ادلكها
بالمسح فذهبت احدى عيني ، وامثال هذا كثير وربما حملها القصاص
على الكرامات وعظموها عند العوام فتخايل لهم ان فاعل هذا اعلا مرتبة
من الشافعي واحمد ولعمري ان هذا من اعظم الذنوب واقبح العيوب
لان الله تعالى قال (ولا تقتلوا انفسكم) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم
(ان لنفسك عليك حقا) وقد طلب ابو بكر رضي الله عنه في طريق الهجرة
للنبي صلى الله عليه وسلم ظلا حتى رأى صخرة ففرش له في ظلها وقد نقل عن
قدماء هذه الامة ان بدايات هذا التفريط وكان سببه من وجهين احدهما
بالعلم والثاني قرب العهد بالرهبانية وقد كان الحسن يعيب فرقد
السنجي ومالك بن دينار في زهدهما فرى عنده طعام فيه لحم فقال
لا رغيف مالك ولا صحن فرقد ورأى على فرقد كساء فقال يا فرقد ان اكثر
اهل النار اهل الاكسية وكم قد زوق قاص مجلسه بذكر اقوام خرجوا
الى السياحة بلا زاد ولا ماء وهو لا يعلم ان هذا من اقبح الافعال
وان الله تعالى لا يجزي عليه فربما سمعه جاهل من التائبين فخرج فمات
في الطريق فصار للقاتل نصيب من اثمه وكم يروون عن ذي النون
انه لقي امرأة في السياحة فكلمها وكلمته وينسون الاحاديث الصحاح
(لا يحل لامرأة ان تسافر يوما وليلة الا بمحرم) وكم ينقلون ان اقواما
يمشون على الماء وقد قال ابراهيم الحربي لا يصح ان احدا مشى على الماء
قط فاذا سمعوا هذا قالوا اتنكرون كرامات الاولياء الصالحين فنقول

لسنا من

لسنا من المنكرين لها بل نتبع ما صح والصالحون هم الذين يتبعون
الشرع ولا يتعبدون بما لم يأمرهم وفي الحديث (ان بني اسرائيل شددوا فشدد
الله عليهم) وكم يحثوا على الفقر حتى حملوا خلقا على اخراج اموالهم ثم آل
بهم الامر الى التسخط عند الحاجة واما الى التعرض بسؤال الناس
وكم تأذى مسلم بامر هؤلاء الناس بالتقلل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
(ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس) فما قنعوا حتى امروا بالمبالغة
في التقلل فحكى ابو طالب المكي في قوت القلوب قال ان فيهم من يزن
قوته بكربة رطبة ففي كل ليلة يذهب من رطوبتها قليل وكنت انا ممن
اقتدى بهم بقوله في الصبا فضاق المعا واوجب مرض سنين افترى
هذا شيء تقتضيه الحكمة او ندب اليه الشرع وانما مطية الآدمي قواه
فاذا سعى في تقليلها ضعف عن العبادة فانا لو دخلنا ديار الروم
فوجدنا اثمان الخمور واجرة الفجور كان لنا حلالا لا بوصف الغنيمة
افزيد حلالا على معنى ان الحبة من الذهب لم تنتقل منذ خرجت
من المعدن على وجه لا يجوز فهذا شيء لم ينظر فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اوليس قد سمعت ان الصدقة عليه حرام فلما تصدق
على بريرة بلحم فاهدته له جاز له اكل تلك العين لتغير الوصف
وقد قال احمد بن حنبل كره التقلل من الطعام فان اقواما فعلوه
فعجزوا عن الفرائض وهذا صحيح فان المتقلل لا يزال يتقلل الى ان
يعجز عن النوافل ثم الفرائض ويعجز عن مباشرة اهله واعفافهم وعن
بذل القوى في الكسب لهم وعن فعل خير قد كان يفعله ولا يهولنك ما

تسمع من الأحاديث التي تحث على الجوع فانما المراد بها الحث على
الصوم واما النهي عن مقاومة الشبع فانما تنقيص المطعم على الدوام
فموثر في القوى فلا يجوز تم في هؤلاء المذمومين من يرى هجر اللحم
والنبي صلى الله عليه وسلم كان يوتى بالذراع فتقول قد قال بشر وقال ابراهيم
محاباة ولا تحتجن علي باسماء الرجال فتقول قد قال فلان واسمع منى بلا
ابن ادهم فان من احتج بالرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله
عليهم اقوى حجة على لن الأفعال اولئك وجوه يحملها عليهم بحسن
الظن ولقد ذاكرت بعض مشائخنا ما يروى عن جماعة من السادات
انهم دفنوا كتبهم فقلت له ما وجه هذا فقال احسن ما نقول ان
نسكت يشير الى ان هذا جهل من فاعله وتاولت انا لهم فقلت لعل
ما دفنوه من كتبهم فيها شئ من الآراء فما رأوا ان يعلم الناس به ولقد
روينا في الحديث عن احمد بن الحواري انه اخذ كتبه فرماها في البحر وقال
نعم الدليل كنت ولا حاجة لنا الى الدليل بعد الوصول الى المدلول
وهذا اذا احسنا به الظن قلنا كان فيها من كلامهم ما لا يرتضيه
فما اذا كانت علوما صحيحة كان هذا من اخشن الأضاعة
وانا وان تاولت لهم هذا فهذا تأويل صحيح في حق العلماء منهم لانا قد
روينا عن سفيان الثوري انه قد اوصى بدفن كتبه وكان ندم على
اشياء كتبها عن قوم وقال حملني شهوة الحديث وهذا لأنه كان
يكتب عن الضعفاء والمتروكين فكأنه لما عسر عليه التمييز اوصى

بدفن الكل

بدفن الكل وكذلك من كان له رأي من كلامه ثم رجع عنه جاز
ان يدفن الكتب التي فيها ذلك فهذا وجه التأويل للعلماء فاما
المتزهدون الذين رأوا صورة فعل العلماء ودفنوا كتبا صالحة لئلا
تشغلهم عن التعبد فانه جهل منهم لأنهم شرعوا في اخفاء مصباح
يضيئ لهم مع الاقدام على تضييع مال لا يحل تضييعه ومن جملة
من عمل بواقعة في دفن الكتب العلم يوسف بن اسباط ثم لم
يصبر عن التحديث فخلط بعد في الضعفاء × انبأنا عبد الوهاب
ابن المبارك قال اخبرنا محمد بن المظفر الشامي قال اخبرنا احمد
ابن محمد العتيقي قال حدثنا يوسف بن احمد قال حدثنا محمد بن
عمرو العقيلي قال حدثنا محمد بن عيسى قال اخبرنا احمد بن خالد
الخلال قال سمعت شعيب بن حرب يقول قلت ليوسف بن اسباط
كيف صنعت بكتبك قال جئت الى الجزيرة فلما نضب الماء دفنتها
حتى جاء الماء عليها فذهبت قلت فما حملك على ذلك قال اردت
ان يكون الهم هما واحدا قال العقيلي وحدثني آدم قال سمعت
البخاري قال صدقت دفن يوسف بن اسباط كتبه وكان بعد
يغلب عليه فلا يجئ كما ينبغي وقال المؤلف قلت الظاهر ان
هذه كتب علم ينفع ولكن قلة العلم اوجبت هذا التفريط الذي
قصد به الخير وهو شر فلو كان كتبه من جنس كتب الثوري فانه فيها
عن ضعفاء ولم يصح له التمييز قرب الحال انما تعليل بجمع الهم

صد الدليل انها ليست كذلك فانظر الى قلة العلم ماذا يؤدي مع اهل الخير
ولقد بلغنا في الحديث عن بعض من نعظم زوره انه كان على شاطئ
دجلة فقال ثم تيمم فقيل له الماء قريب فقال خفت ان لا ابلغه وهذا
وان كان يدل على قصر الأمل الا ان الفقهاء اذا سمعوا هذا الحديث تلاعبوا
به من جهة ان التيمم انما يصح عند عدم الماء فاذا كان الماء موجودا كان
تحريك اليدين بالتيمم عبثا وليس من ضرورة وجود الماء ان يكون
الى جانب المحدث بل لو كان على اذرع كثيرة كان موجودا فلا فعل للتيمم
ولا اثر حينئذ ومن تأمل هذه الاشياء على ان فقيها واحدا وان قل
اتباعه وخفت اذا مات اشياعه افضل من الوف تمسح العوام بهم
تبركا وتشيع جنائزهم ما لا يحصى وهل للناس الا صاحب شرع يتبعه
او فقيه يفهم مراد الشرع ويفتي به نعوذ بالله من الجهل وتعظيم الاسلاف
تقليدا لهم بغير دليل فان من ورد المشرب الأول عار أى عار أثر
المشارب الكدرة والمحنة العظمى مدائح العوام فكم غرت كما قال علي
رضي الله تعالى عنه ما ابقى خفق النعال ورأي الحمقى من عقولهم شيئا
ولقد رأينا وسمعنا من العوام انهم يمدحون الشخص فيقولون
لا ينام الليل ولا يفطر النهار ولا يعرف زوجة ولا يذوق من شهوات
الدنيا شيئا قد نحل جسمه ودق عظمه حتى انه يصلي قاعدا فهو
خير من العلماء الذين يأكلون ويتمتعون ذلك مبلغهم من العلم
ولو علموا ان الدنيا كلها لو جمعت في لقمة فتناولها عالم يفتي عن الله
عز وجل ويخبر بشريعته كانت فتوى واحدة منه يرشد بها الى الله تعالى

خير وافضل

خير وافضل من عبادة ذلك العابد باقي عمره وقد قال ابن عباس رضي الله
عنهما فقيه واحد اشد على ابليس من الف عابد ومن سمع هذا الكلام
فلا يظنن انني امدح من لا يعمل بعلمه وانما امدح العاملين بعلمهم وهم
اعلم بمصالح انفسهم فقد كان فيهم من يصلح على خشن العيش كاحمد
ابن حنبل وكان فيهم من يستعمل رقيق العيش كسفيان الثوري مع ورعه
ومالك مع تدينه والشافعي مع قوة فهمه ولا ينبغي ان يطالب الانسان
بما يقوى عليه غيره فيضعف هو عنه وان الانسان اعرف بصلاح نفسه
وقد قالت رابعة ان كان صلاح قلبك في الفالوذج فكله ولا تكونن
ايها السامع ممن يرى صور الزهد رب متنعم لا يريد التنعم
وانما يقصد المصلحة وليس كل بدن يقوى على الخشونة خصوصا
من قد لقي الكد واجهده الفكر وعضه الفقر فان لم يرفق بنفسه
ترك واجبا عليه من الرفق فهذه جملة لو شرحتها بذكر الاخبار و
المنقولات لطالت غير اني سطرتها على عجل حين جالت في خاطري
والله ولي النفع برحمته

١٩ فصل

قد اشكل على الناس امر النفس وماهيتها مع اجماعهم على وجودها
ولا يضر الجهل بذاتها مع اثباتها ثم اشكل عليهم مصيرها بعد الموت
ومذهب اهل الحق ان لها وجودا بعد موتها وانها تنعم وتعذب
قال احمد بن حنبل ارواح المؤمنين في الجنة وارواح الكفار في النار

وقد جاء في احاديث الشهداء انها في حواصل طير خضر تعلق
الجنة وقد اخذ بعض الجهلة بظواهر احاديث النعيم فقالوا ان الموتى
يأكلون في القبور وينكحون والصواب من ذلك ان النفس تخرج
بعد الموت الى نعيم او عذاب وانها تجد ذلك الى يوم القيمة فاذا كان
يوم القيمة اعيدت الى الجسد ليتكامل لها النعم بالوسائط وقوله
في حواصل طير خضر دليل على ان النفوس لا تنال لذة الا بواسطة الا ان
تلك اللذة لذة مطعم او مشرب واما لذة المعارف والعلوم فيجوز
ان ينالها بذاتها مع عدم الوسائط والمقصود من هذا المذكور اني
رأيت بعض الانزعاج من الموت وملاحظة النفس بعين العدم عنده
فقلت لها ان كنت مصدقة للشريعة فقد اخبرت بما ترضين ولا وجه
للانكار وان كان هناك ريب في اخبار الشريعة صار الكلام في
بيان صحة الشريعة فقالت لا ريب عندي قلت فاجتهدي في تصحيح
الايمان وتحقيق التقوى وابشري حينئذ بالراحة من ساعة الموت
فاني لا اخاف عليك الا من التقصير في العمل واعلمي ان تفاوت النعيم
بمقادير درجات الفضائل فارتفعي باجنحة الجد الى اعلى ابراجها و
احذري من قانص الهوى او شرك غرة والله الموفق

فصل

قلت يوما في مجلس لو ان الجبال حملت ما حملت لعجزت فلما عدت الى
منزلي قالت النفس لي كيف قلت هذا وربما اوهم الناس ان بك
بلاء وانت في عافية في نفسك واهلك وهل الذي حملت الا

التكليف الذي

التكليف الذي حملهم الخلق كلهم فما وجه هذه الشكوى فاجبتها انني
لما عجزت عما حملت قلت هذه الكلمة لا على سبيل الشكوى ولكن للاسترواح
وقد قال كثير من الصحابة والتابعين قبل ليتنا لم نخلق وما ذاك الا لاثقال
عجزوا عنها ثم من ظن ان التكاليف سهلة فما عرفها اترى ليظن الظان
ان التكليف غسل الاعضاء ببرطل من الماء او الوقوف في محراب لاداء
ركعتين هيهات هذا اسهل التكليف وان التكليف هو الذي عجزت
عنه الجبال ومن جملته انني اذا رأيت القدر يجري بما لا يفهمه العقل
الزمت العقل الاذعان للمقدر فكان من اصعب التكليف
وخصوصا فيما لا يعلم العقل معناه كايلام الاطفال وذبح الحيوان
مع الاعتقاد بأن المقدر كذلك والآمر به ارحم الراحمين فهذا مما
يتحير العقل فيه فيكون تكليفه التسليم وترك الاعتراض فكم بين تكليف
البدن وتكليف العقل ولو شرحت هذا الحال لطال غير اني اعتذر
عما قلت فاقول عن نفسي وما يلزمني من حال غيري اني رجل حببت الي
العلم من زمن الطفولة فتشاغلت به ثم لم يحبب الي فن واحد بل فنون
ثم لا تقتصر همتي في فن على بعضه بل تروم استقصاءها و
الزمان لا يتسع والعمر اضيق والشوق يقوى والعجز يقعد فيبقى وقوف
بعض المطلوبات حسرات ثم ان العلم دلني على معرفة المعبود وحثني
على خدمته ثم صاحت بي الأدلة عليه اليه فوقفت بين يديه فرأيته
في نعته وعرفته بصفاته وعاينت بصيرتي من الطافه ما دعاني الى
الهيمان في محبته وحركني الى التخلي لخدمته وصار يملكني امر كالوجد كلما

ذكرته فعادت خلوتى فى خدمتى له احلا عندى من كل حلاوة فكلما
مِلت الى الانقطاع عن الشواغل الى الخلوة صاح بى العلم اين تمضى
اتعرض عنى وانا سبب معرفتك فاقول له انما كنت دليلا وبعد
الوصول نستغنى عن الدليل قال هيهات كلما زدت معرفة زادت
معرفتك لمحبوبك وفهمت كيف القرب منه ودليل هذا انك تعلم
غدا انك اليوم فى نقصان او تسمعه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم
(وقل ربى زدنى علما) ثم انت تبغى القرب منه فاشتغل بدلالة
عبادة عليه فهى حالات الانبياء عليهم الصلاة والسلام اما علمت
انهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التعبد لعلمهم ان ذلك آثر
عند حبيبهم اما قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه
لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فلما فهمت
صدق هذه المقالة تهوست على تلك الحالة وكلما تشاغلت بجمع
الناس تفرق همى واذا وجدت مرادى من نفعهم ضعت انا فابقى
انا فى حيز التحير متردداً لا ادرى على اى القدمين اعتمد فاذا وقعت
متحيراً اصاح العلم قم لكسب العيال واد أب فى تحصيل ولا يذكر
الله فاذا شرعت فى ذلك قلص ضرع الدنيا وقت الحلب ورأيت
باب المعاش مسدوداً فى وجهى لان صناعة العلم شغلتنى عن
تعلم صناعة فاذا التفت الى ابناء الدنيا رأيتهم لا يبيعون شيئاً من
سلعها الا بدين المشترى ورأيت من نافقهم ورايا هم نال من

دنياهم بل

دنياهم بل ربما ذهب دينه ولم يحصل مراده فان قال الضجر
اهرب قال الشرع (كفى بالمرء اثماً ان يضيع من يعول اومن
يقوت) وان قال العزم انفرد قال فكيف بمن تعول فغاية الامر انى
اشرع فى التقلل من الدنيا وقد ربيت فى نعيمها وغذيت بلبانها
ولطف مزاجى فوق لطف وضعه بالعاده فاذا غيرت لباسى و
خشنت مطعمى لان القوت لا يحتمل الانبساط نفى الطبع لفراق
العاده محل المرض فقطع عنه واجبات ووقع فى آفات × ومعلوم
ان لين اللقمة يعيد التحصيل من الوجوه المستطابة وتخشينها لمن لم
يألف سعى فى تلف النفس فاقول كيف اصنع وما الذى افعل
واخلو بنفسى فى خلواتى واتزيد من البكاء على نقص حالاتى و
اقول اصف حال العلماء وجسمى يضعف عن اعادة
العلم وحال الزهاد وبدنى لا يقوى على الزهد وحال المحبين ومخالطة
الخلق تشتت همى وتنقش صور المحبوبات من الهوى فى نفسى فتصدأ
مرآة قلبى وشجرة المحبة تحتاج الى تربية فى تربة طيبة تسقى
ماء الخلوة من ديوان الفكرة وان آثرت التكسب لم اطق وان
تعرضت لابناء الدنيا مع ان طبعى الأنفة من الذل وتذيننى يمنعنى
فلا يبقى للميل مع هذين الجاذبين اثر ومخالطة الخلق تردى
النفس مع الانفاس ولا تحقيق التوبة اقدر عليه ولا نيل مرتبة
من علم او عمل او محبة لا يصح لى فاذا رأيتنى كما قال القائل شعرا
× القاه فى اليم مكتوفا وقال له × اياك اياك ان تبتل بالماء ×

تحيرت فى امرى وبكيت على عمرى وبكيت وانادى فى فلوات خلواتى
لما سمعته من بعض العوام وكأنه وصف حالى

× واحسرتى كم اداري × فيك عشيري ×
× مثل الأسير بلا × حل ولا مسير ×
× ماحيلتى فى الهوى × قد ضاع تدبيرى ×
× لما شكلت جناحى × قلت لى طيرى ×

٢١ فصل

تأملت امر الدنيا والآخرة فوجدت حوادث الدنيا حسية طبعية وحوادث الآخرة ايمانية يقينية والحسيات اقوى حدثا لمن لم يقو علمه ويقينه والحوادث انما تبقى بكثرة اسبابها فمخالطة الناس و رؤية المستحسنات والتعرض بالملذ وذات يقوى حوادث الحس والعزلة والفكر والنظر فى العلم يقوى حوادث الآخرة وبين هذا بان الأنسان اذا خرج يمشى فى الأسواق ويبصر زينة الدنيا ثم دخل فى المقابر فتفكر فرق قلبه فانه يحس بين الحالتين فرقاً بيناً وسبب ذلك التعرض اسباب الحوادث فعليك بالعزلة والفكر والنظر فى العلم فان العزلة حمية والفكر والعلم ادوية والدواء مع التخليط لا ينفع وقد تمكنت منك اخلاط المخالطة للخلق والتخليط فى الأفعال فليس لك دواء الا ما وصفت لك فاما اذا خالطت الخلق وتعرضت للشهوات ثم رمت صلاح القلب رمت الممتنع

فصل تأملت

٢٢ فصل

تأملت حرص النفس على ما منعت منه فرأيت حرصها يزيد على قدر قوة المنع ورأيت فى الشرب الأول ان آدم عليه السلام لما نهى عن الشجرة حرص عليها مع كثرة الاشجار المغنية عنها وفى الامثال المرء حريص على ما منع × وتواق الى عالم ينل × ويقال لوامر الناس بالجوع لصبروا ولو نهوا عن تفتيت البعر لرغبوا فيه وقالوا ما نهينا عنه الا لشئ وقد قيل ما احب شئ الى الانسان ما منعا × فلما بحثت عن سبب ذلك وجدت سببين احدهما ان النفس لا تصبر على الحصر فانه يكفى حصرها فى البدن صورة ما حصرت فى المعنى زاد لهيشها ولهذا الوقعد الانسان فى بيته شهراً الم يصعب عليه ولو قيل له لا تخرج من بيتك يوماً واحداً الطال عليه والثانى انها يشق عليها الدخول تحت حكم ولهذا تستلذ الحرام ولا تكاد تستطيب المباح ولذلك ليسهل عليها التعبد على ما ترى وتؤثر لا على ما يؤثر

٢٣ فصل

مازالت نفسى تنازعنى لما يوجبه مجلس الوعظ وتوبة التائبين و رؤية الزاهدين الى الزهد والانقطاع عن الخلق والانفراد بالآخرة فتأملت ذلك فوجدت عمومه من الشيطان فان الشيطان يرى انه لا يخلو مجلس وعظ من خلق لا يحصون يبكون ويندبون على ذنوبهم ويقوم فى الغالب جماعة يتوبون ويقطعون شعور الصبا وربما

اتفق خمسون ومائة ولقد تاب عندي في بعض الايام اكثر من مائة
وعمرهم صبيان قد نشؤا على اللعب والانهماك على المعاصي فكان الشيطان
ابعد غوره في الشر بأني اجتذب الى من اجتذب منه فاردان يشغلني
عن ذلك بما يزخرفه ليخلو هو بمن اجتذبه من يده ولقد حسن الى
الانقطاع عن المجالس وقال لا يخلو من تصنع للخلق فقلت اما
زخرفة الالفاظ وتزويقها واخراج المعنى من مستحسن العبارة فضيلة
لا رذيلة واما ان اقصد الناس بما لا يجوز في الشرع فمعاذ الله ثم
رأيته يريني في التزهد قطع اسباب ظاهرها الاباحة من الاكتساب
فقلت له فان طاب لي الزهد وتمكنت من العزلة فنفد ما بيدي او
احتاج بعض عائلتي الست اعود القهقرى فدعني اجمع ما يسد
خلتي ويصونني من مسئلة الناس فان مدعمري كان نعم السبب والا
كان للعائلة ولا اكون كراكب اراق ماءه لرؤية سراب فلما ندم
وقت الفوات لم ينتفع بالندم وانما الصواب توطئة المضجع قبل
النوم وجمع المال السداد للخلة قبل الكبر اخذ بالحزم وقد قال الرسول
صلى الله عليه وسلم (لأن تترك ورثتك اغنياء خير لك من ان تتركهم
عالة يتكففون الناس) وقال (نعم المال الصالح للرجل الصالح)
واما الاباحة طاعة فينبغي ان تكون العزلة عن الشر لما عن الخير والعزلة
عن الشر واجبة على كل حال واما تعليم الطالبين وهداية المريدين
فانه عبادة العالم وان من تعطيل بعض العلماء ايثاره للتشغل بالصلاة
والصوم عن تصنيف كتاب او تعليم علم ينفع لان ذلك بذر يكثر ريعه

ويمتد زمان

ويمتد زمان نفعه وانما تميل النفس الى ما يزخرفه الشيطان من ذلك
لمعنيين احدهما حب البطالة لأن الانقطاع عنها اسهل والثاني
لحب المدحة فانها اذا ربحت بالزهد كان ميل العوام اليها اكثر فعليك
بالنظر في الشرب الأول فكن مع الشرب المقدم وهم الرسول صلى الله عليه وسلم
واصحابه رضي الله عنهم فهل نقل عن احدهم ما ابتدعه جهلة المتزهدين
والمتصوفة من الانقطاع عن العلم والانفراد عن الخلق وهل كان
شغل الانبياء الا معاناة الخلق وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر الا ان
ينقطع من ليس بعالم يتعمد الكف عن الشر فذلك بمرتبة المحتمي يخاف
شر التخليط فاما الطبيب العالم بما يتناول فانه ينتفع بما يتناوله

فصل

تأملت المراد من الخلق فاذا هو الذل واعتقاد التقصير ومثلت العلماء
والزهاد العاملين صنفين فاقمت في صف العلماء مالكا وسفيان
وابا حنيفة والشافعي واحمد وفي صف العباد مالك بن دينار ورابعة
ومعروف الكرخي وبشر بن الحرث فكلما جد العباد في العبادة صاح
بهم لسان الحال عباداتكم لا يتعداكم نفعها وانما يتعدى نفع العلماء
وهم ورثة الانبياء وخلفاء الله في الارض وهم الذين عليهم المعول
ولهم الفضل الأكمل اذا طرقوا وانكسروا وعلما اصدق تلك الحال
وجاء مالك بن دينار الى الحسن يتعلم منه ويقول ان الحسن استاذنا
واذا راى العلماء لهم بالعلم فضلا صاح لسان حاله بالعلماء وهل
المراد من العلم الا العمل وقال احمد بن حنبل وهل يراد العلم

الا لما وصل اليه معروف وصح عن سفيان الثورى انه قال وددت
ان يدى قطعت ولم اكتب الحديث وقالت ام الدرداء لرجل علمت بما
علمت قال لا قالت فلم تستكثر من حجة الله عليك وقال ابو الدرداء رضى الله
عنه ويل لمن لم يعلم ولم يعمل مرة وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة وقال
الفضيل يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنبا واحدا
فابلغ من الكل قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وجاء سفيان الى
رابعة مجلس بين يديها ينتفع بكلامها فدل العلماء العلم على ان المقصود
منه العمل به وانه آلة فانكسروا واعترفوا بالتقصير فحصل الكل على الاعتراف
والذل فاستخرجت المعرفة لفهم حقيقة العبودية باعترافهم و
ذالك هو المقصود من التكليف

٢٥ فصل

تأملت قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) فاذا النفس تأبى اثبات محبة
للخالق توجب قلقا وقالت محبته طاعته فتدبرت ذالك فاذا بها قد
جهلت ذالك لغلبة الحس وبيان هذا ان محبة الحس لا تتعدى الصور
الذاتيه ومحبة العلم والعمل ترى الصور المعنويه فتحبها فانا نرى خلقا
يحبون ابابكر رضى الله عنه وخلقا يحبون على بن ابى طالب رضى الله عنه
وقوما يتعصبون لاحمد بن حنبل وقوما للأشعري فيقتتلون ويبذلون
النفوس فى ذالك وليسوا ممن رأى صور القوم ولا صور القوم توجب
المحبة ولكن لما تصورت لهم المعانى فدلتهم على كمال القوم فى العلوم
وقع الحب لتلك الصور التى شوهدت باعين البصائر فكيف بمن

صنع تلك

صنع تلك الصور المعنوية وابدلها وكيف لا احب من وهب لى ملة
وذات حسى وعرفنى ملة وذات علمى فان التذاذي بالعلم وادراك
العلوم اولى من جميع اللذات الحسية فهو الذى علمنى وخلق لى ادراكا
وهدانى الى ما ادركته ثم انه يتجلى لى فى كل لحظة فى مخلوق حد اراه
فيه باتقان ذالك المصنوع وحسن ذالك المصنوع وكل محبوباتى
منه وعنه وبه الحسية والمعنوية وسهل سبل الادراك الادراك
والمدركات والمدركات منه والذ من كل لذة عرفانى له فلولا تعليمه
ما عرفته وكيف لا احب من انا به وبقائى منه وتدبرى بيده و
رجوعى اليه وكل مستحسن محبوب هو صنعه وحسنه وزينه وعطف
النفوس اليه فذالك الكامل القدره احسن من المقدور والعجيب
الصنعة الجمل من المصنوع وهذا الادراك احلا عرفانا من المدرك
ولو انا رأينا نفسا عجيبا لاستغرقنا تعظيم النقاش وتهويل شأنه
وظرف حكمته عن حب المنقوش وهذا مما يترقى اليه الافكار الصافيه
اذا خرق نظرها الحسيات وتعدى الى ما وراءها فحينئذ تقع محبة
الخالق ضرورة وعلى قدر رؤية الصانع فى المصنوع يقع الحب له فان
قوى اوجب قلقا وشوقا وان مال بالعارف الى مقام
الهيبة اوجبت خوفا وان انحرف به الى تلمح الكرم اوجب
رجاء قويا وقد علم كل الناس مشربهم

٢٦ فصل

تأملت حالا عجيبة وهي ان الله سبحانه وتعالى قد بنى هذه الاجسام متقنة
على قانون الحكمة فدل ذلك ان المصنوع على كمال قدرته ولطيف حكمته
ثم عاد فنقضها فتحيرت العقول بعد اذعانها له بالحكمة في سر ذلك
الفعل فاعلمت انها ستعاد للمعاد وان هذه البنية لم تخلق الا لتجوز
في مجاز المعرفة وتتجر في موسم المعاملة فسكنت العقول لذلك ثم رأت
اشياء من هذا الجنس اظرف منه مثل احترام شباب ما بلغ بعض
المقصود بنيانه واعجب من ذلك اخذ طفل من كف ابويه يتململان
ولا يظهر سلبه والله الغني عن اخذه وهما اشد الخلق فقرا الى بقائه
واظرف منه ابقاء هرم لا يدري معنى البقاء وليس له فيه الا مجرد
اذى ومن هذا الجنس تقتير الرزق على المؤمن الحكيم وتوسعته
على الكافر الاحمق في نظائر لهذه المذكورات يتحير العقل في
تعليلها فيبقى مبهوتا فلم ازل اتلمح جملة التكاليف فاذا العجز قد
قوى العقل عن الاطلاع على حكمة ذلك وقد ثبت لها حكمة
الفاعل علمت قصورها عن درك جميع المطلوب فاذعنت مقرة
بالعجز وبذلك يودي مفروض تكليفها ولو قيل للعقل قد ثبت
عندك حكمة الخالق بما بنى افيجوز ان تقدح في حكمته انه نقض
ما بنى لقال لا لأني عرفت بالبرهان انه حكيم وانا اعجز عن ادراك
علله فاسلم على رغمي مقرا بعجزي

فصل ٢٧

تأملت فوائد

تأملت فوائد النكاح ومعانيه وموضوعه فرأيت ان الأصل الاكبر
في وضعه وجوه النسل لان الحيوان لا يزال يتحلل ثم يختلف التحلل الغذاء
ثم يتحلل من الاجزاء الاصلية ما لا يخلفه شيء فاذ لم يكن لا بد من فنائه و
كان المراد امتداد ازمان الدنيا جعل النسل خلف عن الاصل ولما
كانت صورة النكاح تأباها النفوس الشريفة من كشف عورة وملاقاة
ما لا يستحسن لنفسه جعلت الشهوة تحثه ليحصل المقصود ثم رأيت
هذا المقصود الأصلي يتبعه شيء آخر وهو استفراغ هذا الماء الذي
يولد دوام احتقانه فان المني ينفصل من الهضم الرابع فهو من اصفى
جوهر الغذاء واجوده ثم يجمع فهو احد الذخائر للنفس فانها تدخر
لبقائها وقوتها الدم ثم المني ثم تدخر النقل الذي هو من اعمدة البدن
كانه لخوف عدم غيره فاذا زاد اجتماع المني اقلق على نحو اقلاق
البول للحاقن الا ان اقلاقه من حيث المعنى اكثر من اقلاق البول من
حيث الصورة فتوجب كثرة اجتماعه وطول احتباسه امراضا صعبة
اذ يترقى من بخاره الى الدماغ فيؤذي وربما احدث سميه ومتى كان
المزاج سليما فالطبع يطلب بروز المني اذا اجتمع كما يطلب بروز
البول وقد ينحرف بعض الامزجة فيقل اجتماعه عنده فيندر طلبه
لاخراجه وانما يتكلم على المزاج الصحيح فاقول قد بينت انه اذا
وقع احتباس اوجب امراضا وجد افكارا رديه وجلب العشق
والوسوسة الى غير ذلك من الآفات وقد يجد صحيح المزاج يخرج
ذلك اذا اجتمع وهو بعد متقلقل فكانه الآكل الذي لا
يشبع فبحثت عن ذلك فرأيته وقوع الخلل في المنكوح اما
لدمامته وقبح منظره او لآفة فيه او لانه غير مطلوب النفس فحينئذ

يخرج منه ويبقى بعضه واذا اردت معرفة ما بذالك فدل على ذالك
فقس مقدار خروج المنى فى المحل المشتهى وفى المحل الذى هو دونه كالوطئ
بين الفخذين بالاضافة الى الوطئ فى محل النكاح وكوطئ البكر بالاضافة
الى وطئ الثيب فعلم حينئذ ان تخير المنكوح يستقصى فضول المنى فيحصل
للنفس كمال اللذه لموضع كمال بروز الفضول ثم قد يؤثر هذا فى الولد
ايضا فانه اذا كان من شابين قد حبسا انفسهما عن النكاح مدة مديدة
كان الولد اقوى منه من غيرهما او من المدمن على النكاح فى الأغلب
ولهذا كره نكاح الاقارب لانه مما يقبض النفس عن انبساطها فيتخايل
الانسان انه ينكح بعضه ومدح نكاح الغرائب لهذا المعنى ومن
هذا الفن يحصل كثير من المقصود من دفع هذه الفضول المؤذية
بمنكوح مستجد وان كان مستقبح الصورة مالا يحصل منه العادة
ومثال هذا ان الطاعم اذا امتلأ خبزا ولحما حيث لم يبق شئ فيه
فضل لتناول لقمة قدمت اليه الحلوى فيتناول فلو قدم اعجب منها
لتناول لان الجدة لها معنى عجيب وذالك ان النفس تميل الى ما
الفت وتطلب غير ما عرفت وتتخايل لها فى الجديد نوع مراد فاذا
لم تجد مرادها صدفت الى جديد آخر فكانها قد علمت وجود غرض
تام بلا كدر وهى متخايلة فيما تراه وفى هذا المعنى دليل مدفون
على البعث لان خلق همتد متعلقة بلا متعلق نوع عبث فافهم
هذا فاذا رأت النفس عيوب ما خالطت فى الدنيا عادت
تطلب جديدا ولذالك قال الحكماء (العشق العمى عن عيوب
المحبوب) فمن تأمل عيوبه سلا وكذالك يستحب له لئلا
يملها او تظهر لديه مكنونات عيوبها وينبغى له ان لا يطلع

منها على

منها على عورة للمرأة وينبغى لها ان لا تبعد عن زوجها بعد ايسيه اياها ولا
تقرب منه قربا يملها وينبغى له ان يجتهد ان لا يشم منها الا طيب ريح الى
غير ذالك من الخصال التى يستعملها النساء الحكيمات فانهن يعلمن ذالك
بفطرهن من غير احتياج فاما الجاهلات فانهن لا ينظرن فى هذا فيتعجل
التفات الازواج عنهن فمن اراد نجابة الولد وقضاء الوطر فليتخير المنكوح
اذ كانت زوجة فلينظر اليها فاذا وقعت فى نفسه فليتزوجها فلينظر فى
كيفية وقوعها فى نفسه فان علامة تعلق حبها بالقلب انه لا يصرف
الطرف عنه فاذا انصرف الطرف قلق القلب بمقتضى النظرة فهذه الغاية
ودونه مراتب على مقادير ها يكون بلوغ الاغراض وان كانت جارية
تشترى فلينظر اليها ابلغ من ذالك النظر ومن قدر على مناطقة المرأة
او مكالمتها بما يوجب التنبيه ثم ليرى ذالك منها فان الحسن فى الفم و
العينين وقد نص احمد على جواز ان يبصر الرجل من المرأة التى يريد نكاحها
ما هو عورة يشير الى ما يزيد على الوجه ومن امكن ان يوخر العقد او شراء
الجارية لينظر كيف توقان قلبه فانه لا يخفى على العاقل توقان النفس الى
المستجد ولو قلنا لاجل الحب فاذا رأى قلق الحب اقدم فانه قد اخبرنا
محمد بن عبد الباقى قال اخبرنا حمد بن احمد قال اخبرنا ابو نعيم قال حدثنا
سليمان بن احمد ثنا عبد الجبار بن ابى عامر قال حدثنى ابى قال حدثنى
خالد بن سلام قال حدثنا عطاء الخراسانى قال مكتوب فى التوراة كل
تزويج على غير هوى حسرة وندامة الى يوم القيامة ثم ينبغى للمتخير ان
يتفرس الاخلاق فانها من الخفى فان الصورة اذا خلت من المعنى كانت
كخفر آء الدمن فان نجابة الولد مقصودة وفراغ النفس من الاهتمام
بود محسوس اصل عظيم يوجب اقبال القلب على المهمات ومن فرغ من
العارضة الاصلية ولهذا جاء فى الحديث لا يقضى القاضى بين اثنين
وهو غضبان واذا وضع العشاء وحضرت العشاء فابدؤا بالعشاء

اولا جل المستجد

يكتب فى التوراة
كل تزويج على غير هوى
حسرة وندامة الى
يوم القيامة

وتقدم حديث
وهو حاقن او
حاقب

فمن قدر على امرأة صالحة فى الصورة والمعنى فليغض عن عوراتها وتجتهد هى فى مراضيه
من غير قرب يُمِلّ ولا بُعد يُنسى ولتدم على التصنع له يحصل الغرضان منها الولد
وقضاء الوطر مع الاحتراز الذى اوجبت به تدوم الصحبة ويحصل الغنى بها عن غيرها
فان قدر على الاستكثار فاضاف اليها سواها عالما انه يبلغ الغرض الذى يفرغ
قلبه زيادة تفريغ كان افضل لحاله فان خاف من وجود الغيره ما يشغل القلب
الذى قد اهتما بجمع همه اوخاف وجود مستحسنة تشغل قلبه عن فكر الاخيره او
تطلب منه ما يوجب خروجه عن الورع ويدخل فيما اوصيت به انه بيعد فى المستحسنات
العفاف فليبالغ الواجد لهن فى حفظهن وسترهن فان وجد مما لا يرضيه عجل
الاستبدال فانه سبب [illegible] السلو وان قدر على الاقتصار فان الاقتصار
على الواحده اولى فان كانت على الغرض قنع وان لم تكن استبدل ونكاح
المرأة المحبوبة ليستفرغ الماء المجتمع فيوجب بنجابة الولد وتمامه وقضاء
الوطر بكماله ومن خاف وجود الغيره فعليه بالسرارى فانهن اقل غيرة
والاستظراف لهن امكن من استظراف الزوجات وقد كان جماعة يمكنهم
الجمع وكان النساء يصبرن فكان لداود عليه الصلاة والسلام مائة و
لسليمان عليه السلام الف امرأة وقد علم حال نبينا صلى الله عليه وسلم
واصحابه وقد كان لامير المؤمنين على رضى الله عنه اربع حرائر وسبع عشر
سرية وتزوج ابنه الحسن رضى الله عنه نحو من اربعمائة الغير هذا
مما يطول ذكره فافهم ما اشرت اليه [illegible] تفز به ان شاء الله تعالى

فصل

كل شئ خلق الله تعالى فى الدنيا فهو انموذج فى الآخرة وكل شئ يجرى
فيها انموذج فيما يجرى فى الآخرة فاما المخلوق فقال ابن عباس رضى الله
عنهما ليس فى الجنة شئ يشبه ما فى الدنيا الا الاسماء لان الله تعالى
شوق بنعيم الجنة وخوف بعذاب من عذاب وامّا يجرى فى الدنيا

فكل ظالم

فكل ظالم معاقب فى العاجل على ظلمه قبل الآجل وكل مذنب مُذنبا وهو معنى
قوله تعالى (من يعمل سوءً يجزبه) وربما رأى العاصى سلامة بدنه وماله
فظن ان لا عقوبة وغفلته عنها عوقب به عقوبة وقد قال الحكماء
المعصية بعد المعصية عقاب المعصية والحسنة بعد الحسنة ثواب الحسنة
وربما كان العقاب العاجل معنويا كما قال بعض احبار بنى اسرائيل
يارب كم اعصيك ولم تعاقبنى فقيل له كم اعاقبك وانت لا تدرى اليس
قد حرمتك حلاوة مناجاتى فمن تامل هذا الجنس من المعاقبة وجده
بالمرصاد حتى قال وهب بن الورد وقد سئل اجد لذة الطاعة من يعصى
قال ولا من بهم فرب شخص اطلق لبصر فحرم اعتبار بصيرته او لسانه
فحرم صفاء قلبه او آثر شهوة فى مطعمه فاظلم سره وحرم قيام الليل
وحلاوة المناجاة الى غير ذلك وهذا امر يعرفه اهل محاسبة النفوس
وعلى منة يجل من يتقى الله تعالى من حسن الجزاء على التقوى عاجلا
كما فى حديث ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى
النظرة الى المرأة سهم مسمومة من سهام الشيطان من تركه ابتغاء
مرضاتى اثبته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه فهذه نبذة من هذا الجنس
تنبه على مغفلها فاما المقابلة الصريحة فى الظاهر فقل ان تحتبس ومن
ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم الصيحة تمنع الرزق وان العبد
ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد روى المفسرون ان كل شخص من
الاسباط جاء باثنى عشر ولدا وجاء يوسف باحد عشر بالهمه ومثل
هذا اذا تأمله ذو بصيرة رأى الجزاء وفهم كما قال الفضيل انى لاعصى
الله عز وجل فاعرف ذلك فى خلق دابتى وجاريتى وعن ابى عثمان
النيسابورى انه انقطع شسع نعله فى مضيه الى الجمعة فتعوق لاصلاحه

ساعة ثم قال انما انقطع لانى ما اغتسلت ليوم الجمعة ومن عجائب الجزاء
فى الدنيا انه لما امتدت ايد الظلم من اخوة يوسف وشروه بثمن بخس
امتدت اكفهم بين يديه بالطلب يقول وتصدق علينا ولما صبر هو ليوم
الهمّة ملك المرأة حلالا ولما بغت عليه بدعواها ما جزاء من اراد
باهلك الاسوءُ اطقها الحق لقولها انا راودته ولوان شخصا ترك
معصية لله تعالى لرأى ثمرة ذالك وكذالك اذا فعل طاعة وفى الحديث
اذا املقتم فتاجروا الله بالصدقة اى عاملوه لزيادة الارباح العاجلة
ولقد رأينا من سامح نفسه بما يمنع منه الشرع طلبا للراحة العاجلة
فانقلبت احواله الى النقص العاجل وعكست عليه المقاصد حتى
بعض المشائخ انه اشترى فى زمن الشباب جارية قال فلما ملكتها
تاقت نفسى اليها فما زلت اسأل الفقهاء لعل مخلوقا يرخص لى فكلهم
قال لا يجوز النظر اليها بشهوة ولا لمسها ولا جماعة الا بعد حيضها
قال فسألتها فاخبرتنى انها اشتريت وهى حائض قلت قرب الامر
فسألت الفقهاء فقالوا لا يعتد بهذه الحيضة حتى تحيض فى ملكه
قال فقلت لنفسى وهى شديدة التوقان لقوة الشهوة وتمكن
القدرة وقرب المعاقبة الساقبة ما تتولين فقالت الايمان بالصبر
على الجمر شئت او ابيت فصبرت الى ان حان ذالك فاثابنى الله
تعالى على ذالك الصبر بل ما هو اعلا منها وارفع

فصل ٢٩

نظرت فى الادلة على الحق سبحانه وتعالى فوجدتها اكثر من الرمل
ورأيت من اعجبها ان الانسان قد يخفى ما لا يرضاه الله عز وجل
فيظهر الله سبحانه عليه ولو بعد حين وينطق الالسنة به وان لم
يشاهده الناس

يشاهده الناس وربما اوقع صاحبه فى آفة يفضحه بها بين الخلق
فيكون حجابا بالكل ما اخفى من الذنوب وذالك ليعلم الناس ان هنالك
من يجازى على الزلل ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار
ولا يضاع لديه عمل وكذالك يخفى الانسان الطاعات فيظهر عليه
ويتحدث الناس بها ويكثر منها حتى انهم لا يعرفون لذنبا ولا يذكرونه
الا بالمحاسن ليعلم ان هنالك ربا لا يضيع عمل عامل وان قلوب الناس
لتعرف حال الشخص وتحبه او تأباه وتذمه او تمدحه وربما لم يتحقق
ما بينه وبين الله تعالى فانه يكفيه كل هم ويدفع عنه كل شر وما اصلح
عبد ما بينه وبين الخلق دون الحق الا انعكس مقصوده وعاد حاسده
ذامًا

فصل ٣٠

تأملت الارض ومن عليها بين فكرى فرأيت خرابها اكثر من عمرانها ثم
نظرت فى المعمور منها فوجدت الكفار مستولين على اكثره ووجدت
اهل الاسلام فى الارض قليل بالاضافة الى الكفار ثم تاملت المسلمين
فرأيت الاكتساب قد شغلت جمهورهم عن الرازق واعرضت عن العلم
الدال عليه فالسلطان مشغول بالامر والنهى واللذات المعارضة له
ومياه اغراضه جارية لا شكر لها ولا يتلقاه احد بموعظة بل
بالمديحة التى تقوى هوى النفس وانما ينبغى ان يقاوم الامراض
باضدادها كما قال عمر بن المهاجر قال لى عمر بن عبد العزيز اذا رأيتنى
قد حدت عن الحق فخذ بثيابى وهزنى وقل مالك يا عمر وقال عمر بن
الخطاب رضى الله عنه رحم الله من اهدى الينا عيوبنا فاحوج الخلق الى
النصائح والمواعظ السلطان واما جنوده فجمهورهم فى سكر الهوى

وزينة الدنيا وقد انضاف الى ذالك الجهل وعدم العلم فلا يولهم
ذنب ولا يزعجون من لبس حرير او بشرب خمر حتى ربما قال بعضهم ايش
يعمل الجندى ابلبس القطن ثم اخذهم للأشياء من غير وجهها فالظلم
معهم كالطبع وارباب البوادى قد غمرهم الجهل واهل القرى فكذالك تقلبهم
فى الانجاس والتهوين لامر الصلواة وربما صلت المرأة منهن قاعدة
ثم نظرت فى التجار فرأيتهم قد غلب عليهم الحرص حتى لا يرون سوى وجوه
الكسب كيف كانت وصار الربا فى معاملاتهم فاشيا فلا يبالى احدهم
من اين حصل له الدنيا وهم فى باب الزكاة مفرطون ولا يستوحشون
من تركها الا من عصمه الله ثم نظرت فى ارباب المعائش فوجدت الغش
فى معاملاتهم عاما فالتطفيف والنجش وهم مع هذا مغمورون بالجهل
ورأيت عامة من له ولد يشغله ببعض هذه الاشغال كلها للكسب
قبل ان يعرف ما يجب عليه وما يتأدب به ثم نظرت فى النساء فرأيتهن
قليلات الدين عظيمات الجهل ما عندهن من الآخرة خبر الا من عصمه الله
تعالى فقلت واعجبا فمن بقى لخدمة الله عزوجل ومعرفته فنظرت
فاذا العلماء والمتعلمون والعباد المتزهدون فتأملت العباد و
المتزهدين فرأيت جمهورهم يتعبد بغير علم ويأنس الى تعظيمه وتقبيل
يده وكثرة اتباعه حتى ان احدهم لو اضطر الى حاجة يشتريها من
السوق لم يفعل لئلا ينكسر جاهه ثم تترقى بهم رتبة الناموس
الى ان لا يعود وامريضا ولا يشهد جنازة الا انه يكون عظيم
القدر عندهم ولا يتزاودون بل ربما طعن بعضهم على بعض فقد
صارت النواميس كالاوثان يعبدونها ولا يعلمون وفيهم من يقدم
على الفتوى بجهل لئلا يخل ناموس التصدر ثم يعيبون العلماء

لحرصهم على الدنيا

لحرصهم على الدنيا ولا يعلمون ان المذموم من الدنيا ما هم فيه لا تناول
المباحات ثم تأملت العلماء والمتعلمين فرأيت القليل فى المتعلمين من
عليه امارة النجابة لان امارة النجابة طلب العلم للعمل وجمهورهم
يطلب ما يصيره شبكة للكسب اما ليأخذ قضا مكان او ليصير قاضى
بلد او قدر ما يتميز به عن ابناء جنسه ثم يكتفى ثم تأملت العلماء فرأيت
اكثرهم يتلاعب بهم الهوى ويستخدمه فهو يؤثر ما يصده العلم عنده
ويقبل على ما ينهاه ولا يكاد ذوق معاملة الله تعالى وانما همته ان
الله لا يخلى الارض من قيم له بالحجة جامع بين العلم والعمل عارف
بحقوق الله خائف منه فذالك قطب الدنيا ومتى مات اخلف الله
عوضه وربما لم يمت حتى يرى من يصلح للنيابة عنه فى كل نائبة
ومثل هذا لا تخلو الارض منه فهو فى مقام النبى فى الامة وهذا الذى
اصفه يكون قائما بالاصول حافظا للحدود وربما قل علمه او قلت
معاملته فاما الكاملون فى جميع الادوات فيندر وجودهم فيكون
فى الزمان البعيد منهم واحد ولقد سبرت السلف كلهم فاردت ان
استخرج منهم من جمع بين العلم والعمل حتى صار من المجتهدين وبين
العلم والعمل حتى صار قدوة للعابدين فلم ار اكثر من ثلاثة اولهم
الحسن البصرى وثانيهم سفيان الثورى وثالثهم احمد بن حنبل
وقد افردت اخبار كل واحد منهم كتابا وما انكر على من ربعهم بسعيد
ابن المسيب وان كان فى السلف سادات الا ان اكثرهم غلب عليه
فن فنقص من الآخر فمنهم من غلب عليه العلم ومنهم من غلب عليه العمل
وكل هؤلاء كان له الحظ الوافر من العلم والنصيب الاوفى من
المعاملة والمعرفة ولا يؤيس من وجود من يحذو حذوهم وان

الفضل بالسبق لهم فقد اطلع الله عز وجل الخضر على ما خفى عن موسى
عليهم السلام فخزائن الله مملوءة وعطاؤه لا يقف على شخص ولقد
حكى لى عن ابن عقيل انه كان يقول عن نفسه انا عملت فى قالب ثم كسر
وهذا غلط فمن اين له فكم معجب بنفسه كشف من غير ما عاد يحتقره
من نفسه على ذالك وكم من متأخر سبق متقدما وقد قيل

× ان الليالى والايام حاملة × وليس يعلم الا غير الله ما تلد ×

٣٩ فصل

رأيت ميل النفس الى الشهوات زائدا × فى المقدار حتى انها اذا
مالت مالت بالقلب والعقل والذهن فلا يكاد ينتفع بشئ من البدن
فصحت بها يوما وقد مالت بكليتها الى شهوة ويحك قفى معى
لحظة الكلمك كلمات ثم افعلى ما بدا لك قالت قل اسمع قلت قد
تقرر قلة ميلك الى المباحات من الشهوات وجل ميلك الى
المحرمات فانا اكشف لك عن الامرين فربما رأيت الحلوين مرتين
اما المباحات من الشهوات فمطلقة لك ولكن طريقها صعب
لان المال قد يعجز عنها والكسب قد لا يحتمل معظمها والوقت
الشريف قد يذهب بذالك ثم شغل القلب بها قبل التحصيل
وفى حالة الحصول ويحذر الفوات ثم ليضعها من النقص مالا
يخفى على مميز ان كان مطعما فالشبع يحدث آفات وان كان
فللملك او الفراق او سوء خلق ثم الذ النكاح اكره ايهانا
المبدت الى غير ذالك مما يطول شرحه واما المحرمات فيشتمل
على ما اشرنا اليه

على ما اشرنا اليه من المباحات ويزيد بانها آفة العرض وخوف
عقاب الدنيا وفضيحتها ووعيد الآخرة ثم الجزع كلما ذكرها التائب
وفى قوة قهر الهوى لذة تزيد على كل لذة الا ترى الى كل مغلوب
بالهوى كيف يكون ذليلا لانه قهر بخلاف غالب الهوى فانه يكون
فى القلب عزيزا لانه قهر فالحذر من رؤية المشتهى بغير الحسن كما
يرى لك بلذة اخذ المال من الحرز ولا يرى بعين فكره القطع وليفتح
عين البصيرة لتأمل العواقب واستحالة اللذة نغصة وانقلابها
عن كونها لذة اما هكذا ولغيره من الآفات او لانقطاعها بامتناع
الحبيب فتكون المعصية الاولى كلقمة تناولها جائع فما ردت الجوع
بل شهت الطعام وليتذكر الانسان لذة قهر الهوى مع تأمل فوائد
الصبر عنه فمن وفق لذالك كانت سلامته قريبة

٣٤ فصل

خطر لى خاطر والمجلس قد طاب والقلوب قد حضرت والعيون جارية
والرؤس مطرقة والنفوس قد ندمت على تفريطها والعزائم قد نهضت
لاصلاح شؤنها والسنة اللوم تعمل فى الباطن على تضييع الحزم
وترك الحذر فقلت لنفسى ما بال اليقظة لا تدوم فانى ارى للنفس
واليقظة فى المجلس مصادفات فيتصادفان فاذا قمنا عن هذه
التربة وقعت الغربة فتأملت ذالك فرأيت النفس ما تزال
مستيقظة والقلب ما يزال عارفا غير ان القواطع كثيرة والفكر
الذى ينبغى استعماله فى معرفة الله سبحانه وتعالى قد كل فما
يستعمل فى اجتلاب الدنيا وتحصيل حوائج الطعام والقلب

والبدن

منغمس فى ذالك والمرأسير مستخدم بلبناء الفكر يجول فى اجتلاب
الطعام والشراب والكسوة وينظر فى مدد ذلك وما يدخر لغده
وسنته اهتم بخروج الحدث وتشاغل بالطهارة ثم اهتم بخروج الفضلات
المؤذية ومنها المنى فاحتاج الى النكاح فعلم انه لايصح الا بالكتساب
كسب الدنيا فتفكر فى ذالك وعمل بمقتضاه ثم جاء الولد فاهتم به
وله واذا الفكر عامل فى اصول الدنيا وفروعها فاذا احضر الانسان
المجلس فانه لايحضر جائعا ولاحاقنا بل يحضر جامعا لهمه ناسيا
ماكان من الدنيا على ذكر فيخلو القلب بالوعظ فيذكرما الف و
يجذ به بما عرف فينهض عمال القلب فى زرداق عرفانه فيحضرون
النفس الى باب المطالبة بالتفريط ويواخذون الحس
بما مضى من العيوب فتجرى عيون الندم وتنعقد عزائم الاستدراك
ولوان هذه النفس خلت عن المعهودات التى وصفتها لتشاغلت بخدمة
باريها ولوقعت فى سورة حبه ولاستوحشت عن الكل شغلا بقربه
ولهذا اعتمد الزهاد الخلوات وتشاغلوا بقطع المعوقات وعلى قدر
مجاهداتهم فى ذالك نالوا من الخدمة مرادهم كما ان الحصاد على مقدار
البذر غير انى تلمحت فى هذه الحالة دقيقة وهو ان النفس لو دامت
لها اليقظة اوقعتها فيما هو شر من فوت مافاتها وهو العجب بحالها
والاحتقار بجنسها وربما ترقت لقوة علمها وعرفانها الى دعوى
لى وعندى واستحق فتركها فى حومة ذنوبها تتخبط فاذا وقفت
على السباطئ قامت بحق ذل العبودية اولى لها هذا حكم الغالب من
الخلق ولذالك شغلوا عن هذا المقام فمن بذر فصلح له فلا بد له من
هفوة يراقبها عين الخوف من عقابها تصح له عبودية وتسلم له عبادة
والى هذا المعنى

والى هذا المعنى اشار الحديث الصحيح لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء
بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم

٣٣ فصل

تفكرت فرأيت ان حفظ المال من المتعين ومالايسميه جهلة المتزهدين
توكلا من اخراج ما فى اليد ليس بالمشروع فان النبى صلى الله عليه وسلم
قال لكعب بن مالك امسك عليك بعض مالك اوكما قال له وقال
لسعد لأن تترك ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم عالة يتكففون الناس
فان اعترض جاهل فقال فقد جاء ابو بكر رضى الله عنه بكل ماله فالجواب
ان ابا بكر صاحب جاش وتجارة واذا اخرج الكل امكنه ان يبتدئ
عليه فيتعيش فمن كان على هذه الصفة لااذم اخراجه لماله وانما
الذم متطرق الى من يخرج ماله وليس من ارباب المعاش او يكون
من اولئك الا انه ينقطع عن المعاش فيبقى كلا على الناس يستطيم
ويعتقد انه على الفتوح وقلبه متعلق بالخلق وطمعه ناشب فيهم
ومتى حرك بابه نهض قلبه وقال رزق قد جاء وهذا امر صحيح
قبيح بمن يقدر به على المعاش وان لم يقدر كان اخراج ما عليك
اقبح لانه يتعلق قلبه بما فى ايدي الناس وربما ذل لبعضهم او يتزين
له بالزهد واقل احواله انه يزاحم الفقراء او المكافيف او الزمنى
فى الزكاة فعليك بالمشرب الاول فانظر هل فيهم من فعل ما يفعله
جهلة المتزهدين وقد اشرت فى اول هذا الى انهم كسبوا وخلفوا
الاموال فرد الى المشرب الاول الذى لم يطرق فانه الصافى واحذر
من المشارع المطروقة بالاراء الفاسدة الخارجة فى المعنى كالكلمين
على الشريعة مذ تمنت بلسان حالها ان الشرع ناقص محتاج الى ما

تمت به الى ما لمت به واعلم وفقك الله تعالى ان البدن كالمطية ولابد
من علف المطية والاهتمام به فاذا اهملت ذالك كان سببا لوقوفك
عن السير وقد رُئى سلمان الفارسي رضى الله عنه يحمل طعاما على عاتقه
فقيل له اتفعل هذا وانت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان النفس اذا احرزت قوتها اطمأنت وقال سفيان الثورى اذا احصلت
قوت شهر فتعبد وقد جاء اقوام ليس عندهم سوى الدعاوى فقالوا هذا
شك فى الرازق والثقة به اولى فاياك واياهم وربما ورد مثل هذا
عن بعض صدور الزهاد من السلف فلا يعول عليه فلا يهولنك
فقد قال ابو بكر المروزى سمعت احمد بن حنبل يرغب فى النكاح فقلت
له قال ابن ادهم فما تركنى اتم حتى صاح علىّ وقال اذكرلك حال
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وتأتينى بنيات الطريق واعلم
وفقك الله انه لو رفض الاسباب شخص بدعى الزهد وقال لا آكل
ولا اشرب ولا اقوم من الشمس فى الحر ولا استدفئ فى البرد كان عاصيا
بالاجماع وكذلك لو قال من له عائلة لا اكتسب ورزقهم على الله تعالى
فاصابهم اذى كان آثما كما قال عليه الصلاة والسلام (كفى بالمرء
اثما ان يضيع من يقوت) واعلم ان الاهتمام بالكسب يجمع الهم و
يفرغ القلب ويقطع الطمع فى الخلق فان الطمع له حق تقاضاه وقد بين
الشرع ذالك فقال ان لها للنفسك عليك حقا وان لعينك عليك
حقا ومثال الطمع مع المريد السالك كمثل كلب لا يعرف الطارق
فكل من رآه يمسى نبح عليه فان القى اليه كسرة سكت عنه فالمراد
من الاهتمام بذالك جمع الهم لا غير فافهم هذه الاصول فان فهمها هم

٣٤ فصل

تاملت شهوات الدنيا

تأملت شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك وفخوخ تلف فمن قوى غفلة
على طبعه وحكم عليه سلم ومن غلب عليه طبعه فيا سرعة هلكته ولقد
رأيت بعض ابناء الدنيا كان يتنوق فى القسرى ثم يستعمل الحرارات المهيجة
للباه فما لبث ان انحلت حراراته الغريزية وتلف ولم ار فى شهوات
النفس اسرع اهلاكا من هذه الشهوة فانه كلما مال الانسان الى شخص
مستحسن اوجب ذالك حركة الباه زائدا عن العادة واذا رأى
احسن منه زادت الحركة وكثر خروج المنى زائدا عن الاول فينفنى
جوهر الحياة اسرع شئ وبالضد من هذا ان تكون المرأة مستقبحة
فلا يوجب نكاحها خروج الفضلة الموذية كما ينبغى فيقع التأذى
بالاحتباس وقوة التوق الى المنكوح وكذالك المفرط فى الاكل فانه
يجنى على نفسه كثيرا من الجنايات والمقصر فى مقدار القوت كذالك
فعلمت ان افضل الامور اوسطها والدنيا مفازة فينبغى ان يكون
السابق فيها العقل فمن سلم زمام راحلته الى طبعه وهواه فيا
عجلة تلفه هذا فيما يتعلق بالبدن والدنيا فقس عليه امر الآخرة
فافهم

٣٥ فصل

بلغنى عن بعض زهاد زماننا انه قدم اليه طعام فقال لا آكل فقيل
له لم قال لأن نفسى تشتهيه وانا منذ سنين ما بلغت نفسى ما
تشتهيه اقول لقد خفى طريق الصواب عن هذا من وجهين وسبب خفائها
عدم العلم اما الوجه الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن على هذا ولا
اصحابه وقد كان عليه الصلاة والسلام يأكل لحم الدجاج ويحب الحلوى
والعسل ودخل فرقد السنجى على الحسن وهو يأكل الفالوذج فقال

يا فرقد ما تقول فى هذا فقال لا آكله ولا احب من يأكله فقال الحسن لعاب
النحل بلباب البر مع سمن البقر هل يجيبه مسلم وجاء رجل الى الحسن فقال
ان لى جارًا لا يأكل الفالوذج فقال ولم قال يقول لا أؤدى شكره فقال
ان جارك جاهل وهل يؤدى شكر الماء البارد وكان سفيان الثورى
يحمل الفالوذج معه فى السفر واللحم المشوى ويقول ان الدابة اذا احسن
اليها عملت وما حدث زهد بعدهم امور من هذا الفن مسروقة
من الرهبانية وانا خائف من قوله تعالى (لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم ولا تعتدوا) ولم يحفظ عن السلف الاول من الصحابة من هذا الفن
شئ الا ان يكون ذلك لعارض او سبب كما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما
انه اشتهى شيئًا فاشتراه فقيرا واعتق جاريته رميله وقال انها
احب الخلق الى فهذا وامثاله حسن لانه ايثار بما هو احب عند
النفس من غيره واكثر لها من سواه فاذا وقع فى بعض الاوقات كسرت
بذلك الفعل سورة هواها ان تطغى بنيل كلما تريد فامامن دام
على مخالفتها على الاطلاق فانه يعمى قلبها ويبلد خواطرها ويشتت عزائمها
فيؤذيها اكثر مما ينفعها وقد قال ابراهيم بن ادهم ان القلب اذا
كره عمى وتحت ما قلته سر لطيف وهو ان الله عز وجل قد وضع
طبيعة الآدمى على معنى عجيب وهو انها تختار الشئ من الشهوات
ما يصلحها فيعلم باختيارها له صلاحه لها وصلاحها به وقد قال
حكماء الطب ينبغى ان يفسح للنفس فيما تشتهى من المطاعم وان كان
فيه نوع ضرر لانها انما تختار ما يلائمها فاذا قمعها الزاهد فى مثل
هذا عاد على بدنه بالضرر ولو لاجواذب فى الباطن من الطبيعة
ما بقى البدن فان الشهوة للطعام تبور فاذا وقعت الغيبة بما يتول

كفت الشهوة

كفت الشهوة فالشهوة مزيد وزائد ونعم الباعث على مصلحة البدن
هى غير انها اذا افرطت وقع الاذى وحتى منعت ما تريد على الاطلاق
مع الامن من فساد العافية عاود ذلك بفساد احوال النفس ومن
الجسم واختلاف السقم الذى يتداعى به الجملة مثل ان يمنعها الماء عند
اشتداد العطش والغذاء عند الجوع والجماع عند قوة الشهوة و
النوم عند غلبته حتى ان المغتم اذا لم يتروح بالشكوى قتله الكمد
فهذا اذا فهمه الزاهد علم انه قد خالف طريق الرسول صلى الله عليه
وسلم واصحابه من حيث النقل وخالف الموضوع فى الحكمة ولا يلزم
على هذا قول القائل فمن اين يصفو المطعم لانه اذا لم يصفو كان
الترك ورعا وانما الكلام فى المطعم الذى ليس فيه ما يؤذى فى باب
الورع وكان ما شرحته جوابًا للقائل ما ابلغ نفسى شهوة على الاطلاق
والوجه الثانى اذا اخاف على الزاهد ان تكون شهوته انقلبت
الى الترك فصار يشتهى ان لا يتناول وللنفس فى هذا مكر
خفى وريآء دقيق فان سلمت من الريآء للخلق كانت الآفة من
جهة تعلقها بمثل هذا الفعل وادلالها فى الباطن به فهذه مخاطرة
وغلط وربما لو قال بعض الجهال هذا صد عن الخير والزهد
وليس كذلك فان الحديث قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد ولا ينبغى ان يغتر
بعبادة جريج ولا بتقوى ذى الخويصرة ولقد دخل المتزهدون
فى طرق ما سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه من
اظهار التخشع الزائد فى الحد والتنوق فى تخشين الملبس
واشياء صار العوام يستحسنونها وصارت لاقوام كالمعاش يجنون

الذى ص ٧

من ارباحها تقبيل اليد وتوقير المتوقر وحراسة الناموس و
اكرههم في خلوته على غير حالته في جلوته ولقد كان ابن سيرين
يضحك بين الناس قهقهة واذا خلا بالليل فكأنه قتل اهل القرية
نسئل الله تعالى علما نافعا فهو الاصل فمتى حصل اوجب معرفة
المعبود عز وجل وحرك الى خدمته بمقتضى ما شرعه وسلك
بصاحبه طريق الاخلاص واصل الاصول العلم وانفع العلم
النظر في سير الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده

٣٦ فصل

تأملت جهاد النفس فرأيته اعظم الجهاد فرأيت خلقا من العلماء
والزهاد لا يفهمون معناه لان فيهم من منعها حظوظها على الاطلاق
وذلك غلط من وجهين احدهما انه رب مانع لها شهوة اعطاها
بالمنع او في منها مثل ان يمنعها مباحا فيشتهر بمنعه اياها ذلك
يرضي النفس بالمنع لانها قد استبدلت به المدح واخفى من
ذلك انه يرى بمنعه اياها ما منع انه قد فضل من سواه
ممن لم يمنعها ذلك وهذه دقائق تحتاج الى منقاش فهم
يخلصها والوجه الثاني اننا قد كلفنا حفظها ومن اسباب
حفظها ميلها الى الاشياء التي يقيمها ولابد من اعطائها ما يقيمها
واكثر ذلك وكله ما تشتهيه ونحن كالوكلاء في حفظها لانها
ليست لنا بل هي وديعة عندنا فمنعها حقوقها على الاطلاق
خطر ثم رب شدة اوجب رخاء ورب مضيق على نفسه

فرت منه فصعب

فرت منه فصعب عليه تلافيها وانما الجهاد لها كجهاد المريض
العاقل يحملها على مكروهها في تناول ما ترجو به العافية ويذوب
في المرارة قليلا من الحلاوة ويتناول من الاغذية مقدار ما يصفه
الطبيب ولا تحمله شهوته على موافقة غرضها من مطعم ربما
جرّ جوعا ومن لقمة ربما حرمت لقمات فكذلك المؤمن العاقل
لا يترك لجامها ولا يهمل مقودها بل يرخي لها في وقت والطوا
بيده فما دامت على الجادة لم يضايقها في التضييق عليها فاذا
رآها قد مالت ردها باللطف فان دانت والا بالعنف وحبسها
في مقام المداراة كالزوجة التي مبنى عقلها على الضعف والقلة
فهي تداري عند نشوزها بالوعظ فان لم تصلح فبالهجر فان لم
تستقم فبالضرب وليس في سياط التأديب اجود من سوط
عزم هذه مجاهدة من حيث العمل فاما من حيث العلم فاما
من حيث وعظها وتأنيبها فينبغي لمن راها تستكن للخلق و
تتعرض بالدناءة من الاخلاق ان يعرفها تعظيم خالقها لها فيقول
الست التي قال فيك ~~خلقتك~~ خلقتك بيدي واسجدت لك
ملائكتي وارتضاك للخلافة في ارضه واسلك واقترض منك
واشترى فان رآها تتكبر قال لها هل انت الا قطرة من ماء مهين
تفتلك مشرقة وتؤلمك بقه وان رأى تقصيرها عرفها حق المولى
على العبيد وان ونت في العمل حدثها بجزيل الاجر وان مالت الى
الهوى خوفها عظيم الوزر ثم يحذرها عاجل العقوبة الحسية كقوله
تعالى (قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم) والمعنوية كقوله
تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق) فهذا جهاد
بالقول وذلك جهاد بالفعل

٣٧ فصل

رأيت من البلآء العجاب ان المومن يدعو فلا يجاب وتطول المده ولا يرى اثر الاجابه فينبغى له ان يعلم ان هذا من البلآء الذى يحتاج الى صبر وما يعرض للنفس من الوساوس فى تأخير الجواب مرض يحتاج الى طب ولقد عرض لى من هذا الجنس فانه نزل بى نازلة فدعوت و بالغت فلم ار الاجابة فاخذ ابليس يجول فى حلبات كيده فتارة يقول الكرم واسع والبخل معدوم فما فائدة تأخير الجواب فقلت له اخسأ يا لعين فما احتاج الى تقاضى ولا ارضى لى وكيلاً ثم عدت الى نفسى فقلت اياك ومساكنة وسوسته فانه لو لم يكن فى تأخير الاجابة الا ان يبلوك المقدر فى محاربة العدو لكفى فى الحكمة قالت فى تأخير الاجابة فى مثل هذه النازلة فقلت قد ثبت فسلنى عن ٧ فى البرهان ان الله عز وجل مالك وللمالك المتصرف فى المنع والعطآء فلا وجه للأعتراض عليه والثانى انه قد ثبتت حكمته بالادلة القاطعة فربما رأيت الشئ مصلحة والحكمة لا تقتضيه وقد يخفى فى الحكمة فيما يفعله الطبيب من اشياء تؤذى فى الظاهر يقصد بها المصلحة فلعل هذا من ذاك والثالث انه قد يكون التأخير مصلحة والاستعجال مضرة وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد فى خير ما لم يستعجل يقول دعوت فلم يستجب لى والرابع انه قد يكون انتفاع امتناع ن الاجابة لآفة فيك فربما يكون فى مأكولك شبهة او قلبك وقت الدعآء فى غفلة او تزداد عقوبتك لمنع حاجتك لذنب ما صدفت فى التوبة منه فيحمى عن بعض محبه من الاسباب لعلك تقع بالمقصود كما روى عن ابى يزيد رضى الله عنه انه

نزل لبعض الاعاجم

نزل لبعض الاعاجم فى داره فجآء فرآه فوقف بباب الدار وامر بعض اصحابه فدخل فقلع طينا جديدا قد طينه فقام الاعجمى وخرج فسئل ابو يزيد عن ذالك فقال هذا الطين من وجه فيه شبهة فما زالت الشبهة زال صاحبها وعن ابراهيم الخواص رحمة الله عليه انه خرج لانكار منكر فنبحه كلب فمنعه ان يمضى فعاد ودخل المسجد وصلى ثم خرج فبصبص الكلب له فمضى فانكر المنكر وزال المنكر فسئل عن تلك الحال فقال كان عندى منكر فمنعنى الكلب فلما عدت تبت من ذالك فكان ما رأيتم والخامس انه ينبغى ان يقع البحث عن مقصودك بهذا المطلوب فربما كان فى صورة زيادة اثم او تأخير عن مرتبة خير فكان المنع اصلح وقد روى عن بعض السلف انه كان يسئل الله الغزو فهتف به هاتف انك ان غزوت اسرت وان اسرت تنصرت والسادس انه ربما كان فقد ما فقدتيه سببا للوقوف على الباب واللجا حصوله سببا للأشتغال به عن المسئول وهذا الظاهر بدليل انه لو لا هذه النازلة ما رأيناك على باب اللجا فالحق عز وجل علم من الخلق اشتغالهم بالبر عنه فلذ عنهم فى خلال النعم بعوارض تدفعهم الى بابه يستغيثون به فهذا من النعم فى طى البلا وانما البلآء المحض ما يشغلك عنه فاما ما يقيمك بين يديه فيه جمالك وقد حكى عن يحيى البكآء انه رأى ربه عز وجل فى المنام فقال يا رب كم ادعوك ولا تجيبنى فقال يا يحيى انى احب ان اسمع صوتك واذا تدبرت هذه الاشيآء تشاغلت بما هو انفع لك من حصول ما فاتك من رفع خلل واعتذار من زلل او وقوف على الباب او تسليم الى رب الارباب

٣٨ فصل

من نزلت به بليّة فاراد تحقيقها فليتصورها اكرمها هى تهن وليتخايل ثوابها ويتوهم نزول اعظم منها يرى الربح فى الاقتصار عليها و وليلمح سرعة زوالها فانه لولا كرب الشدة ما رجيت ساعات الراحه وليعلم ان مدة مقامها عنده كمدة مقام الضيف فليتفقد حوائجه فى كل لحظة فياسرعة انقضاء مقامه ويا لذة مدائحه وبشره فى المحافل ووصفه الضيف بالكرم فكذلك الشدة ينبغى ان يراعى تُراعى الساعات ويفتقد فيها احوال النفس ويتلمح الجوارح مخافة أنْ يَبْدُو من اللسان كلمة او من القلب تسخط فلاح فجر الاجر فانجاب ليل البلا ومدح الساري بقطع فما طلعت شمس الجزا الا وقد وصل منزل السلامة

٣٩ فصل

لما رأيت رأى نفسى فى العلم حسنًا فهى تقدّمه على كل شئ وتعتقد الدليل وتفضل ساعة التشاغل به على ساعات النوافل وتقول اقوى دليل لى على فضله على النوافل انى رأيت كثيرًا ممن شغلهم نوافل الصلاة والصوم عن نوافل العلم عاد ذلك عليهم بالقدح فى الاصول فرأيتها فى هذا على الجادة السليمة والرأى الصحيح الا انى رأيتها واقفة مع صورة التشاغل بالعلم فصحت بها فما الذى افادك العلم اين القلق اين الخوف اين الحذر او ما سمعت باخبار الاحبار فى تعبّدهم واجتهادهم اما كان الرسول صلى الله عليه وسلم سيد الكل ثم انه قام حتى ورمت قدماه اما كان ابو بكر رضى الله عنه سمى التشيخ كثير البكاء اما كان

فى خد عمر رضى الله عنه

فى خد عمر رضى الله عنه خطان من آثار الدموع اما كان عثمان رضى الله عنه يختم القرآن فى ركعة اما كان على رضى الله عنه يبكى فى الليل فى محرابه حتى تخضل لحيته بالدموع ويقول يا دنيا غرّى غرى اما كان الحسن البصرى على قوة القلق اما كان سعيد بن المسيب ملازمًا للمسجد فلم تفته صلاة فى جماعة اربعين سنة اما صام الاسود بن يزيد حتى اخضر واصفر اما قالت بنت الربيع بن خيثم له طالما اراى الناس ينام وانت لا تنام فقال ان اباك يخاف البيات اما كان ابو مسلم الخولانى يعلق سوطا فى المسجد يؤدب به نفسه اذا فتر اما صام يزيد الرقاشى اربعين سنة وكان يقول واهفاه سبقنى العابدون وقطع بى اما صام منصور بن المعتمر اربعين سنة اما كان سفيان الثورى يبكى الدم من الخوف اما كان ابراهيم بن ادهم يبول الدم من الخوف اما تعلمين اخبار الائمة الاربعة فى زهدهم وتعبدهم ابو حنيفة ومالك والشافعى واحمد فاحذرى عن الاحلاد الى صورة العلم مع ترك العمل به فانها حالة الكسالى شعر

× وخذ لك منك على مهلة × ومقبل عيشك لم يدبر ×
× وخف هجمة لا تقيل العثار × وتطوى الروابى على المصدر ×
× ومثل لنفسك اى الرعيل × يضمك فى حلبة المحشر ×

٤٠ فصل

مما يزيد العلم عندى فضلا ان قومًا تشاغلوا بالتعبد عن العلم

فوقفوا عن الوصول الى حقائق الطلب فروى عن بعض القدماء
انه قال لرجل يا ابا الوليد ان كنت ابا الوليد يتورع ان يكنيه
ولا ولد له ولو اوغل هذا بالعلم لعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كنى صهيبا ابا يحيى وكنى طفلا يا ابا عمير ما فعل النغير وقال
بعض المتزهدين قيل لي يوما كل من هذا اللبن فقلت هذا
يضرني ثم وقفت بعد مدة عند الكعبة فقلت اللهم انك تعلم
اني ما اشركت بك طرفة عين فهتف بي هاتف ولا يوم اللبن
وهذا الوصح لجاز ان يكون تأديبا للئلا يقف مع الاسباب ناسيا
للمسبب والا فالرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ما زالت
اكلة خيبر تعاودني حتى الآن قطعت ابهري وقال ما نفعني
مال كمال ابي بكر ومن المتزهدين يرون التوكل قطع الاسباب
كلها وهذا جهل بالعلم فان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الغار
وشاور ولبس الدرع وحفر الخندق ودخل مكة في جوار المطعم
وكان كافرا وقال لسعد لان تدع ورثتك اغنياء خير من ان
تدعهم عالة يتكففون الناس فالوقوف مع الاسباب مع نسيان
المسبب غلط والعمل على الاسباب مع تعلق القلب بالمسبب
هو المشروع وكل هذه الظلمات انما تقطع بمصباح العلم و
لقد ضل من مشى في ظلمة الجهل وفي زقاق الهوى

فصل ٤١

ما زال التعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الانبياء والاولياء
فان كان التفضيل بالصور فصورة الآدمي اعجب من ذوي

اجنحة وان تركبت

اجنحة وان تركبت صورة الآدمي لاجل اوساخها المنوطة بها
فالصورة ليست الآدمي انما هي قالب ثم انه قد استحسن منها
ما يستقبح في العبادة مثل خلوف فم الصائم ودم الشهداء و
النوم في الصلاة فبقيت صورة معموره وصار الحكم للمعنى
الهم مرتبة بجهم او فضيلة بباهي بهم وكيف دار الامر فقد
سجدوا لنا وهو صريح في تفضيلنا عليهم فان كانت الفضيلة
بالعلم فقد علمت القصة يوم لا علم لنا ﴿ يا آدم انبأهم وان
فضلت الملائكة بجوهرية ذواتهم فجوهرية ارواحنا
من ذلك الجنس وعلينا اثقال اعباء الجسم بالله لولا احتياج
الراكب الى الناقة فهو يتوقف لطلب علفها ويرفق في السير
بها لطرق ارض منى قبل العشر واعجبا لتفضل الملائكة بكرة
التعبد فما ثم صعاد او يتعجب من الماء اذا جرى او من منحدر
يسرع انما العجب من مصاعد او قد يتصور منهم الخلاف ودعوى
الالهية لقدرتهم على دك الصخور وشق الارض ولذلك
توعدوا ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم
لكنهم يعلمون عقوبة الحق فيحذروه فاما بعدنا عن المعرفة
الحقيقة وضعف يقيننا بالناهي وغلبة شهوتنا مع الغفلة يحتاج
الى جهاد اعظم من جهادهم تا الله لو ابتلي احد المقربين بما
ابتلينا به لم يقدر على التماسك يصيح احدنا وخطاب الشرع
يقول له اكسب لعائلتك واحذر في كسبك وقد تكون منه
ما ليس من فعله كحب الاهل وعلوق الولد بنياط القلب واحتياج

شبكة الألوكة www.alukah.net

بدنه الى ما لا بد منه فتارة يقال للخليل عليه السلام اذبح ولدك
بيدك واقطع ثمرة فؤادك بكفك ثم قم الى المنجنيق لترمى فى
النار وتارة يقال لموسى عليه السلام صم شهر الليالى ونهارا
ثم يقال للغضبان اكظم وللبصر اغضض ولذى المقول اصمت
وللمستلذ النوم تهجد ولمن مات حبيبه اصبر ولمن اصيب فى
بدنه اشكر وللواقف فى الجهاد بين اثنين لا يحل ان تفر ثم اعلم
ان الموت يأتى بامر صعب المرارات فينزع الروح من البدن
فاذا نزل فاثبت واعلم انك ممزق فى القبر فلا تتسخط لانه مما
يجرى به القدر وان وقع بك مرض فلا تشك فى الخلق فهل
للملائكة من هذه الاشياء شئ وهل ثم الا عبادة ساذجة ليس
فيها مقاواه طبع ولا رد هوى وهل هى الا عبادة صورية بين
ركوع وسجود وتسبيح فاين عباداتهم المعنوية من عباداتنا
ثم اكرمهم فى خدمتنا بين كتبة علينا ودافعين عنا ومسخرين
لارسال الريح والمطر والبروظائفهم الاستغفار لنا فكيف يفضلون
علينا بلا علة ظاهرة او ما حكمت على محك التجارب منهم
هاروت وماروت فخرجوا قبيح بن بهرج ولا تظنن انى اعتقد
فى تعبد الملائكة نوع تقصير لانهم شدبدون الاشفاق والخوف
لعلمهم بعظمة الخالق لكن طمأنينة من لم يحط وتقوى نفسه و
انزعاج القايف فى الزلل ترقى روحه الحالة التى فاعرفوا يا اخوانى
شرف اقداركم وصونوا جواهركم عن تدنيسها بلوم الذنوب فانتم
معرض الفضل على الملائكة فاحذروا ان تحطكم الذنوب الى حضيض
البهائم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

فصل اذا تقرر

فصل

رأيت كثيرا من الخلق وعالما من العلماء لا ينتهون عن البحث عن اصول
الاشياء التى أمروا بعلم جهلها من غير بحث عن حقائقها كالروح
مثلا فان الله تعالى ستر علمها بقوله تعالى قل الروح من امر ربى فلم يقنعوا
واخذوا يبحثون عن ماهيتها ولا يقعون بشئ ولا يثبت لاحدهم
برهان على ما يدعيه وكذلك العقل فانه موجود بلا شك فى
ان الروح موجودة بلا شك وكلاهما يعرف بآثاره لا حقيقة
ذاته فان قال قائل فما السر فى كتم هذه الاشياء قلت لان
النفس لا تزال تترقى من حالة الى حالة فلو اطلعت على هذه
الاشياء لترقت الى خالقها فكان ستر ما دونه زيادة فى تعظيمه
لانه اذا كان بعض مخلوقاته يعلم جهله فهو اجل واعلا ولو قال
قائل ما الصواعق وما البرق وما الزلازل قلنا شئ مزعج و
يكفى والسر فى ستر هذا انه لو كشفت حقائقه خف مقدار تعظيمه
ومن تلمح هذا الفصل علم انه فصل عزيز فاذا ثبت هذا فى
المخلوقات فالخالق اجل واعلا فينبغى ان يوقف فى اثباته على
دليل وجوده ثم يستدل على جواز بعثه رسلا ثم تتلقى اوصافه
من كتبه ورسله ولا يزاد على ذلك ولقد بحث خلق كثير عن
صفاته بارائهم فعادوا وبال ذلك عليهم واذا قلنا انه موجود
وعلمنا من كلامه انه سميع بصير حى قادر كفانا هذا فى صفاته
ولا نخوض فى شئ آخر وكذلك نقول متكلم والقرآن كلامه
ولا نتكلف ما فوق ذلك ولم يقل السلف تلاوة ومتلو وقراءة
ومقروء ولا قال استوى على العرش بذاته ولا قالوا ينزل بذاته

بل اطلعوا ما ورد من غير زيادة ونقوا ما ثبت بالدليل ما لا يجوز
عليه وهذه كلمات كالمثال فقس عليها جميع الصفات تفز
سليما من تعطيل متخلص من تشبيه

٤٣ فصل

رأيت اكثر الخلق في وجودهم كالمعدومين فمنهم من لا يعرف الخالق
ومنهم من يثبته على مقتضى حسه ومنهم من لا يفهم المقصود من
التكليف فترى المتوسمين بالزهد يداومون في القيام والقعود
ويتركون الشهوات وينسون ما قد انسوا به من شهوة الشهرة
وتقبيل الايدي ولو كلم احدهم قال المثلى يقال هذا ومن فلان
القاسي فهؤلاء لا يفهمون المقصود وكذلك كثير من العلماء
واحتقارهم غيرهم والتكبر في نفوسهم فتعجب كيف يصلح هؤلاء
لمجاورة الحق وسكنى الجنة فرأيت ان الفائدة في وجودهم
في الدنيا متجانسة في الفائدة في دخولهم الجنة فانهم في الدنيا ينتبه
معتبر به يعرف عارف الله سبحانه نعمة الله عليه بما كشف له مما
غطى عن ذاك ويتم النظام بالاقتداء بصور اولئك فان العارف
لا يتسع وقته بمخالطة من يقف مع الصور فالزاهد كراعي البهيم
والعالم كمؤدب الصبيان والعارف ملقن الحكمة ولولا نفاذ
الملك وحارسه ووقاده اتونه ما تم عيش فمن تمام عيش العارف
استعمال او يحبسهم فاذا وصلوا اليه حرر ما معهم وفهم من لا
يصل اليه فيكون وجود اولئك كزيادة لا في الكلام هي حشو و
هي مؤكدة فان قال قائل فهب هذا يصح في الدنيا فكيف في الجنة
فالجواب ان الانس بالجيران مطلوب ورؤية القاصر من تمام

لذة الكلام

لذة الكلام الكامل ولكل شرب ومن تأمل ما اشرت اليه كفاه لفظي
ورمزي عن تطويل الشرح

٤٤ فصل

لما تلمحت تدبير الصانع في سوق رزقي بتسخير السحاب وانزاله برق المطر
والبذر تحت الارض كالموتى قد عفن ينتظر نفخة من صور الحياة
فاذا بها اهتزت خضرا وانقطع عنه الماء مديد الطلب يستعطي و
اما لابسة خضرها ولبس حلل الثغر فهو محتاج الا ملانا محتاج اليه اما لابسة خاضرة
من حرارة الشمس وبرودة الماء ولطف النسيم وتربية الارض
فسبحان من اراني فيما يزينني به فكيف تريني في الاصل فيا ايتها
النفس التي قد اطلعت على بعض حكمه سبحانه قبيح بك والله
الاقبال على غيره ثم العجب كيف تقبلين على فقير مثلك ينادي لسان
حاله يا مثل مالك يا حمام فرجعي الى الاصل الاول والطلبي
من المسبب وياطوبى لك ان عرفتيه فان عرفانه ملك الدنيا
والآخرة

٤٥ فصل

كنت في بداية الصبوة قد ألهمت سلوك طريق الزهاد بادامة
الصوم والصلاة وحببت الى الخلوة فكنت اجد قلبا طيبا و
كانت عين بصيرتي قوية الحدة تأسف على لحظة تمضي في
غير طاعة وتبادر الوقت في اغتنام الطاعة ولنوع انس و
حلاوة مناجاة فانتهى الامر الى ان صار بعض ولاة الامور يستحسن
كلامي فأمالني اليه ~~فمار~~ فمال الطبع ففقدت تلك الحلاوة
ثم استمالني آخر فكنت اتقي مخالطته ومطاعمه لخوف الشبهات
وكانت حالتي قريبة ثم جاء التأويل فانبسطت فيما يباح فعدم
ما كنت اجد وصارت المخالطة توجب ظلمة في القلب الى ان

رأيت نفسي كلما صنفا فكرها او اتعظت بدارج او زارت قبور
الصالحين تتحرك همتها في طلب العزلة والاقبال على معاملة الله
تعالى فقلت لها يوما وقد كلمتني في ذالك حدثيني ما مقصودك وما
نهاية مطلوبك اتراك تريدين مني ان اسكن قفرا لا انيس به فتفوتني
صلاة الجماعة ويضيع مني ما قد علمته لفقد من اعلمه وان آكل
الخشن الذي لم اتعوده فيقع نضوي طلحا في يومين وان البس
الخشن الذي لا اطيقه فلا ادري من كرب مجمول اني انا وان التشاغل
عن طلب ذرية تتعبد بعدي مع بقاء القدرة على الطلب باب ما انفعني
العلم الذي بذلت فيه عمري ان وافقتك وانا اعرفك غلط ما وقع
لك بالعلم اعلمي ان البدن مطية والمطية اذا لم يرفق بها لم تصل
براكبها الى المنزل وليس مرادي بالرفق الاكثار من الشهوات وانما
اعني اخذ البلغة الصالحة للبدن فحينئذ يصفو الفكر ويصح العقل
ويقوى الذهن الا ترى الى تاثير المعوقات عن صفاء الذهن في
قوله صلى الله عليه الصلاة والسلام لا يقضي القاضي بين اثنين وهو
غضبان وقاس العلماء على ذالك الجوع وما يجري مجراه من
كونه حاقنا او حاقبا وهل الطبع الا كالكلب ليشغل الاكل فاذا
رمي له ما يتشاغل به طاب له الاكل فاما الانفراد والعزلة فعن
الشر دلا عن الخير ولو كان فيما وقع لك خير لنقل عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن اصحابه رضي الله عنهم هيهات لقد عرفت ان اقواما
اقواما دام بهم التقلل والبؤس الى ان تغير فكرهم وقوى الخلط
السوداوي عليهم فاستوحشوا من الناس ومنهم من اجتمعت له
من الماء كل الردية اخلاط مجة فبقي اليوم واليومين والثلاثة
لا ياكل وهو يظن ذالك من امداد اللطف واذا به من سوء
الهضم وفيهم من ترقى به الخلو الى رؤية الاشباح فيظنها
الملائكة فالله الله

الملائكة فالله الله في العلم والله الله في العقل فان نور العقل لا ينبغي
ان يتعرض باطفائه والعلم لا يجوز الميل الى [illegible] تنقيصه
فاذا حفظا حفظا وظائف الزمان ودفعا ما يؤذي وجلبا
ما يصلح وصارت القوانين مستقيمة المطعم والمشرب والمخالطة
فقالت النفس فوظف لي وظيفة واحسبني مريضا قد كتبت
له شربة فقلت لها قد دللتك على العلم وهو طبيب ملازم يصف
كل لحظة لكل داء يعرض دواء بلائم وفي الجملة ينبغي لك لزوم تقوى
الله عز وجل في المنطق والنظر وجميع الجوارح وتحقيق الحلال
في المطعم وايداع كل لحظة ما يصلح لها من الخير ومناهية الزمان
في الافضل ومجانبة ما يؤدي الى ما يؤذي من نقص ربح او
وقوع خسران ولا تعملي عملا الا بتقديم النية وتاهبي لمزعج الموت
فكان قد وما عندك من مجيئه في اي وقت يكون ولا تتعرضي
لمصالح البدن بل وفريها عليه وتاويله اياها على قانون الصواب
لا على مقتضى الهوى فان اصلاح البدن سبب لاصلاح الدين و
دعي الرعونة التي يدل عليها الجهل لا العلم من قول النفس فلان
ياكل الخل والبقل وفلان لا ينام الليل فاحملي ما تطيقين وما قد
علمت قوة البدن عليه فان البهيمة اذا اقبلت الى النهر او ساقية
فضربت لتقفز لم تفعل حتى تزن نفسها فان علمت فيها قوة
الطفر طفرت وان علمت انها لا تطيق لم تفعل ولو قتلت وليس
كل الابدان تتساوى في الاطاقة ولقد حمل اقوام من المجاهدات
في بدايتهم اشياء اوجبت امراضا قطعتهم عن خير وتسخطت قلوبهم
بوقوعها فعليك بالعلم فانه شفاء من كل داء والله الموفق

٤٨ فصل

عجبت من اقوام يدعون العلم ويميلون الى التشبيه بجهلهم الاحاديث
على ظواهرها فظنوا انهم امروها كما جاءت سلموا لان من امر ما جاء
واقر من غير اعتراض ولا تعرض فما قال شيئا لاله ولا عليه ولكن
اقوام قصرت علومهم فرأت ان حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل
ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا وماهم الا بمنابة قول الحجاج لكاتبه
وقد مدحته الخنساء فقالت

× اذا هبط الحجاج ارضا مريضة × تتبع اقصى دائها فشفاها ×
× شفاها من الداء العضال الذي بها × غلام اذا هز القناة سقاها ×

من قصيدة منها

× سقاها دماء المارقين وعلها × اذا جمعت يوما وحيفا اذاها ×

فلما اتمت القصيدة قال لكاتبه اقطع لسانها فجاء ذالك الكاتب المغفل
بالموسى فقالت له ويلك انما قال اجزل لها العطاء فكذالك الظاهرية
الذين لم يسلموا بالتسليم فاندمن قرأ الآيات والاحاديث ولم يزد
لم المه وهذه طريقة السلف فاما من قال الحديث يقتضي كذا ويحمل
على كذا مثل ان يقول استوى على العرش بذاته وينزل الى السماء الدنيا
بذاته فهذه زيادة فهما قائلها من الحس لا من النقل ولقد عجبت
الى رجل اندلسي يقال له ابن عبد البر صنف كتاب التمهيد فذكر فيه
حديث النزول الى السماء الدنيا فقال هذا يدل على ان الله تعالى
على العرش لانه لولا ذالك لما كان لقوله ينزل معنى وهذا من كلام
جاهل معرفة الله تعالى عز وجل لان هذا استسلف من حسه ما يعرفه

من نزول الاجسام

تنبيه على صحيفة ٦٦ من كتاب صيد الخاطر لابن الجوزي

قوله ((قول الحجاج لكاتبه وقد مدحته الخنساء)) هذا وهم من صاحب صيد الخاطر او من
ناقل الكتاب لان الخنساء واسمها تماضر ماتت سنة خمسين والحجاج توفي سنة ٩٥
خمس وتسعين فلم تدرك ولايته وولد الحجاج سنة ٤١ احدى واربعين وعمره ثلاث
وخمسون سنة فيكون عمره عند موتها تسع سنين وهو خطأ فاحش ولكن
اظن الكاتب او المؤلف ارادان يقول ليلى فوهم ووضع الخنساء مكانها اشتباها ونسيانا
والصواب ما في كامل المبرد من اخبار الحجاج قول ليلى الاخيلية تمدحه

× اذا ورد الحجاج ارضا مريضة × تتبع اقصى دائها فشفاها ×
× شفاها من الداء العقام الذي بها × غلام اذا هز القناة شفاها ×

العقام بالضم والفتح والضم افصح فقال لها لا تقولي غلام قولي هجام انتهى
وفي الدر المنثور وامر لها بخمسمائة درهم وكسوة حسنة خمسة اثواب احدها خز
وفي رواية فامر لها بمائتين فقالت ردني فقال اجعلوها ثلاثمائة فقال
بعض جلسائه انها غنم قالت الامير اكرم من ذالك واعظم قدرا من ان
يأمر لي الا بالابل قال فاستحى وامر لها بثلاثمائة بعير وانما كان امر لها بغنم
لا ابل انتهى ملخصا فتبين مما نقلناه ان الصواب ما ذكر المبرد لانها معاصرة
للحجاج لان وفاة ليلى الاخيلية سنة ١٠١ مائة وواحدة بعد الحجاج بست سنين
ومات صاحبها توبة سنة سبعين وقيل واحد وسبعين تم ١٢ كاتبه محمد

من نزول الاجسام فقاس صفة الحق عليه فاين هؤلاء واتباع الاثر
ولقد تكلموا باقبح مما يتكلم به المتأولون ثم عابوا المتكلمين واعلم ايها
الطالب للرشاد انه قد سبق لنا من العقل والنقل اصلان راسخان
عليهما من الاحاديث كلها اما النقل فقوله سبحانه وتعالى ليس
كمثله شئ وهو السميع البصير ومن فهم هذا لم يحمل وصف له على
ما يوجب الحس واما العقل فانه قد علم مباينة الصانع
للمصنوعات واستدل على حدثها بتغيرها ودخول الانفصال فثبت
له قدم الصانع واعجبا كل العجب من راد لم يفهم اليس في الحديث
الصحيح يذبح الموت بين الجنة والنار اوليس العقل اذا استفتى
من هذا صرف الامر عن حقيقته لما ثبت عن من فهم ماهية الموت
فقال الموت عرض يوجب بطلان الحياة فكيف يمات الموت فاذا
قيل له فما تصنع بالحديث قال هذا ضرب مثل باقامة صورة ليعلم
بتلك الصورة الحسية فوات ذالك المعنى قلنا له فقد روى في
الصحيح تأتي البقرة وال عمران كانهما غمامتان فقال الكلام لا يكون
غمامة ولا يتشبه بها قلنا له افتعطل النقل قال لا ولكن يأتي ثوابهما
قلنا فما الدليل الصارف لك عن هذه الحقائق قال علمي بان الكلام
لا يتشبه بالاجسام والموت لا يذبح ذبح الانعام ولو علمتم سعة لغة
العرب ما ضاقت اعطانكم في سماع مثل هذا فقال العلم صدقت
هكذا يقول في تفسير مجيء البقرة وفي ذبح الموت فقال واعجبا لكم صرفتم
عن الموت الكلام ما لا يليق بهما حفظا لما علمتم من حقائقهما فكيف لم
تصرفوا عن الاله القديم ما يوجب التشبيه له بخلقه بما قد دل الدليل
على تنزيهه عنه فما زال يجادل الخصوم بهذه الادلة يقول لا اقطع حتى
اقطع فما قطع حتى قطع

٤٩ فصل

تفكرت في السير الذي اوجب حذف آية الرجم لفظاً مع ثبوت حكمها اجماعاً فوجدت لذلك معنيين احدهما لطف الله تعالى بعباده في انه لا يواجههم باعظم المشاق بل بذكر الجلد وستر الرجم ومن هذا المعنى قال بعض العلماء ان الله تعالى في المكروهات كتب علينا الصيام على لفظ لم يسم فاعله وان كان قد علم انه هو الكاتب فلما جاء الى ما يوجب الراحة قال كتب على نفسه الرحمة والوجه الثاني انه يبين بذلك فضل الامة في بذلها النفوس قنوعا ببعض الادلة فان الاتفاق لما وقع على ذلك الحكم كان دليلا الا انه ليس كالدليل المتفق لاجله ومن هذا الخنس شرع الخليل عليه الصلاة والسلام في ذبح ولده في المنام وان كان الوحي في اليقظة آكد

٥٠ فصل

عرضت لي حالة لجأت فيها الى تقلبي الى الله وحده عالما بانه لا يقدر على جلب نفعي ودفع ضري سواه ثم قمت اتعرض بالاسباب فانكر علي يقيني وقال هذا قدح في المتوكل فقلت ليس كذلك فان الله تعالى وضع من الحكمة وكان معنى حالي ان ما وضعت لا يفيد وان وجوده كالعدم وما زالت الاسباب في الشرع كقوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم وقال تعالى فندوه في سنبله وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم بين درعين وشاور طبيبين ولما خرج الى الطائف لم يقدر على دخول مكة حتى بعث الى المطعم بن عدي وهو مشرك فدخل النبي في جواره وقد كان يمكنه

ان يدخل متوكلا

ان يدخل متوكلا بلا سبب فاذا جعل الشرع الامور منوطة بالاسباب كان اعراض عن الاسباب دفعا للحكمة ولهذا روى ان التداوي مندوب اليه وقد ذهب صاحب مذهبي الى ان ترك التداوي افضل ومنعني الدليل من اتباعه في هذا فان الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله داء الا وانزل له دواء فتداووا ومرتبة هذه اللفظة الامر والامر اما ان يكون واجبا او ندبا ولم يسبقه حظر فيقال هو امر اباحة وكانت عائشة رضي الله عنها وعن ابيها تقول تعلمت الطب من كثرة امراض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ينعت له وقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه كل من هذا فانه اوفق لك من هذا ومن ذهب الى ان تركه افضل احتج بقوله عليه الصلاة والسلام يدخل الجنة سبعون الفا بلا حساب ثم وصفهم فقال لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وهذا ينافي التداوي لانه قد كان اقوام يكتوون لئلا يمرضوا ويسترقون لئلا تصيبهم نكبة وقد كوى عليه الصلاة والسلام اسعد بن زرارة ورخص في الرقية في الحديث الصحيح فعلمنا ان المراد ما اشرنا اليه واذا عرفت الحاجة الى اسهال الطبع رأيت اكل البلوط يمنع منه وشرب ماء التمر الهندي اوفق وهذا الحب فاذا لم اشرب ما يوافقني ثم قلت اللهم عافني قالت الحكمة اما سمعت اعقلها وتوكل اشرب وقل عافني ولا تكن كمن بين زرعه وبين النهر كف من تراب تكاسل ان يرفعه بيده ثم قام يصلي صلاة الاستسقاء وما هذه الحالة الا كحال من سافر على التجريد + وانما سافر على التجربة لانه يجرب بربه عز وجل هل يرزقه لولا وقد تقدم الامر

اليه وتزودوا فقال لا اتزود فهذا اهالك قبل ان يهلكه ولو
جاء وقت صلاة وليس معه ماء ليمم على تفريطه وقيل له هلا استصحبت
الماء المفازة فالحذر الحذر من افعال اقوام دققوا فمرقوا عن الاوضاع
الدينية وظنوا ان كمال الدين بالخروج عن الطباع والمخالفة للاوضاع
ولولا قوة العلم والرسوخ فيه لما قدرت على شرح هذا ولا عرفته
فافهم ما اشرت اليه فهو انفع لك من كراريس تسمعها ولكن مع
اهل المعاني لا مع اهل الحسد

٥١ فصل

تلحت على خلق كثير من الناس اهمال ابدانهم ومنهم من لا ينظف فمه بالخلال
بعد الاكل ومنهم من لا ينقي يديه في غسلها من الزهم ومنهم من لا يكاد
يستاك وفيهم من لا يكتحل وفيهم من لا يراعي الابط الى غير ذلك فيعود
هذا الاهمال بالخلل في الدين والدنيا اما الدين فانه قد امر المؤمن
بالتنظف والاغتسال للجمعة لاجل اجتماعه بالناس ونهى عن دخول
المسجد اذا اكل الثوم وامر الشرع بتنقية البراجم وقص الاظفار و
السواك والاستحداد وغير ذلك من الآداب فاذا اهمل ذلك ترك
مسنون وربما تعدى بعض ذلك الى فساد العبادة مثل ان يهمل
اظفاره فيجتمع تحتها الوسخ المانع للماء في الوضوء ان يصله
واما الدنيا فاني رأيت جماعة من المهملين انفسهم فيتقدمون الى
السرار والغفلة التي اوجبت اهمالهم انفسهم اوجب جهلهم بالاذى
الحادث عليهم فاذا اخذوا في مناجاة السر لم يمكن ان اصرف عنهم
لانهم يقصدون الستر فالقى الشديد من ريح افواههم ولعل الكريم
من وقت انتباهه ما امر اصبعه على اسنانه ثم يوجب مثل هذا النفور

للمرأة وقد لا

للمرأة وقد لا تستحسن ذكر ذلك للرجل فيتم ذلك التفاتها عنه
وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول اني لاحب ان اتزين للمرأة
كما احب ان تتزين لي وفي الناس من يقول هذا تصنيع ليس بشيء
فان الله تعالى زيننا لما خلقنا لان للعين حظا في النظر ومن تأمل
اهداب العين والحاجبين وحسن ترتيب الخلقة علم ان الله تعالى
زين الآدمي وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم انظف الناس واطيب
الناس وفي الحديث عنه ﷺ يرفع يديه حتى تبين عفرة ابطيه وكان
ساقه ربما انكشف فكانها جمارة وكان لا يفارقه السواك وكان
يكره ان يشم منه ريح ليست طيبة وفي حديث الصحيح ما شانه
الله ببيضاء وقد قالت الحكماء من نظف ثوبه قل همه ومن طاب
ريحه زاد عقله وقال عليه الصلاة والسلام لاصحابه مالكم تدخلون
علي قلما تستاكوا وقد فضلت الصلاة بالسواك على الصلاة بغير
سواك فالمنظف ينعم نفسه ويرفع منها عسرتها وقد قال
الحكماء من طال ظفره قصرت يده ثم انه يقرب من قلوب
الخلق وتحبه النفوس لنظافته وطيبه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم
يحب الطيب ثم انه يؤنس الزوجة بتلك الحال فان النساء شقائق
الرجال فكما انه يكره الشيء منها فكذلك هي تكرهه وربما صبرت على
ما يكره وهي لا تصبر وقد رأيت جماعة يزعمون انهم زهاد وهم من
اقذر الناس وذلك انهم ما قوموا العلم واما ما يحكى عن داود
الطائي انه قيل له لو سرحت لحيتك فقال اني عنها مشغول فهذا
قول معتذر عن العمل بالسنة والاخبار عن غيبته عن نفسه بشدة خوفه
من الآخرة ولو كان مفيقا لذلك لم يتركه فلا يحتج بحال المغلوبين ومن
تأمل خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم رأى كاملا في العلم والعمل فيه يكون
الاقتداء وهو الحجة على الخلق

٥٢ فصل

تأملت مبالغة ارباب الدنيا فى اتقاء الحر والبرد فرأيتها تعكس المقصود
فى باب الحكمة وانما تحصل له مجرد لذة ولا خير فى لذة تعقب ألما فامّا
الحرفانهم يشربون الماء المثلوج وذلك غاية فى الضرر والاطباء
يقولون انه يحدث امراضا صعبة يظهر اثرها فى وقت الشيخوخة
ويصنعون الخيوش المضاعفة وفى البرد يصنعون اللبود المانعة للبرد
وهذا من حيث الحكمة ضد مضاد لما وضعه الله تعالى فانه جعل
الحر لتحلل الاخلاط والبرد لجمودها فيجعلون هم جميع السنة ربيعا
فتنعكس الحكمة التى وضع الحر والبرد لها ويرجع الاذى على الابدان
ولا يظنن سامع هذا انى آمره بملاقاة الحر والبرد انما اقول له
لا يفرط فى القوتى ويمرض فى الحال لما يحلل بعض الاخلاط الحد
لا يؤثر فى القوة وفى البرد بان يصيبك منه الالم القريب لا المؤذى
فان الحر والبرد لمصالح البدن وقد كان بعض الامراء يصون نفسه
من الحر والبرد اصلا فداجوفه فمات عاجلا وقد ذكرت قصته فى
كتابى «لقط المنافع فى الطب»

٥٣ فصل

ليس فى التكليف اصعب من الصبر على القضا ولا فيه افضل من الرضى به
فاما الصبر فهو فرض واما الرضى فهو فضل وانما صعب الصبر لان
القدر يجرى فى الاغلب بمكروه النفس وليس مكروه النفس يقف
على المرض والاذى فى البدن بل هو يتنوع حتى يتحير العقل فى جريان
القدر فمن ذلك انك اذا رأيت مغمورا فى الدنيا قد سالت له
او ديتها حتى لا يدرى ما يصنع بالمال فهو يصوغه اوانى ليستعملها

فمعلوم ان كثير

ومعلوم ان البلور والعقيق والشبه قد يكون احسن منها صورة
غير ان قلة مبالاته بالشريعة جعلت عنده وجود النهى كعدمه ويلبس
الحرير ويظلم الناس والدنيا منصبة عليه ثم يرى خلقا من اهل الدين
وطلاب العلم مغمورين بالفقر والبلا مقهورين تحت ولاية ذلك الظالم
فحينئذ يجد الشيطان طريقا للوسواس ويبتدى بالقدح فى حكمة القدر
فيحتاج المؤمن على صبر على ما يلقى من الضر فى الدنيا وعلى جدال ابليس
فى ذلك وكذلك فى تسليط الكفار على المسلمين والفساق على اهل
الدين وابلغ من هذا ايلام الحيوان وتعذيب الاطفال ففى مثل هذه
المواطن يتمحض الايمان ومما يقوى الصبر على الحالتين النقل والعقل
اما النقل فالقرآن والسنة اما القرآن فمنقسم الى قسمين احدهما
بيان سبب اعطاء الكفار والعاصى فمن ذلك قوله تعالى (انما
نملى لهم ليزدادوا اثما) (ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) واذا اردنا ان نهلك قرية
امرنا مترفيها) وفى القرآن من هذا كثير والقسم الثانى ابتلاء
المؤمن بما يلقى كقوله تعالى (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله
الذين جاهدوا منكم) ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا) (ام حسبتم ان
تتركوا ولما يعلم الله الذين آمنوا منكم) وفى القرآن من هذا الكثير واما
السنة فمنقسمة الى قول وحال اما الحال فانه كان ينقلب على رمال
حصير تؤثر فى جنبه فبكى عمر رضى الله عنه وقال كسرى وقيصر فى الحرير
والديباج فقال صلى الله عليه وسلم افما ترضى ان تكون
لنا الآخرة ولهم الدنيا واما القول فقوله عليه الصلاة والسلام

لو ان الدنيا تساوى عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة
ماء واما العقل فانه يقوى عساكر الصبر بجنود منها منها
ان يقول قد ثبت عندى الادلة القاطعة حكمة المقدر فلا
اترك الاصل الثابت لما يظنه الجاهل ومنها ان يقول ما قد
اشتهولته ايها الناظر من بسط يد العاصى هى قبض فى المعنى
وما قد اثر عندك من قبض يد الطائع بسط فى المعنى لان
ذالك البسط يوجب عقابا طويلا وهذا القبض يؤثر انبساطا
فى الاجر جزيلا فرمان الرجلين ينقضى عن قريب و المراحل تطوى
والركبان فى الحديث ومنها ان تقول قد ثبت ان المؤمن بالله
كالماجر وان زمن التكليف كبياض نهار ولا ينبغى للمستعمل فى
الطين ان يلبس نظيف الثياب بل ينبغى ان يصابر ساعات
العمل فاذا فرغ تنظف ولبس اجود ثيابه فمن ترقه وقت
العمل ندم وقت تفريق الاجره وعوقب على التوانى فيها كلف
فهذه النبذة تقوى ازر الصبر وازيدها بسطا فاقول اترى
اذا اتخاذ شهداء فكيف لا يخلق اقوام يبسطوا ايديهم لقتل
المؤمنين افيجوز ان يقتل بعمر الامثل ابى لؤلؤة ويعلى الا
مثل ابن ملجم افيصلح ان يقتل يحيى بن زكريا الاجبار كافر ولو
ان عين الفهم زال عنها عشا العشا لرأت المسبب لا الاسباب
والمقدر لا الاقدار فصبرت على بلائه ايثارا لما يريد ومن ههنا
ينشأ الرضى كما قيل لبعض اهل البلا ادع الله بالعافية فقال احب
الحق احبه الى الله تعالى شعر

ان كان رضاكم فى سهرى

× ان كان رضاكم فى سهرى × فسلام الله على وسنى ×

٥٤ فصل

لما انهيت كتابة الفصل المتقدم هتف بى هاتف من باطنى من شرح
الصبر على الاقدار فانى قد اكتفيت بانموذج ما شرحت وصف حال
الرضى فانى اجد ينبسط من ذكره فيه روح للروح فقلت ايها
الهاتف اسمع الجواب وافهم الصواب ان الرضى من جملة ثمرات
المعرفة فاذا عرفته رضيت بقضائه وقد يجرى فى ضمن القضاء
مرارات يجد بعض طعمها الراضى واما العارف قد قل عنده
المرارة لقوة حلاوة المعرفة فاذا ترقى بالمعرفة الى المحبة صارت
مرارة الاقدار كما قال القائل شعر

× عذابه فيك عذب × وبعده فيك قرب ×
× وانت عندى كروحى × بل انت منها احب ×
× حسبى من الحب انى × لما تحب احب ×

وقال بعض المحبين فى هذا المعنى شعر

× ويقبح من سواك الفعل عندى × فتفعله فيحسن منك ذاكا ×

وصاح بى الهاتف حدثنى بما ذا ارضى قدرانى ارضى فى اقداره
بالمرض والفقر افارضى بالكسل عن خدمته والبعد عن اهل محبته
فبين لى ما الذى يدخل تحت الرضى مما لا يدخل فقلت له نعم ما
سألت فاسمع الفرق سماع من القى السمع وهو شهيد ارضى بما
منه فاما الكسل والتخلف فذالك منسوب اليك فلا ترضى به

شبكة الألوكة www.alukah.net

من فعلك وكن مستوفيا حقه عليك مناقشا نفسك فيما يقربك
منه غير راض منها بالتوانى فى المجاهدة فاما ما يصدر من اقضيته
المجردة التى لاكسب لك فيها تكن راضيا بها كما قالت رابعة
رحمة الله عليها وقد ذكر عندها رجل من العباد يلتقط من مزبلة
فيأكل فقيل هل لما سأل الله ان يجعل رزقه فى غير هذا فقالت
ان الراضى لا يتخير ومن ذاق طعم المعرفة وجد فيه طعم المحبة فوقع
الرضى عنده ضرورة فينبغى الاجتهاد فى طلب المعرفة بالادلة ثم
العمل بمقتضى المعرفة بالجد فى الخدمة لعل ذالك يورث المحبة
فقد سبحانه وتعالى (لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبته
فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به)
فذالك الغنى الاكبر ووافقراه

٥٥ فصل

رأيت جمهور العلماء يشغلهم طلبهم للعلم فى زمن الصبا عن المعاش
فيحتاجون الى مالابد منه فلا يصلهم من بيت المال شئ فلما هم من
صلاة الاخوان مايكفى فيحتاجون الى التعرض بالانذال فلم ار
فى ذالك من الحكمة الا سببين احدهما قمع اعجابهم بهذا الاذلال
والثانى نفع اولئك بثوابهم ثم امعنت الفكر فتلمحت نكتة لطيفة
وهو ان النفس الابية اذا رأت حالا لدنيا كذالك لم تسكنها
فى القلب ونبت عنها بالعزم ورأت اقرب الاشياء شبها بها مزبلة
عليها الكلاب اوغائطا يؤتى لضرورة فاذا نزل الموت بالرجلة
عن مثل هذه الدار لم يكن للقلب بها متعلق متمكن فتهون حينئذ

فصل مازال الجماعة

٥٦ فصل

مازال جماعة من المتزهدين يزرون على كثير من العلماء اذا انبسطوا
فى مباحات والذى يحملهم على هذا الجهل فلو كان عندهم فضل علم
ماعابوهم لان الطباع لا تتساوى فرب شخص يصلح على خشونة
العيش وآخر لا يصلح على ذالك ولا يجوز لاحد ان يحمل غيره
على مايطيقه هو غير ان لنا ضابطا هو الشرع فيه الرخصة و
فيه العزيمة فلا ينبغى ان يلام من حصر نفسه فى ذالك الضابط
ورب رخصة كانت افضل من عزائم لتأثير تعبها ولو علم
المتزهدون ان العلم يوجب المعرفة بالله تعالى فتنيبت القلوب
من خوفه وتنحل الاجسام للحذر منه فوجب التلطف بالاجسام حفظا
لقوة الراحلة ولان آلة العلم والحفظ القلب والفكر فاذا رفهت
الآلة جاد العمل وهذا امر لا يعلم الا بالعلم فلجهل المتزهدين
بالعلم انكروا مالم يعلموا وظنوا ان المراد اتعاب الابدان و
انضاء الرواحل وما علموا ان الخوف المفنى يحتاج الى راحة مقاومة
كما قال القائل ✻ روحوا القلوب تعى الذكر ✻

٥٧ فصل

ليس فى الوجود اشرف من العلم كيف لا وهو الدليل فاذا عدم
وقع الضلال وان من خفى مكائد الشيطان ان يزين فى نفس
الانسان التعبد يشغله عن افضل التعبد وهو العلم حتى انه
زين لجماعة من القدماء انهم دفنوا كتبهم ورموها فى البحر وهذا

شبكة الألوكة www.alukah.net

قد روى عن جماعة واحسن ظني بهم ان ما قول كان ما فيها شيء من
رأيهم وكلامهم فما احتبر انتشاره والافتى كان فيها علم مفيد صحيح
لا يخاف عواقبه كان رميها اضاعة للمال لا يحل وقد دنت حيلة
ابليس الى الجماعة من المتصوفة حتى منعوا من حمل المحابر تلامذتهم
حتى قال جعفر الخلدي لو تركني الصوفية جئتكم باسناد الدنيا كتبت
مجلسا عن ابن عباس الدوري فلقيني بعض الصوفية فقال دع علم
الورق وعليك بعلم الحرق ورأيت مجرة مع بعض الصوفية فقال
له صوفي استر عورتك وقد انشدوا للشبلي شعر

مجرة استر عورتك

× اذا طالبوني بعلم الورق × برزت لهم بعلم الحرق ×

وهذا من خفي حيل ابليس ولقد صدق عليهم ابليس ظنه × قلت
وانما فعل وزينه عندهم لسببين احدهما انه اراد هم يمشون في
الظلمة والثاني ان تصفح العلم كل يوم يزيد في العلم ويكشف العالم
له ما كان خفي عنه ويقوى ايمانه ومعرفته ويرى عيب كثير من
مسالكه اذا تصفح منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان
الله عليهم فاراد ابليس سد تلك الطريق باخفى حيلة فاظهر ان
المقصود العمل لا لعلم لنفسه وخفي على المخدوع ان العلم عمل و
اى عمل فاحذر من هذه الخديعة الخفية فان العلم هو الاصل
الاعظم والنور الاكبر وربما كان تقليب الاوراق افضل من الصوم
والصلاة والحج والغزو وكم من معرض عن العالم يخوض في عذاب من العالم
الهوى في تعبده ويضيع كثيرا من الفرض بالنفل ويشتغل بما
يزعمه الافضل عن الواجب ولو كانت عنده شعلة من نور العلم

لاهتدى فتأمل

لاهتدى فتأمل ما ذكرت لك ترشد ان شاء الله تعالى

٥٨ فصل

مر بي حمالان تحت جذع نخيل وهما يتجاوبان بانشاد الشعر
وكلمات الاعتراضة فاحدهما يصغي الى ما يقوله الآخر ثم يعيده
ويجيبه بمثله والآخر همته مثل ذلك فرأيتهما لو لم يفعلا
هذا زادت المشقة عليهما وثقل الامر وكلما فعلا هذا هان
الامر فتأملت السبب في ذلك فاذا به تعليق فكر كل واحد
منهما بما يقوله الآخر وطربه به واحالة فكره في الجواب بمثل
ذلك فينقطع الطريق وينسى ثقل المحمول فاخذت من هذا
اشارة عجيبة ورأيت الانسان قد حمل من التكليف امورا صعبة
ومن اثقل ما حمل مداراة نفسه وتكليفها الصبر عما تحب وعلى
ما تكره فرأيت الصواب قطع طريق الصبر بالتسلية والتلطف
للنفس كما قال الشاعر

× فان تشكت فعللها المجرة من × ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى ×

ومن هذا ما يحكى عن بشر الحافي رضي الله عنه سار ومعه رجل في طريق
فعطش صاحبه فقال له اشرب من هذا البئر فقال بشر اصبر
الى البئر الاخرى فما زال يعللها ثم التفت اليه فقال له هكذا
تنقطع الدنيا ومن فهم هذا الاصل علل النفس وتلطف بها و
وعدها الجميل لتصبر على ما قد حملت كما كان بعض السلف يقول
لنفسه والله ما اريد بمنعك من هذا الذي تحبين الا الاشفاق عليك
وقال ابو يزيد ما زلت اسوق نفسي الى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك

رحمه الله عليهم

واعلم ان مداراة النفس والتلطف بها لازم وبذالك ينقطع
الطريق فهذا رمز الى الاشارة وشرحه يطول

٥٩ فصل

تأملت اشياء تجرى فى مجالس الوعظ يعتقدها العوام وجهال
العلماء قربة وهى منكر وبعد ذالك ان المقرى يطرب ويخرج الالحان
الى الغناء والواعظ ينشد بتطريب اشعار المجنون وليلى فيصفق
هذا ويخرق ثوبه هذا ويعتقد ان ذالك قربة ومعلوم ان هذه
الالحان كالموسيقى يوجب طربا للنفس فالتعرض لما يوجب
الفساد غلط عظيم وينبغى الاحتساب فى هذا وكذالك
المقابرون منهم فانهم يهيجون الاحزان ليكثر بكاء النساء فيطرون
على ذالك الاجرة ولو انهم امروا بالصبر لم تترك النسوة ذالك
وهذه اضداد الشرع قال ابن عقيل حضرنا عزاء رجل قدمات
له ولد فقر المقرى يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن
وهو كظيم فقلت هذه فياحة بالقرآن وفى الوعاظ من يتكلم
على طريق المعرفة والمحبة فترى الحائك والسوقى الذى لا يعرف
فرائض الصلاة يمزق ثوابه دعوى لمحبة الله تعالى والصافى
حالا منهم وهو اصلحهم يتخايل بوهمه شخصا هو الخالق فيبكيه شوقه
اليه لما يسمع من عظمته ورحمته وجماله وليس مما يتخايلونه
لان المعبود لا يقع فى خيال وبعد هذا فالتحقيق مع العوام
صعب ولا يكادون ينتفعون بأمر الحق لان الواعظ مأمور بان

على الواعظ

لا يتعدى الصواب ولا يتعرض لما يفسدهم بل يجذبهم الى ما
يصلح بالطف وجه وهذا يحتاج الى صناعة فان من العوام
من يعجبه حسن اللفظ ومنهم من يعجبه الاشارة ومنهم من ينقاد
ببيت من الشعر واحوج الناس الى البلاغة الواعظ ليجمع
مطالبهم لكنه ينبغى ان ينظر فى اللازم والواجب وان يعلمهم من
المباح فى اللفظ قدر الملح فى الطعام ثم يجتذبهم الى العزائم و
يعرفهم الطريق الحق وقد حضر احمد بن حنبل فسمع كلام الحرث
المحاسبى فبكى ثم قال لا يعجبنى الحضور وانما بكى لان الحال
اوجبت البكاء وقد كان جماعة من السلف يرون تخليط القصاص
فينهون عن الحضور عندهم وهذا على الاطلاق لا يحسن اليوم
لانه كان الناس فى ذالك الزمان متشاغلين بالعلم فرأوا
حضور القصص صادا لهم واليوم كثر الاعراض عن العلم فانفع
ما للعامى مجلس الوعظ يردعه عن ذنب ويحركه الى توبة وانما
الخلل فى القاص فليتق الله عز وجل

٦٠ فصل

من اضر الاشياء على العوام كلام المتأولين والنفاة للصفات
والاضافات فان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالغوا فى الاثبات
ليتقرر فى نفس العوام وجود الخالق فان النفوس تأنس
بالاثبات فاذا سمع العامى ما يوجب النفى طرد عن الاثبات
وكان اعظم ضرر عليه وكان هذا المنزه من العلماء على زعمه
يقاوم الاثبات الانبياء عليهم الصلاة والسلام بالمحو وشارعا
وابطال ما يفتون به وبيان هذا ان الله تعالى اخبر باستوائه

على العرش فانست النفوس الى اثبات الآله ووجوده وقال
تعالى ويبقى وجه ربك وقال تعالى بل يداه مبسوطتان وقال
غضب الله عليهم رضى الله عنهم واخبر انه ينزل الى السماء الدنيا
وقال قلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن وقال
كتب التوراة بيده وكتب كتابا فهو عنده فوق العرش الى
غير ذلك مما يطول ذكره فاذا امثلا العامى والصبي من الاثبات
وكان يأنس من الاوصاف بما يفهمه الحس قيل له ليس كمثله
شئ فمحى من قلبه ما نقشه الخيال وتبقى الفاظ الاثبات متمكنة
ولهذا اقر الشرع على مثل هذا فسمع منشدا شعر

× فوق العرش رب العالمينا ×

فضحك وقال له اويضحك ربنا فقال نعم وقال انه على عرشه
هكذا كل هذا ليقرب الاثبات فى النفوس واكثر الخلق لا يعرفون
الاثبات الا على ما يعلمون من الشاهد فيقنع منهم بذلك الى ان
يفهموا التنزيه ولهذا صحح اسلام من اقتصر بالسجود فانما
اذا ابتدى بالعامي الفارغ من فهم الاثبات فقلنا ليس فى السماء
ولا على العرش ولا يوصف بيد وكلامه صفة قائمة
بذاته وليس عندنا منه شئ ولا يتصور نزوله انمحى من قلبه
تعظيم المصحف ولم يرتصع فى ذهنه سر اثبات له وهذه
جناية عظيمة على الانبياء يوجب نقص ما تعبوا فى بيانه
ولا يجوز لعالم ان يأتى العقيدة عامى قد انس بالاثبات
فيهوشها فانه يفسد ويصعب صلاحه فاما العالم
فانا قد امناه فانه لا يخفى عليه استحالة تجدد صفة الله

تعالى وانه لا يجوز

تعالى وانه لا يجوز ان يكون استوى كما يعلم ولا يجوز ان يكون محمولا
ولا ان يوصف بملاصقة ومس ولا ان ينتقل ولا يخفى عليه
ان المراد بتقليب القلوب بين اصبعين الاعلام بالتحكم
فى القلوب فان ما يدبره الانسان بين اصبعين هو متحكم فيه
الى الغاية ولا يحتاج الى تأويل من قال الاصبع الاثر الحسن فالقلوب
بين اثرين من آثار الربوبية وهما الاقامة والازاغة ولا الى
تأويل من قال يداه نعمتاه لانه اذا فهم ان المقصود الاثبات
وقد حدثنا بما نعقل وضربت لنا الامثال بما نعلم وقد ثبت
عندنا بالاصل المقطوع به انه لا يجوز عليه ما يعرفه الحس
علمنا المقصود بذكر ذلك واصلح ما نقول للعوام امروا
هذه الاشياء كما جائت ولا تتعرضوا التأويلها وكل ذلك
يقصد به حفظ الاثبات وهذا الذى قصده السلف وكان
احمد يمنع ان يقال لفظى بالقرآن مخلوق او غير مخلوق كل ذلك
ليحمل على الاتباع وتبقى الفاظ الاثبات على حالها واجهل
الناس من جاء الى ما قصد النبى صلى الله عليه وسلم تعظيمه
فاضعفه فى النفوس قوى التعظيم قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو ويشير الى المصحف
ومنع الشافعى رضى الله عنه ان يحمله المحدث بعلاقته تعظيما
له فاذا جاء متحذلق فقال الكلام صفة قائمة بذات
المتكلم فمعنى قوله هذا ان ما هنا شئ يحترم فهذا قد
صاد بما اتى به مقصود الشرع وينبغى ان يفهم اوضاع
الشرع ومقاصد الانبياء عليهم السلام وقد منعوا من كشف

مانع الشرع فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام فى
القدر ونهى عن الاختلاف لان هذه الاشياء تخرج الى ما
يوذى فان الباحث عن القدر اذا بلغ فى فهمه الى ان يقول
قضى وعاقب تزلزل ايمانه بالعدل وان قال لم يقدر ولم
يقض تزلزل ايمانه بالقدرة والملك فكان الاولى ترك
الخوض فى هذه الاشياء ولعل قائلا يقول هذا منع لنا
عن الاطلاع على الحقائق وامر بالوقوف مع التقليد فاقول
لا انما اعلمك ان المراد منك الايمان بالجمل وما امرت بالتفير
مع قوى فهمك تعجز عن ادراك الحقائق فان الخليل عليه
السلام قال ارنى كيف تحيى الموتى فاراه ميتا حيبى ولم ير
كيف احياه لان قواه تعجز عن ادراك ذالك وقد كان
النبي صلى الله عليه وسلم الذى بعث ليبين للناس ما نزل
اليهم يقنع من الناس بنفس الاقرار واعتقاد الجمل وكذلك
كانت الصحابة فما نقل عنهم انهم تكلموا فى تلاوة ومتلو
وقرآءة ومقرو ولا انهم قالوا استوى بمعنى استولى
ونزل بمعنى يرحم بل قنعوا باثبات الجمل التى تثبت
التعظيم عند النفوس وكفوا كف الخيال بقوله ليس كمثله
شئ ثم هذا منكر ونكير انما يسئلان عن الاصول المجملة
فيقولون من ربك وما دينك ومن نبيك ومن فهم هذا
الفصل سلم من تشبيه المجسمة وتعطيل المعطلة ووقف
على جادة السلف الاول والله الموفق

فصل قرأت هذه الآ

فصل

قرأت هذه الآية قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم و
ختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به) فلاحت لى منها
اشارة كدت اطيش منها وذالك انه ان كان عنى بالآية
نفس السمع والبصر فان السمع آلة لادراك المسموع والبصر
آلة لادراك المبصرات فهما يعرضان ذالك على القلب
فيتدبر ويعتبر فاذا عرضت المخلوقات على السمع والبصر فاوصلا
الى القلب اخبارها من انها تدل على الخالق وتحمل على طاعة
الصانع وتحذر من بطشه عند مخالفته وان عنى معنى السمع
والبصر فذالك يكون بذهولهما عن حقائق ما ادركا شغلا
بالهوى فيعاقب الانسان بسلب معانى تلك الآلات فترى
فكأنه ما رأى وتسمع وكأنه ما سمع والقلب ذاهل عما
يتأذى به فيبقى الانسان حاطبا على نفسه لا يدرى ما يراد
به لا يؤثر عنده انه يبلى ولا تنفعه هو عظة تجلى
ولا يدرى ان هو ولا ما المراد منه ولا الى اين يحمل وانما
يلاحظ بالطبع مصالح عاجلته ولا يتفكر فى خسران آجلته
لا يعتبر بحقيقه ولا يتعظ بصديقه ولا يتزود لطريقه
كما قال الشاعر

× الناس فى غفلة والموت يوقظهم × وما يفيقون حتى ينفد العمر ×
× يشيعون اهاليهم بجمعهم × وينظرون الى مافيه قد فتروا ×
× ويرجعون الى احلام غفلتهم × كانهم ما رأوا شيئا ولا نظروا ×

وهذه حالة اكثر الناس فنعوذ بالله من سلب فوائد الآلات
فانها من اقبح الحالات

٦٢ فصل

نظرت فيما تكلم به الحكماء في العشق واسبابه وادويته وصفت في ذلك كتابا سميته (بذم الهوى) وذكرت فيه عن الحكماء انهم قالوا سبب العشق حركة نفس فارغة وانهم اختلفوا فقال قوم منهم لا يعرض العشق الا للظرفاء الناس وقال آخرون بل لاهل الغفلة منهم عن تأمل الحقائق الا انه يخطر له بعد ذلك معنى عجيب اشرحه هنا وهو انه لا يتمكن العشق الا مع واقف جامد فاما ارباب صعود الهمم فانها كلما تخايلت ما توجب المحبة فلاحت عيوبه لها اما بالفكر فيه او المخالطة له تسلت وتعلقت بمطلوب آخر فلا يقف على درجة العشق الموجب للتمسك بتلك الصورة العامي عن عيوبها الا جامد واقف واما ارباب الانفة من النقائص فانهم ابدا في الترقي لا يصدهم صاد فاذا علقت اطباع محبة شخص لم يبلغوا مرتبة العشق المستطرب بل ربما مالوا ميلا شديدا اما في البداية لقلق التفكر او لقلة المخالطة والاطلاع على العيوب واما لتشتت بعض الخلال الممدوحة بالنفوس من جهة مناسبة وقعت بين الشخصين كالظريف مع الظريف والفطن مع الفطن فيوجب ذلك المحبة فاما العشق فلا فهم ابدا في السير فلا يوقف وابل الطبع تبع عادة الفهم فان للطبع متعلقا لا نجده في الدنيا لانه يروم ما لا يصح وجوده من الكمال في الاشخاص فاذا تلمح عيوبها نفر

واما متعلق

واما متعلق القلوب من محبة الخالق البارى فهو مانع لها من الوقوف مع سواه وان كانت لا تجانس محبة المخلوقين غير ان ارباب المعرفة ولهى قد شغلهم حبه عن حب غيره و صارت الطباع مستغرقة لقوة معرفة القلوب به ومحبتها كما قالت رابعة

شعر

× أحب حبيبا لا اعاب بحبه × واحببتم من فى هواه عيوب ×

ولقد روى عن بعض فقراء الزهاد انه مر بامرأة فاعجبته فخطبها الى ابيها فزوجه وجاء به الى المنزل والبسه غير خلقانه فلما جن الليل صاح الفقير ثيابى ثيابى فقدت ما كنت اجده فهذه عثرة فى طريق هذا الفقير دلته على انه منحرف عن الجادة واغا تعترى هذه الحالات ارباب المعرفة بالله عز وجل واهل الانفة من الرذائل وقد قال ابن مسعود اذا اعجبت احدكم امرأة فليذكر ميتتها ومثال هذه الحال ان العقل عند استحلاء تناول المشتهى من الطعام عن التفكر فى تغليبه فى الفم وبلعه ويذهل عند الجماع عن ملاقاة القاذورات لقوة غلبة الشهوة وينسى عند بلع الرضاب استحالته عن الغذاء وفى تغطية تلك الاحوال مصالح الا ان ارباب اليقظة يعراهم من غير طلب لها فى غالب احوالهم فينغص عليهم لذيذ العيش وتوجب الانفة من رذالة الهوى وعلى قدر النظر فى العواقب يخف العشق من قلب العاشق وعلى قدر جمود الذهن يقوى القلق قال المتنبى

شعر

× لو فكر العاشق فى منتهى × حسن الذى يسبيه لم يسبه ×

ومجموع ما اردت شرحه ان طباع المتيقظين تترقى فلا تقف مع شخص مستحسن وسبب ترقيها التفكر فى نقص ذلك الشخص وعيوبه ادنى طلب ما هو اتم منه وقلوب العارفين تترقى الى معروفها فيعبر فى معبر الاعتبار فاما اهل الغفلة فمحمودهم فى الحالتين وغفلتهم عن المقامين يوجب اسرهم وقسرهم وحيرتهم

٦٣ فصل

عرض لحامر يحتاج الى سؤال الله تعالى ودعائه فدعوته وسألته فاخذ بعض اهل الخير يدعو معى فرأيت نوعا من الرد والاجابة فقالت لى نفسى هذا بسؤال ذلك العبد لا بسؤالك فقلت لها انا انا فاعرف من نفسى من الذنوب والتقصير ما يوجب منع الجواب غير انه يجوز ان يكون انا الذى اجبت لان هذا الداعى الصالح سليم مما اظن منه نفسى اذ معى انكسار تقصير ومعه الفرج بمعاملته وربما كان الاعتراف بالتقصير انجح فى الحوائج على انى انا وهو نطلب من الفضل لا بما عملنا فاذا وقفت انا على قدم الانكسار ومعترفا بذنوبى وقلت اعطونى بفضلكم فما لى فى سؤالى شئ اطريه وربما تلمح ذلك حسن عمله وكان صادا له فلا تكسرينى ايتها النفس فيكفينى كسر علمى بحالى ومعى من العلم الموجب للأدب والاعتراف بالتقصير وشدة الفقر الى ما سألت نفسى بفضل المطلعة منه ما ليس مع ذلك العابد فبارك الله فى عبادته فربما كان اعترافى بتقصير اوفى وبالله التوفيق

المطلوب ت

فصل قرأت من غرائب

٦٤ فصل

قرأت من غرائب العلم وعجائب الحكم على بعض من يدعى العلم فرأيته يتلوى من سماع ذلك ولا يطلع على غوره ولا يشرئب الى ما أتى فصرفت عن استماعه شيئا آخر وقلت انما يصلح مثل هذا الذى لبّ يتلقى العطشان الماء ثم اخذت من هذا اشارة جعلت لو كان هذا فهم ما جرى ومدحتى لحسن ما صنعت لعظم قدره عندى ولا اريته محاسن مجموعاتى وكلامى لكنه لما لم اره اهلا صرفتها عنه وصرفت بنظرى اليه وكانت الاشارة ان الله عز وجل قد صنف هذه المخلوقات فاحسن تركيبها التركيب واحكم الترتيب ثم عرضها على الالباب فاعجب اوغل فى النظر مدح على قدر فهمه فاحبته المصنف وكذلك انزل القرآن يحتوى على عجائب الحكم فمن فتشه بيد الفهم وحادثه فى خلوة الفكر استجلب رضا المتكلم به وحظى الزلفى لديه ومن كان للذهن مستغرق الفهم بالحسيات صرف عن ذلك المقام قال الله عز وجل (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق)

صنف اى جعلها اصنافا او لعله قد صنع

٦٥ فصل

دعوت يوما فقلت اللهم بلغنى آمالى من العلم والعمل واطل عمرى لابلغ ما احببت من ذلك فعارضنى وسواس من ابليس فقال ثم ماذا اليس الموت فما الذى ينفع طول الحياة فقلت له يا ابله لو فهمت ما تحت سؤالى علمت انه ليس يبعث اليس فى كل يوم يزيد علمى ومعرفتى فتكثر ثمار غرسى فاستكثر

بذرى يوم حصادى افيسرنى انى مت منذ عشرين سنة لا والله
لانى ما كنت اعرف الله تعالى عشر معرفتى به اليوم وكل ذلك
ثمرة الحياة التى فيها اجتنيت ادلة الوحدانية وارتقيت عن
حضيض التقليد الى البقاء البصيرة واطلعت على علوم زاد
بها قدرى وتجوهرت بها نفسى ثم زاد غرسى لآخرتى وقويت
تجارتى فى انفاذ المباضعين من المتعلمين وقد قال لسيد المرسلين
(وقل رب زدنى علما) وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يزيد المؤمن من عمره
الا خيرا وفى حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السعادة ان يطول
عمر العبد ويرزقه الله الانابة فيا ليتنى قدرت على عمر نوح
فان العلم كثير وكلما حصل منه حاصل رفع ونفع

٦٦ فصل

قلوب العارفين يغار عليها من الاسباب وان كانت لا تساكنها
لانها لما انفردت لمعرفتها انفرد لها بتولى امورها فاذا عرضت
بالاسباب محى اثر الاسباب (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم
فلم تغن عنكم شيئا) وتامل فى حال يعقوب وحذره على
يوسف عليهما السلام حتى قال اخاف ان يأكله الذئب فقالوا
اكله الذئب فلما آن اوان الفرج جاء يهوذا بالقميص فسبقه
الريح اذ لا اجد ريح يوسف وكذلك قول يوسف عليه
السلام للساقى اذكرنى عند ربك فعوقب فلبث فى السجن

سبع سنين وان كان يوسف عليه السلام يعلم انه لا خلاص
الا باذن الله وان التعرض بالاسباب مشروع غير ان الغيرة
اثبتت العقوبة ومن هذا قصة مريم عليها السلام وكفلها
زكريا فغار المسبب من مساكنة الاسباب كلما دخل عليها
زكريا المحراب وجد عندها رزقا ومن هذا القبيل ما يروى
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الى الله ان يرزق عبده
المؤمن الملح من حيث لا يحتسب والاسباب طريق ولا بد من
سلوكها والعارف لا يساكنها غير انه يجلى له امرها ما لا يتجلى
لغيره من انها لا تساكن وربما عرفت ان مال اليها وان كان
ميله لا يقلبه غير انه اقل الهفوات يوجب الادب لأطوفن الليلة
على مائة امراة تلد كل واحدة منهن غلاما ولم يقل ان شاء الله
فما حملت الا واحدة جاءته بشق غلام ولقد طرقتنى حالة اوجبت
التشبث ببعض الاسباب الا انه كان من ضرورة ذلك الفاء
بعض الظلمة ومداراته بكلمة فيما انا افكر فى تلك الحال
دخل على قارئ فاستفتح فتفاءلت بما يقرأ فقرأ (ولا
تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله
من اولياء ثم لا تنصرون) فبهت من اجابتى على فاطرة وقلت
لنفسى اسمعى فانى طلبت النصرة فى هذه المداراة فاعلمنى
القرآن اننى اذا ركنت الى الظالم فاننى ما اركنت لا بجلة من النصر
فيا طوبى لمن عرف المسبب وتعلق به فانها للغاية القصوى
فنسئل الله ان يرزقنا

٦٧ فصل

المؤمن لا يبالغ في الذنوب وانما يقوى الهوى ويتوقد نيران
الشهوة فيتحدر ولده مداد لا يعزم المؤمن على مواقعته ولا على
العود بعد فراغه ولا يستقصي في الانتقام ان غضب وينوي
التوبة قبل الزلل وتأمل اخوة يوسف عليهم السلام فانهم عزموا
على التوبة قبل ابعاد يوسف فقالوا اقتلوا يوسف ثم زاد
ذلك تعظيما فقالوا واطرحوه ارضا ثم عزموا على الانابة
فقالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين فلما خرجوا به في
الصحراء همتوا بقتله بمقتضى ما في القلوب من الحسد فقال
كبيرهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب ولم يريدان
يموت بل يلتقطه بعض السيارة فاجابوا الى ذلك والسبب
في هذه الاحوال ان الايمان على حسب قوته فتارة يردها
عند الهم وتارة يضعف فيردها عند العزم وتارة عن بعض
الفعل فاذا غلبت الغفلة ووقع الذنب فتر الطبع فنقص
الايمان العدل فينغص بالندم اضعاف ما النذ

٦٨ فصل

افضل الاشياء التزيد من العلم فانه ان اقتصر على ما يعلمه
فظنه كافيا استبد برأيه وصار تعظيمه لنفسه مانعا له
من الاستفادة والمذاكرة ليبين له خطأه وربما كان
معظما في النفوس فلم يتجاسر على الرد عليه ولو انه اظهر الاستفادة
لاهديت اليه مساويه فعاد عنها ولقد حكى ابن عقيل عن
ابي المعالي الجويني انه قال ان الله تعالى يعلم جمل الاشياء

ولا يعلم التفاصيل

ولا يعلم التفاصيل ولا ادري اي شبهة وقعت لهذا المسكين
حتى قال هذا وكذلك ابن حامد حين قال الزول التنقل
والاستواء مما استتبه وكيف اصف هذا بالفقه والزهد وهو
لا يدري ما يجوز على الله مما لا يجوز ولو انه شرك تعظيم نفسه
لرد عليه صبيان الكتاب برأيه فان له صدقهم ومن هذا الفن
ابو بكر بن مقسم فانه عمل كتابا في الاحتجاج للقرآن فاتى فيه
بفوائد الا انه افسد علمه بما جازته ان يقرأ بما لم يقرأ به ثم
تفاقم ذلك منه حتى اجاز ما يفسد المعنى مثل قوله تعالى
فلما استيأسوا منه خلصوا فقال يصلح ان يقال هنا نجيا
اي خلصوا كراما برآء من السرقة وهذا سوء فهم للقصة
فان الذي نسب الى السرقة وظهرت معه ما خلص فما الذي
ينفعهم اعلامهم وانما سيقت القصة ليبين انهم انفردوا
وتشاوروا فيما يصنعون وكيف يرجعون الى ابيهم وقد
احتبس اخوهم فاي وجه للنجاة ههنا ومن تأمل كتابه راى
فيه من هذا الجنس ما يزيد على الاحصاء اكثر من هذا الفن
القبيح ولو انه اصغى الى علمائه وقته وترك تعظيم نفسه لبان
له الصواب غير ان اقتصار الرجل على علمه اذا ازاحه نوع
رؤية النفس حبس عن ادراك الصواب نعوذ بالله من
ذلك

٦٩ فصل تاملت

قوله عز وجل (يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم
بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان) فرأيت فيه معنى عجيبا

وهواهم لما وصيت لهم العقول فنبهروا بها عيب الاصنام
وعلموا انها لا تصلح للعبادة فوجهوا العبادة الى من فطر
الاشياء كانت هذه المعرفة ثمرة العقل الموهوب لهم الذى
به باينوا البهائم فاذا منوا بفعلهم الذى ندب اليه العقل
الموهوب فقد جهلوا قدر الموهوب وغفلوا عن من وهب
واى شئ لهم فى الثمرة والشجرة ليست ملكا لهم فعلى هذا
كل متعبد و مجتهد فى علم وعمل انما راى بنور اليقظة وقوة
الفهم والعقل صوابا فوقع على المطلوب فينبغى ان يوجه
الشكر الى من بعث له فى ظلام الطبع القبيس ومن هذا الفن
حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانحطت عليهم صخرة فسدت
الغار فقالوا تعالوا نتوسل بصالح اعمالنا فقال كل منهم
فعلت كذا وكذا وصدقا ان كانوا لاحظوا نعمة الواهب المعصمة
عن الخطأ فتوسلوا من انعامه عليهم الذى تخصيصهم بذلك
النعمة عن ابناء جنسهم فيه فتوسلوا اليه وان كانوا لاحظوا
افعالهم فلم واجزاءهم ظنا منهم انهم هم الذين فعلوا فهم
اهل غيبة لا حضور ويكون جواب مسألتهم لقطع منهم
الدائمة ومثل هذا مرؤية المتقى تقواه حتى انه يرى افضل
من كثير من الخلق وربما احتقر اهل المعاصى وتسخر عليهم وهذه
غفلة فى طريق السلوك وربما اخرجت ولا اقول لك خالط
الفساق احتقارا لنفسك بل اغضب عليهم واعرض عنهم
فى الظاهر وتلح جريان الاقدار عليهم فى الباطن فاكثرهم لا
يعرف لمن عصى وجمهورهم لا يقصد العصيان بل يريد

موافقة هواه

باب ٩

موافقة هواه وعزيز عليه ان يعصى وفيهم من غلب عليه تلح العفو
والحلم فاحتقر ما يأتى لقوة يقينه بالعفو وهذه كلها ليست
باعتذار لهم ولكن تلمحها انت يا صاحب التقوى واعلم ان
الحجة عليك اوفى من الحجة عليهم لانك تعرف من تعصى وتعلم
ما تأتى بل انظر الى تقليب القلوب بين اصبعين فربما دارت
الدائرة فصرت انت المنقطع ووصل المقطوع فالعجب ممن
يدل بخير يعمله وينسى من انعم ووفق

فصل ٧٠

اعلم ان شرعنا مضبوط الأصول محروس القواعد لا خلل فيه
ولا دخل وكذلك كل الشرائع وانما الآفة تدخل من المبتدعين
فى الدين او الجهال مثل ما اثر عند النصارى حين رأوا احياء
الموتى على يد عيسى عليه السلام فتأملوا الفعل الخارق للعادة
الذى لا يصلح للبشر فنسبوا الفاعل الى الالهية ولو تأملوا
ذاته لعلموا انها مركبة على النقائص والحاجات وهذا القدر
يكفى فى عدم صلاح الالهية فيعلم حينئذ ان الذى جرى على
يديه فعل غيره وقد يؤثر ذلك فى الفروع مثل ما روى
انه فرض على النصارى صوم شهر فزادوا عشرين
يوما ثم جعلوه فى فصل من السنة باسرها ومن هذا الجنس
تخبط اليهود فى الأصول والفروع وقد قارب الضلال فى
امتنا هذه المسالك وان كان عمومهم قد حفظ من الشرك
والشك والخلاف الظاهر المشنيع لانهم اعقل الامم
وافهمها غير ان الشيطان قارب بهم ولم يطمع فى اغراقهم

وان كان قد اغرق بعضهم فى بحار الضلال فمن ذالك ان الرسول
صلى الله عليه وسلم جاء بكتاب عزيز من الله عز وجل قيل فى صفته
ما فرطنا فى الكتاب من شئ وبين ما عساه يشكل مما يحتاج
الى بيانه بسنته كما قيل لتبين للناس ما نزل اليهم فقال
بعد البيان تركتكم عليها بيضاء نقية فجاء قوم فلم يقنعوا بتبيينه
ولم يرضوا بطريقة اصحابه فبحثوا ثم انقسموا فمنهم من تعرض
لما تعب الشرع فى اثباته فى القلوب فمحاه منها فان القرآن
والحديث يثبتان الاله عز وجل باوصاف تقرر وجوده فى
النفوس كقوله تعالى ثم استوى على العرش وقوله تعالى بل
يداه مبسوطتان وقوله تعالى ولتصنع على عينى وقول النبى
صلى الله عليه وسلم ينزل الله الى السماء الدنيا ويبسط يده
ليتوب مسيئ الليل والنهار ويضحك ويغضب وكل هذه
الاشياء وان كان ظاهرها يوجب تخايل التشبيه فالمراد
منها اثبات موجود فلما علم الشرع ما يطرق القلوب من
التوهمات عند سماعها قطع ذالك بقوله ليس كمثله شئ
ثم ان هؤلاء القوم عادوا الى القرآن الذى هو المعجز الاكبر
وقد قصد الشرع تقرير وجوده فقال انا انزلناه نزل به
الروح الامين فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث وهذا
كتاب انزلناه واثبته فى القلوب بقوله تعالى فى
صدور الذين اوتوا العلم وفى المصاحف فى قوله تعالى
فى لوح محفوظ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تسافروا
بالقرآن الى ارض العدو فقال قوم من هؤلاء مخلوق فاستطا

حرمته من النفوس وقالوا لم ينزل ولا يتصور نزوله وكيف
تنفصل الصفة عن الموصوف وليس فى المصحف الا حبر وورق
فعادوا على ما تعب الشرع فى اثباته بالمحو كما قالوا ان الله عز وجل
ليس فى السماء ولا يقال استوى على العرش ولا ينزل الى
السماء الدنيا بل ذالك رحمته فمحوا من القلوب ما اريد
اثباته فيها وليس هذا مراد الشارع وجاء آخرون فلم يقفوا
على ما حده الشرع بل عملوا فيها بارائهم فقالوا الله على العرش
ولم يقنعوا بقوله ثم استوى على العرش ودفن لهم اقوام
من سلفهم دفائن ووضعت لهم الملاحدة احاديث فلم يعلموا
ما يجوز عليه مما لا يجوز فاثبتوا بها صفاته وجمهور الصحيح
منها آت على توسع العرب فاخذوه على الظاهر فكانوا فى
ضرب المثل كجحا فان امه قالت احفظ الباب فقلعه ومشى
به فاخذ ما فى الدار فلامته امه فقال انما قلت احفظ
الباب وما قلت احفظ الدار ولما تخايلوا صورة عظيمة
على العرش اخذوا يتأولون ما ينافى وجودها على العرش
مثل قوله ومن اتانى يمشى اتيته هرولة فقالوا ليس المراد
دنو الباب وانما المراد قرب المنزل والحظ وقالوا فى قوله تعالى
الا ان يأتيهم الله فى ظلل هو محمول على ظاهرها فى مجئ الذات
فهم يحلونه عاما ويحرمونه عاما ويسمون الاضافات الا الله
صفات فانه قد اضاف اليه النفخ والروح واثبتوا خلقه
باليد فلو قالوا خلقه لم يكن انكارهذا بل قالوا هى صفة
توكلى بها خلق آدم دون غيره فاى مزية كانت لآدم فشغلهم

النظر فى فضيلة آدم عن النظر الى ما هو يليق بالحق مما لا يليق
به فانه لا يجوز عليه المس ولا العمل بالآلات وانما آدم
اضافه اليه فقالوا انطلق على الله تعالى اسم الصورة لقوله تعالى
خلق آدم على صورته وفهموا هذا الحديث وهو قوله عليه الصلاة
والسلام اذا ضرب احدكم فليجتنب الوجه ولا يقال قبح الله
وجهك ولا وجها اشبه وجهك فان الله خلق آدم على
صورته فلو كان المراد به الله عز وجل لكان وجه الله سبحانه يشبه
وجه هذا المخاصم لان الحديث كذا جاء وله وجها اشبه وجهك
ورد حديث خولة بنت حكيم به وان آخر وطأة وطأها الله
تعالى بوج وما علموا النقل ولا السر وقول الرسول صلى الله
عليه وسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر وان المراد آخر
وقعة قاتل فيها المسلمون بوج وهى غزاة حنين فقالوا نحمل
الخبر على ظاهره وان الله وطئ ذلك المكان ان عندهم ان
الله تعالى كان فى الارض ثم صعد الى السماء وكذلك قالوا
فى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا قالوا
يجوز ان الله تعالى يوصف بالملل فجهلوا اللغة وما علموا ان
حتى ههنا للغاية لم تكن بممدوح لانه اذا مل حتى يمل فاى
مدح وانما هو كقول الشاعر

× حليت منى هذا من امل بحر × فلا امل الشر حتى يمل ×

والمعنى لا يمل وان ملوا وقالوا فى قوله عليه الصلاة والسلام

الرحم شجنة

الرحم شجنة من الرحمن تتعلق بحقوى الرحمن فقالوا الحقو صفة ذات
وذكروا احاديث لو رويت فى نقض الوضوء ما قبلت وعموما
وضعتها الملاحدة كما يروى عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله
الملائكة من نور الذراعين والصدر فقالوا اثبت هذا على ظاهره
ثم ارضوا العوام بقولهم ولا اثبت جوارح فكانهم يقولون فلان
قائم وما هو قاعد واختلف قولهم هل يطلق على الله عز وجل
انه جالس او قاعد كقوله تعالى قائما بالقسط وهؤلاء اخس
فهما من مجالان قوله تعالى قائما بالقسط لا يراد به القيام وانما
هو كما يقال الامير قائم بالعدل وانما ذكرت بعض اقوالهم لئلا
يسكن الى شئ منها فالحذر من هؤلاء عبادة وانما الطريق طريق
السلف على انى اقول لك قد قال احمد بن حنبل رحمة الله عليه
ورضوانه من ضعف علم الرجل ان يقلد فى دينه الرجال فلا ينبغى
ان تسمع عن معظم فى النفوس شيئا فى الاصول فتقلده فيه فلو
سمعت عن احد ما لا يوافق الاصول الصحيحة فقل هذا من
الراوى لانه قد ثبت عن ذلك الامام انه يقول بشئ من رأيه
فلو قدرنا صحته عنه فانه لا يقلد فى الاصول ولا ابو بكر ولا عمر
رضى الله عنهم فهذا اصل يجب البناء عليه فلا يهولنك ذكر
معظم فى النفوس وكان المقصود شرح هذا ان ديننا سليم
وانما ادخل اقوام فيه ما تأذينا به ولقد ادخل المتعصبون
فى الدين ما ينفر الناس حتى انهم يرون افعالهم ويستبعدون
الطريق واكثر ادلة هذه الطريق القصاص فان القاص اذا
دخل الى مجلسهم وصولا يحسن الوضوء كلهم بدقائق الجنيد

واشارات الشبلي فراى ذالك العامى ان الطريق الواضح
لزوم زاوية وترك الكسب للعائلة ومناجاة الحق فى خلوة
على زعمه مع كونه لا يعرف اركان الصلاة ولا اداب العلم
ولا قوم اخلاقه مخالطة العلماء فلا يستفيد من خلوته الا كما
يستفيد الحمار من الاصطبل وان امتد عليه الزمان فى تقلبه
زاد بيسه فربما خايلت له الملايخوليا اشباحا يظنهم ملائكة
ثم يطاطئ رأسه ويمد يديه للتقبيل فكم قد رأينا من اكار
ترك الزرع وقعد فى زاوية فصار الى هذه الحالة فاستراح
من تعبه فلو قيل له عد مرة يضا لقال مالى عادة فلعن الله
عادة تخالف الشريعة فيرى العامى ما يورده القصاص
طريقا للشرع هذه لا الذى عليه الفقهاء فيقعون فى الضلال
ومن المتزهدين من لا يبالى عمل بالشرع ام لا ثم تتفاوت جهالهم
فمنهم من سلك مذهب الاباحة ويقول الشيخ لا يعارض ويهمك
فى المعاصى ومنهم من يحفظ ناموسه فيفتى بغير علم لئلا يقال
الشيخ لا يدرى ولقد حدثنى الشيخ ابو حكيم رحمة الله عليه
ان الشريف الدخالى وكان يقصد ويزار ويتبرك به حضر
عنده يوما فسئل ابو حكيم هل تحل المطلقة ثلاثا اذا ولدت
ذكرا قال فقلت لا والله فقال للشريف اسكت فوالله لقد
افتيت الناس انها تحل من ههنا الى البصرة وحكى لى ابو حكيم
ان ذا الجذاذ وكان يتوسم بالعلم جائت اليه امراة فزوجها
من رجل ولم يسأل عن انقضاء العدة فاعترضها الحاكم ففرق

بينهما

بينها وبين الزوج وانكر على المزوج قال فلقيته المرأة فقالت
يا سيدى انا امراة لا اعلم فكيف زوجتنى فقال دعى حديثهم ما
انت الا طاهرة مطهرة انتهى وحدثنى بعض الفقهاء عن رجل
من العباد انه كان يسجد للسهو سنين ويقول والله ما سهوت
ولكن افعله احترازا فقال له الفقيه قد بطلت صلاتك كلها
لانك سجدت سجودا غير مشروع ثم من الدخل الذى دخل فى ديننا
طريق المتصوفة فانهم سلكوا طرقا اكثرها تنافى الشريعة
واهل التدين منهم يقللون يتجففون وهذا ليس بشرع حتى ان
رجلا كان قريبا من زمانى يقال له كثير دخل الجامع المنصور
وقال انى عاهدت الله عهدا فنقضته فقد الزمت نفسى ان لا
تاكل اربعين يوما فحدثنى من رآه انه بقى عشرة ايام ثم فى العشر
الرابع اشفى على الموت قال فما انقضت حتى تشغرغ فصب فى حلقه
ماء فسمعناله نشيشا كنشيش المقلاة ثم مات بعد ايام فانظروا
الى هذا المسكين وما فعل به جهله ومنهم من فسح لنفسه فى كل
ما يحب من التنعم واللذات واقتنع من التصوف بالقميص والفوط
والعمامة اللطيفة ولم ينظر من اين يأكل ولا من اين يشرب وخالط
الامراء من ارباب الدنيا ولبس الحرير وشراب الخمور حفظا لماله
وجاهه ومنهم اقوام عملوا سننا لهم تلقوها من كلمات اكثر
لا يثبت ومنهم من اكب على سماع الغناء والرقص واللعب ثم انقسموا
هؤلاء فمنهم من يدعى العشق فيه ومنهم من يقول بالحلول و
منهم من يسمع على وجه الهوى واللعب وكلا الطريقين يفسد
العوام الفساد العام وهذا الشرح يطول وقد صنفت كتبا

تلك الاشياء تزول وتتغير والتقوى اصل للسلامة حارس
لاينام يأخذ باليد عند العثرة ويوافق على الحدود والمنكر
ومن غرته لذة حصلت مع عدم التقوى فانها ستحول وتخلّيه
خاسرا ولازم التقوى فى كل حال فانك لاترى فى الضيق الا
السعة وفى المرض الا العافية هذا نقدها العاجل والآجل
معلوم

٧٠ فصل

تأملت امرًا عجيبا واصلاً ظريفا وهو انهيال الابتلاء على المؤمن
وعرض صور اللذات عليه مع قدرته على نيلها وخصوصا ما كان
بغير كلفة منه تحصيله كمحبوب موافق فى خلوة حصينة فقلت
سبحان الله ههنا يبين اثر الايمان لافى صلاة ركعتين فوالله
ما صعد يوسف عليه السلام ولا سعد الا فى مثل ذلك المقام
فبالله عليكم يا اخوانى تأملوا حاله لوكان وافق هواه من
كان يكون وقيسوا بين تلك الحالة وحالة آدم عليه السلام
ثم زنوا بميزان العقل عقبى تلك الخطيئة وثمرة هذا
الصبر واجعلوا فهم الحال عدة لكم مسند كل مشتهى وان اللذات
لتعرض على المؤمن ومتى لقيها فى صف حربه وقد تأخر عنه
عسكر التدبر للعواقب هُزِمَ وكأنى ارد الواقع فى بعض
اثر اكها ولسان الحال يقول له قف مكانك انت ومالخرت
لنفسك فغاية امره الندم والبكا فان اثر اخراجه من

تريى فيها البسط الحسن ان شاء الله تعالى منها (تلبيس ابليس)
والمقصود ان تعلم ان الشرع تام كامل فان رزقت فهمًا له فانت
تتبع الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه وتترك بنيات الطريق
ولا تقلد دينك الرجال فان فعلت فانك لاتحتاج الوصية
اخرى واحذر جمود النقلة وانبساط المتكلمين وجموع المتزهدين
وشره اهل الهوى ووقوف العلماء على صورة العلم من غير
عمل وعمل المتعبدين بغير علم ومن ايده الله تعالى بلطفه ورزقه
الفهم واخرجه عن رتبة التقليد وجعله امة وحده فى زمانه
فلا يبالى بمن عيب ولا يلتفت الى من لام قد سلم زمامه الى
دليل واضح السبيل عصمنا الله واياكم من تقليد المعظمين و
الهنا اتباع الرسول الامين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
اجمعين فانه درة الوجود ومقصود الكون صلى الله عليه وعلى
آله واصحابه واشياعه ورزقنا اتباعه مع اتباعه امين

٧١ فصل

اعلم ان الزمان لايثبت على حال كما قال عزوجل وتلك الايام
نداولها بين الناس فتارة فقر وتارة غنى وتارة عز وتارة
ذل وتارة يفرح الموالى وتارة يشمت الاعادى فالسعيد
من لازم اصلا واحدا على كل حال وهو تقوى الله عزوجل فانه
ان استغنى زانته وان افتقر فتحت له باب الصبر وان
عوفى تمت له النعمة عليه وان ابتلى جملته ولا يضره ان نزل
به الزمان اوصعد اوعراه او اشبعه اوجاعه لان جميع

تلك الاشياء

تلك الهوة لم يخرج الا موهونا بالخدوش وكم من شخص
زلت قدمه فما ارتفعت بعدها ومن تأمل ذل اخوة يوسف
عليهم السلام يوم وتصدق علينا عرف شوم الزلل ومن
تدبر احوالهم قاس ما بينهم وبين اخيهم من الفروق وان
كانت توبتهم قد قبلت لانه ليس من رقع وخاط كمن توبه
صحيح ورب عظم هيض لم ينجبر فان جبر فعلى وهى
فتيقظوا اخوانى لعرض المنهيات على النفوس واستوثقوا
من لجم الخيل وانتهوا للغيم اذا تراكم بالصعود الى تلعة
فربما مر الوادى فراح بالركب

٧٣ فصل

تأملت حاله عجيبة وهوان المؤمن تنزل به النازلة فيدعو
ويبالغ فلا يرى اثر الاجابة فاذا قارب اليأس نظر حينئذ
الى قلبه فان كان راضيا بالاقدار غير قنوط من فضل الله عز وجل
فالغالب تعجيل الاجابة حينئذ لان هنالك يصلح الايمان
والشيطان وهناك تبين مقادير الرجال وقد اشير الى
هذا فى قوله تعالى حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى
نصر الله وكذا جرى ليعقوب عليه السلام فانه لما فقد
ولدا وطال الامر عليه لم ييأس من الفرج فأخذ ولده الآخر

ولم ينقطع امله

ولم ينقطع امله من فضل ربه ان يأتينى بهم جميعا وكذلك
قال زكريا عليه السلام ولم اكن بدعائك رب شقيا فاياك ان
تستطيل مدة الاجابة وكن ناظرا الى اند المالك والى انه الحكيم
فى التدبير والعالم بالمصالح والى انه يريد اختبارك ليبلو اسراركم
والى انه يريد ان يرى تضرعك والى انه يريد ان يأجرك
بصبرك الى غير ذلك والى انه يبتليك بالتأخير لتحارب
وسوسة ابليس وكل واحدة من هذه الاشياء تقوى الظن
فى فضله وتوجب الشكر له اذ اقلك بالبلاء للالتفات
الى سؤاله والفقر المضطر الى اللجا اليه غنى كله

٧٤ فصل

لما كان بدن الآدمى لا يقوم الا باجتلاب المصالح ودفع المؤذى
ركب فيه الهوى ليكون سببا لجلب المنافع والغضب ليكون
سببا لدفع المؤذى ولولا الهوى فى المطعم ما تناول الطعام
فلم يقم بدنه مجعل له اليه ميل وتوق فاذا حصل له ما
يقيم به بدنه زال التوق وكذلك فى المشرب والملبس و
المنكح وفائدة المنكح من وجهين احدهما ابقاء الجنس وهو
معظم المقصودين والثانى دفع الفضلة المحتقنة المؤذى
احتقانها ولولا تركيب الهوى المائل بصاحبه الى النكاح
ما طلبه احد ففات النسل وآذى المحتقن فاما العارفون

فانهم فهموا المقصود واما الجاهلون فانهم مالوا مع الشهوة
والهوى ولم يفهموا مقصود وضعها فضاع زمانهم فيما لا
طائل فيه وفاتهم ما خلقوا لاجله واخرجهم هواهم الى فساد
المال وذهاب العرض والدين ثم اداهم الى التلف وكم قد
رأينا من متنعم بها لغ في شراء الجواري ليحرك طبعه بالمستجد
فما كان باسرع من ان وهنت قواه الاصلية فتعجل تلفه وكذلك
رأينا من زاد غضبه فخرج عن الحد وقتل بنفسه وممن
يحبه فمن علم ان هذه الاشياء انما خلقت اعانة للبدن
على قطع مراحل الدنيا ولم تخلق النفس للالتذاذ وانما
جعلت اللذة فيها كالحيلة في ايصال النفع اذ لو كان المقصود
التنعم بها لما جعلت الحيوانات البهيمة اوفى حظا
من الآدمي منها فطوبى لمن علم حقائق الوضع ولم يمل به
الهوى عن فصم حكم المخلوقات

٧٥ فصل

من تأمل عواقب المعاصي يراها قبيحة ولقد تفكرت في اقوام
اعرفهم يقرون بالزنا وغيره فاري من تعثيرهم في الدنيا
مع جلادتهم ما لا يقف عند حد وكأنهم قد البسوا ظلمة
فالقلوب تنفر عنهم فان اتسع لهم شئ فاكره من مال

الغرور ان ضاق

الغرور ان ضاق بهم امر اخذوا يتسخطون على القدر هذا و
قد شغلوا بهذه الاوساخ وفكر الآخرة ثم عكست
فتفكرت في اقوام صابروا الهوى وتركوا ما لا يحل فمنهم
من قد انبعث له الدنيا من قوت مستلذ وهاد مستطاب ثمرات
وعيش لذيذ وجاه عريض فان ضاق بهم امر وسعه
الصبر وطيبه الرضى ففهمت الحال من قوله تعالى (انه
من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين)

٧٦ فصل

ينبغي للعاقل ان يلازم باب مولاه على كل حال وان يتعلق
بذيل فضله ان عصى وان اطاع وليكن له انس في خلوته
به فان وقعت وحشة فليجتهد في رفع الموحش كما قال
الشاعر

× امستوحش انت مما جنيت × فاحسن اذا شئت واستأنس ×

فان رأى نفسه مائلا الى الدنيا طلبها منه او الى الآخرة سأله
التوفيق للعمل لها فان خاف ضرر ما يرومه من الدنيا سأل
الله اصلاح قلبه وطب مرضه فانه اذا صلح لم يطلب ما
يؤذيه ومن كان هكذا كان في العيش غير ان من ضرورة
هذه الحال ملازمة التقوى فانه لا يصلح الانس الا بها وقد
كان ارباب التقوى يتشاغلون عن كل شئ الا عن اللجا

والسؤال وفي الحديث ان قتيبة بن مسلم لما صاف الترك هاله
امرهم فقال اين محمد بن واسع فقيل صف في اقصى المسجد جالسا
على سبيه قوسه يومي باصبعه نحو السماء فقال قتيبة تلك
الأصبع الفارده احب الي من مائة الف سيف شهير طرير
فلما فتح عليهم قال له ما كنت تصنع قال آخذ لك
بجامع الطرق

٧٧ فصل

ينبغي لمن تظاهرت نعم الله عز وجل عليه ان يظهر منها ما بين
اثرها ولا يكشف حملتها وهذا من اعظم لذات الدنيا التي
يأمر الحزم بتركها فان العين حق واني تفقدت النعم فرأيتها
اظهارها حلوا عند النفس الا انها ان اظهرت لوديد
لم يؤمن تشعث باطنه بالغيظ وان اظهرت لعدو فالظاهر
اصابته بالعين لموضع الحسد الا انني رأيت بعد المحسود
كاللازم فانه في حال البلا يشفى وفي حال النعم يصيب
بالعين ولعمري ان المنعم عليه يشتهي غيظ حسوده ولكنه
لا يؤمن ان يخاطر بنعمته فان الغالب اصابة الحاسد لها
بالعين فلا يساوي الالتذاذ باظهار ما غيظ بهم ما افسدت
عينه باصابتها فكتمان الامور في كل حال فعل الحازم فانه
ان كشف مقدار سنة استهزموه ان كان كبيرا او احتقروه ان
كان صغيرا

كان صغيرا وان كشف ما يعتقده ناصبه الاضداد بالعداوة
وان كشف قدر ماله استحقروه ان كان قليلا وحسدوه ان كان
كثيرا وفي هذه الثلاثة قال الشاعر

× احفظ لسانك لا تبح بثلاثة × سن ومال ما استطعت ومذهب ×
× فعل الثلاثة تبتلى بثلاثة × بمموه ومخرق ومكذب ×

وقس على ما ذكرت مالم اذكره ولا تكن من المذاهيع الغبر الذين
لا يحملون اسرارهم حتى يفشوها الى من لا يصلح ورب كلمة
جرى بها اللسان هلك بها الانسان

٧٨ فصل

رأيت كل من يعثر بشئ او يزلق في مطر يلتفت الى ما عثر به
فينظر اليه طبعا موضوعا في الخلق امتا ليحذر منه ان جاز
عليه مرة اخرى من مثله او لينظر مع احترازه وفهمه كيف
فاته التحرز من مثل هذا فاخذت من ذلك اشارة و
قلت يا من عثر مرارا هل لا بصرت ما الذي عثرك فاحترزت
من مثله او قبحت لمتفسك مع جزمها تلك الوقعة فان
الغالب ممن يلتفت ان معنى التفاته كيف عثرت مثلي مع احترازه
مثل ما ارى فالعجب لك كيف عثرت بمثل الذئب الفلاني
والذئب الفلاني كيف غرك زخرف تعلم بعقلك باطنه
وترى بعين فكرك ما مآله كيف آثرت فانيا على باق
كيف بعت بوكس كيف اخترت لذة رقدة على انتباه معاملة

الدرة صح

آه لك لقد اشتريت بما بعت احمال الندم لا ينقلها ظهر و
تنكيس رأس بعيد الارتفاع ودموع حزن على قبيح
فعل ما لمددها انقطاع واقبح الكل ان يقال لك ماذا و
من اجل ماذا وهذا على ماذا يا من قلب الغرور عليه الصنجه
ووزن له والميزان مراكب

٧٩ فصل

تأملت قوله تعالى (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى)
قال المفسرون هداى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابى
فوجدتهما على الحقيقة ان كل من اتبع القرآن والسنة وعمل
بما فيهما فقد سلم من الضلال بلا شك وارتفع فى حقه
شقاء الآخرة بلا شك اذا مات على ذلك وكذلك شقاء
الدنيا فلا يشقى اصلا وبين قوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا فان رأيته فى شدة فله من اليقين بالجزاء ما يصير
الصابر عنده عسلا والاغلب طيب العيش فى ذلك
الحال والغالب انه لا ينزل به شدة الا اذا انحرف
عن جادة التقوى فاما الملازم لطريق التقوى فلا آفة
تطرقه ولا بلية تنزل به هذا هو الاغلب فان ندر من تطرقه
البلايا مع التقوى فذلك لما الاغلب لتقدم ذنب يجازى
عليه فان قدرنا عدم الذنب فذلك لأدخال ذهب
صبره كير البلا حتى يخرج تبرا احمر فهو يرى عذوبة

العذاب لانه

العذاب لانه يشاهد المبتلى فى البلاء والألم قال الشبلى
احبك الناس لنعمائك وانا احبك لبلائك

٨٠ فصل

للنال لذة المعاصى الا سكران الغفلة فاما المؤمن فانه لا يلتذ
لانه عند التذاذه يقف بازائه على التحريم وعند التوبة فان
قويت معرفته راى بعين علمه قرب الناهى فيتنغص عيشه
فى حال التذاذه فان غلب سكر الهوى كان القلب متنغصا
بهذه المراقبات وان كان الطبع فى شهوته وماضى اللحظة
ثم اخذ من غريم الندم الملازم وبكاء متواصل واسف على ما كان
مع طول الزمان حتى انه لو تيقن العفو وقف بازائه حذر
العتاب فأف لذنوب ما اقبح آثارها وما اسوأ اخبارها
ولو كانت شهوة لا تنال الا بمقدار قوة الغفلة

٨١ فصل

بكرت يوما اطلب الخلوة المجامع الرصافة فجعلت اجول
وحدى واتفكر فى ذلك المكان وممن كان به من العلماء
والصالحين ورأيت اقواما قد جاوروا فيه فسألت احدهم
منذ كم انت ههنا فاومأ قريب من اربعين سنة فرأيته
فى بيت كثير الدرن والوسخ وجعلت اتفكر فى حبسه
لنفسه عن انكاح هذه المدة فاخذت النفس تحسن
ذلك وتذم الدنيا والاغترار بها فاقبل العلم ينكر على

النفس ونهض الفهم بحقائق الامور وموضوع الشرع يقوى
ما قال العلم فيدخل من ذلك ان قلت للنفس اعلمي ات
هؤلآء على ضربين منهم من يجاهد نفسه في الصبر على هذه الاحوال
فتفوته فضائل المخالطة لاهل العلم والعمل وطلب الولد ونفع
الخلق وانتفاع نفسه بمجالسة اهل الفهم فيحدث له حالة
من نفسه تشابه فيها الوحشي فيؤثر الانفراد لنقص الانفراد
وربما حبس الطبع وساء الخلق وربما حدث من حبس
مائه المحتقن بنتية افسدت بدنه وعقله وربما اورثته
الخلوة وسوسة وربما ظن انه من الاولياء واستغنى بما
يعرفه وربما خيل له الشيطان اشياء من الخيالات
وصوبعيدها كرامات وربما ظن ان الذي فيه هو الغاية
ولا يدري انه الهالكراهة اقرب فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى ان يبيت الرجل وحده وهؤلآء كل منهم يبيت
وحده ونهى عن التبتل وهذا تبتل ونهى عن الرهبانية
وهذا من خفي خدع ابليس التي يوقع بها في الضلال
في ورطات بالطف وجه واجلاه والضرب الثاني مشائخ
قد فنوا فانقطعوا ضرورة اذ ليس لاحدهم ما وى فهم
في مقام الزمني وان كان الضرب الاول قد قطعوا حيل
نفوسهم في العلم والعمل وتعلقت همهم بفتوح
يطرق عليهم الباب فرضوا بالعمى بعد البصر وبالزمن

في ورطات الضلال

بعد الاطلاق

بعد الاطلاق فقالت لي النفس لا ارضى لك هذا الذي تقوله
فانك انما تميل الى اثار نكاح المستحسنات والمطاعم المشتهيات
فاذا لم تكن من اهل التعبد فلا تطعن فيهم فقلت لها ان فهمت
حديثك وان كنت تقلدين صور الرجال الاحوال فلا فهم لك
اما المستحسنات فان المقصود من النكاح اشياء منها طلب
الولد ومنها شفاء النفس باخراج الفضلة المؤذية وكمال
خروجها لا يكون الا بوجود المستحسن واعتبر هذا بالوطئ دون
الفرج فانه يخرج من الفضلات ما يخرج بالوطئ في الفرج و
في تمام خروج تلك الفضلة تفرغ النفس عن شواغلها فتدري
اين هي كما تامر القاضي بالاكل قبل الحكم وتنهاه عن الحكم وهو
غضبان او حاقن وبكمال بلوغ هذا الغرض يكون كمال الولد
لتمام النطفة التي يتخلق منها ثم للنفس حظ فهو يستوفيه
استيفاء الناقة حظها من العلف في السفر وذلك يعين على
سيرها واما المطاعم فالجاهل من يطلبها لذاتها او لنفس لذاتها
وانما المراد اصلاح عدم الناقة لجمع همها ونيل مرادها من
غرضها الصارف لها عن الفكر في سواها واذا تاملت حال الشرب
الاول رايت من هذا عجبا فان النبي صلى الله عليه وسلم اختار
لنفسه عائشة رضي الله عنها وكانت مستحسنة ورأى
زينب فاستحسنها فتزوجها وكذلك اختار صفية وكان
اذا وصف له امراة بعث يخطبها وكان لعلي رضي الله عنه اربع

بعد الاطلاق

حر آثر وسبع عشر سريه مات عنهن وقبل هذه الامة فقد
كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان عليه السلام الف
امرأة فمن ادعى خللا في هذه الطرف او ان هؤلاء آثروا هواهم
والتقطوا ايضا تلك العرض في هذه الاغراض افضل وغيرها افضل
فقد ادعى على الكاملين النقصان وانما هو الناقص فهمه لهم
وقد كان سفيان الثوري اذا سافر نقل سفرته لعمل مشويا و
فالوذجا وكان حسن المطعم وكان يقول الدابة اذا لم تحسن اليها
لم تعمل وهذه الفنون التي اشرت اليها ان قصدت للحاجة
اليها ولقضاء وطر نفس منها او لبلوغ الاغراض الدينية او
الدنيوية منها فكلها قصد صحيح لا يعكر عليه حاله ومن يقوم
ويقعد في ركعات لا يفهم معناها وفي تسبيحات اكثر الناظها
ردية كلا ليس الا العلم الذي هو افضل الصفات واشرف
العبادات وهو الآمر بالمصالح والناطق بالنصائح ثم منفعة
العلم معروفة وزهد الزاهد لا يتعدى عتبة بابه وقد قال
صلى الله عليه وسلم لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك
مما طلعت عليه الشمس ثم اعتبر فضل الرسل على الانبياء
عليهم السلام والجوارح على التي لا تصيد والطين الذي يعمل منه
على الطين الذي في القلاع وغاية العلماء تصرفهم بالعلم المباح
واكثر المتزهدين جهلة ليستعبدهم تقبيل اليد لاجل تركهم ما

ابيح لهم فكم قد فوتت العزلة علما يصلح به اصل الدين وكم اوقعت
في بلية يهلك بها الدين وانما عزلة العالم عن الشر تحسبه والله
الموفق

٨٢ فصل

ينبغي لكل ذي لب وفطنة ان يحذر عواقب المعاصي فانه ليس
بين الآدمي وبين الله تعالى قرابة ولا رحم ولا له عز وجل رقة
وانما هو قائم بالقسط حاكم بالعدل وان حلمه يسع الذنوب الا
انه اذا شاء عفى فعفا عن كل كثيف من الذنوب واذا شاء اخذ
باليسير فالحذر الحذر ولقد رأيت اقواما من المترفين كانوا يتقلبون
في الظلم والمعاصي باطنة وظاهرة فتعبوا من حيث لم يحتسبوا
فقلت اصولهم ونقض ما بنوا من قواعد احكموها لذرارتهم وما
كان ذلك الا انهم اهملوا جانب الحق عز وجل وظنوا ان ما
يفعلونه من خير يقاوم ما يجري من شر فمالت سفينة ظنونهم
فدخلها من ماء الكبد ما غرقهم ورأيت اقواما من المنتسبين الى
العلم اهملوا نظر الحق عز وجل اليهم في الخلوات فمحي محاسن ذكرهم
في الجلوات فكانوا موجودين كالمعدومين لا حلاوة لرؤيتهم ولا
قلب يحب لقائهم فالله الله في مراقبة الحق عز وجل فان ميزان
عدله تبين فيه الذرة وجزاءه مراصد للحظى ولو بعد حين و
ربما ظن العفو وهو امهال وللذنوب عواقب سيئة فالله
الله الخلوات البواطن البواطن النيات النيات فان عليكم من الله

عينا ناظره وايا كم والاغترار بحلمه وكرمه فكم استدرج وكونوا
على مراقبة الخطايا مجتهدين فى محوها وما شئ ينفع كالتضرع مع الحمية
عن الخطايا فلعله وهذا فصل اذا تأمله من له معاملة لله تعالى
نفعه ولقد قال بعض المراقبين لله تعالى قدرت على لذة هى غاية
وليست بكبيرة فنازعتنى نفسى اليها اعتمادا على صغرها وعظم فضل
الله وكرمه وقلت لنفسى ان غلبت هذه فانت انت واذا اتيت
هذه فمن انت وذكرتها حالة اقوام كانوا يقسحون لانفسهم فى
مسامحة كيف انظوت اذكارهم وتمكنت عقوبة الاعراض منهم فهم
فارغون ورجعت عما همت به والله الموفق

٨٣ فصل

كثير من الناس يتسامحون فى امور يظنونها قريبة وهى تقدح فى الاصول
كاستعارة طالب العلم جزءً لا يريده وقصد الدخول على من يأكل
ليأكل معه وتناول طعاما لم يُدْعَ اليه والتسامح بعرض العدو
التذاذا بذلك واستصغارا لمثل هذا الذنب واطلاق البصر
فى المحرم اهوانا بتلك الخطيئة وفتوى من لا يعلم لئلا يقال
هو هاهل وذا لك مما يظن صغيرا وهو عظيم واهون ما يصنع
بصاحبه ان يحطه من مرتبته المتميزين بين الناس ومن مقام
رفعة القدر عند الحق وربما قيل له بلسان الحال يا من اؤتمن
على امر يسير فخان مابلية حظك فاتوبة قال بعض السلف
تسامحت بلقمة فقلتها فانا اليوم اربعين سنة لا اخلف

فالله الله اسمعوا

فالله الله اسمعوا ممن قد جرب كونوا على مراقبة وانظروا فى العواقب
واعرفوا عظمة الناهى واحذروا من نفحة تحتقر وشرارة تستصغر
فربما احرقت بلده وهذا الذى اشرت اليه يسير يدل على كثير
وانموذج يعرف باقى المحقرات من الذنوب والعلم والمراقبة
يُعرِّف فانك ما اخللت بذكره ويعلمانك ان تلمحت بعين البصيرة
اثر شؤم فعله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

٨٤ فصل

رأيت من نفسى عجبا تسئل الله عز وجل حاجاتها وتنسى جناياتها
فقلت يا نفسى السوء اومثلك يطيق فان نطق فينبغى ان يكون
السؤال العفو فحسب فقالت فمِمَّن الطلب مرادا تى قلت ما
امنعك طلب المراد انما اقول حققى التوبة وانطقى كما نقول فى
العاصى بسفره اذا اضطر الى الميتة لا يجوز له ان يأكل فان قيل
لنا افيموت قلنا لا بل يتوب ويأكل فالله الله من جرأة على طلب
الاغراض مع نسيان ما تقدم من الذنوب التى توجب تنكيس
الرأس ولئن تشاغلت باصلاح مامضى والندم عليه جاءتك
مراداتك كما روى من شغله ذكرى عن مسألتى اعطيته افضل
ما اعطى السائلين وقد كان لبشر الحافى يبسط يديه للسؤال
ثم يسبلهما ويقول مثلى لا يسأل ما ابقت الذنوب لى وجها
وهذا يختص به بشر لقوة معرفته كان وقت السؤال كالمخاطب
كفاحا فاستحيا للزلل فاما اهل الغفلة فسوء الهم على بُعْدٍ فافهم

ما ذكرته وتشاغل بالتوبة من الزلل ثم العجب من سوء الاثر
فانك لا تكاد تسئل مهتما من الدنيا بل فضول العيش ولا
تسئل صلاح القلب والدين مثل ما تسئل صلاح الدنيا فاعقل
امرك فانك من الانبساط والغفلة على شفا جرف ولتكن
جرائتك على زلاتك شاغلة لك عن مراداتك فقد كان الحسن
البصري شديد الخوف فلما قيل له في ذلك قال وما يؤمنني
ان يكون اطلع عليّ في بعض ذنوبي فقال اذهب لا غفرت
لك

٨٥ فصل

اعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان بالله ما عرفه
الا من خاف منه فامّا المطمئن فليس من اهل المعرفة ومن
المتزهدين اهل تغفيل يكاد احدهم يوطن على انه ولي و
محبوب ومقبول وربما توالت عليه الطاف ظنها كرامات
ونسي الاستدراج الذي لفّت مساكنته الالطاف وربما احتقر
غيره وظن ان محلته محفوظة به تعرظ ركعات ينتصب فيها
او عبادة ينصب بها وربما ظن انه قطب الارض او انه لا
ينال مقامه بعده احد وكأنه ما علم انه بينا موسى عليه السلام
يكالم نبي يوشع وبينا زكريا عليه السلام مجاب الدعوة
نشر بالمنشار وبينا يحيى عليه السلام يوصف بانه سيد وسُلّط

عليه كافر احتز

عليه كافر احتز رأسه وبينا بلعام معه الأسم الاعظم صار مثله
كمثل الكافر وبينا الشريعة يعمل بها نسخت وبطل حكمها و
بينا البدن معمور اخرب وسلط البلاء عليه وبينا العالم يدأب
حتى ينال مرتبة يعتقدها نشأ طفل في زمانه ترقى الى شيء
عيوبه وغلطه وكم من متكلم يقول ما مثلي لو عاش فسمع ما حدث
بعده من الفصاحة عدّ نفسه اخرس هذا واعظ ابن السماك
وابن عمار وابن سمعون لا يصلح لبعض تلامذتنا ولا يرضاه
فكيف يعجب ينفق شيئاً وربما اتى بعدنا من لا يعدّنا فالله
الله من مساكنة مسكن ومخالفة مقام وليكن المتيقظ على
انزعاج محتقرا للكثير من طاعاته خائفا على نفسه من تقلباته
ونفوذ الاقدار فيه واعلم ان تلمح هذه الاشياء التي اشرت
اليها يضرب عنق العجب ويذهب كبر الكبر

٨٦ فصل

من عاش مع الله عزوجل طيب العيش في زمن السلامة خفت
عليه في زمن البلا فهناك المحك ان الملك ضنّ بيننا يبني نقض
وبينا يعطى سلب فطيب العيش والرضا هناك يبين فاما
من تواصلت لديه النعم فانه يكون طيب القلب لتواصلها
فاذا مسته نفحة من البلا فجيعة ثبوته قال الحسن البصري رحمه الله
كانوا يتسادون في وقت النعم فاذا نزل البلاء تباينوا

فالعاقل من اعدّ ذخرا وحصل زادا وازداد من العدد للقآء
حرب البلآء ولابد من لقآء البلآء ولو لم يكن الا عند صرعة الموت فانها
ان نزلت والعياذ بالله فلم تجد معرفة توجب الرضى او الصبر اخرجت
الى الكفر ولقد سمعت بعض من كنت اظن فيه كثرة الخير يقول فى ليالى
موته ربى عوذ ايظلمنى فلم ازل مترجما بتحصيل عدة القى بها
ذالك القرن كيف وقد روى ان الشيطان يقول لاعوانه فى تلك
الساعة عليكم بهذا فان فاتكم فلن تقدروا عليه وايّ قلب
يثبت عند امساك النفس والاخذ بالكظم ونزع النفس و
العلم بمفارقة المحبوبات الى ما لا يدرى الى ما هو وليس فى ظاهره
الا الصبّ والبلآء فنسأل الله عزوجل يقينا يقينا نشرذ ذالك اليوم
لعلنا نصبر للقضآء ونرضى به ونرغب الى مالك الامور فى ان
يهب لنا من فواضل نعمه على احبابه حتى يكون لقآؤه اجب
الينا من بقآئنا وتفويضنا الى تقديره اشهى عندنا من اختيارنا
ونعوذ بالله من اعتقاد الكمال لتدبيرنا حتى اذا انعكس علينا
امر ابعدنا الى القدر بالتسخط وهذا هو الجهل المحض والخذلان
الصريح اعاذنا الله منه

٨٧ فصل

ليس فى الدنيا ولا فى الآخرة اطيب عيشا من العارف بالله عزوجل
فان العارف له مستأنس به فى خلوته فان عمّت نقمة علم من
اهداها وان مرّ امر على مذاق فيه لمعرفته بالمبتلى وان
سأل فتعوّق مقصوده صار مراده ما جرى به المقدر علما

منه بالمصلحة

منه بالمصلحة بعد يقينه بالحكمة وثقته بحسن التدبير وصفة العارف
ان قلبه مراقب لمعروفه قآئم بين يديه ناظر بعين اليقين فيه فقد
سرى من بركة معرفته الى الجوارح ما هذبها شعر

× فان نطقت فلم انطق بغيركم × وان سكت فانتم عقد اضمارى ×

اذا تسلط على العارف اذى اعرض نظره عن السبب ولم يرى سوى
المسبّب فهو فى الطيب عيش معه ان سكت تفكر فى اقامة حقه وان
نطق تكلم بما يرضيه لا يسكن قلبه الى زوجه ولا الى ولد ولا يتشبث
بذيل صحبة احد وانما يعاشر الخلق ببدنه وروحه عند مالك
روحه فهذا الذى لا همّ عليه فى الدنيا ولا غمّ عنده وقت الرحيل
عنها ولا وحشة له فى القبر ولا خوف عليه يوم الحشر فاما من عدم
المعرفة فانه معذّب لا يزال يضج لانه لا يعرف المبتلى ويستوحش
لفقد غرضه لانه لا يعرف المصلحة ويستأنس بجسمه لانه لا
معرفة بلبه وبين ربه ويخاف من الرحيل لانه لا زاد له ولا معرفة
بالطريق وكم من عالم وزاهد لم يرزق من المعرفة الا مارزقه العامى
البطّال وربما زاد عليهما وكم من عامى رزق منها مالم يرزقاه
مع اجتهادهما وانما هى مواهب واقسام ذالك فضل الله يؤتيه
من يشآء والله ذو الفضل العظيم

٨٨ فصل

بالله عليك يا موضوع القدر بالتقوى لاتبع عزها بذل المعاصى
وصار عطشى الهوى فى هجر المشتهى وان امضى وارمض فاذا بلغت
النهاية من الصبر فاحتكم فاو قل فهو مقام من لو اقسم على الله لابره

تالله لولا صبر عمر ما انبسطت يده بضرب الارض بالدرة ولولا جدّ
انس بن النضر فى ترك هواه وقد سمعت من آثار عزيمته لئن
اشهدنى الله مشهدا ليرين الله ما اصنع فاقبل يوم احد يقاتل
حتى قتل فلم يعرف الا ببنانه فلولا هذا العزم ما كان الانبساط
يوم والله لاتكسر بن الربيع اوجه بالله عليك تذوق حلاوة
كف الكف المنهى فانها شجرة تثمر عز الدنيا وشرف الآخرة ومتى
اشتد عطشك الى ما تهوى فابسط انامل الرجا الرمن عنده
الرىّ الكامل وقل قد قيل صبر الطبع فى سنين العجاف فعجل
لى العام الذى فيه يغاث واعصر بالله عليك تفكر فيمن قطع
اكثر العمر فى التقوى والطاعة ثم عرضت له فتنة فى الاخير كيف
نطح مركبه الجرف فغرق وقت الصعود اُف والله للدنيا
لابل للمحنة ان اوجب تليها اعراض الحبيب انما نصب العامى باسمه
واسم ابيه فاما ذو والاقدار فالالقاب قبل الانساب قل لى
من انت وما عملك والى اىّ مقام ارتفع قدرك يا من لا يصبر
لحظة عما يشتهى بالله عليك اتدرى من الرجل الرجل والله من
اذا خلا بمن يحب من المحرم وقدر عليه وتقلقل عطشا اليه نظر
الى نظر الحق اليه فاستحيا من اجالة همه فيما يكرهه فذهب العطش
كانك ما تترك لنا الا ما لا تشتهى او ما لا تصدق الشهوة فيه او
ما لا تقدر عليه كذا والله عادتك اذا تصدقت اعطيت كسرة
لا تصلح لك او فى جماعة يمدحونك هيهات والله لا نلت ولا يتنا
حتى تكون معاملتك لنا خالصة تبدل اطايبك وتترك مشتهاتك

وتصبر على

وتصبر على مكروهاتك علما منك ان كنت معاملا بانك اجود ما
غربت الشمس فان كنت مجربا رأيت ذلك قليلا فى جنب رضى حبيبك
عنك وما كلامنا مع الثالث

٨٩ فصل

رأيت فى العقل نوعا تطلع منازعة له للتطلع الى جميع حكم الحق عز وجل
فى حكمه فربما لم يبن له بعضها مثل النقض بعد البناء فيقف متحيرا
وربما انتهز الشيطان تلك الفرصة فوسوس اليه اين الحكمة من
هذا فقلت له احذر من خدع الشيطان ان تخدع يا مسكين فانه
قد ثبت بالدليل القاطع لما رأيت من اتقان الصنائع عندك
حكمة الصانع فان خفى عليك بعض الحكم فلضعف ادراكك ثم ما
زالت للملوك اسرار فمن انت حتى تطلع بضعفك على جميع حكمه
يكفيك الجمل واياك اياك ان تتعرض لما يخفى عليك فانك بعض
موضوعاته وذرة من مصنوعاته فكيف يتحكم على من صدرت عنه
ثم قد ثبت عندك حكمته وحكمه وملكه فاعمل الك على قدر
قوتك فى مطالعة ما يمكن من الحكم فانه سيورثك الدهش
وغض ما يخفى عليك فحقيق بذى البصر الضعيف ان لا يقاوى
نور الشمس

٩٠ فصل

اعجب الاشياء مجاهدة النفس لانها تحتاج الى صناعة عجيبة فان قوما
اطلقوها فيما تحب فاوقعتهم فيما كرهوا وان اقواما بالغوا فى خلافها
حتى منعوها حقها وظلموها حقها واثر ظلمهم لها فى تعبداتهم فمنهم اساء

غذائها فاثر ذالك ضعف بدنها عن اقامة واجبها ومنهم من افردها في خلوة فاثمرت الوحشة من الناس فالت الى ترك فرض او فضل من عيادة مريض او بر الوالدة وانما الحازم من تعلم من نفسه الجد وحفظ الصور فاذا فسح لها في مباح لم تتجاسر ان تتعداه فيكون معها كالملك اذا مازح بعض جنده فانه لا ينبسط اليه الغلام فان انبسط ذكر هيبة المملكة وكذالك المحقق يعطيها حظها ويستوفي منها ما عليها

٩١ فصل

رأيت عموم الخلائق يدفعون الزمان دفعا عجيبا ان طال الليل فبحديث لا ينفع او بقراءة كتاب فيه غزاة او سمر وان طال النهار فبالنوم وهم في اطراف النهار على دجلة او في الاسواق فشبهتهم بالمتحدثين في سفينة وهي تجري بهم وما عندهم خبر ورأيت النادرين قد فهموا معنى الوجود فهم في تعبية الزاد والتأهب للرحيل الا انهم يتفاوتون وسبب تفاوتهم قلة العلم وكثرته بما ينفق في بلده الاقامة فالمتيقظون منهم يتطلعون الى الاخبار بالنافق هناك فيستكرون منه فيزيد ربحهم والغافلون منهم يحملون ما اتفق وربما خرجوا الامع خفير فكم ممن قطعت عليه الطريق فبقي مفلسا فالله الله في مواسم العمر والبدار البدار قبل الفوات واستشهدوا العلم واستدلوا الحكمة وناقسوا الزمان وناقسوا النفوس

واستظهر بالزاد

واستظهر بالزاد فكأن قد حدى الحادي فلم يفهم صوته من وقع دمع الندم

٩٢ فصل

اضر ما على المريض هو التخليط ومامن احد الا وهو مريض بالهوى والمميت عنه رأس الدوا والتخليط يديم المرض وتخليط ارباب الآخرة على ضربين احدهما تخليط العلماء وهو اما لمخالطة الاضداد كالسلاطين فانهم يضعفون قوى يقينهم كلما زادت المخالطة ويقبحون دليلهم عند المريدين فاني اذا رأيت طبيبا يخلط ويحيني شككت ووقفت والثاني تخليط الزهاد وقد يكون بمخالطة ارباب الدنيا وقد يكون بحفظ الناموس في اظهار التخشع لاجتلاب محبة العوام فالله الله فان ناقد الجزاء بصير والاخلاص في الباطن والصدق في القلب ونعم طريق السلامة ستر الحال

٩٣ فصل

رأيت مشايخا احوالهم مختلفة يتفاوتون في مقاديرهم في العلم وكان انفعهم لي في صحبته العامل منهم بعلمه وان كان غيره اعلم منه لقيت جماعة من علماء الحديث يحفظون ويعرفون ولكنهم كانوا يتسامحون بغيبة يخرجونها في مخرج جرح وتعديل ويأخذ على قراءة الحديث اجرة ويسرعون الجواب لئلا ينكسر الجاه وان وقع خطأ ولقيت عبد الوهاب الانماطي وكان على قانون السلف لم يسمع في مجلسه غيبة ولا كان يطلب اجرا على سماع الحديث وكنت اذا قرأت عليه

حديث الرقائق بكى واتصل بكاؤه فكنت وانا صغير السن حينئذ
يعمل بكاؤه فى قلبى ويبنى قواعدا وكان على سمت المشائخ الذين
سمعنا اوصافهم ولقيت الشيخ ابا منصور الجواليقى فكان كبير
الصمت شديد التحرى فيما يقول متقنا محققا وربما سئل المسألة
الظاهرة التى يبادر بجوابها بعض علمائنه فيتوقف فيها حتى يتقن
وكان كثير الصوم والصمت فانتفعت برؤية هذين الرجلين اكثر من
انتفاعى بغيرهما ففهمت من هذه الحالة ان الدليل بالفعل ارشد من
الدليل بالقول ورأيت مشائخا كانت خلوات فى انبساط ومزاح
فراغوا عن القلوب وبددت تبديدهم ما جمعوا من العلم فقل الانتفاع
بهم فى حياتهم ونسوا بعد مماتهم فلا يكاد احد يلتفت الى
مصنفاتهم فالله الله بالعمل بالعلم فانه الاصل الاكبر والمسكين
كل المسكين من ضاع عمره فى علم لم يعمل به ففاته لذات الدنيا
وخيرات الآخرة فقدم مفلسا على قوة الحجة عليهم

٩٤ فصل

سبحان الملك العظيم الذى من عرفه خافه وما أمن مكره قط من
عرفه لقد تأملت امرا عظيما انه عز وجل يمهل كأنه يهمل فيرى ايدى
العصاة مطلقة كأنه لا مانع فاذا زاد الانبساط ولم ترعوا
العقول اخذ اخذ جبار وانما كان ذلك الامهال ليبلو صبر
الصابر وليملى فى الامهال للظالم فيثبت هذا على صبره ويجزى هذا
بقبيح فعله مع ان هنالك من الحلم فى طى ذلك مالا نعلمه فاذا
اخذ اخذ عقوبة رأيت على غلطة نقطه وربما جمعت

العاصى بالحجر الدائم وربما خفى على الناس عقوبته فقيل فلان من اهل الخير
فما وجه ما جرى له فيقول القدر حدود الذنوب خفيه صار استيفاؤها
ظاهرا فسبحان من ظهر حتى لا خفاء به واستتر كأنه لا يعرف ولم يهمل
حتى طمع فى مسامحته وناقش حتى تحيرت العقول من مؤاخذته
لا حول ولا قوة الا به

٩٥ فصل

تأملت العلم والميل اليه والتشاغل به فاذا هو يقوى القلب قوة به
الى نوع فساده ولولا قوة القلب وطول الأمل لم يقع التشاغل به
فانى اكتب الحديث ارجوان اروبه وابتدى بالتصنيف ارجوان
اتممه فاذا تأملت الى باب المعاملات قل الامل ورق القلب ودمعت
العين وجاءت الدموع وطابت المناجاة وغشيت السكينة وحرت
كأنى فى مقام المراقبة الا ان العلم افضل واقوى حجة واعلى رتبة
وان حدث منه ما شكوت منه والمعاملة وان كثرت الفوائد التى
اشرت اليها فانها قريبة من احوال الجبان الكسلان الذى قد انتفع
بصلاح نفسه عن هداية غيره وانفرد بعزلته عن اجتذاب الخلق
الى ربهم فالصواب العكوف على العلم مع تلذيع النفس باسباب
المرققات تلذيعا لا يقدح فى كمال التشاغل بالعلم فانى
اكره لنفسى من جهة ضعف قلبى ورقته ان اكثر زيارة القبور
وان احضر المحتضرين لان ذلك يوثر فى فكرى ويخرجنى
عن حيز المتشاغلين بالعلم الى مقام الفكر بالموت ولا انتفع
بنفسى مدة وفصل الخطاب فى هذا انه ينبغى ان يقاوم

المرض بضده فمن كان قلبه قاسيا شديد القسوة وليس عنده من المراقبة
ما يكفه عن الخطا قاوم ذالك بذكر الموت ومحاضرة المحتضرين فانا
من قلبه شديد الرقة فيكفيه مانه بل ينبغي له ان يتشاغل بما
ينسيه ذالك لينتفع بعيشه وليفهم مايفتي به وقد كان
الرسول صلى الله عليه وسلم يمزح وليسابق عائشة ويتلطف
بنفسه فمن سيرته عليه الصلاة والسلام فهم من مضمونها ماقلته
من التلطف بالنفس

٩٦ فصل

اظرف الاشياء افاقة المحتضر عند موته فانه يتنبه انتباها لايوصف
ويقلق قلقا لايحد ويتلهف على زمانه الماضي ويود لو ترك و
التدارك ويصدق توبته على مقدار يقينه بالموت ويكاد يقتل
نفسه قبل موتها بالاسف فلو وجدت ذرة من تلك الاحوال
في اوان العافية حصل لك مقصود من العمل بالتقوى فالعاقل
من مثل تلك الساعة وعمل بمقتضى ذالك فان لم يتهيأ تصوير
ذالك على حقيقة تخاليه على قدر يقظته فانه يكف كف الهوى
ويبعث على الجد فاما من كانت تلك الساعة نصب عينيه
كان كالأسير لها كما روى عن حبيب العجمي انه كان اذا اصبح يقول
لامرأته ان مت اليوم ففلان يغسلني وفلان يحملني وقال معروف
لرجل صل بنا الظهر فقال ان صليت بكم الظهر لم اصل بكم العصر
فقال وكانك تؤمل ان تعيش الى العصر نعوذ بالله من طول

الامل وذكر

الامل وذكر رجل رجلا بين يديه بغيبة فجعل معروف يقول له اذكر
القطن اذا وضعوه على عينيك

٩٧ فصل

ربما اخذ المتيقظ بيت شعر فاخذ منه اشارة انتفع بها قال الجنيد
ناولني سري رقعة فيها مكتوب سمعت حاديا في طريق مكة
شرفها الله تعالى يقول شعر

× ابكي حمايد ريك ما يبكيني × ابكي حذار ان تفارقيني ×
× وتقطعي حبلي وتهجريني ×

فانظر رحمك الله ووفقك الى تأثير هذه الابيات عند سري حتى
احب ان يطلع منها الجنيد على ما اطلع عليه ولم يصلح لك اطلاع
على سر مثلها الا الجنيد فان اقواما فيهم كثافة طبع وخشونة فهم
قال بعضهم لما سمع مثل هذه ان كان يشار بهذه الى الحق فالحق
عز وجل لا يشار اليه بلفظ تأنيث وان كان الى امرأة فان
الزهد انتهى ولعمري ان هذا حد اهل الغفلة اذا سمعوا
مثل هذا ولذالك ينهى عن سماع القصائد واقوال اهل
الغناء لان الغالب حمل تلك الابيات على مقاصد النفس
وغلبات الهوى ومن اين لنا مثل الجنيد وسري واذا وجدنا
مثلهما فهما خبيران بما يسمعان فاما اعتراض هذا الكثيف

الطبع فالجواب ان سريا لم يأخذ الاشارة من اللفظ ولم يقيس
ذالك على مطلوبه فيصيره تأنيثا او تذكيرا وانما اخذ الاشارة
من المعنى وكان يخاطب حبيبه بمعنى الابيات فيقول ابكى حذارا
من اعراضك وابعادك فهذا الحاصل له وما التفت قط الى تذكير
ولا الى تأنيث فافهم هذا ومازال المتيقظون ياخذون الاشارة
من مثل حتى كانوا يأخذونها من هذا الذى تقوله العامة ويلقبونه
بكان وكان قرأت بخط ابن عقيل عن بعض مشائخه الكبار
انه سمع امرأة تنشد كان وكان

× غسلت له طول الليل × فركت له طول النهار × خرج يعاتب غيرى
× زلق وقع فى الطين ×

فاخذت ذالك اشارة معناها يا عبدى انى حسنت خلقك و
اصلحت شأنك وقومت بنيتك فاقبلت على غيرى فانظر عواقب
خلافك الى وقال ابن عقيل وسمعت امرأة تقول من هذا المكان
وكان كلمة بقيت فى قلقها مدة كان وكان كم كنت بالله اقول لك
لذا التوانى غائلة وللقبيح ضميره تبين بعد قليل × قال ابن
عقيل فما اوقعه من تجميل على اهمالنا للامور غدى تبين ضمائرها بين
يدى الله عز وجل

فصل ٩٨

امكننى تحصيل شئ من الدنيا نوع من انواع الرخص فكنت كلما

حصل شئ منه

حصل شئ منه فاتنى من قلبى شئ فكلما استنارت لى طريق التحصيل تجدد
فى قلبى ظلمة فقلت يا نفس السوء الاثم حزاز القلوب وقد قال
استفت قلبك نفسك فلا خير فى الدنيا كلها اذا كان فى القلب
منها شئ اوجب نوع كدر وان الجنة لو حصلت بسبب يقدح فى
الدين او فى المعاملة ما لذت والنوم على الخزازم سلامة القلب
من الكدر الا من تكاة الملوك ومازلت اغلب نفسى تارة و
تغلبنى اخرى ثم تدعو الحاجة الى تحصيل ما لابد لها منه وتقول
فما اتعدى فى الكسب المباح فى الظاهر فقلت لها اليس الورع
يمنع من هذا قالت بلى قلت اليس القسوة فى القلب تحصل به قالت
بلى قلت فلا خير لك فى شئ هذا ثمرته فخلوت يوما بنفسى فقلت
لها ويحك اسمعى احدثك ان جمعت شيئا من الدنيا من وجه
فيه شبهة افأنت على يقين من انفاقه قالت لا قلت فالمحنة ان
يحظى به الغير ولا تنالين الا الكدر العاجل والوزر الذى لا يؤمن
ويحك اتركى هذا الذى يمنع من الورع لاجل الله فعامليه بتركه
وكانك لا تزيدين لا تتركى الا ما هو محرم فقط وما لا يصح وجهه
او ما سمعت ان من ترك شيئا لله عوضه خيرا منه مالك عبرة فى
اقوام جمعوا فحازه سواهم واملوا فما بلغوا مناهم كم من عالم جمع
كتبا كثيرة ما انتفع بها وكم من منتفع ما عنده عشرة اجزاء كم من
طيب العيش لا يملك دينارين وكم من ذى قناطر منغص مالك

لفظ ضح

المزايل

خميرة ن
خمائر

فطنته تلمح احوال من يترخص من وجه فيسلب منه من اوجه ربما
نزل المرض بصاحب او ببعض من فيها فانفقوا فى سنته اضعاف
ما ترخص فى كسبه والمنفق معافى فضجت النفس من لومى وقالت
اذا لم انقص واجب الشرع فما الذى تريد منى فقلت لها اظن
بك عن العيز وانت اعرف بباطن امرك قالت فقل لى
ما اصنع قلت عليك بالمراقبة لمن يراك ومثلى نفسك بحضرة
معظم من الخلق فانك بين يدى الملك الاعظم يرى من باطنك ما
يرى المعظمون من ظاهرك فحذرى بالاحوط واحذرى من الترخص
فى بيع اليقين والتقوى على الهوى فان وقع الطبع مما تلقين
فتولى له مهلاً فما انقضت مدة الاشارة والله يرشدك الى
التحقيق ومعينك بالتوفيق انتهى

بعاجل

٩٩ فصل

مازلت اسمع عن جماعة من الاكابر وارباب المناصب انهم يشربون
الخمور ويفسقون ويظلمون ويفعلون اشياء توجب الحدود فبقيد
اتفكر واقول متى ثبت على مثل هؤلاء مايوجب حدا فلو ثبت فمن
يقيمه واستبعد هذا فى العباده لانهم فى مقام احترام لاجل مناصبهم
فبقيت اتفكر فى تعطيل الحد الواجب عليهم حتى رأيناهم قد
نكبوا واخذوا وامرات ومرّت عليهم العجائب فعوقبوا ظلماً باخذ
اموالهم فاخذت منهم الحدود مضاعفة بعد الحبس الطويل

والقيد الثقيل

والقيد الثقيل والذل العظيم الوبيل وفيهم من قتل بعد ملاقاة
كل شدة فعلمت انه مايهمل شئ فالحذر الحذر فان العقوبة بالمرصاد

١٠٠ فصل

اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع فمن ذالك
حفظ ماله وطلب تنميته والرغبة فى زيادته لانه سبب بقاء
الانسان مثاله فقد نهى عن التبذير فيه فقيل له ولاتؤتوا السفهاء
اموالكم فاعلم انه سبب لبقائه التى جعل الله لكم قياما اى قواما
لمعاشكم وقال عز وجل ولاتبسطها كل البسط وقال تعالى ولاتبذر
تبذيرا وقال تعالى لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذالك قواما
ومن فضيلة المال امر ان الله تعالى قال من ذا الذى يقرض الله
قرضا حسنا وقال تعالى وانفقوا فى سبيل الله وقال تعالى
ينفقون اموالهم وقال تعالى لايستوى منكم من انفق من قبل الفتح
وجعل المال نعمة وزكاته تطهيرا فقال تعالى خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وقال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وقال ماانفعنى مال كمال ابى بكر الصديق وكان
ابوبكر رضى الله عنه يخرج الى التجارة ويترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا ينهاه عن ذالك وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن اموت
بين شعبتى جبل اطلب كفاف وجهى احب الى من ان اموت غازيا
فى سبيل الله تعالى وكان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يتجرون

ومن سادات التابعين سعيد بن المسيب فمات وخلّف مالًا وكان
يحتكر الزيت ومازال السلف على هذا ثم تعرض نوائب كالمرض
يحتاج فيها الى شئ من المال فلا يجد الانسان بدا من الاحتيال فى
طلبته فيبذل عرضه او دينه ثم للنفس قوة بدنيه عند وجود المال
وهو معدود عند الاطباء من الادوية كذا حكمة وضعها الواضع و
انما نبغ اقوام طلبوا طريق الراحة فادّعوا انهم متوكلة وقالوا نحن
لا نمسك شيئًا ولا نتزود لسفر ورزق الابدان يأتى وهذا على
مضادة الشرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة
المال وموسى عليه السلام لما سافر فى طلب الخضر تزوّد ونبينا محمد
صلى الله عليه وسلم لما هاجر تزوّد وابلغ من هذا قوله تعالى و
تزوّدوا فان خير الزاد التقوى ثم يدعى هؤلاء المتصوفة بغض
الدنيا فلا يفهمون ما الذى ينبغى ان يبغض ويرون زيادة الطلب
للمال حرصا وشرها وفى الجملة انما اخترعوا بارائهم طريقا فيها
شبها من الرهبانية اذا صدقوا او شئ من البهرجة اذا انصبوا
شباك الصيد بالتزهد فسموا ما يصل اليهم من الارفاق فتوحا
قال ابن قتيبة فى غريب الحديث فى قوله صلى الله عليه وسلم واليد
العليا هى المعطية قال فالعجب عندى من قوم يقولون هى الآخذة
ولا ادرى هؤلاء القوم الا قوما قد استطابوا السؤال فهم يحتجون
للدناءة فامّا الشرع فانها بريئة من حالهم وفى الحديث
ضاق البلد بمواشى ابراهيم ولوط عليهما السلام فافترقا وكان

شعيب عليه السلام

شعيب عليه السلام كثير المال ثم قد ندطمعة فى زيادة الاجر من
موسى عليه السلام فقال فان اتممت عشرا فمن عندك وكان ابن عقيل
رحمه الله يقول من قال انى لا احب الدنيا فهو كذاب فان يعقوب
عليه السلام لما طلب منه ابن يامين قال هل آمنكم عليه فقالوا و
تزداد واكيل بعير فقال خذوه وقال بعض السلف من ادّعى بغض
الدنيا فهو عندى كذاب الا ان يثبت عندى صدقه فاذا ثبت
صدقه فهو مجنون وقد نفر جماعة من المتصوفة خلقا من الخلق
من الكسب واوحشوا بينهم وبينه وهوى الكسب دأب الانبياء
والصالحين وانما طلبوا طريق الراحة وجلسوا على الفتوح فاذا
شبعوا رقصوا فاذا انهضم الطعام اكلوا فان لاحت لهم على غنى
حيلة اوجبوا عليه دعوة اما بسبب شكر او بسبب استغفار و
الهمّ الطامات ادعاؤهم ان هذا قربة وقد انعقد اجماع العلماء
ان من ادّعى الرقص قربة الى الله تعالى كفر فلو انهم قالوا مباح
كان اقرب حالا وهذا الان القرب لا تعرف الا بالشرع وليس فى
الشرع امر بالرقص ولا ندب اليه ولقد بلغنى عن جماعة منهم انهم كانوا
يوقدون الشمع فى وجوه المردان وينظرون اليهم فاذا سئلوا
عن ذلك سخروا بالسائل فقالوا نعتبر بخلق الله تعالى افترى
انهم اقوى من النبى صلى الله عليه وسلم حين اجلس الشاب الذى وفد
عليه من وراء ظهره وقال وهل كانت فتنة داود الا من النظر
هيهات لقد تملك الشيطان تلك الازمة فقادها الى ما اراد

والعجب ممن يذم الدنيا وهو يأكل ويشبع ولا ينظر من اين المطعم
وما زال صالحوا السلف كانوا يفتشون على المطعم حتى كان ابراهيم
ابن ادهم ليسهر هو واصحابه ويقولون مع من نعمل غدا وكان سري
السقطي يعرف بطيب الغذاء وله في الورع مقامات فجاء قوم
يتسمون بالصوفية يدعون اتباع هؤلاء السادة وياكلون من
مال فلان وهم يعرفون اصول تلك الاموال ويقولون رزقنا
فواعجبا اذا كان الاكل من اين ولا امتناع من شهوة ولا تقلل ولا
يخلو الرباط من المطبخ ولا ينقطع ليله واصله من مال قد عرف
من اين هو والجام دائر والمغني يدف بدف فيه جلاجل ورفيقه
بالشبابة وسعدى وليلى في الانشاد والمردان في السمع ثم يذم
الدنيا بعد هذا فقولوا لنا من يتلهى بالناس ولكن من مرت عليهم
ورحيهم فانه اخس منهم

١٠٦ فصل

عرض لي في طريق الحج خوف من العرب فسرنا على طريق خيبر
فرأيت من الجبال العالية والطرق العجيبة ما اذهلني وزادت عظمة
الخالق عز وجل في صدري فصار يعرض له عند ذكر تلك الطريق من
نوع تعظيم لا اجده عند ذكر غيرها فصحت بالنفس ويحك اعبري
الى البحر وانظري اليه والى عجائبه المسكر تشاهدي اهوالا هي
اعظم من هذه ثم اخرجي عن الكون والتفتي اليه فانه تريه بالاضافة
الى السموات والافلاك كذرة في فلاة ثم جولي بالافلاك

وطوفي حول العرش

وطوفي حول العرش وتلمحي ما في الجنان والنيران ثم اخرجي من
الكل والتفتي اليه فانك تشاهدينه في قبضة القادر الذي لا
تقف قدرته عند حد ثم التفتي اليك فتلمحي بدايتك ونهايتك وتفكري
فيما قبل البداية وليس الا العدم وفيما بعد البلا ليس الا التراب
فكيف يأنس بهذا الوجود من ترك بعين فكره المبدأ والمنتهى
وكيف تغفل القلوب عن ذكر هذا الاله العظيم بالله لو صحت النفوس
من سكر هواها لذابت من خوفه ولغابت من حبه غير ان الحسن
غلب فعظمت قدرة الخالق عند رؤية جميل وان الفطنة لو تلمحت
المعاني لدلت القدرة عليه اوفى من دليل الجبل سبحان من شغل
الخلق اكثر بما هم فيه عما خلقوا له سبحانه

١٠٧ فصل

للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل فلا للمبتلى من الصبر
الى ان ينقضي اوان البلا فان تقلقل قبل الوقت لم ينفع التقلقل
كما ان المادة اذا انحدرت الى عضو فانها لن ترجع فلا بد من
الصبر الى حين انفصاله فاستعجال زوال البلا مع تقدير مدته
لا ينفع فالواجب الصبر وان كان مشروعا الدعاء ولا ينفع
الا به الا انه لا ينبغي للداعي ان يستعجل بل يتعبد بالصبر والدعاء
والتسليم الى الحكيم ويقطع المواد التي كانت سببا للبلا فان
غالب ان يكون عقوبة واما المستعجل فمزاحم للحكمة تريد ليس هذا

مقام العبودية وانما المقام الاعلى هو الرضى والصبر هو اللازم و
التلاحى بكثرة الدعآء نعم المعتمد والاعتراض حرام والاستعجال
مزاحمة للمدبر فافهم هذه الاشيآء فانها تهون البلا ان شآء الله
تعالى

١٠٣ فصل

ليس فى الوجود شئ اصعب من الصبر اما على المحبوب او على المكروهات
وخصوصا اذا امتد الزمان اووقع اليأس من الفرج وتلك المدة
تحتاج الى زاد يقطع به سيرها والزاد يتنوع من اجناس فمن
تلمح مقدار البلا وقد يمكن ان يكون اكثر ومنه فى حال فوقها اعظم منها
مثلا ان يبتلى بفقد ولد وعنده اعز منه ومن ذالك رجآء
العوض فى الدنيا ومنه تلمح الاجر فى الآخرة ومنه التلذذ بتصور
المدح والثنآء من الخلق فيما يمدحون عليه والاجر من الحق
عزوجل ومن ذالك بان الجزع لا يفيد بل يفضح صاحبه
الى غير ذالك من الاشيآء التى يقدحها العقل والفكر فليس
فى طريق الصبر نفقة سواها فينبغى للصابر ان يشغل لها نفسه
ويقطع بها ساعات ابتلائه وقد صبح المنزل

١٠٤ فصل

ينبغى لمن وقع فى شده ثم دعا ان لا يحتلج فى قلبه لمر من
تأخر الاجابة او عدمها لان الذى اليه يدعو والمدعو

مالك حكيم فان

مالك حكيم فان لم يجب فعل ما يشآء فى ملكه وان اخر فعل بمقتضى
حكمته فالمعترض عليه فى سره خارج عن صفة عبد ناقص لمرتبة
مستحق ثم ليعلم ان اختيار الله عزوجل له خير من اختياره لنفسه
فربما سأل سائل به ففى الحديث ان رجلا كان يسأل الله عزوجل
ان يرزقه الجهاد فهتف به هاتف انك ان غزوت اسرت وان
اسرت تنصرت فاذا اسلم العبد تحكيما لحكمته وحكمه وايقن ان
الكل بملكه طاب قلبه قضيت حاجته اولم تقض وفى الحديث
ما من مسلم دعا الله تعالى الا واجابه فاما ان يعجلها واما ان
يؤخرها واما ان يدخرها له فى الآخرة فاذا رأى يوم القيامة
ان ما اجيب فيه قد ذهب ومالم يجب فيه قد بقى ثوابه قال
ليتك لم تجب لى دعوة قط فافهم هذه الاشيآء وقد سلم قلبك
من ان يحتلج فيه ريب او استعجال

١٠٥ فصل

من اراد ان يعرف رتبة العلمآء على الزهاد فلينظر فى رتبة جبريل
وميكائيل ومن خص من الملائكة بولاية تتعلق بالخلق ويأتى
الملائكة قيام التعبد فى مراتب الرهبان فى الصوامع وقد خص
اولئك بالتقريب على مقادير علمهم بالله تعالى فاذا امر احدهم
بالوحى فزعج اهل السمآء حتى يخبرهم الخبر فاذا افزع فمن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق كما اذا انزعج الزاهد

من حديث لم يسمعه سأل العلماء عن صحته ومعناه سبحان من خص الخصوص
بخصائص شرفوا بها على جنسهم ولا خصيصة اشرف من العلم بزيادته
صار آدم مسجودا له وبنقصانه صارت الملائكة ساجدة فاقرب
الخلق من الله تعالى العلماء وليس العلم بمجرد صورته هو النافع بل معناه
وانما ينال معناه من تعلمه للعمل فكلما دله على فضل اجتهد في نيله
وكلما زادنهاه عن نقص بالعلم في مساعدته فحينئذ يكشف العلم
له سره ويسهل عليه طريقه فيصير كمجتذب بحبل الحارث فاذا
حركه عجل في سيره والذي لا يعمل بالعلم لا يطلعه العلم على
غوره ولا يكشف له عن ستر سره فيكون كمحدوث لحادث حادثه
فافهم هذا المثل وحسن قصدك والا فلا تتعب

١٠٦ فصل

اعلم ان اصلح الاصول الاعتدال في كل شيء واذا رأينا ارباب الدنيا
قد غلبت آمالهم وفسدت في الخير اعمالهم امرناهم بذكر الموت و
القبور والآخرة فاما اذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت
واحاديث الآخرة تقرى عليه وتجرى على لسانه فتذكاره الموت
زيادة على ذلك لا تفيد الا انقطاعه بمره بل ينبغي لهذا العالم
الشديد الخوف من الله تعالى الكثير الذكر للآخرة ان يشاغل
نفسه عن ذكر الموت ليمتد نفس امله قليلا فيضعف ويعمل اعمال

خير ويقدر على طلب ولد فاما اذا هاج بذكر الموت كانت مفسدته
عليه اكثر من مصلحته الم تسمع ان النبي صلى الله عليه وسلم سابق
عائشة رضي الله عنها فسبقته وسابقها فسبقها وكان يمزح
ويشاغل نفسه فان مطالعة الحقائق على التحقيق تفسد البدن
وتزعج النفس وقد روي عن احمد ابن حنبل رحمة الله عليه انه
سأل الله تعالى ان يفتح عليه باب الخوف ففتح عليه فخاف على
عقله فسأل الله ان يرد ذلك عنه فتأمل هذا الأصل فانه لابد
من مغالطة النفس وفي ذلك صلاحها والسلام

١٠٧ فصل

من اعمل فكره الصافي دله على اشرف المقامات ونهاه عن الرضى
بالنقص في كل حال وقد قال ابو الطيب المتنبي

× ولم ار في عيوب الناس عيبا × كنقص القادرين على التمام ×

فينبغي للعاقل ان ينتهي الى غاية ما يمكنه فلو كان يتصور للآدمي
صعود السموات لرأيت من اقبح النقائص رضاه بالارض ولو
كانت النبوة تحصل بالاجتهاد لرأيت المقصر في تحصيلها في
حضيض غيه انه اذا لم يمكن ذلك فينبغي ان يطلب الممكن و
السيرة الجميلة عند العلماء خروج النفس الى غاية كمالها الممكن
لها في العلم والعمل وانا اشرح من ذلك ما يدل مذكوره على

مغفلة اما فى البدن فليست الصورة داخلة تحت كسب الآدمى
بل يدخل تحت كسبه تحسينها وتزيينها فقبيح بالعاقل اهمال
نفسه وقد نبه الشرع على الكل بالبعض فامر بقص الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة ونهى عن اكل الثوم والبصل النيئ
لاجل الرائحة وينبغى له ان يقيس على ذالك ويطلب غاية
النظافة ونهاية الزينة وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعرف
بجيئه بريح الطيب فكان الغاية فى النظافة والنزاهة و
لست آمر بزيادة التقشف الذى يستعمله الموسوس او
المترفون ولكن التوسط هو المحمود ثم ينبغى له ان يرفق ببدنه
الذى هو راحلته ولا ينقص من قوتها فتنقص قوتها ولست
آمر بالشبع الذى يوجب الجشاء به انما آمر بالتوسط فان
قُوَى الآدمى كعين جارية كم فيها من منفعة لصاحبها ولغيره
ويعين صانعا ولا يلتفت الى قول الموسوسين من المتزهدين
الذين جدوا فى التقلل فضعفوا عن الفرائض وليس ذالك
من الشرع ولا نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه
انما كان الرسول واصحابه اذا لم يجدوا رجاعوا وربما آثروا
فصبروا ضرورة وكذلك ينبغى ان ينظروا لهذه الراحلة فى
علفها فرب لقمة منعت لقمات فلا يعطيها ما يؤذيها بل
ينظر لها بالاصلح ولا يلتفت الى المتزهد يقول لا ابلغها

الشهوات فان

الشهوات فان النظر ينبغى ان يكون فى حل المطعم واخذ ما
يصلح بمقدار ولم ينقل عن الرسول ولا عن اصحابه ما احدث
الموسوسون فى ترك المشتهيات على الاطلاق انما نقل عنهم تركها
لسبب اما للنظر فى حلها او للخوف من مطالبة النفس بها فى كل
وقت ويجوز ذالك ثم ينبغى له ان يجتهد فى التجارة والكسب
ليفضل على غيره ولا يفضل غيره عليه وليبلغ من ذالك غاية
لا يمنعه عن العلم ثم ينبغى له ان يطلب النهاية فى العلم ومن
اقبح النقص التقليد فان قويت همته رقته الى ان يختار لنفسه
مذهبا ولا يتمذهب لاحد فان المقلد اعمى يقوده مقلده
ثم ينبغى ان يطلب الغاية فى معرفة الله تعالى ومعاملته وفى
الجملة لا يترك فضيلة يمكن تحصيلها الا حصلها فان التنوع
ما نزل المبارك حالة الا دار ذل

× فكن رجلا رجله فى الثرى × وهامة همته فى الثريا ×

ولو امكنك عبور كل احد من العلماء والزهاد فافعل فانهم
كانوا رجالا وانت رجل وما قعد من قعد الا لدناءة الهمة
وخساستها واعلم انك فى ميدان سباق والاوقات تلتهب
ولا تخلد الى كسل فما فات ما فات من فات الا بالكسل ولا نال
من نال الا بالجد والحزم وان الهمة لتقع فى القلوب غليان
ما فى القدور وقد قال بعض من سلف شعرا

× ليس لمال سوى كرمى × فيه امنى من العدم ×

× قَنَعَتْ نفسي بما رُزِقَتْ × وتَمَّتْ في العلا همي ×

١٠٨ فصل

ليس في الدنيا انفع للعلمآء من جمع المال لاستغنآء عن الناس فانه اذا ضم الى العلم حيز الكمال وان جمهور العلمآء شغلهم العلم عن الكسب فاحتاجوا الى مالابد منه وقلّ الصبر فدخلوا مداخل شانتهم وان تأولوا فيها الاان غيرها كان احسن لهم فالزهري مع عبد الملك وابو عبيدة مع طاهر بن الحسين وابن ابي الدنيا مؤدب المعتضد وابن قتيبة فصد ركتابه بمدح الوزير ومازال خلق من العلمآء والزهاد يغشون في ظل جماعة من المعروفين بالظلم وهؤلآء وان كانوا سلكوا طريقا من التاويل فانه فُقِد من قلوبهم وكمال ذينهم اكثر مما نالوا من الدنيا وقد رأينا جماعة من المتصوفة والعلمآء يغشون الولاة لاجل نيل ما في ايديهم فمنهم من يداهن ويرآئي ومنهم من يمدح بما لا يجوز ومنهم من يسكت عن منكر الى غير ذلك من المداهنات وسببها الفقر فعلمنا ان كمال الخير العزوبعد الريا انما يكون في البعد عن العُمّال الظلمة ولم نر من صح له هذا الا في احد رجلين اما من كان له مال كسعيد بن المسيب كان يتجر بالزيت وغيره وسفيان الثوري كانت له بضائع

يعد
يعيشون

وابن المبارك

وابن المبارك واما من كان شديد الصبر قنوعا بما رزق وان لم يكفه كبشر بن الحافي واحمد بن حنبل ومتى لم يجد الانسان كصبر هذين ولا كمال اولئك فالظاهر تقلبه في المحن والافات وربما تلف دينه فعليك يا طالب العلم بالاجتهاد في جمع المال للغنى عن الناس فانه يجمع لك دينك فما رأينا في الاغلب منافقا في الدين والتزهد والتخشع ولا آفة طرأت على عالم الا بحب الدنيا وغالب ذلك الفقر فان كان من له من يكفيه ثم يطلب بتلك المخالطة للزيادة فذلك معدود في اهل الشره خارجا عن حيز العلمآء نعوذ بالله من تلك الاحوال

١٠٩ فصل

اعظم دليل على فضيلة الشئ النظر الى ثمرته ومن تأمل ثمرة الفقه علم انه افضل العلوم فان ارباب المذاهب فاقوا بالفقه على الخلائق بدا وان كان في زمن احدهم من هو اعلم منه بالقرآن او بالحديث او باللغة واعتبر هذا باهل زماننا فانك ترى الشاب يعرف مسائل الخلاف الظاهرة فيستفتى ويعرف حكم الله تعالى في الحوادث ما لا يعرفه النحرير من باقي العلمآء وكم قد رأينا مبرزا في علم القرآن او في الحديث او في

التفسير او في اللغة لايعرف معظم احكام الشرع وربما جهل علم
ما يجب في صلاته على انه لاينبغي للفقيه ان يكون اجنبيا من
باقي العلوم فانه لايكون فقيها بل ياخذ من كل علم ثم يتوفر
على الفقه فانه عز الدنيا والآخرة

١١٠ فصل

رأيت كثيرا من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة ولا يتحاشون
من غيبة ويكثرون من الصدقة ولا يبالون من معاملات الربا
ويتهجدون بالليل ويؤخرون الفريضة عن الوقت في
اشياء يطول عددها من حفظ فروع وتضييع اصول فبحثت
عن سبب ذلك فوجدته من شيئين احدهما العادة
والثاني غلبة الهوى في تحصيل المطلوب فانه قد يغلب
فلا يترك سمعا ولا بصرا ومن هذا القبيل ان اخوة يوسف
قالوا حين سمعوا صوت المنادي انكم لسارقون لقد
علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فجاء في
التفسير انهم لما دخلوا مصر كعموا افواه ابلهم لئلا تتناول
ما ليس لهم فكانهم قالوا قد رأيتم ما صنعنا بابلنا فكيف
نسرق ونسواهم تفاوت ما بين الورع واختطاف اكلة
لا يملكونها وبين القاء يوسف عليه السلام في الجب

وبيع بثمن بخس

وبيعه بثمن بخس وفي الناس من يطيع في صغار الامور دون
كبارها وفيما كلفته عليه حقيقة او معتادة وفيما لا ينقص
شيئا من عادته في مطعم او ملبس قوي فزري اقواما ياخذون
بالرياء ويقول احدهم كيف يراني عدوي بعين اني بعت داري
او تغير ملبوسي ومركوبي ورأيت اقواما يوسوسون في
الطهارة ويستعملون الكثير ولا يتحاشون من غيبة واقواما
يستعملون التأويلات الفاسدة في تحصيل اغراضهم مع علمهم
انها لا تجوز حتى اني رأيت رجلا من اهل الخير والتعبد اعطاه
رجل مالا ليبني به مسجدا فاخذه لنفسه وانفق عوض
الصحيح غراضه فلما احتضر قال لذلك الرجل اجعلني في
حل فاني فعلت كذا وكذا ونرى اقواما يتركون الذنوب
لبعدهم عنها فقد الفوا الترك فاذا قربوا منها لم يتمالكوا وفي
الناس من هذه الفنون عجائب يطول ذكرها وقد علمنا
ان خلقا من علماء اليهود كانوا يحملون ثقل التعبد في دينهم
فلما جاء الاسلام وعرفوا صحته لم يطيقوا مقاومة اهوائهم
في محو رياستهم وكذلك قيصر فانه عرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالدليل ثم لم يقدر على مقاومة هواه وترك
ملكه فالله الله في تضييع الاصول ومن اهمال سرح الهوى
فانه ان اهملت ماشية تفشت في زروع الشر وما

مثل الهوى الاكسبع فى عنقه سلسلة فان استوثق منه
ضابطه كفه وربما لاحت له شهواته الغالبة عليه فلم يقاومها
السلسلة فافلت على ان من الناس من يكف هواه بسلسلة
ومنهم من يكفه بخيط فينبغى للعاقل ان يحذر شياطين الهوى
وان يكون بصيرا بما يقوى عليه من اعدائه بمن يقوى عليه

١١١ فصل

من اعظم الغلط الثقة بالناس والاسترسال الى الاصدقاء فان
اشد الاعداء والاكثرهم اذى الصديق المنقلب عدوا لانه قد
اطلع على خفى السر قال الشاعر

× احذر عدوك مرة × واحذر صديقك الفه ×
× فلربما انقلب الصديق فكان ادرى بالمضره ×

واعلم ان من الامر الموضوع فى النفوس الحسد على النعم والغبطة
وحب الرفعة فاذا راك من يعتقدك مثلا له وقد
ارتقيت عليه فلا بد ان يتأثر وربما حسد فان اخوة
يوسف عليه السلام من هذا الجنس جرى لهم فان قلت
كيف يبقى الانسان بلا صديق قلت لك اتراك ما تعلم
ان المجانس بحسد وان اكثر العوام يعتقدون فى العالم
انه لا يشبع ولا يتناول من شهوات الدنيا شيئا فاذا رأوا

بعض انبساطه

بعض انبساطه فى المباح هبط من اعينهم فاذا كانت هذه
حالة العوام وتلك حالة الخواص فمع من تكون المعاشرة
لا بل والله لا تصلح المعاشرة مع النفس لانها ملعونة و
ليس الا المداراة للخلق والاحتراز منهم واتخاذ المعارف
من غير طمع فى صديق صادق فان ندر فليكن غير مماثل لان
الحسد اليه اسبق ولكن مرتفعا عن رتبة العوام غير طامع
فى نيل مقامك وان كان معاشرة هذا لا تشفى لان
المعاشرة ينبغى ان تكون بين العلماء للتجانس لزمهم من الاشارات
فى المخالطة ما يطيب به المجالسة ولكن لا سبيل الى الوصال
ومثل هذا الحال انك ان استخدمت الاذكياء عرفوا باطنك و
ان استخدمت الابله انعكست مقاصدك فاجعل الاذكياء
لحوائجك الخارجة والبله فى حوائجك فى منزلك لئلا يعلموا
اسرارك واقنع من الاصدقاء بمن وصفت لك ثم لا تثق
الا متدرعا درع الحذر ولا تطلعه على باطن يمكن ان يستر
عنه وكن كما يقال عن الذيب شعر

× ينام باحدى مقلتيه ويتقى × باخرى الاعادى فهو يقظان هاجع ×

١١٢ فصل

رأيت جماعة ممن افنى اوائل عمره وريعان شبابه فى طلب العلم

يصبر على انواع الاذى وهجر فنون الراحات انفة من الجهل و
رذيلته وطلبا للعلم وفضيلته فلما نال منه طرفا رفعه من مراتب
ارباب الدنيا ومن لا علم له الا بالعاجل ضاق به معاشه فسافر
البلاد يطلب من الاراذل ويتواضع للسفلة واهل الدناءة
والمكاس وغيرهم فخاطبت بعضهم وقلت ويحك اين تلك
الانفة من الجهل التى سهرت لاجلها واظمأت نهارك بسببها
فلما ارتفعت وانتفعت عدت الى اسفل سافلين فما بقى عندك
ذرة من الانفة تنبو به عن مقامات الاراذل ولا معك يسير
من العلم يسير بك عن مناخ الهوى ولا حصلت بالعلم قوة
تجذب بها زمام النفس عن مراعى السوء غير انه يبين لى ان
سهرك وتعبك كأنه لنيل الدنيا ثم انى اراك تزعم انك تريد
شيئا من الدنيا للتستعين به على طلب العلم فاعلم ان التفاتك
الى نوع كسب تستغنى به عن الاراذل افضل من التزيد فى
علمك فلم عرفت ما ينقص به لم تر ما قد عزمت عليه وزيادة
ومما يحتوى عليه من العزم السفر الذى كله مخاطرة بالنفس
وبذل الوجه الذى طالما صِنتَ لمن لا يصلح التفات مثلك
الى مثله وبعيد ان تقنع بعد شروعك فى هذا الامر بقدر
الكفاف وقد علمت ما فى السؤال بعد الكفاف من الاثم

وابعد منه ان تقدم

وابعد منه ان تقدم على الورع فى المأخوذ ومن لك بالسلامة والرجوع
الى الوطن وكم رمى قفر فى فؤاد به من هالك ثم ما تحصله يفنى
ويبقى منه مما اعطى وعيب المتفقهين اياك واقتداء الجاهلين
بك ويكفيك انك عدت على ما علمت من ذم الدنيا شينه
اذا فعلت ما ينا قضه خصوصا وقد مر اكثر العمر ومن احسن
فيما مضى يحسن فيما بقى

١١٣ فصل

رأيت الشره فى تحصيل الاشياء يفوت الثمره مقصودها وقد
رأينا من كان شرها فى جمع المال فحصل له الكثير منه وهو حريص
على الازدياد ولو فهم لعلم ان المراد انفاقه فى العمر فاذا انفق
العمر فى تحصيله فات المقصود ان جميعا وكم رأينا من جمع
المال ولم يتمتع به فابقاه لغيره وافنى نفسه كما قال الشاعر

× كدودة القز ما تبنيه يهدمها × وغيرها بالذى تبنيه ينتفع ×

وكذلك رأينا خلقا كثيرا يحرصون على جمع الكتب فينفقون
اعمارهم فى كتابتها وكذلك اهل الحديث ينفقون الاعمار فى
النسخ والاستماع الى آخر العمر ثم ينقسمون فمنهم من تشاغل
بالحديث وعلمه وتصحيحه ولعله لا يفهم جواب حادثة
ولعله عنده لحديث اسلم سالمها الله مائة طريق وقد حكى
لى عن بعض اصحاب الحديث انه سمع جزء ابن عرفة عن مائة

شيخ وكان عنده سبعون نسخة ومنهم من يجمع الكتب وليسمعها
ولا يدري ما فيها لا من حيث صحتها ولا فهم معناها فتراه يقرأ
الكتاب الفلاني سماعي وعندي به نسخة وهذا الكتاب الفلاني
والفلاني فلا يعرف علم ما عنده من حيث فهم صحيح من سقيمه وقد
صده اشتغاله بذلك عن المهم من العلم فهم كما قال الحطيئة
الشاعر للاشعار يجيدها

× زوامل للاخبار لا علم عندها × بمثقلها الا كعلم الاباعر ×

× لعمرك ما يدري البعير اذا غدى × باوساقه ادراج ما في الغرائر ×

ثم ترى منهم من متصدر ويفتقر الزمان الى تصدره الى الزاوية فيمد
يده الى ما ليس من شغله فان افتى اخطأ وان تكلم في الاصول خلط
ولولا اني لا احب ذكر الناس لذكرت من اخبار كبارهم علما انهم ما خلطوا
ما يعتبر به ولكنه لا يخفى على المحقق حالهم فان قال قائل اليس
في الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا قلت
اما العالم فلا اقول له اشبع من العلم ولا اقتصر على بعضه
بل اقول له قدم المهم فان العاقل من قدر عمره وعمل بمقتضاه
وان كان لا سبيل الى العلم بمقدار العمر غير انه يبنى على الاغلب
فان وصل فقد اعد لكل مرحلة زادا وان مات قبل الوصول
حسبه يسلك واذا علم العاقل ان العمر قصير وان آداب العلم
كثير فقبيح بالعاقل الطالب الكمال الفضائل ان يتشاغل مثلا

بسماع الحديث

بسماع الحديث ونسخه ليحصل كل طريق وكل رواية وكل غريب
وهذا لا يفرغ من مقصوده منه في خمسين سنة خصوصا
ان تشاغل بالنسخ ثم لا يحفظ القرآن او يتشاغل بعلوم
القرآن ولا يعرف الحديث او بالخلاف بالفقه ولا يعرف
النقل الذي عليه معول المسئلة فان قال قائل فدبر
لي ما تختار لنفسك فاقول ذو الهمة لا يخفى من زمان الصبا
كما قال سفيان بن عيينة قال لي ابي وقد بلغت خمسة عشر
سنة انه قد انقضت عنك شرائع الصبا فاتبع الخير تكن
من اهله فجعلت وصية ابي قبلة اميل اليها ولا اميل عنها
ثم قبل شروعي في الجواب اقول ينبغي لمن يكون له انفة ان
يانف من التقصير الممكن دفعه عن النفس فلو كانت النبوة مثلا
تاتي بكسب لم يجز له ان يقنع بالولاية ولو تصور ان يكون مثلا
خليفة لم يحسن به ان يقنع بامارة ولو صح له ان يكون ملكا
لم يرض ان يكون بشرا والمقصود ان ينتهي بالنفس الى كمالها
الممكن لها في العلم والعمل وقد علم قصر العمر وكثرة العلم
فليبتدي بالقران وحفظه وينظر في تفسيره نظرا متوسطا
لا يخفى عليه بذلك منه شئ وان صح له قرائة القراءات
السبعة وشيئا من النحو وكتب اللغة وابتدأ باصول الحديث

نسخة الألوكة www.alukah.net

من حيث النقل كالصحاح والمسانيد والسنن ومن حيث
علم الحديث كمعرفة الضعفاء والاسماء فلينظر في اصول ذلك
وقد رتب العلماء من ذلك فليستغن به الطالب عن التعب
ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني عنه كنسب الرسول
صلى الله عليه وسلم واقاربه وازواجه وما جرى له ثم يقبل على
الفقه فلينظر في المذهب والخلاف وليكن اعتماده على مسائل
الخلاف فلينظر في ~~المسائل~~ المسئلة وما تحتوي عليه فيطلبه
من مظانه كتفسير آية وحديث وكلمة لغة ويتشاغل بما
باصول الفقه وبالغرائض وليعلم ان الفقه عليه مدار العلوم
ويكفيه من النظر في علم الاصول ما يستدل به على وجود الصانع
فاذا اثبته بالدليل وعرف ما يجوز عليه مما لا يجوز واثبت
ارسال الرسل وعلم وجوب القبول منهم فقد احتوى على
المقصود من علم الاصول فان اتسع الزمان للتزيد من
العلم فليكن من الفقه فانه الانفع ومهما فسح له في المهل
فامكنه تصنيف في علم فانه يخلف بذلك خلفه خلفا
صالحا مع اجتهاده في التسبب الى اتخاذ الولد ثم يعلم
ان الدنيا معبره فيلتفت الى معاملة الله عز وجل فان مجموع
ما حصله من العلم يدل عليه فاذا تعرض التحقيق

معرفته ووقف

معرفته ووقف على باب معاملته فقل ان يقف صادق الا ويجذب
الى مقام الولاية ومن اريد وفق وان لله عز وجل اقواما تولى
تربيتهم وبعث اليهم في زمن الطفولة مؤدبا وليسمى العقل
ومقومنا يقال له الفهم ويتولى تأديبهم وتثقيفهم ويهيئ لهم
اسباب القرب منه فان لاح قاطع قطعهم عنه وان تعرضت
بهم فتنة دفعها عنهم نسئل الله عز وجل ان يجعلنا منهم
ونعوذ به من خذلان لا ينفع معه اجتهاد

١١٤ فصل

ان للخلوة تأثيرات لما تبين في الجلوة كم من موثق
بالله عز وجل يحزمه عند الخلوات فيترك ما يشتهي حذرا من
عقابه او رجاء لثوابه او اجلالا له فيكون بذلك الفعل كانه
طرح عودا هنديا على مجمرة يفوح طيبه فيستنشقه الخلائق
ولا يدرون اين هو وعلى قدر المجاهدة في ترك ما يقوى محبته
وعلى مقدار زيادة وقع ذلك المحبوب المتروك يزيد
الطيب ويتفاوت تفاوت العود فيرى عيون الخلق تعظم
ذلك الشخص والسنتهم تمدحه ولا يعرفونه ولا يقدرون
على وصفه لبعدهم عن حقيقة معرفته وقد تمتد هذه
الاراييح بعد الموت على قدرها فمنهم من يذكر بالخير مدة

مديده ثم ينسى ومنهم من يذكر مائة سنة ثم يخفى ذكره وقبره
ومنهم اعلام يبقى ذكرهم ابدا وعلى عكس هذا من هاب الخلق
ولم يحترم خلوته بالحق فانه على قدر مبارزته بالذنوب وعلى
مقادير تلك الذنوب يفوح منه رائحة الكراهة فتمقته القلوب
فان قل مقدار ما جنى قل ذكر الالسن له بالخير وبقى مجرد
تعظيمه وان كثر كان قصارى الامر سكوت الناس عنه لا يمدحونه
ولا يذمونه وربما نمالة بذنب كان سبب وقوعه فى هوة
شقوة فى عيش الدنيا والآخرة وكانه قيل له ابق بما اثرت فبقى
فى التخبيط فانظروا اخوانى الى اثرت وعثرت قال
ابو الدرداء رضى الله عنه ان العبد ليخلو بمعصية الله فيلقى
الله بغضه فى قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر فتلمحوا اما
سطرته واعرفوا ما ذكرته ولا تهملوا خلواتكم ولا سرائركم
فان الاعمال بالنية والجزاء على مقدار الاخلاص

١١٥ فصل

من عرف جريان الاقدار ثبت لها واجهل الناس من
قاواها بعد هذا لان مراد المقدر الذل له فاذا قاومت
القدر فنلت مرادك من ذلك لم يبق لك ذل مثال هذا
ان يجوع الفقير فيصبر قدر الطاقة فاذا عجز خرج الى السؤال

الخلق مستحيا

الخلق مستحيا من الله كيف يسألهم وان كان له عذر بالحاجة
التى الجأته غير انه يرى انه مغلوب الصبر فيبقى معتذرا مستحيا
وذلك المراد منه اولئك يخروج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة
فلا يقدر على العود اليها حتى يدخل فى خفارة المطعم بن عدي
وهو كافر فسبحان من ناط الامور بالاسباب ليحصل
ذل العارف بالحاجة الى التسبب

١١٦ فصل

سبحان المتصرف فى خلقه بالاغتراب والاذلال ليبلو صبرهم و
يظهر جواهرهم فى الابتلاء هذا آدم صلى الله عليه وسلم تسجد
له الملائكة ثم بعد قليل يخرج من الجنة وهذا نوح عليه
السلام يضرب حتى يغشى عليه ثم بعد قليل ينجو فى السفينة
ويهلك اعداؤه وهذا الخليل عليه السلام يلقى فى النار
ثم بعد قليل يخرج الى السلامة وهذا الذبيح يضجع مستلما
ثم يسلم ويبقى المدح هذا يعقوب يذهب بصره بالفراق
ثم يعود بالوصول وهذا الكليم عليه الصلاة والسلام التسليم
يشتغل بالرعى للبهيم ثم يرقى الى التكليم وهذا نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم يقال له بالامس اليتيم ويقلب فى عجائب
من الرب الرحيم يلاقيها من الاعداء تارة ومن الفقر أخرى

وهو ثابت من جبل حرى ثم لما تم مراده من الفتح وبلغ الغرض من اكبر
الملوك واهل الغبراء الارض نزل به حين النقلة فقال واكرباه
فمن تلمح بحر الدنيا وعلم كيف تتلقى الامواج وكيف يصبر على مدافعة
الايام لم يتهول نزول بلاء ولم يفرح بعاجل رجاء

١١٧ فصل

ينبغي للعاقل ان لا يقدم على العزائم حتى يرى نفسه هل يطيقها
ويجرب نفسه في ركوب بعضها سرا من الخلق فانه لا يأمن ان
يرى في حالة لا يصبر عليها ثم يعود فيفتضح مثاله رجل سمع
بذكر الزهاد فرمى بثيابه الجميلة ولبس الدون وانفرد في زاوية
وغلب على قلبه ذكر الموت والآخرة فلم يلبث تقاضى الطبع
ان الحّ بما جرت به العادة فمن القوم من عاد بمرة الاكثر مما كان
عليه كاكل الناقة من مرض ومنهم من توسط الحال فبقي
كالمذبذب وانما العاقل هو الذي ليستر نفسه بين الناس
بثوب وسط لا يخرجه من اهل الخير ولا يدخله في زيّ اهل
الفاقة فان قويت عزيمته عمل في بيته ما يطيقه وترك
ثوب التجمل لستر الحال ولم يظهر شيئا للخلق فانه ابعد
من الرياء واسلم من الفضيحة وفي الناس من غلب عليه
قصر الامل وذكر الآخرة حتى دفن كتب العلم وهذا الفعل
عندي من اعظم الخطا وان كان منقولا عن جماعة من

الكبار ولقد ذكرت

الكبار ولقد ذكرت هذا البعض مشائخنا فقال كلهم اخطأوا
وقد تأولت لبعضهم انه كان فيها احاديث عن قوم ضعفاء
ولم يميزوها كما روى عن سفيان في دفن كتبه او كان فيها شيء
من الرأي فلم يحبوا ان يؤخذ عنهم فكان من حبس حرق
عثمان بن عفان رضي الله عنه للمصاحف لئلا يؤخذ شيء مما
فيها من الجمع على غيره وهذا التأويل يصح في حق علمائهم فاما
غسل احمد بن ابي الحواري كتبه وابن اسباط فتفريط محض
فالحذر الحذر من فعل يمنع منه الشرع او من ارتكاب ما يظن
عزيمة وهو حظيئة او من اظهار ما يقوى عليه المظهر فيرجع
القهقرى وعليكم من العمل بما تطيقون كما قال صلى الله عليه
وسلم

١١٨ فصل

اجهل الجهال من آثر عاجلا على آجل لا يأمن سوء مغبته فكم قد
سمعنا عن سلطان وامير وصاحب مال اطلق نفسه في
شهواتها ولم ينظر في حلال ولا حرام فنزل به من الندم وقت
الموت اضعاف ما التذ ولقي من مديد الحسرات ما لا يقاومه
ولا تحذره منه كل لذة ولو كان هذا محسب لكفى حزنا وكيف
والجزاء الدائم بين يديه فالدنيا محجوبة للطبع لا ريب في ذلك
ولا انكر على طالبها ومؤثر شهواتها ولكن ينبغي له ان ينظر

في كسبها ويعلم وجه اخذها ليسلم له عاقبة لذته الا فلا خير
في لذة من بعدها النار وهل عُدَّ في العقلاء قط من قيل له
اجلس في المملكة سنة ثم نقتلك صبيحة بل الامر بالعكس
وهوان العاقل من صابر مرارة الجهد سنة بل سنين ليستريح
في عاقبته وفي الجملة أُفٍّ للذة اعقبت عقوبة وقد اخبرنا عبد الرحمن
ابن محمد القزاز قال اخبرنا ابو بكر الخطيب قال اخبرنا الحسن
ابن ابي طالب قال حدثنا يوسف بن عمر القواس قال حدثنا
الحسين بن اسماعيل املاء قال حدثنا عبد الله بن ابي سعد
قال حدثنا محمد بن مسلمة البلخي قال حدثنا محمد بن علي القوهستاني
قال حدثنا دلف بن ابي دلف قال رأيت كان آتيًا اتى بعد
موت ابي فقال اجب الامير فقمت معه فادخلني دارا وحشة
وعرة سوداء الحيطان مغلقة الابواب والسقوف ثم اصعدني
درجا فيها ثم ادخلني غرفة فاذا في حيطانها اثر النيران واذا
في ارضها اثر الرماد واذا ابي عريان واضعًا رأسه بين ركبتيه
فقال لي كالمستفهم دلف قلت نعم اصلح الله الامير فانشأ
يقول شعرا

× ابلغ بني اهلنا ولا تخف عنهم × ما لقينا في البكا الخفاق ×
× قد سئلنا عن كل ما قد فعلنا × فارحموا وحشتي وما قد ألاقي ×

أفهمت قلت نعم فانشأ يقول شعرا

× فلو انا اذا متنا تُرِكْنا × لكان الموت راحة كل حي ×
× ولكنا اذا متنا بعثنا × ونسئل بعده عن كل شيء ×

١١٩ - فصل

اللذات كلها بين حسي وعقلي فنهاية اللذات الحسية واعلاها
النكاح وغاية اللذات العقلية العلم فمن حصلت له الغايتان
في الدنيا فقد نال النهاية وانا ارشد الطالب الى اعلا المطلوبين
غير ان للطالب المرزوق علامة وهو ان يكون مرزوقا علو الهمة
وهذه الهمة تولد مع الطفل فتراه من زمن طفولته يطلب
معالي الامور كما يروى في الحديث انه كان لعبد المطلب مفرش
في الحجر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي وهو طفل فيجلس
عليه فيقول عبد المطلب ان لابني هذا شأنا فان قال قائل
فاذا كانت الهمة ولم ارزق ما اطلب فما الحيلة فالجواب انه
اذا امتنع الرزق من نوع لم يمتنع من نوع آخر ثم من البعيد ان
يرزقك همة ولا يعينك فانظر في حالك فلعله اعطاك
شيئا ما شكرت وابتلاك بشيء ما صبرت عنه من الهوى واعلم
انه ربما زوى عنك من لذات الدنيا كثيرا ليوفرك على لذات
العلم فانك ضعيف بما لا تقوى على الجمع فهو اعلم بما يصلحك
واما ما اردت شرحه لك فان الشاب المبتدئ في طلب العلم
ينبغي له ان يأخذ من كل علم طرفا ويجعل علم الفقه

اكبر الاهم ولا يقصر في معرفة النقل فيه يبين سير الكاملين واذا
رزق فصاحة من حيث الوضع ثم اضيف اليها معرفة اللغة و
النحو فقد شحذت شفرة لسانه على اجود مسن ومتى ادى العلم
لمعرفة الحق عز وجل وخدمة الله تعالى فتحت له ابوابا لا تفتح
لغيره وينبغي بالتلطف ان يجعل جزءً من زمانه مصروفا الى
توفير الاكتساب والتجارة مستعينا فيها غير مباشر لها مع التدبير
في العيش الممتنع من الاسراف والتبذير فان رواية العلم
والعمل به الى درجة المعرفة لله عز وجل فربما شغلته لذة
ما وصل اليه من كل شيء وبالها حالة سليمة من آفة وان
وجد من طبعه منازعا الى الشوق في النكاح فليتخير السراري
فان الحرائر في الاغلب غل وليعزل عن المملوكات الحان
يجري خلقهن بودينهن فان رضيهن طلب الولد منهن والا
فالاستبراء بهن يسهل ولا يتزوج حرة الا ان يعلم انها
تصبر على التزويج عليها والتسري به ولكن قصده الاستمتاع
بها لاجهاد النفس في الانزال فان ذلك قوته فيضعف
الاصل فهذه الجامعة من لذتي الحس والعقل ذكرتها على وجه
الاشارة وفهم الذكي يملي عليها ما لم اشرحه

استبدال

فصل ١٢٠

في تعليم حظ

في تعليم حظ العلم اعلم ان المعلم يفتقر الى دوام الدراسة
ومن الغلط الاشتغال على الاعادة ليلا ونهارا فانه لا يلبث
صاحب هذا الحال الا اياما ثم يفتر او يمرض وقد رويتا ان
الطبيب دخل على ابي بكر بن الانباري في مرض موته فنظر الى
ما به وقال قد كنت تفعله شيئا لا يفعله احد ثم خرج وقال
ما يجئ منه شيء فقيل له ما الذي كنت تفعله قال كنت اعيد
كل اسبوع عشرة الاف ورقة ومن الغلط حفظ الكثير او
الحفظ من فنون فان القلب جارحة من الجوارح وكما ان من
الناس من يحمل المائة رطل ومنهم من يعجز عن عشرين رطلا
فكذلك القلوب فليأخذ الانسان على قدر قوته ودونها
فانه اذا استنفدها في وقت ضاعت منه اوقات كما ان
الشره يأكل فضل لقيمات فيكون سببا الى منع الاكلات و
الصواب ان يأخذ قدر ما يطيق ويعيد في وقتين من النهار
والليل ويراقب القوى في بقية الزمان والدوام اصل
عظيم فكم ممن ترك بعد الحفظ فضاع زمن طويل في استرجاع
محفوظ قد نسي وللحفظ اوقات من العمر فافضلها الصبا وما
قاربه من اوقات الزمان وافضلها اعادة الاسحار وانصاف
النهار والغدوات خير من العشيات واوقات الجوع خير من
اوقات الشبع ولا يحمد الحفظ لحفرة ولا على ناطئ

نهر لأن ذالك يلهى والاماكن العالية للحفظ خير من السوافل
والخلوة اصل وجمع الهم اصيل الاصول وترفيه من الاعادة
يوما من الاسبوع ليثبت المحفوظ وتأخذ النفس قوة كالبنيان يترك
اياما حتى يستقر ثم يبنى عليه وتقليل المحفوظ مع الدوام اصل عظيم
وان لا يشرع فى فن حتى يحكم ماقبله ومن لم يجد نشاطا للحفظ فليتركه
فان مكابرة النفس لا تصلح واصلاح المزاج من الاصول العظيمة
فان للمأكولات اثرا فى الحفظ قال الزهرى ما اكلت خلا منذ عالجت
الحفظ وقيل لابى حنيفة بم يستعان على حفظ الفقه قال بجمع الهم
وقال حماد بن سلمة بقلة الغم وقال مكحول من نظف ثوبه قل همه
ومن طابت ريحه زاد عقله ومن جمع بينهما زادت مروءته فاختار
للمبتدئ فى طلب العلم ان يدافع بالنكاح مهما امكن فان احمد بن حنبل
لم يتزوج حتى تمت له اربعون سنة وهذا لاجل جمع الهم فان
غلب عليه الامر تزوج واجتهد فى المدافعة بالفعل ليتوفر القوة
على اعادة العلم ثم لينظر ما يحفظ من العلم فان العمر عزيز والعلم
عز وان اقواما يصرفون الزمان الى حفظ ما غيره اولى منه وان كان
كل العلوم حسن ولكن الاول تقدم الاهم وافضل ما تشوغل به
حفظ القرآن ثم الفقه وما بعد هذا بمنزلة تابع ومن رزق يقظة
دلته يقظته فلم يحتج الى دليل ومن قصد وجه الله تعالى بالعلم
دله المقصود على الاحسن واتقوا الله ويعلمكم

لعله
عزيز

فصل من اراد دوام

١٢١ فصل

من اراد دوام العافية والسلامة فليتق الله عز وجل فانه ما من عبد
اطلق نفسه فى شئ ينافيه التقوى وان قل الا وجد عقوبة عاجلة
او آجلة ومن الاغترار ان تمسى فترى احسانا فتظن انك قد
سومحت وتنسى من عمل سوءا يجزبه وربما قالت النفس انه
يغفر فتسامحت ولا شك انه يغفر ولكن لمن يشاء وانا اشرح
لك حالا فتأمله بفكرك تعرف معنى المغفرة وذالك ان من
هفا صرح هفوة لم يقصدها ولم يعزم عليها قبل الفعل
ولا عزم على العود بعد الفعل ثم انتبه لما فعل فاستغفر الله
كان فعله وان دخله عمدا فى مقام خطا مثل ان يعرض له
مستحسن فيغلبه الطبع فيطلق النظر ويتشاغل فى حال نظره
بالتذاذ الطبع على عن تلمح معنى النهى فيكون كالغائب او
كالسكران فاذا انتبه لنفسه ندم على فعله فقام الندم بغسل
تلك الاوساخ التى كانت كانها غلطة لم تقصد فهذا معنى
قوله تعالى فاذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم
مبصرون فاما المداوم على تلك النظرة المردد لها المصر عليها
فكأنه فى مقام متعمد للنهى مبارز بالخلاف فالعفو يبعد
عنه بمقدار اصراره ومن البعد ان لا يرى الجزاء على ذالك
كما قال ابن الجلا رأتنى شيخى وانا قائم اتأمل جدثا نصرانيا

فقال ما هذا الترين غبها ولو بعد حين فنسيت القرآن بعد
اربعين سنة واعلم ان من اعظم المحن الاغترار بالسلامة
بعد الذنب فان العقوبة تتأخر ومن اعظم العقوبة ان لا يحس
الانسان بها وان تكون في سلب الدين وطمس القلب وسوء
الاختيار للنفس فيكون من آثارها سلامة البدن وبلوغ الاغراض
قال بعض المعتبرين اطلقت نظري فيما لا يحل لي ثم كنت انتظر
العقوبة فالحقت السفر طويل لا نية لي فيه فلقيت المشاق
ثم يعقب ذلك موت اعز الناس عندي وذهاب اشياء كان
لها وقع عظيم عندي ثم تلافيت امري بالتوبة فصلح حالي
ثم عاد الهوى فحملني على اطلاق نظري مرة اخرى فطمس قلبي
وعدمت رقته واستلب مني ما هو اكثر من فقد الاول
ووقع لي تعويض عن المفقود كان فقده اصلح فلما تأملت ما
عوضت وما سلب مني صحت من الم تلك السياط فها انا انادي
من على الساحل اخواني احذروا لجة هذا البحر ولا تغتروا بسكونه
وعليكم بالساحل ولازموا حصن التقوى فالعقوبة مرة واعلموا ان
في ملازمة التقوى مرارات ومن فقد الاغراض والمشتهيات
غير انها في ضرب المثل كالحمية تعقب صحة والتخليط ربما جلب
موت الفجاءة وبالله عليكم لو نمتم على المزابل مع الكلاب في
طلب رضى المبتلى كان قليلا في نيل رضاه ولو بلغتم نهاية اللذائذ من اغراض

من الدنيا مع اعراضه

من الدنيا مع اعراضه عنكم كانت سلامتكم هلاكا وعافيتكم مرضا
وصحتكم سقما والامر بآخره والعاقل من تلمح العواقب و
صابر وارحمكم الله تعالى بهجر فما اسرع زواله والله الموفق
اذ لا حول الا به ولا قوة الا بفضله

١٢٢ فصل

قدم الى بغداد جماعة من اهل البدع الاعاجم فارتقوا منابر
التذكير للعوام فكان معظم مجالسهم انهم يقولون ليس لله في الارض
كلام وهل المصحف الا ورق وعفص ومداد وان الله ليس في السماء
وان الجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله كانت
خرساء فاشارت الى السماء اي ليس هو من الاصنام التي تعبد في
الارض ثم يقولون اين الحروفية الذين يزعمون ان القرآن حرف
وصوت هذا عبارة جبريل فما زالوا كذا لك حتى هان تعظيم
القرآن في صدور اكثر العوام وصار احدهم يقول هذا هو الصحيح
والا فالقرآن شيء يجيء به جبريل في كيس فشكى الي جماعة من
اهل السنة فقلت لهم اصبروا فلا بد للشبهات ان ترفع رأسها
في بعض الاوقات وان كانت مدفوعة والباطل جولة والدجالون
كثير ولا يخلو بلد ممن يضرب البهرج على مثل سكة السلطان قال
قائل فاجوابنا عن قولهم قلت اعلم وفقك الله ان الله عز وجل
ورسوله قنعا من الخلق بالايمان بالجمل ولم يكلفا معرفة

التفاصيل اما ان الاطلاع على التفاصيل يخبط العقائد واما
لان قوى البشر تعجز عن مطالعة ذالك فاول ما جاء به الرسول
صلى الله عليه وسلم اثبات الخالق ونزل عليه القرآن بالدليل على
وجود الخالق بالنظر الى صنعه فقال تعالى امن جعل الارض
قرارا وجعل خلالها انهارا وقال تعالى وفى انفسكم افلا تبصرون
ومازال يستدل على وجوده بمخلوقاته وعلى قدرته بمصنوعاته
ثم اثبت نبوة نبيه بمعجزاته وكان من اعظمها القرآن الذى جاء
به فعجز الخلائق عن مثله واكتفى بهذه الادلة جماعة من الصحابة
ومضى على ذالك القرن الاول والمشرب صاف لم يتكدر وعلم الله
عزوجل ما سيكون من البدع فبالغ فى اثبات الادلة وملأ بها القرآن
ولما كان القرآن هو منبع العلوم واكثر المعجزات للرسول اكد الامر فيه
فقال تعالى هذا كتاب انزلناه ونزل من القرآن ما هو شفاء
فاخبر انه كلامه بقوله تعالى يريدون ان يبدلوا كلام الله واخبر
انه مسموع بقوله تعالى حتى يسمع كلام الله واخبر انه محفوظ فقال
تعالى فى لوح محفوظ وقال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور
الذين اوتوا العلم واخبر انه مكتوب ومتلو فقال تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الى ما يطول ذكره من تعداد
الآيات فى هذه المعانى التى توجب اثبات القرآن ثم تنزه نبيه
صلى الله عليه وسلم عن ان يكون اتى به من قبل نفسه فقال تعالى

ام يقولون افتراه

ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك وتوعده لو فعل فقال تعالى
ولو تقول علينا بعض الاقاويل وقال فى حق الزاعم ان كلام الخلق
حين قال ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر ولما عذب كلامه بنوع
عذاب تولاه بعض الملائكة بصيحة جبريل عليه السلام بثمود وارسال
الريح على عاد والخسف بقارون وقلب جبريل ديار قوم لوط
عليهما السلام وارسال الطير الابابيل على من قصد تخريب الكعبة
تولى هو بنفسه عقاب المكذبين بالقرآن فقال ذرنى ومن يكذب
بهذا الحديث ذرنى ومن خلقت وحيدا وهذا لانه اصل الشرائع
والمثبت لكل شريعة تقدمت لأن جميع الملل ليس عندهم ما يدل
على صحة ما كانوا فيه الا كتابا لان كتبهم غيرت وبدلت
وقد علم كل ذى عقل ان القائل ان هذا الا قول البشر انما اشار
الى ما سمعه ولا يختلف اولو الالباب واهل الفهم للخطاب ان قوله
انه كناية عن القرآن وقوله نزل به كناية ايضا عنه وقوله
هذا الكتاب اشارة الى حاضر وهذا امر مستقر لم يختلف فيه احد
من القدماء فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضى الله
عنهم ثم دس الشيطان دسائس البدع فقال قوم هذا المشار
اليه مخلوق فثبت الامام احمد رضى الله عنه ثبوتا لم يثبته غيره على
وفع هذا القول لئلا يتطرق الى القرآن ما يمحو بعض تعظيمه
فى النفوس ويخرجه عن الاضافة الى الله عز وجل فرأى ان ابتداع

ما يقبل فيه لا يجوز استعماله فقال كيف اقول مالم يقل ثم
لم يختلف الناس في غير ذلك الى انشأ على بن اسماعيل
الاشعري فقال مرة بقول المعتزلة ثم عن فادعى ان الكلام
صفة قائمة بالنفس فاوجبت دعواه هذه ان ما عندنا مخلوق
وزادت فخبطت العقائد فمازال اهل البدع يجولون في تيارها
الى اليوم والكلام في هذه المسئلة مرتب بذكر الحجج والشبه
في كتب الاصول فلا اطيل به ههنا بل اذكر لك جملة تكفي من
اراد الله هداه وهو ان الشرع قنع منا بالايمان جملة وتعظيم
الظواهر ونهى عن الخوض فيما يثير غبار شبهة ولا يقوى على
قطع طريقه اقدام الفهم وان كان قد نهى عن الخوض في القدر
فكيف يجيز الخوض فمن صفات المقدر وماذاك الا لأحد
امرين اللذين ذكرتهما اما الخوف اثارة شبهة تزلزل العقائد
او لأن قوى البشر يعجز عن ادراك الحقائق فاذا كانت ظواهر
القرآن تثبت وجود القرآن فقال قائل ليس ههنا قرآن فقد
رد الظواهر التي تعب الرسول صلى الله عليه وسلم في اثباتها و
قرر وجودها في النفوس وبماذا يحل ويحرم ويثبت ويقطع و
ليس عندنا من الله تعالى تقدم بشيء وهل للمخالف دليل
الا ان يقول قال الله فيعود فثبت ما نفى فليس الصواب

لمن وفق الا

لمن وفق الا الوقوف مع ظاهر الشرع فان اعترضه ذو شبهة فقال
هذا صوتك وهذا خطك فاين القرآن فليقل له قد اجمعنا
انا وانت على وجود شيء به نحتج جميعا وكما انك تنكر علي ان اثبت
شيئا لا يتحقق لي اثباته حسا فانا انكر عليك كيف تنفي وجود
شيء قد ثبت شرعا واما قولهم هل في المصحف الا ورق وغض
وزاج هذا كقول القائل هل الآدمي الا لحم ودم وشهات ان معنى
الآدمي هو الروح فمن نظر الى اللحم والدم وقف مع الحس فان قال
فكذلك اقول ان المكتوب غير الكتاب قلنا له وهذا مما ننكره
عليك لا يثبت تحقيق هذا لك ولا لخصمك فاذا اردت بالكتابة
الحبر وتخطيطه فهذا ليس هو القرآن وان اردت المعنى القائم
بذلك فهذا ليس هو الكتابة وهذه الاشياء لا يصلح الخوض
فيها فان مادونها لا يمكن تحقيقه على التفصيل كالروح مثلا
فانا نعلم وجودها في الجملة فما حقيقتها فلما فاذا جهلنا حقائقها
كنا لصفات الحق اجهل فوجب الوقوف مع السمعيات مع نفي
ما لا يليق بالحق لان الخوض يزيد الخائض تخبيطا ولا يفيد
تحصيلا بل يوجب عليه نفي ما يثبت بالسمع من غير تحقيق
امر عقلي فلا يوجد وجه للسلامة الا طريق السلف والسلام
وكذلك اقول ان اثبات الآلة بظواهر الآيات ولست الزم
للعوام من تحديثهم بالتنزيه وان كان التنزيه لازما

وقد كان ابن عقيل يقول الأصلح للعوام الآي والسنن لانهم
يأنسون بالاثبات فمتى حملوا ذلك عن قلوبهم زالت السياسات
والحشمة وتهافت العوام في الشبهة أجر الى من اغراقهم في
التنزيه لان التشبيه يغمسهم في الاثبات فيطمعون ويخافون شيئا
وقد انسوا الى ما يخاف مثله ويرجى فالتنزيه يرمي بهم الى
النفي والطمع والمخافة من النفي ومن تدبر الشريعة رآها
عامة للمكلفين بالتشبيه بالالفاظ التي لا يعطى ظواهرها
سواه كقول الاعرابي * ويضحك ربنا قال نعم * فلم يكفهم من
هذا القول

١٢٣ فصل

اعظم البلايا ان يعطيك همة عالية ويمنعك من العمل بمقتضاها
فيكون من تأثير حبك الالفة من قبول ارفاق الخلق استثقالا
لحمل منتهم ثم يبتليك بالفقر فتأخذ منهم ويلطف مزاجك فلا تقبل
من المأكولات ما سهل احضاره فتحتاج الى فضل نفقة ثم يقلل
رزقك ويعلق همتك بالمستحسنات ويقطع بالفقر السبيل
اليهن ويريك العلوم في مقام معشوق ويضعف بدنك عن الاعادة
ويخلي يديك من المال الذي تحصل به الكتب ويقوي توقك
الى درجات العارفين والزهاد ويحوجك الى مخالطة
ارباب الدنيا وهذا البلاء المبين وانما الخسيس الهمة

الذي لا يستنكف

الذي لا يستنكف من سؤال الخلق ولا يرى الاستبدال بزوجة ويكتفي
بيسير من العلم ولا يتوق الى احوال العارفين فذاك لا يؤلمه فقد
شيء ويرى ما وجد هو الغاية فهو يفرح فرح الاطفال بالزخارف
فما الهون الامر عليه انما البلا على العارف ذي الهمة العالية
الذي تدعوه همته الى جمع الاضداد للتزيد من مقام
الكمال ولقصر خطاه عن مدارك مقصوده فياله من حال
يتفنن في طريقه زاد الصابرين ولولا حالات تعزي هذا
المبتلى بعيش بها لكان دوام ملاحظته للمقامات يعمي بصره
واجتهاده في السلوك يخفي قدمه لكن ملاحظات الامداد
له تارة ببلوغ بعض مراده وتارة بالغفلة عما قصد وهذا
كلام عزيز لا يفهمه الا اربابه ولا يعلم كنهه الا اصحابه

١٢٤ فصل

تراءت علي نفسي في طلبها شيئا من اغراضها بتأويل فاسد
فقلت لها بالله عليك تصبري في المعر شغلا يحذر الغرق
من كثرة الموج من التنزه في عجائب البحر اذا همت بفعل فقدري
حصوله ثم تلمحي عواقبه وما تجتنين من ثمراته فاقل ذلك الندم
على ما فعلت ولا يؤمن ان يثمر غضب الحق عز وجل واعراضه
عنك فأي لقاطع عنه ولو كان الجنة ثم اعلمي ايتها النفس

انه ما يمضى شئ جزافا وان ميزان العدل تبين فيه الذرة فتلمحى
الاموات والاحياء وانظرى الى من تشر ذكره بالخير والشر و
زيادة ذلك ونقصانه فسبحان من اظهر دليل الخلوات على
ارباجها حتى ان حبات القلوب تتعلق باهل الخير وتنفر من
اهل الشر من غير مطالعة شئ من اعمال الكل قال ابليس او
تترك مرادك لاجل الخلق قلت لا انما هذا بعض الثمرات الحاصلة
من طريق العرض ونحن نرى من يمشى ثلاثين فرسخا ليقال
ساع فالمتقى قد نال شرف الذكر وان لم يقصد نيل ذلك مسترجى
له فى حسن الجزاء سيجعل لهم الرحمن وُدًّا قالت النفس
لقد امرتنى بالصبر على العذاب لان ترك ترك الاغراض عذاب
قلت لك عن الغرض عوض ومن كل متروك بدلا وانت فى مقام
مستعبد ولا يصلح للاجير ان يلبس ثوب الراحة فى زمان
الاستئجار وكل زمان المتقى نهار صوم ومن خاف العقاب
ترك المشتهى ومن رام القرب استعمل الورع وللصبر حلاوة
تبين فى العواقب

١٢٥ فصل

من نازعته نفسه الى لذة محرمة فشغله نظره اليها عن تأمل عواقبها
وعقابها وسمع هتاف العقل ينا ديه ويحك لا تفعل فانك

تقف عن الصعود

تقف عن الصعود وتأخذ فى الهبوط فيقال لك ابق بما اخترت فان
شغله هواه فلم يلتفت الى ما قيل له لم يزل فى نزول وكان مثله
فى سوء اختياره كما لمثل المضروب ان الكلب قال للأسد يا سيد
السباع غيّرى اسمى فانه قبيح فقال له انت خائن لا يصلح لك
غير هذا الاسم قال فجربنى فاعطاه شقة لحم وقال احفظ لى هذا
الى الغد وانا اغير اسمك فجاع وجعل ينظر الى اللحم ويصبر فلما
غلبته نفسه قال واى شئ باسمى وما كلب الا اسم حسن فاكل
الخسيس الهمة القنوع باقل المنازل المختار عاجل الهوى على
اجل الفضائل فالله الله فى حريق الهوى اذا ثار وانظر كيف تطفيه
فرب زلة فى بئر بوار ورب اثر لم يقلع والفائت لا يستدرك
على الحقيقة فابعد عن اسباب الفتنة فان المقاربة محنة لا يكاد
صاحبها يسلم والسلام

١٢٦ فصل

رأيت الخلق كلهم فى صفة محاربة والشياطين يريدونهم بتبديل
الهوى ويضربونهم باسياف اللذة فاما المخلطون فصرعى من اول
وقت اللقاء واما المتقون ففى جهد جهيد من المجاهدة فلا بد مع
طول الوقوف فى المحاربة من جرح فهم يجرحون ويداوون الا
ان القتل محفوظ بل ان الجراحة فى الوجه شين باق فليحذر
ذلك

١٢٧ فصل

الدنيا فخ والجاهل باول نظرة وقع فاما العاقل المتقى فهو يصابر
المجاعة ويدور حول الحمى والسلامة بعيدة فكم ممن صابر و
اجتهد سنين ثم فى آخر الامر وقع فالحذر الحذر فقد رأينا
من كان على متن الصواب ثم زل على شفير القبر

١٤٨ فصل

اعلموا اخوانى ومن يقبل نصيحتى ان للذنوب تأثيرات قبيحة
مرارتها تزيد على حلاوتها اضعافا مضاعفة والمجازى بالمرصاد
لا يسبقه شئ ولا يفوته اوليس يروى فى التفسير ان كل واحد
من اولاد يعقوب عليهم السلام وكانوا اثنى عشر ولد له اثنا عشر
ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر وجوزى بتلك الهمة
فنقص ولدا فوا اسفا المضروب بالسياط ما يحس بالالم و
المثخن بالجراح وما عنده من نفسه خبر والمتقلب فى عقوبات
ما يدرى بها ولعمرى ان اعظم العقوبة ان لا يدرى بالعقوبة
فواعجبا للمغالط نفسه يرضى ربه بطاعة وليسرق معصية
وليقول حسنة وسيئة من كيسك تنفق ومن بضاعتك تهدم
ووجه جاهك تشين رب جراحة قتلت ورب عثرة اهلكت
ورب فارط لا يستدرك ويحك انتبه لنفسك ما الذى تنتظر
باوبتك وماذا ترقب بتوبتك المشيب فها هو وهن العظم
فقد ابعد رحيل الاولاد والاقارب الا اللحاق قد دان ما

تؤمله من الدنيا

تؤمله من الدنيا قد حصل فكان ماذا اما هو عاجل فشغلك عاجلا لعله
ثم آخر جرعة اللذة شرقة لما ان تفارق محبوبك وليفارقك فيالها
جرعة مريرة تودعنها ان لو لم تره آه لمحبوب العقل عن التأمل
والمصدود عن الورود وهو يرى المنهل امامى هذه القبور نذير
امامى فى كدور الزمان زجر اين من ملك وبلغ الهمة المنى فيما
امل نادهم فى نادهم هيهات صمتوا عن مناديهم فلوان ما
بهم بالموت انما القبور هنيئة العمل حصل يا معدوما بالامس
يا متلاشى الاشلاء فى الغد باى وجه تلقى ربك اليساوى ما
تناله من الهوى لفظ عتاب بالله ان الرحمة بعد المعاينة ربما
لم تشوف قلع البغضة من صحيح القلب فكيف ان عقب العقاب
عقاب وقد اخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز قال اخبرنا ابو بكر
الخطيب قال اخبرنا محمد بن الحسين المعدل قال اخبرنا ابو الفضل
الزهرى قال اخبرنا احمد بن محمد الزعفرانى قال حدثنا ابو العباس
ابن واصل المقرى قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفى
قال راى جارلنا يحيى بن اكثم بعد موته فى منامه قال ما فعل
بك ربك فقال وقفت بين يديه فقال لى سوءة لك ياشيخ
فقلت يا رب ان رسولك قال انك تستحى من ابناء الثمانين
ان تعذبهم وانا ابن ثمانين اسير الله فى الارض فقال لى صدق
رسولى قد عفوت عنك وفى رواية اخرى عن محمد بن مسلم
الخواص قال رأيت يحيى بن اكثم فى المنام فقلت ما فعل الله

قال اوقفنى بين يديه وقال لى يا شيخ السوء لولا شيبتك لاحرقتك بالنار والمقصود من هذا النظر بعين الاعتبار هل يفى هذا بدخول الجنة فضلا عن لذات الدنيا فنسأل الله عزوجل ان ينبهنا من رقدات الغافلين وان يرينا الاشياء كما هى لنعرف عيوب الذنوب والله الموفق

١٢٩ فصل

ضاق بحامر اوجب غما [illegible] لازما دائما واخذت ابالغ فى الفكر فى الخلاص من هذه الهموم بكل حيلة وبكل وجه فما رأيت طريقا للخلاص فعرضت لى هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا فعلمت ان التقوى سبب للمخرج من كل غم فما كان الآان تيممت تحقيق التوبة فوجدت المخرج فلا ينبغى للمخلوق ان يتوكل او يتسبب او يتفكر الا فى طاعة الله عزوجل وامتثال اوامره فان ذلك سبب لفتح الله مرتج ثم اعجب انه يكون من حيث لم يقدره المتفكر المحتال المدبر كما قال عزوجل ويرزقه من حيث لا يحتسب ثم ينبغى للمتقى ان يعلم ان الله عزوجل كافيه فلا يعلق قلبه بالاسباب فقد قال عزوجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه

١٣٠ فصل

من العجب الحاحك فى طلب اغراضك وكلما زاد تعويقها

زاد الحاحك

زاد الحاحك وتنسى انها تمتنع لاحد امرين اما لمصلحتك فربما عجل اذى واما لذنوبك فان صاحب الذنوب بعيد عن الاجابة فتظف طرق الاجابة من ادساغ المعاصى وانظر فيما تطلبه هل هو لاصلاح دينك او لمجرد هواك فان كان للهوى المجرد فاعلم ان من اللطف بك والرحمة لك تعويقه وانت فى الحاحك بمنزلة الطفل لطلب ما يؤذيه فيمنع رفقا به وان كان لصلاح دينك فربما كانت المصلحة تأخيره او كان صلاح الدين بعدمه وفى الجملة تدبير الحق عزوجل لك خير من تدبيرك وقد يمنعك ما تهوى ابتلاء ليبلو صبرك فان الصبر الجميل يسرى عن قرب ما يسر ومتى نظفت طرق الاجابة من ادران الذنوب وصبرت على ما يقضيه لك بكل ما يجرى اصلح عطاء كان او منعا

١٣١ فصل

يجب على من لا يدرى متى يبغت الموت ان يكون مستعدا ولا يغتر بالشباب والصحة فان اقل من يموت الاشياخ واكثر من يموت الشبان ولهذا يندر من يكبر وقد انشد واشعرا

× يعمر واحد فيغر قوما × وينسى من يموت من الشباب ×

ومن الاغترار طول الامل وما من آفة اعظم منه فانه لولا طول الامل ما وقع اهمال اصلا وانما تقدم المعاصى وتؤخر التوبة لطول الامل وتبادر الشهوات وتنسى الانابة لطول الامل وان لم تستطع قصر الامل فاعمل عمل قصير الامل ولا

تمس حتى تنظر فيما مضى من يومك فان رأيت زلة فاتحها بتوبة او
خرقا فارقعه بالاستغفار واذا اصبحت فتأمل ما مضى في ليلك
واياك والتسويف فانه اكبر جنود ابليس لعنه
× وخذلك عنك على مهلة × ومقبل عليك لم يدبر ×
× وخف هجمة لا تقيل العثار × وتطوى الورود على المصدر ×
× ومثل لنفسك اني الرعيل × يضمك في حلبة المحشر ×
ثم صور لنفسك قصر العمر وكثرة الاشغال وقوة الندم على
التفريط عند الموت وطول الحسرة على البدار بعد الفوت وصور
ثواب الكاملين وانت ناقص والمجتهدين وانت متكاسل ولا
تخل نفسك من موعظة تسمعها وفكرة تحادثها بها فان النفس
كالفرس المتشيطن ان اهملت لجامه لم تأمن ان يرمي بك وقد
والله دنستك اهواؤك وضيعت عمرك فالبدار البدار الى
الصيانة قبل تلف الباقي بالصيانة فكم تعرقل في فخ الهوى
جناح حازم وكم وقع في بئر بوار مخمور ولا حول ولا قوة الا بالله

١٣٢ فصل

الحذر الحذر من المعاصي فان عواقبها سيئة وكم من معصية
لا يزال صاحبها في هبوط ابدا مع تعثير اقدامه وشدة فقره
وحسراته على ما يفوته من الدنيا وحسرة لمن نالها فلو قارب
زمان جزائه على قبيحة الذي ارتكبه كان اعتراضا على القدر

فوات اغراضه بعيد العذاب جديدا فوا اسفا لمعاقب لا يحس بعقوبته
واه من عقاب يتأخر حتى ينسى سببه او ليس ابن سيرين يقول
عيرت رجلا بالفقر فافتقرت بعد اربعين سنة وابن جلا يقول نظرت
الاشاب مستحسن فنسيت القرآن بعد اربعين سنة فواحسرة معاقب
لا يدري ان اعظم العقوبة عدم الاحساس بها الله الله في تجديد التوبة
عساها تكف كف الحراء والحذر الحذر من الذنوب خصوصا
في ذنوب الخلوات فان المبارزة لله تعالى تسقط العبد من عينه
واصلح فيما بينك وبينه في السر وقد اصلح لك احوال العلانية
ولا تغتر بستره ايها العاصي فربما يجذب بعورتك ولا يحلمه
فربما بغت العقاب وعليك بالقلق واللجا اليه والتضرع فان
نفع شيء فذلك وتقوت بالحزن وتمرى كالدمع واحفز بمعول
الاسى قليب قلب الهوى لعلك تنبط من الماء ما يغسل جرم
جرمك

١٣٣ فصل

اخواني اسمعوا نصيحة من قد جرب وخبر انه بقدر اجلالكم لله
عز وجل يجلكم وبمقدار تعظيم قدره واحترامه يعظم قدركم و
حرمتكم ولقد رأيت والله من انفق عمره في العلم الى ان كبرت
سنه ثم تعدى بعض الحدود فهان عند الخلق وكان لا يلتفتون
اليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته ولقد رأيت من كان يراقب
الله عز وجل في صبوته مع قصوره بالاضافة الى ذلك العالم
فعظم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس ووصفته بما
يزيد على ما فيه من الخير ورأيت من كان يرى الاستقامة

لعله
او الشر او التشتيت

لعل

اذ الاستقام فاذا زاغ مال عنه اللطف ولولا عموم التشتت وشمول
رحمة الكريم لافتضح هؤلاء المذكورون غير انه لما رأينا في الاغلب
ويلطف في العقاب كما قيل شعر

× ومن كان في سخط مُحسِنًا × فكيف يكون اذا ما رضى ×

غير ان العدل لا يحابي وحاكم الجزاء لا يجور وما يضيع عند الامين
شيء

١٣٤ فصل

ايها المذنب اذا احسست نفحات الجزاء فلا تكثرن الضجيج
ولا تقولن قد تبت وندمت فهل لا زال عني من الجزاء ما اكره
فلعل توبتك ما تحققت وان المجازاة زمانا يمتد لامتداد
المرض الطويل فلا تنجع فيه الحيل حتى ينقضي اوانه وان بين
زمان وعصى الى ابان فتلقى مدة مديده فاصبر ايها الخاطئ
حتى يتخلل ماء عينيك خلال ثوب القلب المتنجس فاذا عصرته
كف الاسى ثم تكدرت دفع الغسلات حكم بالطهارة بقي آدم
يبكي على زلته ثلاثمائة سنة ومكث ايوب عليه السلام ثمانية
عشر سنة واقام يعقوب يبكي على يوسف عليهما السلام × وللبلايا
اوقات ثم تنصرم × ورب عقوبة امتدت الى زمان الموت فاللازم
لك ان تلازم محراب الانابة وتجلس جلسة المستجدي وتجعل
طعامك القلق وشرابك البكاء فربما قدم بشير القبول فارته
يعقوب الحزن بصيرا وان مت في سجن سجنك فربما ناب حزن
الدنيا عن حزن الآخرة وفي ذلك ربح عظيم

فصل الواجب على العاقل

١٣٥ فصل

الواجب على العاقل ان يحذر مغبة المعاصي فان نارها تحت الرماد
وربما تأخرت العقوبة ثم فجأت وربما جاءت مستعجلة فليبادر
باطفاء ما وقد من نيران الذنوب ولا ماء يُطفى ~~[illegible]~~ تلك
النار الا ما كان من عين العين لعل خصم الجزاء يَرْضَى قبل ان
يبت الحاكم في حكمه

١٣٦ فصل

واعجبا من عارف بالله عز وجل يخالفه ولو تُلف نفسه هل العيش
الا معه هل الدنيا والآخرة الا له ان لمترخص في فعل ما يكره
لنيل ما يحب تالله لقد فاته اضعاف ما حصل اقبل على ما اقوله
يا ذا الذوق هل وقع لك تعثير في عيش وتخبيط في حال الا
حال مخالفته شعر

× ولا انثنى عزمي عن بابكم × الا تعثرت باذيالي ×

اما سمعت تلك الحكاية عن بعض السلف انه قال رأيت على سور
بيروت شابا يذكر الله تعالى فقلت له الك حاجة فقال اذا
وقعت لي حاجة سألته اياها بقلبي فقضاها يا ارباب المعاملة
بالله عليكم لا تكدروا المشرب قفوا على باب المراقبة وقوفا الحراس
وادفعوا ما لا يصلح ان يلج فيفسد واهجروا اغراضكم لتحصيل
محبوب الحبيب فان اغراضكم تحصل على اني اقول اف لمن ترك

بقصد الجزآء اهذا شرط كلا انما ينبغي لي اذا كنت مملوكا ان افعل
ليرضى لا لأعطى فان كنت محبا رأيت قطع الاسباب في رضاه
وصلا اقبل نصحي يا مخدوعا بغرضه ان ضعفت عن حمل بلائه
فاستغث به وان الملك كرب اختباره فانك بين يديه
ولا تيأس من روحه وان قوى خناق البلا بالله ان موت الخادم
في الخدمة حسن عند العقلآء اخواني لنفسي اقول فمن له شرب
مع فلير دايها النفس لقد اعطاك ما لم تأملي وبلغك ما لم
تطلبي وستر عليك من قبيحك ما لو فاح ضجت المشام فما
هذا الضجيج من فوات كمال الاغراض امملوكة انت ام حرة
اما علمت انك في دار التكليف وهذا الخطاب ينبغي ان يكون
للجهال فاين دعواك المعرفة اتراه لو هبت نفحة فاخذت البصر
كيف كانت تطيب لك الدنيا والاسفا عليك ولقد غشيت
البصيرة التي هي اشرف وما علمت كم اقول عسى ولعل وانت
في الخطا الى قدام قربت سفينة العمر من ساحل القبر ومالك
في المركب بضاعة تربح تلاعبت في بحر العمر ريح الضعف
فغرقت تلفيق القوى وكان قد فعلت المركب بلغت
نهاية الاجل وعن هواك تلفت الى الصبا بالله عليك
لا تشمتي بك الاعدآء هذا اقل الاقسام واوفى منها ان
اقول بالله عليك لا يفوتنك قدم سابق مع قدرتك
على قطع المضمار الخلوة الخلوة واستحضري قرين العقل

وجولي في حيرة

وجولي في حيرة الفكر واستدركي صبابة الاجل قبل ان تميل بك
الصبابة عن الصواب واعجبا كلما صعد العمر نزلت وكلما جد
الموت هزلت اتراك ممن ختم له بفتنة وقضيت عليه عند آخر
عمره المحنة كان اول عمرك خيرا من الاخير كنت في زمن الشباب
اصلح من زمان ايام المشيب وتلك الامثال نضربها للناس
وما يعقلها الا العالمون نسئل الله عز وجل ما لا يحصل مطلوبنا
الا به وهو توفيقه انه سميع مجيب

١٣٧ فصل

قد رث في بعض الايام على شهوة للنفس هي عندنا احلام من مآء
الزلال فوقم الصادي وقال التاويل ما هاهنا مانع والمعوق
الانوع الورع وكان ظاهر الامر امتناع الجواز فترددت
بين الامرين فمنعت النفس عن ذلك فبقيت حيرة لمنع
ما هو الغاية في غرضها من غير صادٍ عنه بحال الا حذر المنع
الشرعي فقلت قاتلك الله يا نفس والله ما من سبيل الى مالا يؤمن منه
دونه فتقلة .. فصحت بها كم وافقتك في مراد ذهبت لذته
وبقي التأسف على فعله فقد رى بلوغ الغرض اليس الندم
يبقى في محال اللذة اضعاف زمانها فقالت كيف اصنع فقلت
صبرت لا والله ما لي جلادة على الكي لكني صبرت على الرغم وها انا
انتظر من الله عز وجل حسن الجزآء على هذا الفعل وقد تركت
باقي هذه الوجهة البيضاء ارجو ان ارى حسن الجزآء

الألوكة
www.alukah.net

على الصبر فاصطبر فيه ان شاء الله تعالى فانه قد يعجل جزاء الصبر وقد يؤخر فان عجل سطرته واحوان اخر فما اشك في حسن الجزاء لمن خاف مقام ربه فانه من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه والله الذي ما تركته الا الله عز وجل ويكفيني تركته ذخيرة حتى لو قيل اتذكر يوما اثرت الله على هواك قلت يوم كذا وكذا فافتخري ايتها النفس بتوفيق الله من وفقك فكم قد خذل سواك واحذري ان تخذلي في مثلها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وكان هذا في احدى وستين وخمسمائة فلما دخلت سنة خمس وستين عوضت خيرا من ذلك بما لا يتقارب مما لا يمنع منه ورع ولا غيره فقلت هذا جزاء الترك لاجل الله تعالى في الدنيا ولاجر الآخرة خير وابقى والحمد لله

١٣٨ فصل

لا انكر على من طلب لذة الدنيا طريق المباح لانه ليس احد يقوى على الترك انما المحنة من طلبها فلم يجدها او اراد الامن طريق الحرام فاجتهد في تحصيلها ولم يبال كيف حصلت فرب المحنة التي بخس العقل فيها حقه ولم ينفع صاحبه وجوده لانه لو وزن ما اوثر عقابه طاشت كفة اللذة التي فنيت عند اول ذرة من جزآئها وكم قد رأينا من اثر شهوته فسلب دينه فليعجب العاقل حين التصفح لاحوالهم كيف آثروا شيئا ما اقاموا معه وصاروا الى عقاب لا يفارقهم فالله الله في بخس العقول حقها فلينظر السالك اين يضع القدم فرب مستعجل

وقع في بئر بوار ولتكن عين التيقظ مفتوحة فانكم في صف حرب لا تدرون فيه من اين يتلقى النبل فاعينوا انفسكم ولا تعينوا عليها

١٣٩ فصل

الحق عز وجل اقرب الى عبده من حبل الوريد لكنه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه فامن بقصديته ورفع اليدين اليه والسؤال له فقلوب الجهال تستشعر البعد فكذلك يقع منهم المعاصي اذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفت لا كف عن الخطايا والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة وكفتهم عن الانبساط ولو لا نوع تغطية على عين المراقبة الحقيقة لما انبسطت كف باكل ولا قرت عين ومن هذا الجنس انه ليغان على قلبي وتي تحققت المراقبة حصل الانس وانما يقع الانس بتحقق الطاعة لان المخالفة توجب الوحشة والموافقة مبسطة المتانسين فالذة عيش المستانسين وياخسارة المستوحشين وليست الطاعة كما يظن اكثر الجهال انها في مجرد الصلاة والصيام انما الطاعة الموافقة بامتثال الامر واجتناب النهي هذا هو الاصل والقاعدة الكلية فكم من متعبد بعيد لانه مضيع للأصل وهادم للقواعد بمخالفة الامر وارتكاب المنهي وانما المحقق من امسك زمام المحاسبة للنفس فادى ما عليه واجتنب ما نهي عنه فان رزق زيادة نفل والا لم يضره والسلام

١٤٠ فصل

الدنيا في الجملة معبرة فينبغي للانسان ان لا ينافس لذاتها

وان يعبر الايام فانه لو تفكر فى كيفية الذبائح وسنخ من يباشرها
وعمل الكامخ وغيرها من المأكولات ماطابت له ولو تفكر فى
جولان اللقمة فى الفم مخلطة بالريق ماقدر على اساغتها فلا يخلو
من حالين اما ان يريد التنعم باللذات المباحات او يريد
دفع الوقت بالضرورات وايتهما طلب فلا ينبغى له ان يبحث
فيما يناله عن باطنه فانه لو نظر الى عورة الزوجة لنباعنها وقد قالت
عائشة رضى الله عنها ما رأيته من رسول الله ولا رآه منى فينبغى
للعاقل ان يكون له وقت معلوم يامر زوجته بالتصنع له فيه
ثم يغض عن التفتيش ليطيب له عيشه وينبغى لها ان تتفقده من
نفسها هذا فلا تحضره الا على احسن حال وبمثل هذا يدوم
العيش فاما اذا حصلت الذلة بانت بها العيوب فنبت
النفس وطلبت الاستبدال ثم يقع فى الثانية مثل ما وقع فى
الاولى وكذلك ينبغى ان يتصنع لها كتصنعها له ليدوم الود بحسن
الائتلاف ومتى لم يجر الامر على هذا فى حق من له انفة من شئ
ينبو عنه النفس وقع فى احد امرين اما الاعراض عنها واما الاستبدال
بها وتحتاج فى حالة الاعراض الى صبر عن اعراضه وفى حالة الاستبدال
الى فضل مؤنة فكلاهما يؤذى ومتى لم يستعمل ما وصفنا لم يطب
له عيش فى متعة ولم يقدر على دفع الزمان كما ينبغى

فصل ١٤١

نازعتنى نفسى الامر مكروه فى البدء وجعلت تنصب لى التأويلات
وتدفع الكراهة وكانت تأويلاتها فاسدة والحجة ظاهرة

على الكراهة فلجأت

على الكراهة فلجأت الى الله تعالى فدفع ذلك عن قلبى واقبلت على
القراءة وكان درسى قد بلغ السورة يوسف فافتتحتها وذلك
الخاطر قد شغل قلبى حتى لا ادرى ما اقرأ فلما بلغت الى قوله تعالى
قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى انتبهت لها وكأنى خوطبت
بها فافقت من تلك السكرة فقلت يا نفس افهمت هذا
حر بيع ظلما فراعى حق من احسن اليه وسماه مالكا وان لم
يكن عليه ملك فقال انه ربى ثم زاد فى تبيان موجب كف
كفه عما يؤذيه فقال احسن مثواى فكيف بك وانت عبد
على الحقيقة لمولى ما زال يحسن اليك من ساعة وجودك
وان ستره عليك الزلل اكثر من عدد الحصا افما تذكرين
كيف ربانك وعلمك ورزقك ودافع عنك وساق الخير
اليك وهداك اقوم طريق ونجاك من كل كيد وضم الى
حسن الصورة الظاهرة جودة الذهن الباطن وسهل
لك مدارك العلوم حتى نلت فى قصير الزمان مالم ينله غيرك
وطوقك حلى فى عرصة لسانك عرائس العلوم فى حلل الفصاحة
بعد ان ستر عن الخلق معايبك فتلقوها منك بحسن الظن
وساق رزقك بلا كلفة تكلف ولا كدر منة رغد غير منزر
فوالله ما ادرى اى نعمة عليك اشرح حسن الصورة وصحة
الآلات ام سلامة المزاج واعتدال التركيب ام لطف الطبع
الخالى عن خبائثه ام الهام الرشاد منذ الصغر ام الحفظ

الألوكة
www.alukah.net

بحسن الوقاية عن الفواحش والزلل ام تجيب طريق التنقل واتباع
الاثر من غير جمود على تقليد لمعظم ولا انخراط فى سلك مبتدع
وان تعد وا نعمة الله لا تحصوها كم كايد نصب لك المكايد فوقاك
كم من عدو حط عنك بالذم فرقاك كم اعطش من شراب الاماني
خلقا وشقاك كم امات من لم يبلغ بعض مراده وابقاك فانت
تصبحين وتمسين سليمة البدن محروسة الدين فى تزيد من
العلم وبلوغ الامل فان منعت مرادا فرزقت الصبر عنه
بعد ان تبين لك وجه الحكمة فى المنع حتى يقع اليقين وان
المنع اصلح ولو ذهبت اعد من هذا النعم ما سنح ذكره استلأت
الطروس ولم تنقطع الكتابة وانت تعلمين ان مسالم اذكره
اكثر وان ما اومأت الى ذكره لم يشرح فكيف بك التعرض
بما يكرهه معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لا يفلح الظالمون

١٤٢ فصل

ما رأيت اعظم فتنة من مقاربة الفتنة وقل ان يقاربها الا من
يقع فيها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقال بعض
المعتبرين قدرت مرة على لذة ظاهرها التحريم ويحتمل الاباحة
اذ الامر فيها مردد افهاب حدنا النفس بلنت ما تقدر فلهذا
تترك فقارب المقدور عليه فاذا تمكنت فتركت كنت تاركا
حقيقة ففعلت وتركت ثم عادت مرة اخرى فى تأويل
ارتضى فيه الجواز وان كان الامر يحتمل ظلما وافقتها اثر ذلك

ظلمة فى قلبى

ظلمة فى قلبى لخوف ان يكون الامر فيه محرما فرأيت انها تارة
تقوى علي بالرخص والتأويل وتارة اقوى عليها بالمجاهدة
والامتناع فاذا رخصت فلا آمن ان يكون الامر محظورا ثم
ارى عاجلا تأثير ذلك الفعل فى القلب فلما لم آمن عليها بالتأويل
تفكرت فى قطع طمعها من ذلك الأمر المؤثر فلم ار ذلك الا بان
قلت لها قد رضى ان هذا الامر مباح قطعا فوالله الذى لا اله
الا هو لا عدت اليه فانقطع طمعها باليمين والمعاهدة وهذا ابلغ
دواء وجدته فى امتناعها لأن تأويلها لا يبلغ الآن تأمر بالجزم
والتكفير فاجود الاشياء قطع اسباب الفتن وترك الرخص فيما
يجوز اذا كان حاملا او مؤديا الى ما لا يجوز والله الموفق

١٤٣ فصل

لو لا غيبة العاصى فى وقت المعاصى كان كالمعاند غير ان الهوى يحول
بينه وبين الفهم للحال فلا يرى الا قضاء شهوته والا فلو لاحت
له المخالفة خرج من الذنب بالخلاف فانما يقصد هواه فيقع
الخلاف ضمنا وتبعا واكثر ما يقع هذا فى مقاربة الفتنة وقل
من يسلم عند المقاربة لانه كتقديم نار الى حلفا ثم لو ميز
العاقل بين قضاء وطره لحظة وانقضاء باقى العمر بالحسرة على
قضاء ذلك وطره الوطر لما قارب منه ولو اعطى الدنيا غير
ان سكرة الهوى تحول بين الفكر وذلك آه كم من معصية
مضت فى ساعتها كأنها لم تكن ثم بقيت آثارها واقلها ما لا يبرح
من المرارة فى الندم والطريق الاعظم فى الحذر ان لا تعرض

لسبب فتنة ولا تقارب فمن فهم هذا بالغ فى الاحتراز كان الى السلامة اقرب

١٤٤ فصل

البلايا على مقادير الرجال فكثير من الناس تراهم ساكنين راضين بما عندهم من دين ودنيا واولئك قوم لم يُرادوا المقامات الصبر الرفيعة او عُلم ضعفهم عن مقاومة البلا فلطف بهم انما المحنة العظمى ان ترزق همة عالية لا يقنع منك الا بتحقيق الورع وتجويد الدين وكمال العلم ثم تبتلى بنفس تميل الى المباحات وتدعى بذلك تجمع بذلك همها وتشفى مرضها ويقبل مزاجها العلة على تحصيل الفضائل وهاتان الحالتان كضدين لان الدنيا والآخرة ضرتان واللازم فى هذا المقام مراعاة الواجبات وان لا يفسح للنفس فى مباح لا يؤمن ان يتعدى منه اعراض عن واجب وَرَع المبتلى يصيح فلأن يبلى الطفل خير من ان يبكى الوالد واعلم فتح باب المباحات رُبما جر اذى كثيرا فى الدين فاوثق السكر قبل فتح الماء والبس الدرع قبل لقاء الحرب وتلمح عواقب ما تجنى قبل تحريك اليد واستظهر فى الحذر باجتناب ما يخاف منه وان لم يُتيقن

١٤٥ فصل

ينبغى لطالب العلم ان يكون جل همته مصروفة الى الحفظ والاعادة فلو صح صرف جميع الزمان الى ذلك كان الأولى

غير ان البدن

غير ان البدن مطية واعداد السير مظنة الانقطاع والقوى تكل فتحتاج الى تجديد وكان النسخ والمطالعة والتصنيف لا بد منه مع المهم الحفظ وجب تقسيم الزمان على الامرين فيكون الحفظ فى طرفى النهار وطرفى الليل ويوزع الباقى بين عمل بالنسخ والمطالعة وراحة وبين راحة للبدن واخذ لحظه ولا ينبغى ان يقع الغبن بين الشركاء فانه متى ما اخذ احدهم فوق حقه اثر الغبن وبان اثره وان النفس لتهرب الى النسخ والمطالعة والتصنيف عن الاعادة والتكرار لان ذلك اشهى واخف عليها فليحذر الراكب من اهمال الناقة ولا يجوز له ان يحمل عليها ما لا تطيق ومع العدل والانصاف يتأتى كل مراد ومن انحرف عن الجادة طالت طريقه ومن طوى منازل فى منزله وشك ان يفوته حاجة لاجله على ان الانسان الى التحريض لان العثور اول من الجد وبعد فاللازم فى العلم طلب المهم فرب صاحب حديث حفظ مثلا لحديث من اتى الجمعة فليغسل عشرين طريقا والحديث قد ثبت من طريق واحد فشغله ذلك عن معرفة آداب الغسل والعمر اقصر والنفس من ان يفرط منه فى نفس وكفى بالعقل مرشدا الى الصواب من عضده التوفيق

١٤٦ فصل

إذا صح قصد العالم استراح من كلف التكلف فان كثيرا من العلماء
يأنفون من قول لا ادرى فيحفظون بالفتوى جاههم عند الناس لئلا
يقال جهلوا الجواب وان كانوا على غير يقين مما قالوا وهذا غاية
الخذلان وقد روى عن مالك بن انس ان رجلا سأله عن مسئلة فقال
لا ادرى فقال سافرت البلدان اليك فقال ارجع الى بلدك وقل
سألت مالكا فقال لا ادرى فانظر الى دين هذا الشخص وعقله
كيف استراح من هذه الكلفة وسلم عند الله عز وجل ثم ان
لعله ردعيرهم
كان المقصود الجاه عندهم فقلوبهم لعله والله لقد رأيت
من يكثر الصلاة والصوم والصمت ويخشع فى نفسه ولباسه
والقلوب تنبو عنه وقدره فى النفوس ليس بذاك ورأيت
من يلبس فاخر الثياب وليس له كثير نفل ولا تخشع والقلوب
تتهافت على محبته فتدبرت السبب فوجدته السريرة كما روى
عن انس بن مالك انه لم يكن له كبير عمل من صلاة وصوم وانما
كانت له سريرة فمن اصلح سريرته فاح عبير فضله وعبقت
القلوب بنشر طيبه فالله الله فى السرائر فانه ماينفع مع
فسادها صلاح ظاهر

١٤٧ فصل

نزلت بى شدة واكثرت من الدعاء لطلب الفرج والراحة و
تأخرت الاجابة فانزعجت النفس وقلقت فصحت بها

ويلك تأملى امرك املوكة انت ام حرة مالكه امدبرة ام
مدبرة اما علمت ان الدنيا دار ابتلاء واختبار فاذا طلبت
اغراضك ولم تصبرى على ماينافى مرادك فاين الابتلاء وهل
الابتلاء الا الاغراض وعكس المقاصد فافهمى معنى التكليف
وقد هان عليك ماعز وسهل ما استصعب فلما تدبرت
ماقلته سكنت بعض السكون فقلت لها وعندى جواب ثان
وهو انك تقتضين الحق باغراضك ولا تقتضين نفسك
بالواجب له وهذا عين الجهل وانما كان ينبغى ان يكون الامر
بالعكس لانك مملوكة والمملوك العاقل يطالب نفسه بادآء
حق المالك ويعلم انه لا يجب على المالك تبليغه ما يهوى
فسكنت اكثر من ذلك السكون فقلت لها وعندى جواب ثالث
وهو انك قد استبطأت الاجابة وانت سددت طرقها
بالمعاصى فلو فتحت الطريق اسرعت كأنك ما علمت ان سبب
الراحة التقوى اوما سمعت قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه ويجعل له من امره يسرا اوما فهمت ان
العكس بالعكس آه من سكرة غفلة صار اقوى من كل سكر
فى وجه مياه المراد يمنعها من الوصول الى دار الامانى فعرفت
النفس ان هذا حق فاطمأنت فقلت وعندى جواب رابع وهو
انك تطلبين مالا تعلمين عاقبته وربما كان فيه ضررك فمثلك

ويلك تأملى امرك

كمثل طفل محروم يطلب الحلوى والمدبر لك اعلم بالمصالح كيف
وقد قال عسى ان تكرهوا شيئًا وهو خير لكم فلما بان الصواب
للنفس هذه الاجوبة زادت طمأنينتها فقلت لها وعندى
جواب خامس وهو ان هذا المطلوب ينقص من اجرك ويحط
من مرتبتك فى الآخرة فمنع الحق لك ما هذا سبيله عطاء
منه لك ولو انك طلبت ما يُصلح آخرتك كان اولى لك
فاولى لكان تفهمى ما شرحت لك فقالت لقد شرحت فى
رياض ما شرحت فهمت إذ فهمت

١٤٨ فصل

حضرنا بعض اعزية ارباب الاموال فرأيت العلماء اذل الناس عندهم
فالعلماء يتواضعون لهم ويذلون لموضع طمعهم فيه وهم لا يخلون
بهم لما يعلمون من احتياجهم اليهم فرأيت هذا عيبا فى الفريقين
اما فى اهل الدنيا فوجه العيب انهم كانوا ينبغى لهم تعظيم العلم
ولكنهم لجهلهم بقدره فاتهم وآثروا عليه كسب الاموال فلا ينبغى
ان يطلب منهم تعظيم ما لا يعرفونه ولا يعلمون قدره وانما اعود
باللوم على العلماء واقول ينبغى لكم ان تصونوا انفسكم التى شرفت
بالعلم عن الذل للاذلال وان كنتم فى غنى عنهم كان الذل لهم
والطلب منهم حسرانا عليكم وان كنتم فى كفاف فلم لا تؤثروا
التنزه عن الذل بالعفة عن الحطام الفانى الحاصل بالذلة

الا انه يتخيل لى من

الا انه يتخيل لى من هذا الامر انى علمت قلة صبر النفس على الكفاف
والعزوف عن الفضول فان وجد ذلك منها فى وقت لم يوجد
على الدوام فالاولى للعالم ان يجهد فى طلب الغنى وبالغ فى الكسب
وان بذل عليه كثيرا من زمان من طلب العلم فانه يصون به
عرضه وقد كان سعيد بن المسيب يتجر بالزيت وخلف عالا و
خلف سفيان الثورى مالا وقال لولاك لتمندلوا بى وقد
سبق فى كتابى هذا فى بعض الفصول شرف المال ومن كان
من الصحابة والعلماء يقتنيه والسر فى فعلهم ذلك وحث طالب
العلم على ذلك ما ينسبه من التفسى لا تثبت على التعفف ولا
تصبر على دوام الزهد وكم قد رأينا من شخص قويت عزيمته
على طلب الآخرة فاخرج ما فى يديه ثم ضعف فعاد يكتسب من
اقبح وجه فالاولى اذخار المال والاستغناء عن الناس ليخرج
الطمع من القلب ويصفو نشر العلم من شائبة نيل ومن تأمل اخبار
الاخيار وجدهم على هذه الطريقة وانما سلك طريق الترفه
عن الكسب من لم يؤثر عند الدين والوجه فطلب الراحة
ونسى انها فى المعنى عناء كما فعل جماعة من المتصوفة جهال
فى اخراج ما فى ايديهم وادعاء التوكل وما علموا ان الكسب لا
ينافى التوكل وانما طلبوا طريق الراحة وجعلوا التعرض
للناس كسبا وهذه طريقة مركبة من شيئين احدهما

قلة الانفة على العرض والثانى قلة العلم

١٤٩ فصل

تأملت وقوع المعاصى من العصاة فوجدتهم لا يقصدون العصيان وانما يقصدون موافقة هواهم فيقع العصيان تبعًا فنظرت فى سبب ذلك الاقدام مع العلم بوقوع المخالفة فاذا به ملاحظتهم لكرم الخالق وفضله الزاجر ولو انهم تأملوا عظمته وهيبته ما انبسطت كف المخالفة فانه ينبغى والله ان يحذر ممن اقل فعله تعميم الخلق بالموت حتى الفاه الحيوان اليهم للذبح وتعذيب الاطفال بالمرض وفقر العالم وغنى الجاهل فليعرض المقدم على الذنوب على نفسه الحذر ممن هذه صفته فقد قال تعالى ويحذركم الله نفسه وملاحظة اسباب الخوف ادنى الى الامن من ملاحظة اسباب الرجا فالخائف اخذ بالحزم والراجى متعلق بحبل لمع وقد يخلف الظن

١٥٠ فصل

رأيت عموم ارباب الاموال يستخدمون العلماء ويستدلونهم بشئ يسير يعطونهم من زكاة اموالهم فان كان لاحدهم خصومة قال ما حضر وان مرض قال فلان ما تردد وكل منتسب عليه شئ نزر تحت تسليمه الامثله وقد رضى العلماء بالذل فى ذلك الموضع

الضرورة فرأيت

الضرورة فرأيت ان هذا جهل من العلماء بما يجب عليهم من صيانة العلم ودواؤه من جهتين احداهما القناعة باليسير كما قيل من رضى بالخل والبقل لم يستعبده احد وان جل والثانى صرف بعض الزمان المصروف فى خدمة العلم الكسب الدنيا فانه يكون سببًا لاعزاز العلم وذلك افضل من صرف جميع الزمان فى طلب العلم مع احتمال لهذا الذل ومن تأمل ما تأملته وكان له انفة قدر قوته واحتفظ بما معه اوسعى فى مكتسب يكفه ومن لم يأنف من مثل هذه الاشياء لم يحظ من العلم الا بصورته دون معناه

١٥١ فصل

مدار الامر كله على العقل فاذا تم العقل فانه لم يعمل صاحبه الا على اقوى دليل وثمرة العقل فهم الخطا وتلمح المقصود من الامر ومن فهم المقصود من [illegible] وعمل على الدليل كالبانى على اساس وثيق واذا رأيت كثيرا من الناس لا يعملون على دليل بل كيف اتفق وربما كان دليلهم العادات وهذا اقبح شئ يكون ثم رأيت خلقا كثيرا لا يثبتون الدليل بطريق اثباته كاليهود والنصارى فانهم مقلدون الآباء ولا ينظرون فيما جاء من الشرائع هل هو صحيح ام كذلك يثبتون الآله ولا يعرفون

ما يجوز عليه وما لا يجوز عليه فينسبون اليه الولد ويمنعون جواز
تغييره ما شرع وهؤلاء لم ينظروا حق النظر لما في اثبات الصانع وما
يجوز عليه ولا في الدليل على صحة النبوات فتقع اعمالهم ضائعة
كالبناني على الرمل ومن هذا القبيل في المعنى قوم يتعبدون
ويتزهدون وينصبون ابدانهم في العلم باحاديث باطلة ولا يسألون
عنها من يعلم ومن الناس من يثبت الدليل ولا يفهم المقصود
الذي دل عليه الدليل ومن هذا الجنس قوم سمعوا ذم الدنيا
فتزهدوا وما فهموا المقصود فظنوا ان الدنيا تذم لذاتها
وان النفس تجب عداوتها محمله على انفسهم فوق ما يطاق
وعذبوها بكل نوع ومنعوها حظوظها جاهلين بقوله عليه
الصلاة والسلام ان لنفسك عليك حقا وفيهم من ادت به
الحال الى ترك الفرائض وتحول الجسم وضعف القوى وكان
ذلك لضعف الفهم للمقصود وتلمح كالمراد كما روي عن ابي داود
الطائي انه كان يترك ماءه في دن تحت الارض فيشرب منه
وهو شديد الحر وقال لسفيان اذا كنت تأكل اللذيذ الطيب
وتشرب الماء البارد فمتى تحب الموت والقدوم على الله
وهذا جهل بالمقصود فان شرب الماء الحار يورث امراضا
في البدن ولا يحصل به الري وما امرنا بتعذيب انفسنا في
الصورة بل بخلاف ما تدعوا اليه مما نهى الله عنه وفي الحديث

الصحيح ان ابا بكر

الصحيح ان ابا بكر رضي الله عنه لما حلب له الراعي في طريق
الهجرة صب الماء على القدح حتى برد اسفله ثم سقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفرش له في ظل صخرة وكان يستعذب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الماء وقال ان كان عندكم ماء بات في سن
والا كرعنا ولو فهم داود رحمه الله تعالى ان صلاح علف الناقة
متعين لقطع المنزل لم يفعل هذا الا ترى الى سفيان الثوري
فانه كان شديد المعرفة والخوف وكان يأكل اللذيذ ويقول
ان الدابة اذا لم يحسن اليها لم تعمل ولعل بعض من لم يسمع
كلامي هذا يقول هذا ميل على الزهاد فاقول كن مع العلماء
وانظر الى طريق الحسن وسفيان ومالك وابي حنيفة واحمد
والشافعي وهؤلاء اصول الاسلام ولا تقلد دينك من قل
علمه وان قوى زهده واحمل امره على انه كان يطيق هذا ولا
تقتدي بهم فيما لا تطيقه فليس امرنا اليها والنفس وديعة
عندنا فان انكرت ما شرحته فانت ملحق بالقوم الذين انكرت
عليهم هذا رمز الى المقصود والشرح يطول

١٥٢ فصل

الواجب على العاقل ان يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما يجيء من مكروه
مثاله انه قد ثبت بالدليل القاطع حكمة الخالق عز وجل

وملكه وتدبيره فاذا رأى الانسان محروما وجاهلا مرزوقا
اوجب عليه الدليل المثبت حكمة الخالق التسليم اليه ونسبة العجز
عن معرفة الحكمة الى نفسه فان اقواما لم يفعلوا ذلك جهلا
منهم فتراهم بماذا حكموا بفساد هذا التدبير اليس بمقتضى عقولهم
من جملة مواهبه فكم يحكم على حكمته وتدبيره ببعض مخلوقاته
التي صحى بالاضافة اليه انقص من كل شئ ولقد بلغني عن اللغين
ابن الراوندي انه كان جالسا على الجسر وفي يده رغيف يأكله
فجازت خيل واموال فقال لمن هذه فقيل لفلان الخادم فجازت
خيل واموال فقال لمن هذه فقيل لفلان الخادم فلما مر الخادم
راى شخصا محتقرا فرمى الرغيف الى ناحيته وقال وهذا الفلان
ما هذه القسمة ولو فكر المدبر لبانت له وجوه اقلها جهله
بمن يدعي معرفته وقلة تعظيمه وذلك يوجب عليه اشد
مما كان فيه من تضييق العيش ولكنه ميراث ابليس حيث
اعتقد سوء التدبير في تفضيل آدم عليه السلام فالعجب من تلميذ
يتعلم على استاذه ومن مملوك يتيه على سيده ومما ينبغي ان
يتبع فيه الدليل ولا يلتفت الى ما جنت الحال ان العلم اشرف
مكتسب وقد راى جماعة من الجهلة قلة حظوظ العلماء من

الدنيا فاحتقروا

الدنيا فاحتقروا فازروا على العلم وقالوا لا فائدة فيه وذلك
لجهلهم بمقدار العلم فان تابع الدليل لا يبالي ما جنى وانما
يتبين الاختبار بعقد الفرض ولو لم يكن من الدليل على صدق
نبينا صلى الله عليه وسلم الا اعراضه عن الدنيا وتضييق العيش
عليه ثم لم يخلف شيئا وحرم اهله الميراث فدل على صدق طلبه
لمطلوب آخر وربما رأى الجاهل قوما من العلماء يفعلون
خطيئة فيزري على العلم ويدعيه نقصا وهذا غلط كبير فليتق
الله العاقل وليعمل بمقتضى العقل فيما يأمر به في طاعة الله
تعالى والعمل بالعلم وليعلم ان الابتلاء بالصبر على فوات المطلوبات
دليل لاتباع الدليل وان حبي مكروها والله الموفق

١٥٣ فصل

قرأت سورة يوسف عليه السلام فتعجبت من مدحه عليه السلام
على صبره وشرح قصته للناس ورفع قدره بترك ما ترك
فتأملت خبيئة الامر فاذا هي مخالفة الهوى المكروه فقلت
واعجبا لو وافق هواه من كان يكون ولما قد خالفه لقد
صار امرا عظيما يضرب الامثال بصبره ويفتخر على الخلق باجتهاده
وكل ذلك لصبر ساعة ~~ساعة~~ عز فيالله عزا وفخرا لقاوم كل

لحظة من ذكره امثال متاعة الصبر عن المحبوب وبالحكس منه حالة
آدم عليه السلام فى موافقة هواه لقد عادت غصة فى حقه ابد الولا
التدارك فتاب عليه فتلمحوا رحمكم الله عاقبة الصبر ونهاية الهوى
فالعاقل من ميز بين الأمرين الحلوين والمرين فان من عدل ميزانه
ولم تمل به كفة الهوى راى كل الارباح فى الصبر وكل الخسران
فى موافقة النفس وكفى بهذا موعظة فى مخالفة الهوى لاهل
النهى والله الموفق

١٥٤ فصل

رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لايكاد يكفى صلاح القلب
الا ان يمزج بالرقائق والنظر فى سير السلف الصالحين فاما
مجرد العلم بالحلال والحرام فليس له كبير عمل فى رقة القلب وانما
ترق القلوب بذكر رقائق الحديث واخبار السلف الصالحين
لانهم تناولوا مقصود النقل وخرجوا عن صور الافعال
المأمور بها الى ذروة معانيها والمراد بها وما اخرتك بهذا
الا بعد معالجة وذوق لانى وجدت جمهور المحدثين وطلاب
الحديث همة احدهم فى الحديث العالى وتكثير الاجزاء و
جمهور الفقهاء فى علوم الجدل وما يغالب به الخصم وكيف
يرق القلب مع هذه الاشياء وقد كان جماعة من السلف

يقصدون العبد الصالح

يقصدون العبد الصالح للنظر الى سمته وهديه لالاقتباس علمه
وذلك ان ثمرة علمه هديه وسمته فافهم هذا وامزج طلب
الفقه والحديث بمطالعة سير السلف الزهاد فى الدنيا ليكون
سبب الرقة قلبك وقد جمعت لكل واحد من مشاهير الاخيار
كتابا فيه اخباره وآدابه فجمعت كتابا فى اخبار الحسن وكتابا
فى اخبار سفيان الثورى واخبار ابراهيم بن ادهم وبشر الحافى و
احمد بن حنبل ومعروف الكرخى وغيرهم من العلماء والزهاد
والله الموفق للمقصود ولا يصلح العمل مع قلة العلم فهو فى
ضرب المثل كسائق وقائد والنفس بينهما حرون
مع حد السايق والقائد ينقطع المنزل ونعوذ بالله من
الفتور

١٥٥ فصل

ترخصت فى شئ يجوز فى بعض المذاهب فوجدت فى قلبى قسوة
عظيمة وتخايل الى نوع طرد عن الباب وبعد وظلمة فتكاثفت
فقالت نفسى ما هذا اليس ما خرجت عن اجماع الفقهاء فقلت
يا نفس السوء جوابك من وجهين احدهما انك تأولت مالا تعتقدين
فلو استفتيتنى لم تفتنى بما فعلت قالت لو لم اعتقد جواز
ذلك ما فعلته قلت الان اعتقادك ما ترضينه لغيرك

في الفتوى والثاني انه ينبغي لك المفرح بما وجدت من الظلمة
عقيب ذلك لانه لا نور في قلبك ما اكثر مثل هذا عندك
قالت فلقد استوحشت هذه الظلمة المتجددة في القلب قلت
فاعزمي على النسك وقدري ما تركت جائزا بالاجماع وعدي
هجر ودعاوقد سلمت

١٥٦ فصل

مما افادتني تجارب الزمان انه لا ينبغي لاحد ان يظاهر بالعداوة
احدا منهما استطاع فانه ربما يحتاج اليه وان الانسان قد
لا يظن الحاجة اليه يوما كما قد يحتاج الى عود منبوذ بالارض
لا يلتفت اليه وكم من محتقر احتيج اليه وان لم تقع الحاجة الى ذلك
الشخص في جلب نفع وقت الحاجة في دفع ضرر ولقد احتجت
في عمري الى ملاطفة اقوام ما خطر لي قط وقوع الحاجة الا لتلطف
بهم واعلم ان المظاهرة بالعداوة قد يجلب اذى من حيث لا يعلم
لان المظاهر بالعداوة كشاهر السيف ينتظر مضربا وقد يلوح
مضرب خفي وان اجتهد المتدرع في ستر نفسه فيغتنمه ذلك
العدو فينبغي لمن عاش في الدنيا ان يجتهد في ان لا يظاهر بالعداوة
احدا لما ثبت من وقوع الخلق بعضهم الى بعض واقدار بعضهم على
ضرر بعض وهذا فصل مفيد متين فائدته للانسان مع تقلب
الزمان

١٥٧ فصل

رأيت النفس تنظر الى لذات ارباب الدنيا العاجلة وتنسى

كيف حصلت وما يتضمنها من الآفات وبيان هذا انك ان رأيت
صاحب امارة وسلطنة فتأملت نعمته وجدتها مشوبة بالظلم
فان لم تقصده هو حصل من عماله ثم هو خائف منازع في كل اموره
حذر من عدو ان يسمه قلق ممن هو فوقه ان يعزله ومن نظيره
ان يكيده ثم اكثر زمانه مضى في خدمة من يخافه من المخلاطين وفي
حساب اموالهم وتنفيذ اوامرهم التي لا تخلو من اشياء منكره وان
عزل اربى ذلك على جميع ما نال من لذة ثم تلك اللذة مغمورة بالخذ
فيها ومنها وعليها وان رأيت صاحب تجارة رأيته ثم متقطع في
البلاد فلم ينل منالا الا بعد علو السن وذهاب زمان اللذة كما
حكي ان رجلا من اولاد الرؤساء كان حال شبيبته فقيرا فلما
كبر استغنى وملك اموالا واشترى عبيدا من الترك وغيرهم وجواري
من الروم فقال هذه الابيات في شرح حاله شعر

× ماكنت ارجوه اذ كنت ابن عشرينا × ملكته بعد ان جاوزت سبعينا ×
× تطيف بي من بنات الروم رائقة × مثل الغصون على كثبان يبرينا ×
× وحرة من بنات الروم رائقة × يحكين بالحسن حور الجنة العينا ×
× يغمزنني باساريع منعمة × تكاد تعقد من اطرافها لينا ×
× يردن احياء ميت لاحراك به × وكيف يحيين ميتا صار مدفونا ×
× قالوا انينك طول الليل يسهرنا × فما الذي تشتكي قلت الثمانينا ×

وهذه الحالة هي الغالبة فان الانسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحب الا
عند قرب رحيله فان ندر ما يجب في بداية شبابه فالصورة

بيان
فالصورة

مانعة من فهم التدبير في الالتذاذ والانسان في حالة الصبوة لا يدري
اين هو الى ان يبلغ فاذا بلغ كانت همته في المنكوح كيف اتفق فان
تزوج هجاءه الاولاد ممنوعا باللذة وانكسر في نفسه وافتقر الى الكسب
عليهم فبينما هو قد وعك في تلك المديدة القريبة الثلاثين وخطه
الشيب فانقرف من نفسه لعلمه ان النساء يتقزقن منه كما قال
ابن المعتز شعر

لعله الخود

واتعبت نفسي في شبيبتي × فكيف بحيني الخرد الكعابه ×

فاذا فهم التمتع بالمستحسنات وخرج عن طلب صورة النكاح لم يجد
مالا يبلغ به المراد فان كسب ضاع زمن التمتع واذا تم المطلوب
كان الشيب اقبح قذى واعظم منغص ثم ان صاحب المال خائف
على ماله محاسب لعامليه مذموم ان اسرف وان قتر ولده يرصد
موته وجاريته قد لا ترضى شخصه وهو مشغول بحفظ حواشيه
فقد مضى زمانه في محن واللذات فيه خلس معتادة لا لذة فيها
ثم في القيامة يحشر الامير والتاجر الا من عصم الله فاياك اياك
ان تنظر الى صورة نعيمهم فانه تستطيبه لبعده عنك ولو قد
نلته برد عندك عندك ثم في ضمنه من محن الدنيا والآخرة مالا
يوصف فعليك بالقناعة مهما امكن ففيها سلامة الدنيا والدين
وقد قيل لبعض الزهاد وعنده خبز يابس كيف تشتهيه قال اتركه
حتى اشتهيه

١٥٨ فصل

وقع بيني وبين

وقع بيني وبين بعض ارباب الولايات نوع معاداة لاجل المذهب
فاني كنت في مجلس التذكير انص ان القرآن كلام الله وانه قديم
واقدم ابا بكر واتفق في ارباب الولايات من يميل الى مذهب
الاشعري وفيهم من يميل الى مذهب الرافضة وتمالوا علي في الباطن
فقلت يوما في مناجاتي للحق سبحانه وتعالى سيدي نواصي
الكل في يدك وما فيهم من يقدر لي على ضر الآ ان تجريه على يده
وانت قلت سبحانك وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
وطيبت قلب المبتلى بقولك قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا
فان اجريت على ايدي بعضهم ما يوجب خذلاني كان خوفي
على ما نصرته اكثر من خوفي على نفسي لئلا يقال لو كان على حق ما خذل
وان نظرت الى تقصيري وذنوبي فاني مستحق للخذلان غير اني اعيش
بما نصرته من السنة فادخلني في حفارته قد استوهبتك عني اياك
خلق من عبادك صالح فان لم تحفظني به فاحفظني بهم سيدي
انصرني على من عاداني فانهم لا يعرفونك كما ينبغي وهم معرضون
عنك على كل حال وانا على تقصيري اليك انسب

١٥٩ فصل

روي عن الحلاج الصوفي انه كان يقعد في الشمس في الحر الشديد
وعرقه يسيل فجاز بعض العقلاء فقال يا احمق هذا التقاوي
على الله تعالى وما احسن ما قال هذا فانه ما وضع التكليف
الا على خلاف الاغراض وقد يخرج صاحبه الى ان يعجز

عن الصبر فالجاهل الاحمق من يتعاوى ويسئل البلا كما قال ذلك
الابلة كيف ماشئت فاصبر فى ٭ والسعيد من ذل وسأل الله
العافية فانه لا يوهب العافية على الاطلاق فلابد من بلاء فلا يزال
العاقل يسئل العافية لتغلب على جمهور احواله فيقر بالصبر على
ايسر البلا وفى الجملة ينبغى للانسان ان يعلم انه لا سبيل الى
محبوباته ففى جرعة غصص وفى كل لقمة شجا ومن لم يعشق
الدنيا قديما ولكن لا سبيل الى الوصال وعلى الحقيقة بالصبر
الا على الاقدار وقل ان تجرى الاقدار الا على خلاف مراد النفس
فالعاقل من دارى نفسه بالصبر بوعد الاجر وتسهيل الامر
ليذهب زمان البلا شكوى ثم يستغيث
بالله تعالى سائلة العافية فانا المتجلد فما عرف الله تعالى
قط نعوذ بالله من الجهل به ونسئله عرفانه انه كريم مجيب

سالا مس شكوى ثم يستغيث

١٦٠ فصل

الجادة السليمة والطريق القويم الاقتداء بصاحب الشرع و
البدار الى الاستنان به فهو الكامل الذى لا نقص فيه فان
خلقا كثيرا انحرفوا الى جادة الزهد وحملوا على انفسهم فوق الجهد
فافاقوا فى اواخر العمر والبدن قد نهك وفاتت امورا
مهمة من العلم وغيره وان اقواما انحرفوا الى صورة العلم
فبالغوا فى طلبه فافاقوا فى آخر قدم وقد فاتهم العمل به

فطريق المصطفى

فطريق المصطفى صلى الله عليه وسلم العلم والعمل ٭ والتلطف بالبدن
كما اوصى عبد الله بن عمرو وقال له ان لنفسك عليك حقا ولزوجك
عليك حقا فهذه هى الطريق الوسطى الفصل فاما اليبس المجرد
فكم فوت من علم لو حصل نيل به اكثر مما نيل بالعلم فان مثل العالم
كرجل يعرف الطريق والعابد جاهل بها فيمشى العابد من الفجر
الى العصر ويقوم العالم قبيل العصر فيلتقيان وقد سبق العالم فضل
شوط فان قال بتن لك لى هذا قلنا صورة التعبد خدمة الله
تعالى والذل له وربما لم يطلع العابد على معنى تلك الصورة لانه
ربما ظن انه اهل لوجود الكرامة على يده وانه مستحق تقبيل يده
او انه خير من كثير من الناس وذلك كله من قلة العلم واعنى
بالعلم فهم اصول العلم لا كثرة الرواية ومطالعة مسائل الخلاف
فاذا طالع العالم الاصول سبق هذا العابد بحسن خلق ومداراة
الناس وتواضعه فى نفسه وارشاده الخلق الى الله تعالى فيعبر
على هذا العابد وهو فى ليل جهله لا لحال راقد وربما تزوج العابد
وحمل نفسه على التجفف فحبس زوجته عن مطلوبها ولم يطلقها
وصار كالتى حبست الهرة فلا هى اطعمتها ولا هى ارسلتها تأكل
من حشاش الارض ومن تأمل حالة الرسول صلى الله عليه وسلم
رأى كاملا من الخلق يعطى كل ذى حق حقه فتارة يمزح ويضحك
ويداعب الاطفال ويسمع الشعر ويتكلم بالمعاريض ويحسن معاشرة

النساء ويأكل ما قدر عليه ويفتح له وان كان لذيذا كالعسل
ويستعذب له الماء ويفرش له في الظل ولم ينكر ذلك ولم يسمع
عنه بمثل ما حدث بعده من جهال المتصوفة والمتزهدين من
منع النفس شهواتها على الاطلاق فقد كان يأكل البطيخ بالرطب
ويقبل ويمص اللسان ويطلب المستحسنات فامّا اكل خبز
الشعير ووزن المأكول وتخفيف البدن وهجر كل مشتهى فانه
تعذيب للنفس وهدم للبدن لا يقتضيه عقل ولا يمدحه شرع
وانما اقتنع اقوام بالقليل لاسباب مثل ان حدثت شبهة فتقللوا
وان اختلط طعام بطعام فتورعوا ثم كان النبي صلى الله عليه وسلم
يوفي العبادة حقها بقيام الليل والاجتهاد في الذكر فعليك
بطريقته التي هي اكمل الطرق بشرعته التي لا شوب فيها ودع حديث
فلان وفلان من الزهاد واحمل امرهم على احسن محمل وافهم لهم
الاعذار مهما قدرت فان لم تجد عذرا فهم محجوجون بفعلة آدم
قدوة الخلق وسيد العقلاء وهل فسد الناس الا بالانحراف
عن الشريعة ولقد حدثت آفات من المتصوفة والمتزهدين
خرقوا بها سبكة الشريعة وعبروا فمنهم من يدعي المحبة والشوق
ولا يعرف المحبوب فتراه يصيح ويستغيث ويمزق ثيابه
ويخرج عن حد الشرع بدعواه ومضمونها ومنهم من حمل على نفسه

بالجوع والصوم

بالجوع والصوم الدائم وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال لعبد الله بن عمرو صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من
ذلك فقال لا افضل من ذلك ومنهم من خرج الى السياحة
فافات نفسه الجماعة ومنهم من دفن كتب العلم وقعد يصلي و
يصوم ولم يعلم ان دفنها خطأ قبيح لان النفس تغفل وتحتاج
الى التذكير في كل وقت ونعم المذكر كتب العلم وانما دخل ابليس
على كل قوم منهم من حيث قدر، وكان مقصوده بدفن الكتب
اطفاء المصابيح ليصير العابد في الظلمة وما احسن ما قال بعض
العلماء لرجل سئله فقال اريد ان امضي الى جبل الاكام فقال
منه (هركلة) وهذه كلمة عامية معناها البكالة وعلى الحقيقة
الزهاد في مقام الخفافيش قد دفنوا انفسهم بالعزلة عن
نفع الناس وهي حالة حسنة اذا لم تمنع عن خير من جماعة
واتباع جنازة وعيادة مريض الا انها حالة الحسناء فاما
الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون وهي مقامات الانبياء عليهم
السلام اترى كم بين العابد اذا نزلت به حادثة وبين الفقيه
بالله لو مال الخلق الى التعبد لضاعت الشريعة على انه لو فهم
معنى التعبد لم يقتصر به على الصلاة والصوم فرب ماش
في حاجة مسلم افضل تعبدا من ذلك على صوم سنة والعمل
بالبدن سعي الآلات الظاهرة والعلم سعي الآلات الباطنة من

العقل والفهم والفكر فلذالك كان اشرف فان قلت كيف تذم المعتزلين
للشر الى التعبد قلت ما اذمهم بل حمدت منهم حوادث اقتضاها
الجهل والدعاوى من الآفات التي سببها قلة العلم وحملوا على انفسهم
التي ليست لهم وعن غير اذن الامر مالم يجز حتى ان احدهم يرى ان
فعل ما يؤذى النفس على الاطلاق فضيلة حتى قال بعض المحققا دخلت
الحمام فوجدت غفلة فاذا كيت ان لا اخرج حتى أسبح كذا وكذا تسبيحة
فطال الامر فمرضت وهذا رجل خاطر بنفسه في فعل ما ليس له ومن
المتصوفة والزهاد من قنع بصورة اللباس وركب من الجهل في الباطن
ما لا يسعه كتاب طهر الله منهم الارض واعان العلماء عليهم فان
اكثر الحمقى معهم فلو انكر عالم على احدهم مال العوام على العالم لقوة
الجهل ولقد رأيت كثيرا من المتعبدين وهو في مقام العجائز يسبح
تسبيحا لا يجوز النطق به ويفعل في صلاته مالم ترد به السنة ولقد
دخلت يوما على بعض من كان يتعبد وقد اقام اماما وهو خلفه
في جماعة يصلي بهم صلاة الضحى ويجهر فقلت لهم ان [illegible] النبي
صلى الله عليه وسلم قال صلاة النهار عجماء فغضب ذالك الزاهد
وقال لم ينكر هذا علينا وقد دخل وانكر وفلان وانكر نحن نرفع
اصواتنا حتى لا ننام فقلت واعجبا من قال لكم لا تناموا اليس في
الصحيحين من حديث ابن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
قم ونم وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ولعله ما فضت
عليه ليلة الا ونام فيها ولقد شاهدت رجلا كان يقال له حسين

القزويني بجامع

القزويني بجامع المنصور وهو يمشي في الجامع مشيا كثيرا دائما
فسألت ما السبب في هذا المشي فقيل لي حتى لا ينام وهذه كلها
حماقات اوجبها قلة العلم لانه اذا لم تأخذ النفس حظها من النوم
اختلط العقل والمراد وفات المراد من التعبد لبعد الفهم ولقد حدثني
بعض الصالحين المجاورين بجامع المنصور ان رجلا اسمه كثير دخل
اليهم الجامع فقال اني عاهدت على امر فنقضته وقد جعلت
عقوبتي لنفسي ان لا آكل شيئا اربعين يوما قال فمكث منها
عشرة ايام قريب الحال يصلي في جماعة ثم في العشر الثاني يصلي
قاعدا وقد بان ضعفه وكان يداري الامر ثم في العشر الثالث
يصلي قاعدا ثم استطرح في العشر الرابع فلما تمت الاربعون
جئ بنقوع فشربه فسمعنا صوته في حلقه مثل ما يقع الماء على المقلى
ثم مات بعد ايام فقلت بالله العجب انظروا ما فعل الجهل باهله
ظاهر هذا انه في النار الآن يعفى عنه ولو فهم العلم وسأل العلماء
لعرفوه انه يجب عليه ان يأكل وان ما فعل بنفسه حرام ولكن
من اعظم الجهل استبداد الانسان بعلمه وكل هذه الحوادث
نشأت قليلا قليلا حتى تمكنت فاما الشرب الاول فلم يكن فيه من
هذا شيئا وما كانت الصحابة تفعل شيئا من هذه الاشياء
وقد كانوا يؤثرون ويأكلون دون الشبع ويصبرون اذا لم يجدوا
فمن اراد الاقتداء فعليه بالرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه
ففي ذالك الشفاء والمطلوب ولا ينبغي للعاقل ان يخلد الى

تقليد معظم اشاعت اسمه فيقول قال ابو يزيد. وقال الثوري
فان المقلد اعمى وكم قد رأينا اعمى يأنف من حمل عصى فمن فهم
هذه المشارة اليه طلب الافضل والاعلى والله الموفق

١٦١ فصل

تأملت الدخل الذي دخل ~~الذي دخل~~ في ديننا في العلم والعمل فرأيته
من طريقين قد تقدما هذا الدين وانس بهما فما اصل الدخل
في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة وهو ان خلقا من العلماء في ديننا
لم يقنعوا بما قنع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانعكاف
على الكتاب والسنة فاوغلوا في النظر في مذاهب اهل الفلسفة
وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب ردية افسدوا
بها العقائد واما اصل الدخل في باب العمل فمن الرهبانية
فان خلقا من المتزهدين اخذوا عن الرهبان طريق التقشف
ولم ينظروا في سير نبينا صلى الله عليه وسلم واصحابه وسمعوا
ذم الدنيا وما فهموا المقصود فاجتمع لهم الاعراض عن علم شرعنا
مع سوء الفهم للمقصود فحدثت منهم بدع قبيحة فاول ما ابتدا
به ابليس انه امرهم بالاعراض عن العلم فدفنوا كتبهم وغسلوها
والزمهم زاوية التعبد فيما زعم واظهر لهم من الخزعبلات
ما اوجب اقبال العوام عليهم فجعل الههم هواهم ولو علموا انهم

منذ دفنوا

فارصدها الاوقات زيارتهم لئلا يضيع شيء من وقتي فسال الله عز وجل ان يعرفنا
شرف اوقات العمر وان يوفقنا لاغتنامه ولقد شاهدت خلقا كثيرا لا يعرفون
معنى الحياة فمنهم من اغناه الله عن الكسب بكثرة ماله فهو يتجر في السوق
اكثر النهار وينظر الى الناس وكم تمر به من آفة ومنكر ومنهم من يخلو بلعب
الشطرنج ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحوادث من السلاطين والعلماء
والرخص الى غير ذلك فعلمت ان الله تعالى لم يطلع على شرف العمر ومعرفة
قدر اوقات العافية الا من وفقه والمهم اغتنام ذلك وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم

فصل ١٦٢

رايت من الراي القويم ان نفع التصانيف اكثر من نفع
التعليم بالمشافهة لاني اشافه في عمري عددا من المتعلمين واشافه بتصنيفي
خلقا لا تحصى ما خلقوا بعد ودليل هذا ان انتفاع الناس بتصانيف المتقدمين
اكثر من انتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم فينبغي للعالم ان يتفرغ على التصانيف
ان وفق للتصنيف المفيد فانه ليس كل من صنف صنف وليس المقصود
جمع شيء كيف كان انما هي اسرار يطلع الله عز وجل عليها من شاء ويوفقه
لكشفها فيجمع ما فرق او يرتب ما شتت او يشرح ما اهمل هذا هو التصنيف
المفيد وينبغي اغتنام التصنيف وسط العمر لان اوائل العمر زمن الطلب
واخره كلال الحواس وربما خان الفهم والعاقل من قدر عمره وانما يكون
التقدير على العادات الغالبة لا انه يعلم الغيب فيكون زمان الطلب
والحفظ والتشاغل الى الاربعين ثم يبتدي بعد الاربعين بالتصانيف
والتعليم هذا اذا كان قد بلغ ما يريد من الجمع والحفظ واعني على تحصيل
المطالب فاما اذا قلت الآلات عنده من الكتب او كان في اول عمره ضعيف
الطلب فلم ينل ما يريده في هذه الاوان اخر التصانيف الى تمام خمسين سنة

ثم بدا بعد الخمسين في التصنيف والتعليم الى راس الستين
ثم مزيد فيما بعد الستين في التعليم ويسمع الحديث والعلم
ويبطل التصانيف الان يقع بهم الى راس السبعين فاذا جاوز
السبعين جعل الغالب عليه ذكر الاخرة والتهيئ للرحيل فيوفر
نفسه على نفسه الامن يعليم يحتسبه او تصنيف يفتقر
اليه فذلك اشرف العدد للاخرة ولكن همته في تنظيف
نفسه وتهذيب خلاله والمبالغة في استدراك زلاته
فان اختطف في خلال ما ذكرنا فنية المؤمن خير من عمله وان
بلغ الى هذه المنازل فقد بينا ما يصلح لكل منزل وقد
قال سفيان الثوري من بلغ ستين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فليتخذ لنفسه كفنا وقد بلغ جماعة من العلماء سبعا وسبعين
سنة منهم احمد بن حنبل فان بلغها فليعلم انه على شفير
القبر وان كل يوم يأتي بعدها مستطرف فان تمت له
الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة الى تنصيف خلاله
وتهيئة زاده وليجعل الاستغفار حليفه والذكر
انيقه وليدقق في محاسبة النفس في بذل العلم او
مخالطة الخلق فان قرب الاستعراض للجيش يوجب
عليهم الحذر من العارض واليبالغ في ابقاء اثره قبل
رحيله مثل بيث علمه وانفاق كتبه وشيء من ماله
وبعد فمن تولاه الله عز وجل علمه ومن اراد الله
سأل الله عز وجل ان ينعم علينا بان يتولانا ولا يتولا عنا

انه قريب مجيب صح
وفقنا رأيت عادات الناس وقد غلبت على علمهم الخ

منذ دفنوا كتبهم وفارقوا العلم انطفى مصباحهم ما فعلوا لكن ابليس دقيق المنقب وفخه دفين تحت الارض وبالعلم يعلم فساد الطريقين ويهتدى الى الاصوب نسئل الله عز وجل ان لا يحرمنا اياه فانه النور فى الظلم والانس فى الوحدة والوزير عند الحادثة

١٦٢ فصل

اعوذ بالله من صحبة البطالين لقد رأيت خلقا كثيرا يجرون معى فيما قد اعتاده الناس من كثرة الزيارة ويسيمون ذلك التردد خدمة ويطلبون الجلوس ويجرون فيه احاديث الناس ومالا يعنى ويتخللة غيبة وهذا شئ يفعله فى زماننا كثير من الناس وربما طلبه المزور وتشوف اليه واستوحش من الوحدة خصوصا فى ايام التهانى والاعياد فلما رأيت ان الزمان اشرف شئ والواجب انتهابه بفعل الخير كرهت ذلك وبقيت معهم بين امرين ان انكرت عليهم وقعت الوحشة لموضع قطع المألوف وان تقبلته منهم ضاع الزمان فصرت ادافع باللقاء جهدى فاذا غلبت قصرت فى الكلام لاتعجل الفراق ثم اعددت اعمالا لا تمنع من الحادثة لاوقات لقائهم لئلا يمضى الزمان فارغا فجعلت من المستعد للقائهم قطع الكاغد وبرى الاقلام وحزم الدفاتر فان هذه الاشياء لابد منها ولا تحتاج الى فكر وحضور قلب نسئل الله ان يوفقنا لاغتنام اوقات العمر

هنا ساقط ورقة

١٦٣ فصل

رأيت عادات الناس قد غلبت على عملهم بالشرع فهم يستوحشون من فعل الشئ لعدم جريان العادة لانهى الشرع فكم من رجل يوصف بالخير يبيع ويشترى فاذا حصلت له القراضة باعها بالصحيح من غير تقليد للامام او عمل برخصة من القوم واستثقال للاستفتاء ونرى خلقا يحافظون على صلاة الرغائب ويتوانون عن الفرائض وكثير من المتصوفين لا يستوحشون من ظلم الناس ثم يتصدقون على الفقراء وربما توانوا عن اخراج الزكاة وتكاسلوا عن استعمال التأويلات فيها ثم اذا حضر احدهم مجلس وعظ بكى كانه يصانع بتلك الحال ومنهم من يخرج الزكاة مصانعة عما لا يخرجه ومنهم من يعلم ان اصل ماله حرام ويصعب عليه فراقه للعادة وفيهم من يحلف بالطلاق ويحنث ويرى الفراق صعبا فربما تأول وربما تكاسل عن التأويل اتكالا على عفو الله ووعدا من النفس بالتوبة ومنهم من يرى ان استعمال الشرع ربما كان سببا فى تضييق معاشه وقد الف التفسح فلا يسهل عليه فراق ما قد الف والعادات فى الجملة هى المهلكة ولقد حضر عندى رجل شيخ بن ثمانين سنة فاشتريت منه دكانا وعقدت معه العقد فلما افترقنا عدر بعد ايام فطلبت منه الحضور عند الحاكم فابى فاحضرته فحلف باليمين الغموس

ان ما بعته فقلت ما تدور عليه السنة فاخذ يبرطل لمن يحول بيني وبينه من الظلمة فرأيت من العوام ما قد غلبت عليه العادات فلا يلتفت معها الى قول فقيه ويقول هذا ما قبض الثمن فكيف يصح البيع وآخر يقول كيف يجوز لك ان تأخذ دكانه بغير رضاه وآخر يقول عليك ان تقيله البيع فلما لم اقله اخذ هو واقاربه ياخذون عرضي ورأى انه يحامى عن ملكه ثم سعى بي الى السلطان بعرض فيها من الكذب ما ادهشني وبرطل ما لا لخلق من الظلمة الا ان الله تعالى نجاني من شرهم ثم انى اقمت عليه البينة عند الحاكم فقال بعض ارباب الدنيا للحاكم له فوقف عن الحكم بعد ثبوت البينة عنده فرأيت من هذا الحاكم ومن حاكم آخر اعلاما منه من ترك انفاذ الحق حفظا لرئاستهم ما هون عندى ما فعله ذلك الشيخ حفظا لماله لجهله وعلم هؤلاء فتحيل لمن الامر ان العادات غلبت على الناس وان الشرع اعرض عنه وان وقعت موافقة للشرع فكما اتفق اولا حمل العادة فان الانسان لو ضرب بالسياط ما افطر فى رمضان عادة قد استمرت وياخذ اعراض الناس واموالهم عادة اخرى فكم قد رأيت هذا الشيخ يصلى ويحافظ على الصلاة ثم لما خاف فوت غرضه ترك الشرع جانبا وكم قد رأيت اولئك العباد يتعبدون ويطلبون العلم غير انهم لما خافوا على رئاستهم ان تزول تركوا جانب الدين ثم ان الله

تعالى نصرني عليه وتقدم الى الحاكم بانفاذ ما ثبت عنده ودارت
السنة فمات الشيخ المذكور على غل فنسأل الله تعالى التوفيق
للانقياد للشرعة ومخالفة اهوائنا

١٦٤ فصل

ما اعرف للعالم قط لذة ولا عزا ولا شرفا ولا راحة وسلامة افضل
من العزلة فانه ينال بها سلامة بدنه ودينه عند الله عز وجل
وعند الخلق لان الخلق يهون عليهم من يخالطهم ولا يعظم عندهم
قول المخالط لهم ولهذا عظم قدر الخلفاء لاحتجابهم واذا رأى
العوام احد العلماء مترخصا في امر مباح هان عندهم فالواجب
عليه صيانة علمه واقامة قدر العلم عندهم فقد قال بعض السلف
كنا نمزح ونضحك فاذا صرنا يقتدى بنا فما اراه يسعنا ذلك
وقال سفيان الثوري تعلموا هذا العلم واكظموا عليه ولا تخلوه
يهزل فتمجه القلوب فمراعاة الناس لا ينبغي ان تنكر وقد
قال صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا حدثان قومك بالكفر
لنقضت الكعبة وجعلت لها بابين وقال احمد بن حنبل
رحمه الله تعالى في الركعتين قبل المغرب رأيت الناس يكرهونها
فتركتها ولا تسمع من جاهل يرى مثل هذه الاشياء رأيا
انما هذا صيانة للعلم فلا ينبغي للعالم ان ينبسط عند العوام
حفظا لهم ومتى اراد مباحا فليستتر به عنهم فان الانسان

يخلو في بليته عريانا

يخلو في بليته عريانا فاذا خرج الى الناس لبس ثوبين وعمامة ورداء
ومثل هذا لا يكون تصنعا ولا ينسب الى كبر وقد كان مالك بن انس
يغتسل ويتطيب ويقعد للحديث ولا تلتفت يا هذا الى ما ترى
من تبذل العلماء على ابواب السلاطين فان العزلة اصون للعالم والعلم
فما يخسره العلماء في ذلك اضعاف ما يربحونه وقد كان سيد الفقهاء
سعيد بن المسيب لا يغشى الولاة وعن قوله فسكتوا عنه وهذا
فعل الحازم فان اردت اللذة والراحة فعليك ايها العالم بقعر
بيتك وكن معتزلا عن اهلك يطيب لك عيشك واجعل للقاء
الاهل وقتا فاذا اعرفوه تصنعوا للقائك فكانت المعاشرة بذلك
اجود وليكن لك في بيتك بيت تخلو فيه وتحادث سطور كتبك
وتجري في حلبات فكرك واحترس من لقاء الخلق وخصوصا العوام
واجتهد في كسب يعفك عن الطمع فهذه نهاية لذة العالم في الدنيا
وقد قيل لابن المبارك مالك لا تجالسنا فقال انا اذهب فاجالس
الصحابة والتابعين واشار بذلك الى انه ينظر في كتبه ومتى
رزق العالم الغنى عن الناس والخلوة فان كان له فهم بجلب
التصانيف فقد تكاملت لذته وان رزق فهما يرتقي الى معاملة
الحق ومناجاته فقد تعجل دخول الجنة قبل الممات نسأل الله عز وجل
همة عالية تسمو الى الكمال وتوفيقا لصالح الاعمال فانا لكون
طريق الحق افراد

١٦٥ فصل

تأملت احوال الناس فى حالة علوّ اسنانهم فرأيت اكثر الخلق
بين خسارهم حينئذ فمنهم من بالغ فى المعاصى من الشباب
ومنهم من فرّط فى اكتساب العلم ومنهم من اكثر الاستمتاع باللذات
حينئذ فكلهم نادم كما فى حالة الكبر حين فوات الاستدراك
لذنوب سلفت او قوى ضعفت او فضيلة فاتت فيمضى زمان
الكبر فى حسرات ان كان للشيخ افاقة من ذنوب قد سلفت قال
واأسفا على ماجنيت وان لم يكن له افاقة صار متأسفا على
فوات ماكان يلتذ به فاما من انفق عنفوان الشباب فى العلم
فانه فى زمن الشيخوخة يحمد جنى ماغرس ويلتذ بتصنيف
ماجمع ولا يرى من لذات البدن شيئا بالاضافة الى ما يناله
من لذات العلم هذا مع وجود لذاته فى الطلب الذى كان يأمل
به ادراك المطلوب وبما كانت تلك الآمال اطيب مما
ينال منها كما قال الشاعر

* اهتز عند تمنى وصلها طربا * ورب امنية احلى من الظفر *

ولقد تأملت نفسى بالاضافة الى عشيرتى الذين انفقوا اعمارهم فى
اكتساب الدنيا وانفقت زمن الصبوة والشباب فى طلب العلم
فرأيتنى لم يفتنى مما نالوه الآمال وحصل لى ندمت عليه ثم تأملت
حالى فاذا عيشى فى الدنيا اجود من عيشهم وجاهى بين الناس
اعلا من جاههم ومانلته من معرفة العلم لا يقادم فقال
ابليس ونسيت تعبك وسهرك فقلت ايها الجاهل هل

تقطيع الايدى

تقطيع الايدى لاوقع عليه عند رؤية يوسف وماطالت طريق اردت
الى صديق * جزى الله المسير اليه خيرا * وان شرك المطايا كالمزاد
ولقد كنت فى حالة طلبى للعلم القى من الشدائد ماهو عندى
احلا من العسل لاجل ما اطلب وارجو وكنت فى زمن الصبا
آخذ معى ارغفة يابسة واخرج فى طلب الحديث واقعد على
نهر عيسى فلا اقدر على اكلها الا عند الماء فكلما اكلت لقمة شربت
عليها بجرعة وعين همتى لا ترى الا لذة تحصيل العلم فاثر ذلك
عندى انى عرفت بكثرة سماعى للحديث سير الرسول صلى الله عليه
وسلم واحواله وآدابه واحوال اصحابه وتابعيهم فصرت فى
معرفة طريقهم كان اجود واثمر ذلك عندى من المعاملة بما لا
يدرى بالعلم حتى انى ذكرت اذكر فى زمان الصبوة ووقت
الغلمة والعزبة قد رق لى على اشياء كانت النفس تتوق اليها
توقان العطشان الى الماء الزلال ولم يمنعنى عنها الا ما اثمر
عندى من العلم من خوف الله عز وجل ولو لاحظا يا لم يخلو منها
البشر لكنت اخاف على نفسى من العجب غير انه عز وجل صاننى
وعلمنى واطلعنى من اسرار العلم على معرفة وايثار الخلوة بحيث
انه لو حضر معى معروف والبشر لرأيتهما زحمة ثم عاد فغمسنى
فى التقصير والتفريط حتى رأيت اقل الناس خيرا منى وتارة
يوقظنى لقيام الليل ولذة مناجاته وتارة يحرمنى ذلك

شبكة الألوكة www.alukah.net

مع سلامة بدنى ولولا بشارة العلم بان هذا نوع تهذيب وتأديب
لخرجت اما الى العجب عند العمل واما الى اليأس عند البطالة لكن
رجائى فى فضله قد عادل خوفى منه وقد يغلب الرجاء بقوة اسبابه
لانى رأيته قد ربانى منذ كنت طفلا فان الامهات وانا لا اعقل
به والام لم تلتفت الحق لى فركز فى طبعى حب العلم ومازال يرقينى
على المهم فالمهم ويحملنى الحق يحملنى على الاصوب حتى قوم امرى
وكنت قد قصدنى عدو فصدّه عنى واذا رأيته قد تصرفنى
ويصرفنى ودافع عنى وذهب قوى رجائى فى المستقبل بما قد
رأيت فى الماضى ولقد تاب على يدى فى مجالس الذكر اكثر من
مائتى الف واسلم على يدى اكثر من مائتى نفس وكم سألت عين
متحيّر بوعظى لم تكن تسيل ويحق لمن تلمح هذا الانعام ان
يرجو التمام وربما لاحت اسباب الخوف بنظرى الى تقصيرى
وزللى ولقد جلست يومًا فرأيت حولى اكثر من عشرة الاف
ما فيهم الا من رقّ قلبه ودمعت عينه فقلت لنفسى كيف بك
ان نجوا وهلكت فصحت بلسان وحدى الهى وسيدى ان
قضيت علىّ بالعذاب غدا فلا تعلمهم بعذابى صيانة بكرمك
لا لأجلى لئلا يقولوا عذّب من دل عليه الهى قد قيل لنبيك
صلى الله عليه وسلم اقتل ابن ابى المنافق فقال لا يتحدث الناس
ان محمدا يقتل اصحابه الهى فاحفظ حسن عقائدهم فى بكرمك
ان تعلمهم بعذاب الدليل عليك حاشاك والله يارب
من تكدير الصافى

× لا تبن عودًا انت رَبَّيته × حاشا لبانى الجود ان ينقضا ×
× لا تعطش الزرع الذى نبّته × بصوب انعامك قد رُوِّضا ×

١٦٦ فصل

من الامور التى تخفى على العاقل انه يرى انه متى لم يكن عنده لمرأة
او جارية بهواها هوىً شديدًا انه لا يلتذ بالدنيا فاذا صور
محبوبا مملوكا تخايل لذة عظيمة واذا كان عنده من لا يميل
اليه اعتقد نفسه محروما وهذا امر شديد الخفاء فينبغى
ان يوضح وهو ان المملوك مملوك ومتى قدر الانسان على
ما يشتهيه ملّه ومال الى غيره وتارة لبيان عيوبه التى يكشفها
المخالطة فانه قد قال الحكماء العشق العمى عن عيوب المحبوب
وتارة لمكان القدرة عليه والنفس لا تزال تتطلع الى ما
لا تقدر عليه ثم لو قدرنا دوام المحبة مع القدرة فانها قد
تكون ولكن ناقصة بمقدار القدرة وانما يفوتها تجنى
المحبوب فيكون تجنيه مستنتج امتناعه من الموافقة
فاذا صفا فلا بد من اكدار منها الحذر عليه ومنها قلة
ميله الى هذا العاشق وربما تكلف القرب منه بعلم
الانسان لقلة ميل محبوبه اليه يبغض بل ينغض فان

خاف منه خيانة احتاج الى حراسته فترى النفض واصلح
المقدمات التوسط وهو اختيار ما تميل النفس ولا يرتقى
العشق فان العاشق فى عذاب وانما يتخايل الفارغ من
العشق التذاذ العاشق وليس كذلك فانه كما قيل
شعرا

× وما فى الارض اشقى من محب × وان وجد الهوى عذب المذاق ×
× تراه باكيا فى كل وقت × مخافة فرقة او اشتياق ×
× فيبكى ان نأوا شوقا اليهم × ويبكى ان دنوا حذر الفراق ×
× فتسخن عينه عند التدانى × وتسخن عينه عند الفراق ×

١٦٧ فصل

ما ابتلى الانسان قط باعظم من علو همته فان من علت همته
يختار اعالى المعالى وقد لا يساعده الزمان وقد تضعف الآلة
فيبقى فى عذاب وانى اعطيت من علو الهمة طرفا فانا به
فى عذاب ولا اقول ليته لم يكن فانه انما يحلو العيش بقدر
عدم العقل والعاقل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل
ولقد رأيت اقواما يضعون علو همهم فى فن واحد ولا يبالون
فى النقص فيما هو اهم قال الرضى

× ولكل جسم فى النحول بلية × وبلاء جسمى من تفاوت همتى ×
فنظرت فاذا غاية امله الامارة وكان ابو مسلم الخراسانى

فى حال شبيبته

فى حال شبيبته لا يكاد ينام فقيل له فى ذلك فقال ذهن صافٍ
وهم بعيد ونفس تتوق الى معالى الامور مع عيش كعيش الهمج
الرعاع قيل فما الذى يبرد غليلك قال الظفر بالملك قيل
فاطلبه قال لا يطلب الا بالاهوال قيل فاركب الاهوال قال
العقل مانع قيل فما تصنع قال سأجعل من عقلى جهلا واحاول
به خطرا لا ينال الا بالجهل واديرا بالعقل ما لا يحفظ الا به
فان الخمول اخو العدم فنظرت الى حال هذا المسكين فاذا به
قد ضيع ام المهمات وهو جانب الآخرة وانتصب فى طلب
الولايات فكم قتل وقتل حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا
ثم لم يتنعم فى ذلك الكرّ من ثمان سنين ثم اغتيل ونسى تدبير
العقل فقتل ومضى الى الآخرة على اقبح حال وكان المتنبئ يقول

× وفى الناس من يرضى بميسور عيشه × ومركوبه رجلاه والثوب جلده ×
× ولكن قلبا بين جنبى ماله × مدىً ينتهى بى فى مراد احدّه ×
× يرى جسمه نُصْبَ شفوفا تريبه × فيختار ان يكسى دروعا تهدّه ×

فتأملت هذا الآخر فاذا انهمته فيما يتعلق بالدنيا فحسب ونظرت
الى علو همتى فرأيتها عجبا وذلك اننى اروم من العلم ما اتيقن
انى لا اصل اليه لاننى احب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها
واريد استقصاء كل فن وهذا امر يعجز العمر عن بعضه فان عرض
لذو همة فى فن قد بلغ منتهاه رأيته ناقصا فى غيره ولا اعدّ

همته تامّة مثل المحدّث فاته الفقه والفقيه فاته علم الحديث
فلا ارى الرضى بنقصان من العلوم الآحادثا عن نقص الهمّة
ثم انني اروم نهاية العمل بالعلم فاتوق الى الورع بشروزهادة
معروف وهذا مع مطالعة التصانيف وافادة الخلق و
معاشرتهم بعيد ثم ارانى اروم الغنى عن الخلق واستشرف
الافضال عليهم والاشتغال بالعلم مانع من الكسب وقبول
المنن مما تأباه الهمة العالية ثم انى اتوق الى طلب الاولاد
كما اتوق الى تحقيق التصانيف لبقاء الخلفان نائبين
عنى بعد التلف وفى طلب ذالك مافيه من شغل القلب المحب
للتفرد ثم انى اروم الاستمتاع بالمستحسنات وفى ذالك
امتناع من جهة قلّة المال ثم لوحصل فرّق جمع الهمّة
وكذالك اطلب لبدنى مايصلحه من المطاعم والمشارب
فانه متعوّد للترفه واللطف وفى قلة المال مانع وكذلك
جمع بين اضداد فانى انا وما وصفته من حال من كانت
غاية همته الدنيا وانا لا احب ان يخدش حصول شئ من
الدنيا وجه دينى بسبب ولا ان يؤثر فى علمى ولا فى عملى فواقلقى
من طلب قيام الليل وتحقيق الورع مع اعادة العلم وشغل القلب
بالتصانيف وتحصيل مايلائم البدن من المطاعم ودواسفى على
مايفوتنى من المناجاة فى الخلوة مع ملاقاة الناس وتعليمهم و

يالكد الورع

يالكد الورع مع طلب مالابد منه للعائلة غيرانى قد استسلمت لتعذيبى
ولعل تعذيبى فى تعذيبى لان علياى همتى تطلب المعالى المقربة
الى الحق عزوجل وربما كانت الحيرة فى الطلب دليلا الى المقصود
وها انا احفظ انفاسى من ان يضيع منها نفس فى غير فائدة وان
بلغ همتى مراده والافنية المؤمن خير من عمله

١٦٨ فصل

لما سطرت هذا الفصل المتقدم رأيت ادكار النفس بما لابد
لها فى الطريق منه وهو انه لها من التلطف فان قاطع مرحلتين
فى مرحلة خليق بان يقف فينبغى ان يقطع الطريق باللطف ممكن
واذا تعبت الرواحل نهض الحادى ليغنيها واخذ الراحلة للجد
جد وغوص السابح فى طلب الدر صعود ودوام السير يحسر الابل
والمفازة صعبة ومن اراد ان يرى التلطف فى السير بالنفس
فلينظر فى سير الرسول صلى الله عليه وسلم فانه كان يلطف بنفسه
ويمازح ويخالط النساء ويُقبّل ويمص اللسان ويختار المستحسنات
ويستعذب له الماء ويختار الماء البارد والاوفق من المطاعم
كلحم الظهر والذراع والحلوى وهذا كله ارفق بالناقة فى طريق
السير فاقام من جرد عليها السوط فانه يوشك ان لا تقطع
الطريق فقد قال صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين
فاوغلوا فيه برفق فان المنبتّ[٩] لا ارضًا قطع ولا ظهرا
ابقى واعلم انه ينبغى للعاقل ان يغالط نفسه فيما يكشف العقل

[٩] المنبت اى المنقطع

عن عواره فان فكر المتيقظ يسبق قبل مباشرة المرأة الى انه
اعتناق بحس يحتوى على قذارة وقبل بلع اللقمة انها متقلبة
فى الريق لو اخرجها الانسان فى قرب الموت وما يجرى عليه
بعده لبغض عاجل لذته فلا بد من مغالطة تجرى لينتفع الانسان
بعيشه كما قال لبيد

× فاكذب النفس اذا حدثتها × ان صدق النفس يزرى بالامل ×

وقال البستى

× افد طبعك المكدود بالهم راحة × تجم وعلله بشئ من المزح ×
× ولكن اذا اعطيته ذاك فليكن × بمقدار ما يعطى الطعام من الملح ×

وقال ابو على بن الشبل

× واذا هممت فنازع نفسك بالمنى × وعدا فاخيرات الجنان عدات ×
× واجعل رجائك دون يأسك جنة × حتى تنزول بهمك الاوقات ×
× واسترعن الجلساء بثك انما × جلساؤك الحساد والشمات ×
× ودع التوقع للحوادث انه × للحى من قبل الممات ممات ×
× فالهم ليس له ثبات كلما × فى اهله ما للسرور ثبات ×
× لولا مغالطة النفوس عقولها × لم يصف للمتيقظين حيات ×

وقال ايضا

× بحفظ الجسم تبقى النفس فيه × بقاء النار تحفظ بالوعاء ×
× فبا ليأس الممض فلا تمتها × ولا تمدد لها طول الرجاء ×

وعدها فى شدائدها

× وعدها فى شدائدها رخاء × وذكرها الشدائد فى الرخاء ×
× يعد صلاحها هذا وهذا × وبالتركيب منفعة الدواء ×

وقد كان عدم السلف يخصبون الشيب لان لا يرى الانسان منهم
نفسه ما يكره وان كان الخضاب لا يعدم النفس علمها بذلك
ولكنه نوع مخادعة للنفس وما زالت ترى الظاهر وانما الفكر
والعقل مع الغائب ولا بد من مغالطة ~~للنفس~~ تجرى ليتم العيش
ولو عمل العمل بمقتضى قصر الامل ما اكتسب العلم ولا صنف فافهم
هذا الفصل مع الذى تقدمه فان الاول فى مقام العزيمة
وهذا فى مكان الرخصة ولا بد للتعب من راحة واعانة والله
عز وجل على قدر صدق الطلب وقوة اللجاء وخلع الحول
والقوة وهو الموفق

١٦٩ فصل

فى تعليم التدبير قوام الآدمى بشيئين الحرارة والرطوبة ومن شأن
الحرارة ان تحلل الرطوبة وتفنيها فالآدمى محتاج الى تحصيل خلف
المتحلل فابدان النشو اى الشباب تغتذى باكثر مما يتحلل منها
وابدان المتناهية تغتذى بمقدار ما يتحلل منها والابدان
التى فى الهرم يتحلل منها اكثر مما تغتذى به فينبغى للنشو البالغ
ان يتحفظ فى النكاح لانه يرى قاعدة قوته يجد اثرها فى الكبر
واما المتوسط والواقف السن فينبغى ان يحذر فضول الجماع
فان من حصل له مثل ما يخرج منه فاسرف اخذ من الحاصل

ويوشك ان يسرع النفاد واما الشيخ فترك النكاح كالملازم
له خصوصا اذا زاد على السن لانه ينفق من الجوهر الذى لا يحصل
مثله ابدا ثم ينبغى ان ينظر العاقل فى ماله فيكتسب اكثر
مما ينفق ليكون الفاضل مدخرا لوقت العجز وليحذر السرف
فان العدل هو الاصلح ثم ينظر فى الزوجة والمطلوب منها
شيئان وجود الولد وتدبير المنزل فان كانت مبذرة فعيب
لا يحتمل فان انضمت صفة العقر فلا وجه للامساك الا ان
تكون مستحسنة الصورة فان ضم اليها عقل وعفاف حسن
الامساك وان كانت مما يحتاج ان تحفظ فتركها لازم فاما
الخدم فليجتهد فى تحصيل خادم لا تستعبده الشهوة فان عبد
الشهوة له مولى غير سيده وليتفقد المالك فى طبع المملوك فمنهم
من لا يأتى الا على الاكرام فليكرمه فانه يربح محبته ومنهم من لا يأتى
الا على الاهانة فليداره وليعرض عن الذنوب فان لم يمكن
عاتب بلطف وليحذر العقوبة ما امكن وليجعل للخادم زمن
راحة والعجب ممن يعنى بدابته وينسى مداراة جاريته
واجود المماليك الصغار وكذلك الزوجات لانهم متعودون
خلق المشترى وليحفظ نفسه بالهيبة من الانحراف مع
الزوجة ولا يطلعها على ماله فانها سفيهة تطلب كثرة الانفاق
واما تدبير الأولاد فحفظهم من مخالطة نفسه ومتى كان
الصبى حيا

الصبى حيا ذا انفة رجى خيره وليحمل على صحبة الاشراف والعلماء
وليحذر من مصاحبة الجهال والسفهاء فان الطبع لص وليحذر
الصبى من الكذب غاية التحذير ومن المخالطة للصبيان وليوصه بزيادة
البر للوالدين وليحفظ من مخالطة النساء فاذا ابلغ فليزوج بصبية
لم تعرف غيره فيتفقان فينتفعان بهذه الاشارة الى تدبير
امور الدنيا فاما تدبير العلم فينبغى ان يحمل الصبى من حين يبلغ
خمس سنين على التشاغل بالقرآن والفقه وسماع الحديث و
ليحصل له المحفوظات اكثر من المسموعات لان زمان الحفظ الى
خمس عشرة سنة فاذا بلغ تشتت همته فليضرب تارة ويرشى
اخرى ليبلغ وقد حصل محفوظات سنيه فاول ما ينبغى ان
يكلف حفظ القرآن متقنا فانه يثبت ويختلط باللحم والدم
ثم مقدمة من النحو يعرف بها اللحن ثم الفقه مذهبا وخلافا
وما امكن بعد هذا من العلوم وحفظه حسن وليحذر من عادات
اصحاب الحديث فانهم يفنون الزمان فى سماع الاجزاء التى
تتكرر فيها الاحاديث فيذهب العمر وما حصلوا فهم شيء
فاذا ابلغوا سنا طلبوا ذ فتوى وقراءة جزء من القرآن
فعادوا القهقرى يحفظون بعد كبر السن فلا يحصل مقصودهم
فالحفظ فى الصبا للمهم من العلم اصل عظيم وقد رأينا كثيرا ممن
تشاغل بالمسموعات وكتابة الاجزاء ورأى الحفظ صعبا
مال الى الاسهل فمضى عمره فى ذلك فلما احتاج الى نفسه
قعد يتحفظ على كبر فلم يحصل مقصوده فليتيقظ لفهم من ذكرت

وانظر في الاخلاص فما ينفع شئ دونه

١٧٠ فصل

اشتد الغلاء في بغداد في اول سنة خمس وسبعين وكلما جاء السعر زاد فتواقع الناس على اشتراء الطعام فاغتبط من يستعد كل سنة بزرع ما يقوته وفرح من بادر في اول النيسان الى اشتراء الطعام فانه يضاعف ثمنه واخرج الفقراء ما في بيوتهم فرموه في سوق الهوان وبان ذل نفوس كانت عزيزة فقلت يا نفس خذي من هذه الحال اشارة ليغبطن من له عمل صالح وقت الحاجة اليه وليفرحن من له جواب عند اقبال الى المسألة وكل الويل على المفرط الذي لا ينظر في عاقبته فتنبهي فقد نبهت ناس الدنيا على امر الآخرة وبادري موسم الزرع ما دامت الروح في البدن فالزمان كله تشرين قبل ان يدخل نيسان الحصاد ومالك زرع وحاجة المفتقرين الى اموالهم تمنعهم من الايثار

١٧١ فصل

تأملت حالة ازعجتني وهو ان الرجل قد يفعل مع امرأته كل جميل وهي لا تحبه وكذا يفعل مع صديقه والصديق يبغضه وقد يتقرب الى السلطان بكل ما يقدر عليه والسلطان

لا يؤثره فيبقى متحيرا يقول ما حيلتي فخفت ان تكون هذه حالتي مع الخالق سبحانه اتقرب اليه وهو لا يريدني وربما يكون قد كتبني شقيا في الازل ومن هذا خاف الحسن وقال اخاف ان يكون اطلع علي في بعض ذنوبي فقال لا غفرت لك فليس الا القلق والخوف لعل سفينة الرجاء تسلم يوم دخولها الشاطئ من حرف

١٧٢ فصل

جرى بيني وبين اصحاب الحديث كلام في قول الامام احمد صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم سبع مائة الف حديث فقلت انه انما يعني به الطرق فقال لا الا المتون فقلت هذا بعيد التصور ثم رأيت لابي عبد الله الحاكم كلاما ينصر ما قال ذلك الشخص وهو انه قال في كتاب المدخل الى كتاب الاكليل كيف يجوز ان يقال ان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ عشرة آلاف حديث وقد روى عنه من اصحابه اربعة آلاف رجل وامرأة صحبوه نيفا وعشرين سنة بمكة ثم بالمدينة حفظوا اقواله وافعاله ونومه ويقظته وحركاته وغير ذلك سوى ما حفظوا من احكام الشريعة واحتج بقول احمد صح الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع مائة الف حديث وكسروان

اسحق بن راهويه كان يملى سبعين الف حديث حفظا و
ان ابا العباس بن عقدة قال احفظ لاهل البيت ثلاث
مائة الف حديث قال ابن عقده وظهر لابن كريب بالكوفة
ثلاثمائة الف حديث قلت ولا يحسن ان يشار بهذا
الى المتون وقد عجبت وكيف خفى هذا على الحاكم وهو يعلم
ان اجمع المسانيد الظاهرة مسند احمد بن حنبل وقد طاف
الدنيا مرتين حتى حصله وهو اربعون الف حديث منها
عشرة الاف حديث مكرره قال حنبل بن اسحق جمعنا احمد
ابن حنبل انا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند وقال
لنا هذا الكتاب قد جمعته من اكثر من سبع مائة الف و
خمسين الفا فما اختلف المسلمون فيه من حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجد تموه والا فليس
بحجة افترى يخفى على متيقظ انه اراد بكونه جمعه من سبع
سبعمائة الف انه اراد الطرق لان السبع مائة الالف ان
كانت من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اهملها
فان قيل فقد اخرج فى مسنده اشياء ضعيفة ثم اعوذ
بالله ان يكون سبع مائة الف ما يتحقق منها سوى ثلاثين
الفا وكيف ضاعت هذه الجملة ولم اهملت وقد وصلت
كلها الى زمن احمد فانتقى منها و رضى الباقى واصحاب
الحديث قد كتبوا كل شئ من الموضوع والكذب وكذالك

قال ابو داود

قال ابو داود جمعت كتاب السنن من ستمائة الف حديث
ولا يحسن ان يقال ان الصحابة الذين رووها ماتوا ولم يحدثوا
بها التابعين فان الامر قد وصل الى احمد واحصى سبع مائة
الف حديث وما كان الامر ليذهب هكذا عاجلا ومعلوم
انه لو جمع الصحيح والمحال الموضوع وكل منقول عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما بلغ خمسين الفا فاين الباقى ولا
يجوز ان يقال تلك الاحاديث كلام التابعين فان الفقهاء
نقلوا مذاهب القوم ودونوها واخذوا بها ولا وجه لتركها
فعلم كل ذى لب ان الاشارة الى الطرق وان ما توهمه الحاكم
فاسد ولو عرض هذا الاعتراض عليه وقيل له فاين الباقى
لم يكن له جواب لكن الفهم عزيز والله المنعم بالتوفيق
ومثل هذا التخفيل قوم قالوا ان البخارى لم يخرج كل ما صح عنه
وانما اخرج كالانموذج والا فكان يطول وقد ذهب الى
نحو هذا ابو بكر الاسماعيلى وحكى عن البخارى انه قال ما
تركت من الصحيح اكثر وانما يعنى الطرق يدل على ما قلته
ان الدارقطنى وهو سيد الحفاظ جمع ما يلزم البخارى ومسلما
اخراجه مما لم يذكراه احاديث يسيره ولو كان كما قالوا
لاخرج مجلدات ثم قوله ما يلزم البخارى دليل صريح على
ما قلته لانه من اخرج الانموذج لا يلزمه شئ وكذالك

اخرج ابو عبد الله الحاكم كتابا جمع فيه ما يلزم البخاري اخراجه
فذكر حديث الطائر فلم يلتفت الحفاظ الى ما قال فما اقل
فهم هؤلاء الذين شغلهم الحديث من التدقيق الذي لا يلزم
في صحة الحديث وانما وقع لقلة الفقه والفهم ان البخاري
ترك احاديث اقوام ثقات لانهم خولفوا في الحديث فنقص
الاكثرون من الحديث وزادوهم ولو كان ثم فقه لعلموا
ان الزيادة من الثقة مقبولة وتركوا احاديث اقوام
لانهم انفردوا بالرواية عن شخص ومعلوم ان انفراد
الثقة لا عيب فيه وتركوا من ذلك الغرائب وكل ذلك
سوء فهم ولهذا لم يستلزم الفقهاء هذا وقالوا الزيادة مقبولة
ولا يقبل القدح حتى يتبين سببه وكل من لم يخالط
الفقهاء وجهد مع المحدثين تأذى وساء فهمه فالحمد لله
الذي انعم علينا بالحالتين

١٧٣ فصل

اعلم ان الله عز وجل وضع في النفوس اشياء لا تحتاج الى
دليل فالنفوس لا تعلمها ضرورة واكثر الخلق لا يحسنون
التعبير عنها فانه وضع في النفس ان المصنوع لا بد له
من صانع وان المبني لا بد له من بان وان الاثنين
اكثر من الواحد وان الجسم الوا لا يكون في مكانين
في حالة واحدة

في حالة واحدة ومثل هذه الاشياء لا تحتاج الى دليل والهم
العرب النطق الصواب من غير لحن فهم يفرقون بين المرفوع
والمنصوب واما راة في جبلتهم وان عجزوا عن النطق بالعلة
قال عثمان بن جني سألت يوما ابا عبد الله محمد بن العساف
العقيلي فقلت كيف تقول ضربت اخوك فقال اقول ضربت
اخاك فاد رته على الرفع فأبى وقال لا اقول اخوك ابدا
قال فكيف اقول ضربني اخوك فرفع فقلت اليس زعمت انك
لا تقول اخوك ابدا فقال ايش هذا اختلفت جهتها في
الكلام وهذا ادل شيء على تأملهم مواقع الكلام واعطائهم اياه
في كل موضع حقه وانه ليس استرسالا ولا ترخيما قال
عثمان واللغة هي اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم و
النحو اسماء سمعت كلام العرب في تصرفه من اعراب وغيره
كالتثنية والجمع واو التحقير والتكسير وغير ذلك ليلحق من
ليس من اهل اللغة اهلها

١٧٤ فصل

مفيد تدبرت احوال الاخيار والاشرار فرأيت سبب صلاح
الاخيار النظر وسبب فساد الاشرار اهمال النظر وذلك ان
ينظر فيعلم انه لا بد له من صانع وان طاعته لازمة ويتأمل
معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم قياده الى الشرع
ثم ينظر فيما يقربه اليه ~~[illegible]~~ ويزلفه لديه فاذا شق

عليه اعادة العلم تأمل ثمرته فسهل ذلك واذا صعب عليه
قيام الليل فكذلك واذا رأى مشتهى تأمل عاقبته فعلم
ان اللذة تفنى والعار والاثم يبقى فيسهل عليه الترك واذا
اشتهى الانتقام ممن يؤذيه ذكر ثواب الصبر وندم الغضبان
على افعاله فى حال الغضب فيغتنمه بتحصيل افضل الفضائل
فينال مناه واما العاقل فانه لايرى الا الشئ الحاضر فمنهم
من لايتأمل معنى المصنوع واثبات الصانع فجحدوا وتركوا النظر
وجحدوا الرسل وما جاؤا به ونظروا الى العاجل ولم
يتفكروا فى مبداه ومنتهاه فليس عندهم من عرفان المطعم
الا الأكل ولو تأملوا كيف الشئ ولماذا جعل حافظا للابدان
لعرفوا حقائق الامور وكذلك كل شهوة تعرض لهم لاينظرون
فى عاقبتها بل فى عاجل لذتها وكم قد جنت عليهم من وقوع
حد وقطع يد وفضيحة فتعجيل اللذة يفوت الفضائل و
يحصل الرذائل وسببه عدم النظر فى العواقب وهذا شغل
العقل وذاك المذموم شغل الهوى نسئل الله عز وجل يقظة
ترى العواقب وتكشف لنا الفضائل والمعائب انه قادر
على ذلك

١٧٥ فصل

خلقت لهمة عالية تطلب الغايات فعلت السن وما بلغت
ما امّلت فاخذت اسأل تطويل العمر وتقوية البدن
وبلوغ الآمال

فانكرت علىّ العادات وقالت صارت عادة بما تطلب فقلت
انما اطلب من قادر يخرق العادات وقد قيل لرجل لنا حُوَيْجَةٌ
فاطلب لها رجيلا وقيل لآخر حُسْنَاكَ فى حاجة لاترزؤك
فقال هل لا طلبتم لها سفاف الناس فاذا كانت اهل الافقة
من اهل الدنيا يقولون فلم لا نطمع فى فعل كريم قادر وقد
سألته هذا السؤال فى ربيع الآخر من سنة خمس وسبعين
فان مدّ لى اجلى وبلغت ما املته فقلت هذا الفصل الى ما بعد
وبيضته اخبرته ببلوغ آمالى وان لم يتفق ذلك فسيدى
اعلم بالمصالح فانه لايمنع بخلا ولاحول الا به

١٧٦ فصل

ما اقل من يعمل لله خالصا لان اكثر الناس يحبون ظهور عباداتهم
وسفيان الثورى كان يقول لااعتد بما ظهر من عملى وكانوا
يستر ون انفسهم واليوم ثياب القوم تشبههم وقد كان
ايوب السختيانى يطول قميصه حتى يقع على قدمه ويقول
كانت الشهرة فى التطويل واليوم الشهرة فى التقصير فاعلم
ان ترك النظر الى الخلق ومحو الجاه من قلوبهم بالعمل و
اخلاص القصد وستر الحال هو الذى رفع من رفع
فكان احمد بن حنبل يمشى حافيا فى وقت ونعليه فى
يديه ويخرج اللقاط وبشر يمشى حافيا على الدوام وجده

ومعروف يلقط النوى واليوم صارت الرئاسات اكثر من كل
حاجة وما تتمكن الرئاسات حتى يتمكن من القلب الغفلة ورؤية
الخلق ونسيان الحق فحينئذ تطلب الرئاسة من اهل الدنيا
ولقد رأيت من الناس عجبا حتى من بتز يا للعلم ان رآني
امشي وحدي الكر علي وان رآني ازور فقيرا عظم ذلك
وان رآني انبسط يتبسم فنقصت من عينه فقلت واعجبا
هذه كانت طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة
رضوان الله عليهم فصارت احوال الخلق نواميس لاقامة الجاه
لاجرم والله سقطتم من عين الحق فاسقطكم من عين الخلق
فكم ممن يتعب في تربية ناموس ولا يلتفت اليه ولا يحظى بمراده
وليفوته المراد الاكبر فالتفتوا اخواني الى اصلاح النيات و
ترك التزين للخلق ولتكن عمدتكم الاستقامة مع الحق
فبذلك صعد السلف وسعدوا واياكم وما الناس عليه
اليوم فانه بالاضافة الى يقظة السلف نوم

١٧٧ فصل

والله ما ينفع تأديب الوالد اذا لم يسبق اختيار الخالق لذلك
الولد فانه سبحانه اذا اراد شخصا رباه من طفولته وهداه
الى الصواب ودله على الرشاد وحبب اليه ما يصلح وصحبه
من يصلح وبغض اليه ضد ذلك وقبح عنده سفساف
الامور وعصمه

الامور وعصمه من القبائح واخذ بيده كلما عثر واذا ابغض
شخصا تركه دائم التعثير متخبطا في كل حال ولم يخلق له
همة لطلب المعالي وشغله بالرذائل عن الفضائل وان قال
لم خصصت بهذا قال الخطاب الذي لا يجاب بما كسبت
ايديكم

١٧٨ فصل

من اكبر الدليل على وجود الخالق سبحانه ان هذه النفس الناطقة
المميزة المحركة للبدن على مقتضى ارادتها ودبرت مصالحها
وترقت الى معرفة الافلاك واكتسبت ما امكن تحصيله من
العلوم وشاهدت الصانع في المصنوع فلم يحجبها ستر وان
تكاثف لا يعرف مع هذا ماهيتها ولا كيفيتها ولا جوهرها
ولا محلها اسفالها ولا يفهم من اين جائت ولا يدري اين
تذهب ولا كيف تعلقت بهذا الجسد وهذا كله يوجب
عليها ان تعتقد ان لها مدبرا وخالقا وكفى بذلك
دليلا عليه اذ لو كانت وجدت بها لما خفت احوالها عنه
سبحانه

١٧٩ فصل

سبحان من من على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا
مقصود الآمر ومراد الشارع فهم حفظة الشريعة فاحسن

الله عز اهم وان الشيطان ليتجافاهم خوفا منهم فانهم يقدرون
على اذاه وهو لا يقدر على اذاهم ولقد تلاعب باهل الجهل
والقليلي الفهم وكان من اعجب تلاعبه ان حسن لاقوام ترك
العلم ثم لم يقنعوا بهذا حتى قدحوا في المتشاغلين به وهذا
لو فهموه قدح في الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول بلغوا عني وقد قال له ربه عز وجل بلغ واذا لم يتشاغل
بالعلم فكيف يبلغ الشريعة الى الخلق ولقد نقل مثل هذا
عن كبار الزهاد كبشر الحافي فانه قال لعباس بن عبد العظيم
لا تجالس اصحاب الحديث وقال لاسحق بن الضيف انك
صاحب حديث فاحب ان لا تعود الي ثم اعتذر فقال انما
الحديث فتنة الا لمن اراد الله به اذا لم يعمل به فتركه افضل
وهذا اعجب منه من اين له ان طلابه لا يريدون الله بعلمهم
لا يعلمون به او ليس العمل به على ضربين عمل بما يجب وذلك
لا يسع احدا تركه والثاني نافلة ولا يلزم والتشاغل بالحديث
افضل من التنفل بالصوم والصلاة وما اظنه اراد الا طريقة
في دوام الجوع والتهجد وذلك شيء لا يلام تاركه فان
كان يريد ان لا يوغل في علوم الحديث فهذا خطأ لان
جميع اقسامه محمودة افتري لو ترك الناس طلب الحديث
اكان بشر يفتي فالله اليه في الالتفات الى قول من ليس
بفقيه ولا يهتم لذلك تعظيم اسمه فالله يعفو عنه

فصل العاقل من

١٨٠ فصل

العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل وان غضب الخلق
وكل من يحفظ جانب المخلوقين ويضيع حق الخالق يقلب الله
قلب الذي قصد ان يرضيه فيسخطه عليه قال المأمون
لبعض اصحابه لا تعص الله بطاعتي فيسلطني عليك ولما
بالغ بالغ طاهر بن الحسين فيما فعل بالامين وفتك به و
صلب رأسه وان كان ذلك عن ارادة المأمون ولكن
بقي اثر ذلك في قلبه وكان لا يحب ان يراه ولقد دخل عليه
يوما فبكى المأمون فقال له طاهر لم تبكي لا ابكى الله عينك
فلقد دانت لك البلاد فقال ابكي لامر ذكره ذل وستره
حزن ولن يخلو احد من شجن فلما خرج طاهر انفذ الحسين
الخادم مائتي الف درهم وسأله ان يسأل المأمون لم بكى
فلما تغدى المأمون قال يا حسين اسقني قال لا والله لا
اسقيك حتى تقول لي لم بكيت حين دخل عليك طاهر قال
يا حسين لم عنيت بهذا حتى سألت عنه قال لغمي بذلك
قال يا حسين امران خرج من رأسك قتلتك قال يا سيدي
ومتى اخرجت لك سرا قال اني ذكرت اخي محمدا وما ناله
من الذلة فخنقتني العبرة فاسترحت الى افاضتها
ولن يفوت طاهرا مني ما يكره فاخبر حسين طاهرا بذلك

وركب طاهر الى احمد بن ابى خالد فقال له ان المعروف عندى ليس
بضائع فغيبنى عن عينه قال سأفعل فدخل على المأمون فقال ما
بيت البارحة قال ولم قال لانك وليت غسان بن عباد خراسان
وهو من بعد آكلة رأس فاخاف ان يخرج خارج من الترك
فيصطلمه قال فمن ترى قال طاهر بن الحسين فعقد له فمضى
فبقى مدة ثم قطع الدعاء للمأمون على المنبر يوم الجمعة فقال له صاحب
البريد ما دعوت لامير المؤمنين قال سهوت فلا تكتب ففعل ذلك
فى الجمعة الثانية والثالثة فقال له لابد ان اكتب لئلا يكتب التجار
ويسبقونى قال اكتب فكتب فدعا المأمون احمد بن ابى خالد وقال
انه لم يذهب علىّ احتيالك فى امر طاهر وانا اعطى الله عهدا
ان تشخص وتوافينى به كما اخرجته من قبضتى لتندم عقبك
فشخص وجعل يتلوم فى الطريق ويعتل بالمرض فوصل الى الرى
وقد بلغته وفاة طاهر بن الحسين قلت ولما خرج الراشد من بغداد
وامرادوا تولية المقتفى شهد جماعة من الشهود بان الراشد
لا يصلح للخلافة فنزعوه وولى المقتفى فبلغنى انه ذكر للمقتفى
بعض الشهود فذمّه وقال كان فيمن اعان على ابى جعفر وعلى
ضد هذا كل من يراعى جانب الحق والصواب يرضى عنه من سخط
عليه ولقد حدثنى الوزير بن هبيرة ان المستنجد بالله كتب اليه
كتابا وهو يومئذ ولىّ عهد واراد ان يشوره من ابيه قال

فقلت للواصل

فقلت للواصل به والله ما يمكننى اقرأه ولا اجيب عنه فلما ولى الخلافة
دخلت عليه فقلت اكبر دليل على صدقى واخلاصى انى ما حابيتك
فى ابيك فقال صدقت انت الوزير وحدثنى بعض الاصدقاء
ان قوما الحقوا الى المخزن بعض دين لهم ليستخلص فقال
المسترشد لصاحب المخزن خلصه لهم وخذ ما ضمنوا لنا
فاحضر ابن الرطبى وعرض الأمر عليه فقال هذا امر مظلم وما
احكم فيه فقال ان السلطان قد تقدم قال ما افعل فاحضر
قاضيا آخر فبت الحكم فاخبر الخليفة بالحال فقال اما ابن
الرطبى فليشكر على ما قال واما الآخر فيعزل وذلك لانه بان
ان الحق ما قاله ابن الرطبى وكذلك ما طلبه السلطان ان
يلقب ملك الملوك فاستفتى الفقهاء فاجازوا ذلك و
امتنع من اجازته الماوردى فعظم قدره عند السلطان ومثل هذا
اذا تتبع كثير فينبغى ان يحسن القصد كطاعة الخالق وان سخط
المخلوق فانه يعود عزا ولا يسخط الخالق فانه يسخط المخلوق
فيفوت الحظان جميعا

١٨١ فصل

مفيد ينبغى للعاقل ان ينظر الى الاصول فيمن يخالطه ويعاشره و
يشاركه ويصادقه ويزوجه او يتزوج اليه ثم ينظر بعد ذلك
فى الصور فان صلاحها دليل على صلاح الباطن اما الاصول فان

الشئ يرجع الى اصله والبعيد من لا اصل له ان يكون فيه معنى مستحسن
وان المرأة الحسناء اذا كانت من بيت رومى فقل ان تكون
صيتنة وكذلك ايضا المخالط والصديق والمباضع والمعاشر
فاياك ان تخالط الا من له اصل يخاف عليه الدنس فالغالب
السلامة وان وقع ذلك كان نادرا وقد قال عمر بن عبد العزيز
رضى الله عنه لرجل اشر علي فيمن استعمل فقال اما ارباب
الدين فلا يريدونك واما ارباب الدنيا فلا تردهم ولكن عليك
بالاشراف فانهم يصونون شرفهم عما لا يصلح وقد ذكر ابو بكر الصولى
قال حدثنى الحسين بن يحيى عن اسحق قال دعانى المعتصم يوما
فادخلنى معه للحمام ثم خرج فخلا بى وقال لى يا اسحق فى نفسى
شئ اريد ان اسألك عنه ان اخى المأمون اصطنع قوما فانجبوا
واصطفيت انا مثلهم فلم ينجبوا قلت ومن هم قال اصطنع طاهرا
وابنه واسحاق وآل سهل فقد رأيت كيفهم واصطنعت
انا الافشين فقد رأيت كيف آل امرهم وكذلك نتائج ووصيف
قلت يا امير المؤمنين هاهنا جواب على امان من الغضب قال
لك ذلك قلت نظر اخوك الى الاصول فاستعملها فانجبت
فروعها واستعملت انت فروعا لا اصول لها فلم تنجب فقال
ابا اسحق مقاساة ما مرت لطول هذه المدة اهون على من
هذا الجواب واما الصور فانه متى صحت البنية ولم يكن
فيها عيب فالغالب صحة الباطن ايضا فاحذر من به عاهة

كالاقرع والاعمى

كالاقرع والاعمى وغير ذلك فان بواطنهم فى الغالب ردية ثم مع
معرفة اصول المخالط وكمال صورته لا بد من التجربة قبل
المخالطة واستعمال الحذر لازم وان كان كما ينبغى

١٨٢ فصل

ينبغى ان يكون شغل العاقل النظر فى العواقب والتحرز مما
يمكن ان يكون ومن الغلط النظر فى الحالة الحاضرة كالموافق لمعاشه
ولصحة بدنه وربما يجرى له مصحوبه فينبغى ان يعمل على انقطاع
ذلك فيكون مستعدا للتغيير الاحوال وكذلك النظر
فى لذة تفنى وتبقى تبعتها وعارها وايثار الكسل والدعة
لما يجئ من بقاء الجهل وكذلك تحصيل المرادات التى لا تحصل
الا بالتلطف فى الاحتيال خصوصا اريد من ذكى فانه يغلظ
قبل تلويح فمن اراد غلبة الذكى وفق النظر وتلطف فى
الاحتيال وقد ذكرنا فى كتاب الحيل ما يشحذ الخواطر واتينا
بجملة منه فى كتاب الاذكياء مثل ما روى ان رجلا من
الأشراف كان لا يقوم لاحد ولا يغشى احدا فجاز عليه بعض
الوزراء فلم يرد ولم يقم فقال ذلك الوزير لرجل اكتم اخبر
فلانا انى قد كلمت امير المؤمنين فى حقه وقد امر له بمائة الف
فليمضى ليقبضها فاخبره ذلك الرجل فقال الشريف ان كان

قد امر نى بشئ فلينفذه الى وانما كان قصده ان يضع منى
بالتردد عليه فمتى وقع للأنسان مع ذكى فينبغى ان يتحرز
منه ويشرف اغراضه بصنوف الاحتيال وينظر فيما يجوز
وقوعه فليحترز منه كما ينظر صاحب الرقعة النقلات وكثير
من الاذكياء لم يقدروا على اغراضهم من ذكى فاعطوه وبالغوا
فى اكرامه ليصيدوه فان كان قليل الفطنة وقع فى الشرك و
ان كان اقوى منهم ذكاء علم ان تحت هذه الخبية خبيثة فزاده
ذالك احترازا واقوى مايكون الاحتراز من موتور فانك اذا
آذيت شخصا فقد غرست فى قلبه عداوة فلا تأمن تفريع تلك
الشجرة والتفت الى مايظهر من ود وان حلف فانه من
قاربته فكن منه على حذر

١٨٣ فصل

فى حفظ السر رأيت اكثر الناس لايتمالكون من افشاء السر سرهم
فاذا ظهر عاتبوا من اخبروه به فواعجبا كيف ضاقوا بحبسه
ذرعا ثم لاموا من افشاه وفى الحديث استعينوا على
اموركم بالكتمان ولعمرى ان النفس ليصعب عليها
كتم الشئ وترى بافشائه راحة خصوصا اذا كان هما
او مرضا او عشقا وهذه الاشياء فى افشائها قرينة انما

اللازم لكتمان

اللازم كتمان احتيال المحتال فيما يريد ان يحصل به غرضا
فان من سوء التدبير افشاء ذالك قبل تمامه فانه اذا
ظهر بطل ما يريد ان يفعل ولا عذر لمن افشى هذا النوع
وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا ورّى بغيره
فان قال قائل احدث قيل له وكل حديث جاوز الاثنين
شائع وربما لم يكتمه صديقك وكم قد سمعنا ممن يحدث
من الملوك بالقبض على صاحب فنم الحديث الى الصاحب
فهرب ففات السلطان مراده وانما الرجل الحازم الذى
لا يتعداه سره ولا يفشيه الى احد ومن العجز افشاء
السر الى الزوجة والولده والمال من جملة السر فاطلاعهم
عليه ان كان كثيرا فربما تمنوا هلاك الموروث وان كان
قليلا تبرموا بوجوده وربما طلبوا منه الكثير على مقدار
كثرته فاتلفته النفقات وسر المصائب جملة من كتمان
السر لان اظهارها يسر الشامت ويؤلم المحب وكذلك
ينبغى ان يكتم مقدار السن لانه ان كان كبيرا استهرموه
وان كان صغيرا احتقروه وما قد انهال فيه كثير من
الناس المفرطين انهم يذكرون بين اصدقائهم اميرا
او سلطانا فيقولون فيه فيبلغ ذالك اليه فيكون سبب

الهلاك وربما رأى الرجل من صديقه اخلاصًا وافيا
فاذاع سره اليه وقد قيل شعرا

× احذر عدوك مرة × واحذر صديقك الف مره ×
× فلربما انقلب الصديق × فكان ادرى بالمضره ×

ورُب مفشى سره الى زوجة اوصديق فصيربذ الك رهينا
عنده ولا يتجاسر ان يطلق الزوجة ولا ان يهجر الصديق
مخافة ان يظهر سره القبيح فالحازم من عامل الناس بالظاهر
فلا يضيق صدره من سره فان فاه فارقته زوجته او
صديقه اوخادمه لا يقدر احد منهم ان يقول شيئًا يكرهه
ومن اعظم الاسرار الخلوات فلينظر الحازم فيها وليحذر من
الانبساط بمرأى من مخلوق ومن خلق له عقل ثاقب دلّه
على الصواب قبل الوصايا

١٨٤ فصل

ما رأيت اصعب على النفس من الحفظ للعلم والتكرار و
خصوصًا تكرار ما ليس لها فى نفس تكراره حظ مثل
مسائل الخلاف بخلاف الشعر والسجع فان لها لذة
فى اعادته وان كان يصعب لانها تلتذ به مرة ومرتين

فاذا زاد التكرار

فاذا زاد التكرار صعب عليها ولكن دون صعوبة الفقه و
غيره من المستحسنات عند الطبع فتراها تخلد الى الحديث
والشعر والتصانيف والنسخ لانه يتكرر لها كل لحظة
ما لم تره فهو فى المعنى كالماء الجارى لانه يمر بها جزء بعد
جزء وكذا من نسخ ما يجب ان ليسمعه او يصنف فانه
يلتذ بالحده. ويستريح من تعب الاعادة الا انه ينبغى
للعاقل ان يكون جل زمانه للاعادة خصوصًا الصبى
والشاب. فانه ليستقر المحفوظ عندهما استقرارا لا يزول
ويجعل اوقات التعب من الاعادة للنسخ ويحذر من
تفلتها الى النسخ عن الاعادة فيقهرها فانه يحمد ذالك حمد
الشرى وقت الصباح وسيندم من لم يحفظ ندم الكسعى
وقت الحاجة الى النظر والفتوى وفى الحفظ نكتة ينبغى
ان يلحظ وهو ان الفقيه يحفظ الدرس ويعيده ثم يتركه
فينساه فيحتاج الى زمان آخر لحفظه فينبغى ان يحكم
الحفظ ويكثر التكرار ليثبت قاعدة الحفظ

١٨٥ فصل

ما اعرف نفعا كالعزلة عن الخلق خصوصا للعالم و
الزاهد فانك لا تكاد ترى الا شامتا بنكبة او حسودا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على نعمة ومن يأخذ عليك غلطاتك فيا للعزلة ما الذها
سلمت من كدر غيبة وآفات تصنع واحوال المداجاة و
تضييع الاوقات ثم خلا فيها القلب بالفكر لانه مستلذة
عنه بالمخالطة فتدبر امر آخرته ودنياه فمثله كمثل الحمية
يخلو فيها المعان الاخلاط فتذهبها وما رأيت مثل ما
يصنع المخالط لانه يرى حالته الحاضرة من لقاء الناس
وكلامهم فيشتغل بها عما بين يديه فمثله كمثل رجل
يريد سفرا قد ازف فجالس اقواما فشغلوه بالحديث
حتى ضرب البوق وما تزود فلو لم يكن في العزلة الا التفكر
في زاد الرحيل والسلامة من شر المخالطة كفى ثم لا عزلة
في الحقيقة الا للعالم والزاهد فانهما يعلمان مقصود
العزلة وان كانا لا في عزلة واما العالم فعلمه مؤنسه
وكتبه محدثه والنظر في سير السلف مقومه والتفكر
في حوادث الزمان فرجه فان ترقى بعلمه الى مقام المعرفة
الكاملة للخالق سبحانه وتشبثه باذيال محبته تضاعفت
لذاته واشتغل بها عن الاكوان وما فيها فخلا بحبيبه
وعمل معه بمقتضى علمه وكذلك الزاهد تعبده انيسه و
معبوده جليسه فان كشف لبصره عن المعمول معه

غاب عن الخلق

غاب عن الخلق وغابوا عنه انما اعتزلا ما يؤذي فهما في الوحدة
بين جماعة فهذا رجلان قد سلما من شر الخلق وسلم الخلق
من شرورهما بل هما قدوة للمتعبدين وعلم للسالكين ينتفع
بكلامهما السامع وتجري موعظتهما المدامع وتنشرهيبتهما
في المجامع فمن اراد ان يتشبه باحدهما فليصابر الخلوة وان
كرهها ليشرله العسل واعوذ بالله من عالم مخالط للعالم
خصوصا لارباب المال والسلاطين يجتلب ويجتلب
ويختلب فما يحصل له شيء من الدنيا الا وقد ذهب من دينه
امثاله ثم اين الانفة من الذل للفساق فالذي لا يبالي
بذالك هو الذي لا يذوق طعم العلم ولا يدري ما المراد
به وكأنه به وقد وقع في بادية حرص وقفر املا مهلك
في تلك البراري وكذالك المتزهد اذا خالط وخلط
فانه يخرج الى الرياء والتصنع والنفاق فيفوته الحظان
لا الدنيا ونعيمها تحصل له ولا الآخرة فنسأل الله
عز وجل خلوة حلوة وعزلة عن الشر لذة ويستصلحنا
لمناجاته ويلهم كلا منا من طلب نجاته انه قريب مجيب

١٨٦ فصل

ما ابله من لا يعلم متى يأتيه الموت وهو لا يستعد

تجري ٩

للقائه واشد الناس بلها وتغفيلا من قد عبر الستين
وقارب السبعين فان ما بينهما معترك المنايا ومن نازل
المعترك استعد وهو غافل عن الاستعداد شعر
قال الشباب لعلنا في شيبنا ✻ ندع الذنوب فما يقول الاشيب
وقد الله ان الضحك من الشيخ ما له معنى وان المزاح منه
بارد المعنى وان تعرضه بالدنيا وقد دفعته عنها
يضعف القوى ضعف في الرأى وهل بقى لابن ستين
منزل فان طمع في السبعين فانما يترقى اليها بعناء شديد
ان قام دفع الارض وان مشى لهث وان قعد تنفس
ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها فان اكل
كد المعدة وصعب الهضم وان وطئ آذى المرأة ووقع
دنفا لا يقدر على رد ما ذهب من القوة الى مدة طويلة
فهو يعيش عيش الاسير فان طمع في الثمانين فهو زحف
اليها زحف الصغير وعشر الثمانين من خاصها فان
المسلمات فيها فنون فالعاقل من فهم مقادير الزمان
فانه فيما قيل قبل البلوغ صبي ليس على عمره عيار الا
يرزق فطنة ففي بعض الصبيان فطنة تخبهم من الصغر

على اكتساب المكارم

على اكتساب المكارم والعلوم فاذا بلغ فليعلم انه زمان المجاهدة
للهوى وتعلم العلم فاذا رزق الاولاد فهو زمان الكسب للعائلة
فاذا بلغ الاربعين انتهى تمامه وقضى مناسك الاجل ولم
يبق الا الانحدار الى الوطن شعر
✻ كان الفتى يرقى من العمر معلما ✻ الى ان يجوز الاربعين وينحط ✻
فينبغي له عند الاربعين ان يجعل كل همته التزود للآخرة ويكون
كل تلمحه لما بين يديه وياخذ في الاستعداد للرحيل وان
كان الخطاب لهذا الامن عشرين الا ان رجاء التدارك في
حق الصغير لا في حق الكبير فاذا بلغ الستين فقد اعذر الله
اليه في الأجل وجاز من الزمن فيقبل بكليته الى جمع زاده
وليهيئ آلات السفر وليعتقد كل يوم يجئ فيه لغنيمة ما
هي في الحساب خصوصا اذا قوى عليه الضعف وزاده
وكلما علت سنه فينبغي ان يزيد اجتهاده فاذا دخل في
عشر الثمانين فليس الا الوداع وما بقي بمكة العمر تجاره الا
نفس اسف على تفريط وتعبد على ضعف نسئل الله عز وجل
يقظة تامة تصرف عنا رقاد الغفلات وعملا صالحا نامن
معه من الندم يوم الاثقال والله الموفق

١٨٧ فصل

ما نهى السلف عن الخوض في الكلام الا لأمر عظيم وهو ان الانسان

يريد ان ينظر الى ما يقوى عليه بصره فربما تحير فخرج الى الحجب
لانا اذا انظرنا فى ذات الخالق حار العقل وبهت الحس
لانه لا يعرف شيئا لا بداية له لا يعلم الا الجسم والجوهر والعرض
فاثبات ما يخرج عن ذلك لا يفهمه وان نظرنا فى افعاله
رأيناه يحكم البنائم ينقضه ولا نطلع على تلك الحكمة فالاولى
للعاقل ان يكف كف التطلع الى ما لا يطيق النظر اليه وحتى
قام العقل فنظر فى وجود دليل الخالق بمصنوعاته واجاز
بعثة نبي واستدل بمعجزاته كفاه ذلك ان يتعرض
لما قد اغنى عنه واذا قال القرآن كلام الله تعالى بدليل قوله
تعالى (حتى يسمع كلام الله) كفاه واما من يحكى تحذلق
فقال التلاوة هى المتلو او غير المتلو والقراءة هى المقروءة
او غير المقروءة فيضيع الزمان فى غير تحصيل والمقصود
العمل بما فهم وقد حكى ان ملكا كتب الى عماله فى البلدان
اذا قادم عليكم فاعملوا كذا وكذا ففعلوا الا واحدا منهم فانه
قعد يتفكر فى الكتاب فيقول اترى كتبه بمداد او حبر
اترى كتبه قائما او قاعدا فما زال يتفكر حتى قدم الملك و
لم يعمل بما امره شيئا فاحسن جوائز الكل وقتل هذا

١٨٨ فصل

لقد غفل طلاب

لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها واللذة فيها شرف العلم
وزهوة العفة ونفقة الحمية وعز القناعة وحلاوة الافضال
على الخلق فاما الالتذاذ بالمطعم والمنكح شغل جاهل باللذة
لان ذاك لا يراد لنفسه بل لاقامة العوض فى البدن والولد
واى لذة فى النكاح وهى قبل المباشرة قلق لا يثبت عند
انقضائها كان لم يكن ثم يثمر الضعف فى البدن واى لذة
فى جمع المال فضلا عن الحاجة فانه مستعبد للخازن يبيت حذرا
عليه ويدعوه قليله الى كثيره واى لذة فى المطعم وعند الجوع
يستوى خشنه وحسنه فان ازداد بالاكل خاطر بنفسه
قال على بن ابى طالب رضى الله عنه بليت الفتنة على ثلاث
النساء فهن فخ ابليس المنصوب والشراب وهو سيفه المرهف
والدينار والدرهم وهما سهماه المسمومان فمن مال الى النساء
لم يصف له عيش ومن احب الشراب لم يمتع بعقله ومن
احب الدينار والدرهم كان عبدا لهما ما عاش

١٨٩ فصل

اصل كل محنة فى العقائد قياس امر الخالق على احوال الخلق
فان الفلاسفة لما رأوا ايجاد شئ لا من شئ كالمستحيل فى
العادات قالوا بقدم العالم ولما عظم عندهم الاحاطة بكل
شئ قالوا انه يعلم العمل لا التفاصيل ولما رأوا تلف
الابدان بالبلا انكروا اعادتها قالوا الاعادة رجوع الارواح

لا تحصيل وفوات للباشرة

السعادتها وكل من قاس صفة الخالق على صفات المخلوقين
خرج الى الكفر فان المجسمة دخلوا فى ذالك لانهم حملوا اوصافه
على ما يفعلون وكذالك تدبيره عز وجل فان حمله على ما
يعقل فى العادات رأى ذبح الحيوان لا تستحسن والامراض
تستقبح وقسمة الغنى للأبله والفقر للعاقل امرا نيا فى
الحكمة وهذا فى الاوضاع بين الخلق فاما الخالق سبحانه
فان العقل لاينتهى الى حكمته بلى قد ثبت عنده وجوده
وملكه وحكمته فتعرضه بالتفاصيل على ما تجرى به
عادات الخلق جهل الا ترى الى اقل المعترضين وهو
ابليس كيف ناظر فقال انا خير منه وقول خليفته و
هو ابو العلاء المعرى

× رأى منك ما لا يشتهى فتزندقا ×

ونسئل الله عز وجل توفيقا للتسليم وتسليما للحكيم ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا اترى نقدر على تعليل
افعاله فضلا عن مطالعة ذاته وكيف نقيس امره
على احوالنا فانا اذا رأينا نبينا صلى الله عليه وسلم يسأل
فى امته وعمه فلا يقبل منه ويتقلب جائعا والدنيا ملك
سيده ويقتل اصحابه والنصر بيد خالقه اوليس هذا
مما يحير فمالنا والاعتراض على ملك قد ثبتت حكمته واستقر
ملكه

فصل تأملت عجبا

١٩٠ فصل

تأملت عجبا وهو ان كل شئ نفيس خطير بطول طريقه
ويكثر التعب فى تحصيله فان العلم لما كان اشرف الاشياء
لم يحصل الا بالتعب والسهر والتكرار وهجر اللذات و
الراحة حتى قال بعض الفقهاء بقيت سنين اشتهى الهريسة
لا اقدر لأنه وقت بيعها وقت الدرس ونحو هذا تحصيل
المال فانه يحتاج الى المخاطرات والاسفار والتعب الكثير
وكذالك نيل الشرف بالكرم والجود فانه يفتقر الى جهاد
النفس فى بذل المحبوب وربما آل الى الفقر وكذالك
الشجاعة فانها لا تحصل الا بالمخاطرة بالنفس قال الشاعر

× لولا المشقة ساد الناس كلهم × الجود يفقر والاقدام قتال ×

ومن هذا الفن تحصيل الثواب فى الآخرة فانه يزيد على قدر
قوة الاجتهاد والتعبد او على قدر المبذول من المال فى النفس
او على قدر قدر الصبر على فقد المحبوب فى منع النفس من الجزع
وكذالك الزهد يحتاج الى صبر عن الهوى والعفاف لا يكون
الا بكف كف الشره ولولا ما عانى يوسف عليه السلام ما قيل له
ايها الصديق ولله اقوام مارضوا من الفضائل الا بتحصيل
جميعها فهم بالغون فى كل علم ويجتهد فى كل عمل ويثابرون
على كل فضيلة فاذا ضعفت ابدانهم عن بعض تلك قامت

سماع

الليات نائبة وهم لها سابقون واكمل احوالهم اعراضهم عن
اعمالهم فهم يحترزون منها مع اتمام ويعتقدون من التقصير
ومنهم من يزيد على هذا فيتشاغل بالشكر على التوفيق
لذالك وهم من لا يرى لها عملا اصلا لأنه يرى النفسة وعلة
لشيده وبالعكس من المذكور من ارباب الاجتهاد حال اهل
الكسل والشره والشهوات فلئن التذوا بالعاجل الراحة
لقد اوجبت ما يزيد على كل تعب من الأسف والحسره ومن تلمح
صبر يوسف عليه السلام وعجلة فاعزبان له الحد الفرق وفهم
الربح من الخسران ولقد تأملت نيل الدرّ في البحر فرأيته
بعد معاناة شديدة ومن تفكر فيما ذكرته مثلا بانت له
امثال فالموفق من تلمح قصر الموسم المعمول فيه ومتداد
زمان الجزآء الذى لا آخر له إنتهب حتى اللحظة وزاحم
كل فضيلة فانها اذا فاتت فلا وجه لاستدراكها او ليس
في الحديث يقال للرجل اقرا وارق فمنزلك عند آخر آية
تقرؤها فلو ان الفكر عمل في هذا حق العمل حفظ القرآن
عاجلا

١٩١ فصل

ليس المؤمن بالذى يؤدّى فرائض العبادات صورة ويجتنب
المحظورات فحسب انما المؤمن الكامل الايمان لا يختلج في
قلبه اعتراض

قلبه اعتراض ولا يسلك فيما يجرى وسوسة وكلما اشتد
البلآء زاد ايمانه وقوى تسليمه وقد يدعو فلا يرى للاجابة
اثرا وسره لا يتغير لانه يعلم انه مملوكه وله مالك يتصرف
بمقتضى ارادته فان اختلج في قلبه اعتراض خرج من مقام
العبودية الى مقام المناظرة كما جرى لابليس والايمان
القوى يبين اثره عند قوة البلا فانا اذا رأينا مثل يحيي
ابن زكريا تسلط عليه فاجر فيأمر بذبحه فيذبح ورعا
اختلج في الطبع ان يقول فهلا رد عنه من جعله نبيا وكذلك
كل متسلط من الكفار على الانبيآء والمؤمنين وما وقع رد
عنهم فان هجس بالفكر ان القدرة تعجز عن الرد عنهم كان كفرا
وان علم ان القدرة متمكنة من الرد وما ردت ويجوع
المؤمنون ويشبع الكفار ويعافى العصاة ويمرض المتقون
لم يبق الا التسليم للمالك وان امرض وارمض وقد ذهب
يوسف عن يعقوب فبكى ثمانين سنة عليها السلام لم ييأس
فقال عسى الله ان يأتيني بهم جميعا وقد دعا موسى عليه
السلام على فرعون فاجيب بعد اربعين سنة وكان يذبح
الابنآء ولا ترده القدرة القديمة العظيمة وصلب السحرة
وقطع ايديهم وكم من بلية نزلت بمعظم القدر فما زاده
ذالك الا تسليما ورضا فهناك يبين معنى قوله ورضوا
عنه وههنا يظهر قدر قوة الايمان في دكعات

قال الحسن البصري استوى الناس في العافية فاذا نزل البلاء تباينوا

١٩٢ فصل

اضر ما على العوام المتكلمون فانهم يخبطون عقائدهم بما يسمعون منهم ومن اقبح الاشياء ان يحضر العامي الذي لا يعرف اركان الصلاة ولا الربا في البيع مجلس الوعظ فلا ينهاه عن التواني في الصلاة ولا يعلمه الخلاص من الربا بل يقول له القرآن قائم بالذات والذي عندنا مخلوق فيهون القرآن عند ذلك العامي فيحلف به على الكذب ويح المتكلم لو كان له فهم لعلم ان الله سبحانه وتعالى نصب اعلاما تأنس بها النفوس وتطمئن اليها كالكعبة وسماها بيته والعرش وذكر استوائه عليه وذكر من صفاته اليد والسمع والبصر والعين وينزل الى السماء الدنيا ويضحك وكل هذا لتأنس النفوس بالعادات وقد جل عما تضمنه هذه الصفات من الجوارح وكذلك عظم امر القرآن ونهى المحدث ان يمس المصحف فاذا قال الامر لقوم من المتكلمين لما ان اجازوا الاستجابة فهؤلاء على معاندة الشريعة لانهم يهينون ما عظم الشرع وهل الايغال في الكلام مما يقرب الى معرفة الحقائق التي لا يمكن خلافها هيهات لو كان كذلك ما وقع بين المتكلمين خلاف اول ليس الشرب الاول ما تكلموا في شيء

من هذا وان كانوا

من هذا وان كانوا تعرضوا ببعض الأصول ثم جاء فقهاء الامصار فنهوا عن الخوض في الكلام لعلمهم ما يجب وما يجتنب ومن لم يقنع بعقيدة مثل عقيدة الصحابة ولا بطريق مثل طريق احمد والشافعي في ترك الخوض فلا كان من كان ثم بالله تأملوا اليس قد وجب علينا هجر الربا بقوله تعالى لا تأكلوا الربا وهجر الزنا بقوله تعالى ولا تقربوا الزنا فاي فائدة في ذكر قرآءة ومقروء وتلاوة ومتلو وقديم ومحدث فان قيل فلابد من اعتقاد قلنا طريق السلف اوضح محجة لا انا نقوله تقليدا بل بالدليل ولكنا لم نستفده عن جوهر وعرض وجزء لا يتجزأ بل بادلة النقل مع مساعدة العقل من غير بحث عما لا يحتاج اليه وليس هذا مكان الشرح

١٩٣ فصل

ما زلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من الاولاد والاهل ولا اتخايل الا بلى الابدان في القبور فاحزن لذلك فمرت بي احاديث قد كانت تمر بي ولا اتفكر فيها منها قول النبي صلى الله عليه وسلم انما نفس المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرده الله عز وجل الى جسده يوم يبعث فرأيت ان الرجل الى الراحة وان هذا البدن ليس بشيء لانه مركب تفككه وفساد وسيبنى جديدا يوم البعث فلا ينبغي ان يتفكر في بلاط ولتسكن النفس الى ان الارواح

انتقلت الراحة فلا يبقى كبير حزن وان اللقا للأحباب
عن قريب وانما يبقى الاسف لتعلق الخلق بالصور فلا
يرى الانسان الآجسد امستحسنا قد نقض فيحزن لنقضه
والجسد ليس هو الآدمى انما هو مركب فالارواح لاينالها
البلا والابدان ليست بشئ واعتبر هذا بما اذا قلعت
ضرسك فرميته فى حفرة فهل عندك خبر بما يلقى فى مدة
حياتك فحكم البدن حكم ذالك الضرس لاتدرى النفس
مايلقى ولاينبغى ان تغتم لتمزيق جسد المحبوب وبلاه
واذكر تنعم الارواح وقرب التجديد وعجل اللقاء والفكر
فى تحقيق هذا يهون الحزن ويسهل الامر

١٩٤ فصل

ينبغى للعاقل ان لايتكلم فى الخلوة عن احد بشئ حتى يمثل
ذالك الشئ ظاهرا معلنا به ثم ينظر فيما يجئ فرب رجل
وثق بصديقه فتكلم عن سلطان بامر فبلغه فاهلكه اوعن
صديقه فبلغه فوقعت الواقعة وكذا ينبغى كتم المذاهب
فانه مايربح مظهرها الآبالمعادات ولماصرح الشريف ابوجعفر
فى زمان المقتدى بمخالفة الاشاعرة اخذ وحبس حتى
مات وكان المقصود قطع الفتن واصلاح الرعية فانه
اهم الى السلطان من التعصب بمذهب

١٩٥ فصل

رأيت كثيرا من

رأيت كثيرا من المتغفلين يظهر عليهم السخط بالاقدار وفيهم
من قل ايمانه فاخذ يعترض وفيهم من خرج الى الكفر ورأى
ما يجرى كالعبث وقال مافائدة الاعدام بعد الايجاد و
الابتلا ممن هو غنى عن اذانا فقلت لبعض من كان يرمز الى
هذا ان حضر عقدك وقلبك حدثنك وان كنت تتكلم
بمجرد واقعك من غير نظر وانصاف فى الحديث معك
ضائع ويحك احضر عقلك واسمع ما اقول اليس قد ثبت
ان الحق سبحانه وتعالى مالك وللمالك ان يتصرف كيف
شاء اليس قد ثبت انه حكيم والحكيم لايعبث واعلم ان فى
نفسك من هذه الكلمة شئ فانه قد سمعنا عن جالينوس
انه قال احكم هو ام لا والسبب فى قوله انه راى نقضا
بعد احكام فقاس الحال على احوال الخلق وهو انه من بنى
ثم نقض للمعنى فليس بحكيم وجوابه لو كان حاضرا ان
يقال بماذا بان لك ان النقض ليس بحكمة اليس بعقلك
الذى وهبه الصانع لك وكيف يهب لك الذهن الكامل
ويفوته هو الكمال وهذه المحنة التى جرت لابليس فانه
اخذ يعيب الحكمة بعقله فلو تفكر علم ان واهب العقل اعلا
من العقل وان حكمته اوفى من كل حكيم لانه بحكمته التامة
انشأ العقول فهذا اذا تأمله المنصف زال عنه الشك
وقد اشار سبحانه وتعالى الى نحو هذا بقوله تعالى

اله البنات ولكم البنون جعل لنفسه النا قصات واعطاكم
الكاملين فلم يبق الآن نضيف العجز عن فهم ما يجرى الى
انفسنا ونقول هذا فعل عالم حكيم ولكن ما يبين لنا معناه
وليس هذا العجب فان موسى عليه السلام خفى عليه وجه
الحكمة فى نقض السفينة الصحيحة وقتل الغلام الجميل فلما
بين له الخضر وجه الحكمة اذعن فليكن مع الخالق كموسى مع
الخضر اد لسنا نرى المائدة المستحسنة بما عليها من فنون
الطعام المنضيف الظريف يقطع ويمضغ ولسنا نملك
الافعال ولا ينكر الافساد له لعلمنا بالمصلحة الباطنة
فيه فما المانع ان يكون فعل الخالق سبحانه له باطن لا نعلمه
ومن اجهل الجهال العبد المملوك اذ اطلب ان يطلع على
سر مولاه فان فرضه التسليم لا الاعتراض ولو لم يكن فى
الابتلاء بما ينكره الطباع الآن يقصد اذعان العقل و
تسليمه لكفى ولقد تأملت حالة عجيبة يجوز ان يكون
المقصود بالموت وذاك ان الخالق سبحانه غيب فى عيب
لا يدركه الاحساس فلو انه لم ينقض هذه البنية تخايل
للأنسان انه صنع لا يصانع فاذا وقع الموت عرفت النفس
نفسها التى كانت لا تعرفها لكونها فى الحبس وتدرى عجائب
الأمور بعد رحيلها فاذا ردت الى البدن عرفت ضرورة
انها مخلوقة لمن اعادها وتذكرت حالها فى الدنيا فان

الاذكار تعاد

الاذكار تعاد كما تعاد الابدان فيقول قائلهم انا كنا قبل
فى اهلنا مشفقين ومتى رأت ما قد وعدت به من امور
الآخرة ايقنت يقينا لا شك معه ولا يحصل هذا باعادة ميت
سواها وانما يحصل برؤية هذا الامر فيها فيبنى بنية
تقبل البقاء وتسكن جنة لا ينقض دوامها فيصلح بذلك
اليقين ان تجاوز الحق لانها آمنت بما وعد وصبرت بما ابتلى و
سلمت لاقداره فلم تعترض وان رأت فى غيرها العبر ثم فى نفسها
فهذه هى التى يقال لها ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى
فى عبادى وادخلى جنتى فاما الشاك والكافر فيحق لهما الدخول
الى النار واللبث فيها لانهما رأيا الادلة فلم يستفيدا ونازعا
الحكيم واعترضا عليه فعاد شؤم كفرهما بطمس قلوبهما فبقيت
على ما كانت عليه فلما لم تنتفع بد بالدليل فى الدنيا بالموت و
الاعادة ودليل بقاء الخبث فى القلوب قوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه فنسأل الله عز وجل عقلا مسلما يقف
على حده ولا يعترض على خالقه وموجده ثم الويل للمعترض ايرد
اعتراضه الاقدار فلا يستفيد الا الخزى نعوذ بالله خذل
(وشقى)

١٩٦ فصل

لا ينبغى للمؤمن ان يتزعج من مرض او نزول موت وان كان الطبع
لا يملك الا انه ينبغى له التصبر مهما امكن اما لطلب الاجر بما

بريعانى اولبيان الرضى بالقضا وماهى الالحظات ثم تنقضى
ولتتفكر المعافى من المرض فى الساعات التى كان يقلق فيها
اين هى فى زمان العافية ذهب البلا وحصل الثواب كما يذهب
حلاوة اللذات المحرمة ويبقى الوزر ويمضى بزمان السخط
بالاقدار ويبقى العتاب وهل الموت الا الام تزيد فتعجز
النفس عن حملها فتذهب فليتصور المريض وجود الراحة
بعد حيل النفس وقدهان مايليقى كما يتصور العافية
بعد شرب الشربة المرة ولاينبغى ان يقع جزع بذكر البلا
فان ذاك شان المركب واما الراكب ففى الجنة او النار
وانما ينبغى ان يقع الاهتمام الكلى بما يزيد فى درجات
الفضائل قبل نزول المعوق عنها فالسعيد من وفق
لاغتنام العافية ثم يختار تحصيل الافضل فالافضل فى
زمن الاغتنام وليعلم ان زيادة المنازل فى الجنة على
قدر التزيد من الفضائل ههنا والعمر قصير والفضائل
كثيرة فليبادر فى البدر فياطول راحة التعب ويافرحة
المغموم ويا سرور المحزون ومتى تخايل دوام اللذة فى الجنة
من غير منغص ولاقاطع هان عليه كل بلاء وشده

١٩٧ فصل

حضرنا جنازة

حضرنا بخ حضرنا جنازة شاب مات احسن ماكانت الدنيا
له فرأيت ذم الناس للدنيا وعيب من يسكن اليها والتقبيح
للغافلين عن الاستعداد لهذا المصرع امرا كبيرا من الحاضرين
فقلت نعم ماقلتم ولكن اسمعوا منى مالم تستمعوه اعجب
الاشياء ان العاقل اذا علم قرب هذا المصرع منه اوجب
عليه عقله البدار بالعمل والقلق من الخوف وقد
اشتد ذالك على باقوام فهاموا فى البرارى وطووا الايام
بالمجاعة وداموا على سهر الليل ولازموا المقابر فهلكوا
سريعا ولعمرى انما خافوه يستحق اكثر من هذا الفعل
ولكن نرى العقل الذى اوجب هذا القلق قد امرنا بما
يوجب السكون فقال انما خلق هذا البدن ليحمل النفس
كما تحمل الناقة الراكب ولابد من اللطف بالناقة ليحصل
المقصود من السير ولا يحسن فى العقل دوام السهر
وطول القلق لانه يؤثر فى البدن فيفوت اكثر المقصود
كيف وقد خلق بدن الآدمى خلقا لطيفا فاذا هجر الدسم
نشف الدماغ فاذا دام على السهر قوى اليبس فاذا لازم
الحزن مرض القلب فلابد من التلطف بالبدن بتناول
مايصلحه وبالقلب بدفع الحزن المؤذى له والا فمتى دام
المؤذى عجل التلف ثم يأتى الشرع بما قد قاله العقل فيقول
ان لنفسك عليك حقا وان لزوجك عليك حقا فصم و

افطر وقم ونم يقول كفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت
ويحث على النكاح ودوام القلق والهبس يترك الزوجة
كالارملة والولد كاليتيم ولاوجه للتشاغل بالعلم مع هذا
القلق ومن اراد مصداق ما قلته فليتأمل حالة الرسول
صلى الله عليه وسلم فانه كان يعدل ما عنده من الخوف
فيمازح ويسابق عائشة ويكثر من التزويج وكان يلطف
ببدنه فيختار الماء البايت ويحب الحلوى واللحم ولولا
مساكنة نوع غفلة لما صنف العلماء ولا حفظ العلم ولا
اكتسب الحديث لانه من يقول ربما مت اليوم كيف يكتب
وكيف يسمع ويصنف فلا يهولنكم ما ترون من غفلة
الناس عن ذكر الموت حق ذكره فانها نعمة من الله سبحانه
وتعالى بها تقوم الدنيا ويصلح الدين وانما تذم قوة الغفلة
الموجبة للتفريط والاهمال المحاسبة للنفس وتضييع الزمان
في غير التزود وربما قويت فحملت على المعاصي فاما اذا كانت
بقدر كانت كالملح في الطعام لابد منه فان كثرها صار الطعام
زعاقا فالغفلة تمدح اذا كانت بقدر كما بينا ومتى زادت
وقع الذم فافهم ما قلته ولا تقول فلان شديد اليقظة
ما ينام الليل وفلان غافل ينام اكثر الليل فان غفلة توجب
مصلحة البدن والقلب لا تذم والسلام

فصل ما يكاد يجب

١٩٨ فصل

ما يكاد يجب الاجتماع بالناس الا فارغ لان المشغول القلب
بالحق يفر من الخلق ومتى تمكن فراغ القلب من معرفة الحق ابتلا
بالخلق فصار يعمل لهم ومن اجلهم ويهلك بالرياء ولا يعلم انى
لا تأمل على بعض من يتزيا بالفقر والتصوف وهو يلبس ثيابا
لا تساوى دينارا وعنده المال الكثير وقد امرح نفسه في
المطاعم الشهية وهو عامل بمقتضى الكبر والتصدر فيتقرب
الى ارباب الدنيا ويستزري ارباب العلم ويزور اولئك
دونهم وانما يرد ما يعطى ليشيع له اسم زاهد
فتراه يربي الناموس فهو في احتياله كثعلب وفي نهوضه
على اغراضه في الباطن كلب شرى فاقول سبحان الله ما يزهد
الا الثياب اترى ما سمع هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله يحب ان ترى اثر نعمته على عبده واعوذ بالله من
رؤية النفس ورؤية الخلق فان من رأى نفسه تكبر و
المتكبر احمق لانه ما من شئ يتكبر به الا ولغيره اكثر منه
ومن رأى الخلق عبدهم ولا يعلم فاما المعامل لله سبحانه
فهو بعيد من الخلق فان يقربوا اليه ستر حاله بما يوجب
بعدهم عنه وقد رأينا من يرائي ولا يدري فيمتنع من

الشئ فى السوق ومن زيارة الاخوان ومن ان يشترى شيئا
فتوهمه نفسه انى اكره مخالطة السوقة وانما هذا يربى جاها
بين العلمآء اذ لو خالطهم لطهم لامتحى جاهه وبطل تقبيل
يده وقد كان بشر الحافى يجلس عند عطار وابلغ من هذا
كله ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان يشترى ويحمله وخرج
على بن ابى طالب رضى الله عنه وهو امير المؤمنين الى
السوق فاشترى ثوبا وقد كان طلحة بن مطرف قارى
اهل الكوفة فلما كثر الناس عليه مشى الى الاعمش فقرا
عليه فمال الناس الى الاعمش وتركوا طلحة هذا والله
الكبريت الاحمر والاكسير لا ما يظن كثيرا من الناس فى
الكيمياء والمعاملة مع الله تعالى هكذا تكون فاما قصد
هذه الحالة فحالة عابد للخلق ملبس وقد عم هذا الجمهور
الخلق حاشا السلف

* افدى ظبآء فلاة ما عرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجبا

١٩٩ فصل

كل المعاصى قبيحة وبعضها اقبح من بعض فان الزنا من
اقبح الذنوب فانه يفسد الفرش ويغير الانساب وهو
بالجارة اقبح فقد روى فى الصحيحين من حديث ابن مسعود

قال قلت يا رسول الله

قال قلت يا رسول الله اى الذنوب اعظم قال ان تجعل لله
ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل من اجل ان يطعم
معك قلت ثم اى قال ان تزانى حليلة جارك وقد روى
البخارى فى تاريخه من حديث المقداد بن الاسود عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لان يزنى الرجل بعشر نسوة ايسر
من ان يزنى بامرأة جارة ولان يسرق من عشرة ابيات
ايسر عليه من ان يسرق من بيت جاره وانما كان هذا لانه
يضم الى معصية الله عز وجل انتهاك حق الجار ومن اقبح الذنوب
ان يزنى الشيخ ففى الحديث ان الله يبغض الشيخ الزانى
لان شهوة الطبع قد ماتت وليس فيها قوة تغلب فهو
يحركها ويبالغ فكان معصيته عناد ومن المعاصى
التى تشبه المعانده لبس الرجل الحرير والذهب خصوصا
خاتم الذهب الذى يتحلى به الشيخ وانه من ابرد الافعال
واقبح الخطايا ومن هذا الفن الرياء والتخشع واظهار الزهد
للخلق فانه كالعبادة لهم مع اهمال جانب الحق عز وجل وكذلك
المعاملة بالربا الصريح خصوصا من الغنى الكثير المال ومن
اقبح الاشياء ان يطول المريض للرض بالشيخ الكبير ولا يتوب
من ذنب ولا يعتذر من زلة ولا يقضى دينا ولا يوصى باخراج

حق عليه ومن قبائح الذنوب ان يتوب السارق والظالم
ولا يرد المظالم والمفرط في الزكاة او في الصلاة ولا
يقضي ومن اقبحها ان يحنث في يمين طلاقه ثم يقيم مع
المرأة وقس على ما ذكرته فالمعاصي كثيرة واقبحها
لا يخفى وهذه المستقبحات فضلا من القبائح تشبه
المعناد للآمر فيستحق صاحبها اللعن ودوام
العقوبة واني لارى شرب الخمر من ذلك الجنس ليست
مشتهاة لذاتها ولا لريحها ولا لطعمها فيما يذكر انما لذتها
فيما يقال بعد تجرع مرارتها فالاقدام على مالم يدعو اليه
الطبع معاندة الا ان يصل التناول الى اللذة نسأل الله
عز وجل ايمانا يحجز بيننا وبين مخالفته وتوفيقا لما يرضيه
فانما نحن به وله

فصل

اعتبرت على اكثر العلماء والزهاد انهم يبطنون الكبر فهذا
ينظر في موضعه وارتفاع غيره عليه وهذا لا يعود مريضا
فقيرا يرى نفسه خيرا منه حتى اني رأيت جماعة يومي اليهم
منهم من يقول لا يدفن الا في دكة احمد بن حنبل ويعلم ان
في ذلك كسر عظام الموتى ثم يرى نفسه اهلا لذلك

التصدر وهم

التصدر وهم من يقول ادفنوني الى جانب مسجدي ظنا
منه انه يصير بعد موته مزورا كمعروف وهذه خلة مهلكة
وهم لا يعلمون قال صلى الله عليه وسلم من ظن انه خير من
غيره فقد تكبر وقل من رأيت الا وهو يرى نفسه و
العجب كل العجب ممن يرى نفسه اتراه بماذا رأها ان كان
بالعلم فقد سبقه العلماء او بالتعبد فقد سبقه العباد
او بالمال فان المال لا يوجب بنفسه فضيلة دينيه
فان قال قد عرفت ما لم يعرف غيري من العلم في زمني فما
على من تقدم قيل له ما نامرك يا حافظ القرآن ان ترى
نفسك في الحفظ كمن يحفظ النصف ولا يا فقيه ان ترى
نفسك في العلم كالعامي انما نحذر عليك ان ترى نفسك
خيرا من ذلك الشخص المؤمن وان قل علمه فان الخيرية بالمعاني
لا بصور العلم والعبادة ومن تلمح خصال نفسه وذنوبها
علم انه على يقين من الذنوب والتقصير وهو من حال غيره
على شك فالذي يحذر من الاعجاب بالنفس ورؤية التقدم
في احوال الآخرة والمؤمن لا يزال يحقر نفسه وقد قيل لعمر
ابن عبد العزيز رضي الله عنه ان مت ندفنك في حجرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأن القى الله بكل ذنب
غير الشك احب الي من ارى نفسي اهلا لذلك

وقد رويا ان رجلا من الرهبان رأى فى المنام قائلا يقول له فلان الاسكاف خير منك فنزل من صومعة فجاء اليه فسأله عن عمله فلم يذكر كبير عمل فقيل له فى المنام عد اليه وقل له مم صفرة وجهك فعاد فسأله فقال ما رأيت مسلما الا وظننته خيرا منى فقيل له فبذاك ارتفع

٢٠١ فصل

متى رأيت صاحبك قد غضب واخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغى ان تعقد على ما يقوله خنصرا ولا ان تؤاخذه به فان حاله حال السكران لا يدرى ما يجرى بل اصبر لغوررته ولا تعول عليها فان الشيطان قد غلبه والطبع قد هاج والعقل قد استتر ومتى اخذت فى نفسك عليه واجبته بمقتضى فعله كعاقل واجد بجنون او كمفيق عاتب مغمى عليه فالذنب لك بل انظر اليه بعين الرحمة وتلمح تصريف القدر له وتفرج فى لعب الطبع به واعلم انه اذا انتبه ندم على ما جرى وعرف لك فضل الصبر واقل الاقسام ان تسلمه فيما يفعل فى غضبه الى ما يستريح به وهذه الحالة ينبغى ان يتلحها الولد عند غضب الوالد والزوجة عند غضب الزوج فتتركه يشتفى بما يقول ولا يعول على ذلك فسيعود نادما معتذرا ومتى قوبل على حالته ومقالته صارت العداوة متمكنة

وجازى فى الافاقة

وجازى فى الافاقة على ما فعل فى حقه وقت السكر واكرم الناس على غير هذه الطريقة متى رأوا غضبان قابلوا بما يقول ويعمل على مقتضى الحكمة هذا بل الحكمة ما ذكرته وما يعقلها الا العالمون

٢٠٢ فصل

ليس فى الدنيا ابله ممن يسىء الى شخص ويعلم انه قد بلغ الى قلبه الاذى ثم يصطلحان فى الظاهر فيعلم ان ذاك الاذى محى بالصلح وخصوصا الملوك فان لذتهم الكبرى ان لا يرتفع عليهم احد ولا ينكسر عليهم غرض فاذا جرى شىء بذلك لم ينجبر واعتبر هذا بابى مسلم الخراسانى فانه غض من قدر المنصور قبل ولايته فحصل ذلك فى نفسه فقتله ومن نظر فى التواريخ رأى جماعة قد جرى لهم مثل هذا ولا ينبغى لمن اساء الى ذى سلطان ان يقع فى يده فانه اذا رام التخلص لم يقدر فيبقى ندمه على ترك احترازه وحسرته على مسالمة الضمان للسلامة اشد عليه من كل ما يلقى به من الهوان والاذى ومن هذا الجنس الاصدقاء المتملقون فانك متى آذيت شخصا وبلغ الى قلبه اذاك فلا تثق بمودته فان اذاك نصب عينه فان لم يحتل عليك لم يصف لك ولا تخالط الا من انعمت عليه بحسبه فهو لم ير منك الا خيرا فيكون

الألوكة
www.alukah.net

فى نفسه وكذالك الولد والزوجة والمعاملون ويلحق بهذا
ان اقول لا ينبغى ان تعادى احدا ولا تتكلم فى حقه فربما
صارت له دولة فاستغنى وربما احتيج اليه فلم يقدر عليه
فالعاقل يصور فى نفسه كل ممكن ويستر ما فى قلبه من البغض
والود ويدارى مع الغيظ والحقد هذه منشا وراء العقل
ان قبلت

٢٠٣ فصل

كل من لا يتلمح العواقب وليستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل
العقل واعتبر هذا فى جميع الاحوال مثل ان يغتر بشبابه
ويدوم على المعاصى وليسوف بالتوبة فربما اخذ بغتة
ولم يبلغ بعض ما امل وكذالك اذا اسرف بالعمل او فحفظ
العلم فان الزمان ينقضى بالتسويف ويفوت المقصود
وربما عزم على فعل خير او وقف شئ من ماله فسوف
فبغت فالعاقل من اخذ بالحزم فى تصوير ما يجوز وقوعه
وعمل بمقتضى ذالك فان امتد الاجل لم يضره وان وقع
المخوف كان محترزا وما يتعلق بالدنيا بان يميل مع
السلطان ويسئ الى بعض حواشيه ثقة بقربه منه
فربما تغير ذالك السلطان فارتفع عدوه فانتقم منه
وقد يعادى بعض الاصدقاء ولا يبالى به لانه دونه

فى الحال الحاضرة

فى الحال الحاضرة فربما صعدت مرتبة ذالك فاستوفى ما اسلفه
اليه من القبيح وزاد فالعاقل من نظر فيما يجوز وقوعه ولم
يعاد احدا فان كان بينهما ما يوجب المعادات كتم ذالك
فان صح له ان يثب على عدوه فينتقم منه انتقاما يليق به
الشرع جاز على ان الاصلح العفو فى باب العيش ولهذا
ينبغى ان يخدم البطال فربما عمل فعرف ذالك لمن خدم
وقس على ذالك انموذج ما ذكرته من جميع الاحوال

٢٠٤ فصل

بقدر صعود الانسان فى الدنيا تنزل مرتبته فى الآخرة
وقد صرح بهذا ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فقال والله لا
ينال احد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله
وان كان عنده كريما فالسعيد من اقتنع بالبلغة فان
الزمان اشرف من ان يضيع فى طلب الدنيا اللهم ان يكون
متورعا فى كسبه معينا لنفسه عن الطمع قاصدا اعانة
اهل الخير والصدقة على المحتاجين فلكسب هذا اصلح
من بطالته فاما الصعود الذى سببه مخالطة السلاطين
فبعيد ان يسلم معه الدين فان وقع سلامته ظاهرا فالعاقبة
خطرة فى الدنيا والآخرة قال ابو محمد التميمى ما غبطت
احدا الا الشريف ابا جعفر يوم مات القائم بامر الله

يعلم صرح

فانه غسّله وخرج ينفض الكمامه فقعد فى مسجده لايبالى
باحد ونحن مزعجون لاندرى مايجرى علينا وذاك ان
التميمى كان متعلقا على السلطان يمضى له فى الرسائل فخاف
مغبة القرب وقد رأينا جماعة من العلماء خالطوا السلطان
فكان مغبتهم سيئة ولعمرى انهم طلبوا الراحة فاخطوا
طريقها لان غموم القلب لايوارى بها لذة مال ولا لذة مطعم
هذا فى الدنيا قبل الآخرة ومن اشرف واطيب عيشا
من متفرد فى زاوية لايخالط السلاطين ولايبالى الطاب
مطعمه ام لم يطب فانه لايخلو من كسرة وقعب ماء وهو
سليم من ان يقال له كلمة تؤذيه او يعيبه الشرع حين
دخوله عليهم او الخلق ومن تأمل حال احمد بن حنبل فى
انقطاعه وحال ابن ابى دواد ويحيى بن اكثم عرف الفرق
فى طيب العيش فى الدنيا والسلامة فى الآخرة وما احسن
ماقال ابن ادهم لو علم الملوك وابناء الملوك مانحن فيه
من لذيذ العيش جالدونا عليه بالسيوف ولقد صدق
ابن ادهم فان السلطان ان اكل شيئا خاف ان يكون
قد طرح له فيه سم وان نام خاف ان يغتال وهو وراء
المغاليق لايمكنه ان يخرج لفرجه فان خرج كان مزعجا
من قرب الخلق اليه واللذات التى ينالها تسرد عنده

ولا يبقى له لذة

لعله زاوية

ولا يبقى له لذة مطعم ولا منكح وكلما استطرف المطاعم
اكثر منها ففسدت معدته وكلما استجد الجوارى اكثر منهن
فذهبت قوته ولايكاد يُنبعِد ما بين الوطئ ولايجد فى
الوطئ يسير لذة لان لذة الوطئ بقدر بُعد ما بين الزمانين
وكذلك لذة الاكل فان من اكل على شبع ووطئ من غير
صدق شهوة وقلق لم يجد اللذة التامة التى يجدها
الفقير اذا جاع والعزب اذا وجد امرأة ثم ان الفقير يرمى
بنفسه على الطريق والليل فينام ولذة الامن قد حرمها
الامراء فلذتهم ناقصة وحسابهم زائده والله ما الذى
من عاش رفيع القدر بالغا من اللذات مالم يبلغ غيره
الا العلماء المخلصون كالحسن وسفيان واحمد والعباد
المحققون كمعروف فان لذة العلم تزيد على كل لذة وما
ضرهم اذا جاعوا او انيلوا باذى فان ذلك زاد فى رفعتهم
وكذلك لذة خلوة التعبد فهذا معروف كان متفردا
بربه بطيب العيش معه لذيذ الخلوة به ثم قدمات
منذ نحو اربعمائة سنة فما يخلوا ان يهدى اليه كل يوم
ما تقدر مجموعه اجزاء من القرآن واقل من يقف على
قبره فيقرأ قل هو الله احد ويهديها له والسلاطين تقف

شبكة الألوكة www.alukah.net

بين يدى قبره ذليلة هذا بعد الموت ويوم الحشر نشر الكرامات
التى لا توصف وكذلك قبور العلماء المحققين ولما بليت
اقوام بمخالطة الامراء اثر ذلك التكدير فى احوالهم كلها
قال سفيان بن عيينة منذ اخذت من مال فلان الامير
منعت ما كان وهب لى من فهم القرآن وهذا ابو يوسف
القاضى لا يزور قبره اثنان فالصبر عن مخالطة الامراء
واجب اوجب ضيق العيش من وجه يحصل طيب العيش
من جهات ومع التخليط لا يحصل مقصود فمن عزم جزم
كان ابو حسن القزوينى لا يخرج من بليته الا وقت الصلاة
فربما جاء السلطان فيقعد لانتظاره ليسلم عليه ومد
النفس فى هذا بما اضجر السامع ومن ذاق عرف

٥٠٥ فصل

من عرف الشرع كما ينبغى وعلم حالة الرسول صلى الله عليه وسلم
واحوال الصحابة واكابر العلماء على اكثر الناس على غير
الجادة وانما يمشون مع العادة يتزاورون فيغتاب
بعضهم بعضا ويطلب كل واحد منهم عورة اخيه ويحسده
ان كان فى نعمة ويشمت به ان كانت مصيبة وينكر

لعله من جهات

عليه ان صحبه

عليه ان صحبه ويخادعه لتحصيل شئ من الدنيا ويأخذ عليه
العشرات ان امكن هذا كله يجرى بين المنتمين الى العلم
والزهد لا الرعاع والاولى بمن عرف الله سبحانه وعرف
الشرع وسيرة السلف الصالحين الانقطاع عن الكل فان
اضطر الى لقاء منتسب الى العلم والخير تلقاه وقد لبس درع
الحذر ولم يطل معه الكلام ثم عجل الهرب منه الى مخالطة
الكتب التى تحوى نفس الطاف الكمال

٥٠٦ فصل

الكمال عزيز والكامل قليل الوجود فاول اسباب الكمال
يناسب اعضاء البدن وحسن صورة الباطن فصورة البدن
تسمى خَلْقا وصورة الباطن تسمى خُلُقا ودليل كمال
صورة البدن حسن السمت والاستعمال الادب ودليل
صورة الباطن حسن الطبائع والاخلاق فالطبائع العفة
والنزاهة والانفة من الجهل ومباعدة الشره والاخلاق
الكرم والايثار وستر العيوب وابتداء المعروف و
الحلم عن الجاهل فمن رزق هذه الاشياء رقته الى الكمال
وظهر عن اشرف الخلال وان نقصت خلة اوجبت النقص

٥٠٧ فصل

ليس فى الدنيا ابله ممن يريد معاملة الحق سبحانه وتعالى
على بلوغ الاغراض فانى يكون البلوى اذن لا والله بل
لابد من انعكاس المرادات ومن توقف اجوبة السؤالات
ومن تشفى الاعداء فى اوقات فامتا من يريد ان تدوم
له السلامة والنصر على من يعاديه والعافية من غير
بلاء فما عرف التكليف ولا فهم التسليم اليس رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينصر يوم بدر ثم يجرى عليه ما جرى
يوم احد اليس يُصَدُّ عن البيت ثم قهر بعد ذلك
فلابد من جيد وردئ الجيد يوجب الشكر والردى يحرك
الى السؤال والدعاء فان امتنع الجواب اريد نفوذ البلا
والتسليم للقضاء وههنا يبين الايمان وتظهر فى التسليم
جواهر الرجال فان تحقق التسليم باطنا وظاهرا فذاك
شأن الكامل وان وجد فى الباطن انعصار من القضاء
لامن المقضى فان الطبع لابد ان ينفر من المؤذى دال على
ضعف المعرفة فان خرج الامر الى الاعتراض باللسان فذلك
حال الجهال نعوذ بالله منها

٨٠ فصل

من الابتلاء العظيم اقامة الرجل فى غير مقامه مثل ان يحوج
الرجل الصالح

الرجل الصالح الى مداراة الظالم والتردد اليه والى مخالطة
من لا يصلح والى اعمال لا تليق به او الى امور تقطع عليه
مراده الذى يؤثره مثل ان يقال للعالم تردد الى الامير
والا خفنا عليك سطوته فيتردد فيرى من لا يصلح ولا
يمكنه ان ينكر او يحتاج الى شئ من الدنيا وقد منع حقه
فيحتاج الى ان يتعرض بذكر ذلك او يصرح لينال بعض
حقه ويحتاج الى مداراة من يصعب مداراته بل تشتت
همه لتلك الضرورات وكذلك يفتقر الى الدخول
فى امور لا تليق به مثل ان يحتاج الى الكسب فيتردد
الى السوق او يخدم من يعطيه اجرته وهذا لا يحتمله
قلب المراقب لله سبحانه لاجل ما يخالطه من الاكدار
او يكون له عائلة وهو فقير فيفتقر الى اغنائهم فيدخل
فى مداخل كلها عنده عظيمة وقد يبتلى بفقد من يحب
او ببلائه فى بدنه وبعكس اغراضه وتسلط معاديه
عليه فيرى الفاسق يقهره والظالم يذله وكل هذه
الاشياء تكدر عليه العيش ويكاد يزلزل القلب
وليس ذا الابتلاء بقوة الاشياء الا التسليم واللجا
الى المقدر فى الفرج فيرى الرجل المؤمن الحازم ثبت

لهذه العظائم ولا يتغير قلبه ولا ينطق بالشكوى لسانه
او ليس الرسول صلى الله عليه وسلم يحتاج الى ان يقول من
يؤويني من ينصرني ويفتقر الى ان يدخل مكة في جوار كافر
ويُشَقُّ السَّلا على ظهره ويُقتَل اصحابه ويداري المؤلفة
ويشتد جوعه وهو ساكن لا يتغير وما ذاك الا انه علم
ان الدنيا دار ابتلاء لينظر كيف تعملون وما يهوّن هذه
الاشياء علم العبد بالاجر وان ذلك مراد الحق
﴿ فما الجرح اذ ارضاكم ألمُ ﴾

فصل ٢٠٩

لا ينكر ان الطباع تحب المال لانه سبب لبقاء الابدان لكنه
يزيد حبه في بعض القلوب حتى يصير محبوبا لذاته لا للتوصل
به الى المقاصد فترى البخيل يحمل على نفسه العجائب ويميغها
اللذات وتصير لذاته في جمع المال وهذه جبلة في خلق
كثير وليس العجب ان يكون في الجهال وينبغي ان يؤثر فيها
عند العلماء المجاهد للطبع ومخالفته خصوصا في الافعال
اللازمة في المال فاما ان يكون العالم جامعا للمال من وجوه
قبيحة من شبهات قوية وبحرص شديد وبذل في
الطلب ثم يأخذ من الزكاة ولا تحل له مع الغنى ثم يدخره

ولا ينتفع به فهذه

ولا ينتفع به فهذه بهيمية فخرج عن صفات الآدمية بل البهيمة
اعذر لانها بالرياضة يتغير طبعها وهؤلاء ما غيرتهم رياضة
ولا افادهم العلم وقد كان ابو الحسن البسطامي مقيما في رباط
البساطي البسطامي الذي على نهر عيسى وكان لا يلبس الا الصوف
شتاء وصيفا وكان يحترم ويقصد وخلف ما لا يزيد على اربعة
الاف دينار ورأينا بعض اشياخنا وقد بلغ الثمانين وليس
له اهل ولا ولد وقد مرض فالقى نفسه عند بعض اصدقائه فتكلف
له ذلك الرجل مما يشتهيه فمات فخلف اموالا عظيمة ورأينا
صدقة ابن الحسين الناسخ وكان على الدوام يذم الزمان
واهله ويبالغ في الطلب من الناس ويجيف وهو في المسجد
وحده وليس له من يقوم بامره فمات فخلف فيما قيل ثلاثمائة
دينار وكان يصحبنا ابو طالب بن المؤيد الصوفي وكان يجمع المال
فسرق منه نحو مائة دينار فتلهف عليها فكان سبب هلاكه
ومن اعجب احوال الناس انك ترى اقواما جلسوا على صفة القوم
يطلبون الفتوح فيأتيهم منها الكثير الذي يصيرون به من الاغنياء
وهم لا يمتنعون من اخذ زكاة ولا من طلب وكذلك القصاص
يخرجون الى البلاد ويطلبون فيحصل لهم المال الكثير ولا يتركون
الطلب عادة فيا سبحان الله اي شيء افاد العلم بل الجهل
كان لهؤلاء اعذر ومن اقبح احوالهم لزومهم الاسباب

التي تجلب لهم الدنيا من التخاشع والتناسك في الظاهر
وملازمة خشن العزلة عن المخالطة وكل هؤلاء بمعزل عن
الشرع ولقد تأملت على بعضهم من القدح في نظيره الى ان يبلغ
به للهلاك الى لتعرض فالويل لهم ما اقل ما يتمتعون بظواهر
الدنيا وان كان مقلب القلوب قد صرف القلوب عن محبتهم
لان الله عز وجل لا يميل بالقلوب الا الى المخلصين وقد فاتهم
الدنيا على الحقيقة وهي مسسه القلوب والآخرة بالنفاق
ما حصلوا الا صورة الحطام نسئل الله عز وجل عقلا يدبر دنيانا
ويحصل آخرتنا والرازق قادر

١٠ فصل

ينبغي لمن عرف شرف الوجود ان يحصل افضل الموجود هذا
العمر موسم والتجارات تختلف والعامة تقول عليكم بما خف
حمله وكثر ثمنه فينبغي للمتيقظ ان لا يطلب الا النفس والنفس
الا شيآء في الدنيا معرفة الحق سبحانه فمن العارفين السالكين
من وافى طريقه بغيته في السفر ومنهم من همته متعلقة بطلب
ربحه ومنهم من ينظر الى ما يرضي الجيب فيجلبه الى بلد المعاملة
ويرضى بالقبول ثمنا ويرى ان كل البضائع لا تغني بحق الخفارة
ومنهم من يرى لزوم الشكر في اختياره المسلوك دون غيره
فيقر بالعجز وقد ارتفع قوم عن هذه الاحوال فرأوا المجرد

التوفيق ليشغلهم

التوفيق ليشغلهم عن النظر الى العمل اولئك الاقلون عددا الاعظمون
قدرا اقل نسلا من عنقا مغرب

١١ فصل

من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف خصوصا ان كان
لا يؤمل العود لكبر سنه وضعف قوته فكذلك لمن قارب
ساحل الاجل بعلو سنه ان يبادر اللحظات وينتظر الهاجم
بما يصلح له فقد كان في قوس الاجل منزع زمان الشباب
واسترخاء الوتر للمسبب عن سيبة القوس فانحدر الى
القاب وضعفت القوى ان يؤثر وما بقي ولا الاستسلام
لمحارب التلف فالبدار البدار الى التنظف ليكون القدوم على
طهارة واي عيش في الدنيا يطيب لمن ايامه السليمة تقربه
الى الهلاك وصعود عمرة نزول عن الحياة وطول بقائه نقص
مدى المدة فليتفكر فيما بين يديه وهو اهم مما ذكرناه اليس
في الصحيح ما منكم احد الا ويعرض عليه مقعده بالغداة و
العشي من الجنة او النار غدوة وعشية فيقال هذا مقعدك
حتى يبعثك الله فوا اسف المهدد كم يقتل قبل النقل و
ياطيب عيش الموعود بازيد المنى وليعلم من شارف السبعين
ان النفس انين اعان الله من قد قطع عقبة العمر على رجل زرود الموت

٧١٢ فصل

من اراد ان يعلم حقيقة الرضى عن الله عز وجل فى افعاله وان يدرى من اين نشأ الرضى فليتفكر فى احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما تكاملت معرفته بالخالق سبحانه رأى ان الخالق مالكا وللمالك التصرف فى مملوكه ورآه حكيما لا يضيع شيئا عبثا فسلم تسليم مملوك الحكيم فكانت العجائب تجرى عليه ولا يوجد منه تغير ولا من الطبع تأنف ولا يقول بلسان الحال لو كان كذا بل ثبت للاقدار ثبوت الجبل لعواصف الرياح هذا الرجل صلى الله عليه وسلم بُعِث الى الخلق وحده والكفر قد ملأ الآفاق فجعل يفر من مكان الى مكان واستتر فى دار الخيزران وهم يضربونه اذا خرج ويدمون غيبته وشق السلا على ظهره وهو ساكت ساكن ويخرج كل موسم ويقول من يؤوينى من ينصرنى ثم خرج من مكة فلم يقدر على العود الا فى جوار كافر ولم يوجد من الطبع تأنف ولا من الباطن اعتراض اذ لو كان غير لقال يا رب انت مالك الخلق وقادر على النصر فلِمْ أُذِل كما قال عمر رضى الله عنه يوم صلح الحديبية السنا على الحق فلِم نُعط الدنية فى ديننا ولما قال هذا قال له الرسول صلى الله عليه وسلم انى عبد الله ولن يضيعنى فجمعت الكلمتان الاصلين الذين ذكرناهما فقوله انى

عبد الله اقرار

عبد الله اقرار بالملك وكأنه قال انا مملوكه يفعل بى ما شاء وقوله ولن يضيعنى بيان حكمته وانه لا يفعل شيئا عبثا ثم يبتلى بالجوع فيشد الحجر ولله خزائن السموات والارض وتقتل اصحابه ويشج وجهه وتكسر رباعيته ويمثل به وهو ساكت ثم يُرزق ابنا ويُسلب منه فيتعلل بالحسن والحسين فينجر بما سيجرى عليهما وليس كن بالطبع الى عائشة رضى الله عنها فينغص عيشه بقذفها ويبالغ فى اظهار المعجزات فيقام فى وجهه مسيلمة والعنسى وابن صائد ويقيم ناموس الامانة والصدق فيقال كذاب ساحر ثم يقلقه المرض كما يوعك رجلان وهو ساكن ساكت فان اخبر بحاله فليعلم الصبر ثم يشد عليه الموت فيسلب روحه الشريفة وهو مضطجع فى كساء ملبد وازار غليظ وليس عندهم زيت يوقد به المصباح ليلة هذا شئ ما قدر عليه الصبر كما ينبغى نبى قبله ولو ابتليت به الملائكة ما صبرت هذا آدم عليه السلام يباح له الجنة سوى شجرة فلا يقع ذباب جرحه الاعلى العقر ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول فى المباح مالى وللدنيا وهذا نوح عليه السلام يصيح مما لاقى فيصيح كمد وجده لا تذر على الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اهد قومى فانهم لا يعلمون هذا الكليم موسى عليه السلام يستغيث عند

عبادة قومه العجل على القدر ان حمى الآفتنك ويوجد اليه ملك
الموت فيقلع عينه وعيسى يقول ان صرفت الموت عن احد
فاصرفه عني ونبينا يخير بين البقاء والموت فيختار الرحيل
الى الرفيق الاعلى هذا سليمان عليه السلام يقول هب لي ملكا
ونبينا صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا
هذا والله فعل رجل عرف الوجود والموجد فماتت اغراضه
وسكنت اعتراضاته فصار هواه فيما يجري

١٣ فصل

اكثر شهوات الحس الفساد قد يرى الانسان امرأة في ثيابها فيتخايل
له انها احسن من زوجته او يتصور بفكره المستحسنات و
فكره لا ينظر الا الى الحسن من المرأة فيسعى في التزويج والتسري
فاذا حصل له مراده لم يزل ينظر في عيوب الحاصل التي ما كان
يتفكر فيها فيمل فيطلب شيئا ولا يدري ان حصول غرضه
ربما اشتمل على محن منها ان تكون الثانية لا دين لها او لا عقل
او لا صحبة له او لا تدبير فيفوت اكثر مما حصل وهذا المعنى
هو الذي اوقع الزناة في الفواحش لانهم يجالسون المرأة
حال استتار عيوبها عنهم وظهور محاسنها فتلذ لهم تلك
الساعة ثم ينتقلون الى اخرى فليعلم العاقل ان لا حصول
الى نيل مراد تام كما يريد ولستم بآخذيه الا ان تمضوا فيه

وما عيب نساء

وما عيب نساء الدنيا باحسن من قوله عز وجل ولهم فيها
ازواج مطهرة وذوو الانفة يأنف من الوسخ صورة و
عيب الخلق مما مضى فليقنع بما باطنه الدين وظاهره الستر
والقناعة فانه يعيش مرفه البال طيب القلب وحتى
ما استكثر فانما يستكثر من شغل قلبه ورقة دينه

١٤ فصل

سبحان من شغل كل شخص بفن لئلا تنام العيون في الدنيا فاما
في العلوم فحبب الى هذا القرآن والى هذا الحديث والى هذا
النحو اذ لولا ذلك ما حفظت العلوم والهم هذا المتعيش
ان يكون خبازا وهذا ان يكون هراسا وهذا ان ينقل
الشوك من الصحراء وهذا ان ينفي التبار ليلتأم امر الخلق
ولو ألهم اكثر الناس ان يكونوا خبازين مثلا بات الخبز و
هلك او هراسين جافت الهراش بل يلهم هذا بقدر
لينتظم امر الدنيا وامر الآخرة وينذر من الخلق من يلهم الكمال
وطلب الافضل والجمع بين العلوم والاعمال ومعاملات
القلوب ويتفاوت ارباب هذه الحال فسبحان من
يخلق ما يشاء ويختار نسئله العفو ان لم يقع الرضى و
السلامة ان لم نصلح للمعاملة

١٥ فصل

علم الحديث هو الشريعة لانه مبين للقرآن وموضح للحلال والحرام
وكاشف عن سير الرسول صلى الله عليه وسلم وسير اصحابه
وقد مزجوه بالكذب وادخلوا في المنقولات كل قبيح فاذا
وفق الزاهد والواعظ لم يذكر الا ما شهد بصحته وان عُرِمَا
لتوفيق عمل الزاهد بكل حديث ليسمعه لحسن ظنه بالرواة
وقال الواعظ كل شيء يراه لجهله بالصحيح ففسدت احوال
الزاهد وانحرف عن جادة الهدى وهو لا يعلم وكيف لا
وعموم الاحاديث الدالة على الزهد لا تثبت مثل حديث
ابن عمر رضي الله عنهما اي امرئ مسلم اشتهى شهوة فرد شهوته
واثر على نفسه غفر له وهذا حديث موضوع يمنع الانسان
ما ابيح له مما يتقوى به على الطاعة ومثل قوله من وضع
ثيابا حسانا وكذلك ماروا ان الرسول صلى الله عليه وسلم
قدم له ادمان فقال ادمان في قدح لا حاجة لي فيه اكره
ان سألني الله عن فضول الدنيا وفي الصحيح ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اكل البطيخ بالرطب ومثل هذا اذا اتبع
كثير فقد بنوا على فساده فتفسد احوال الواعظ والموعوظ
لانه يبني كلامه على اشياء فاسدة ومحالات ولقد
جماعة من المتزهدين يعملون على احاديث ومنقولات

لا تصح فيضيع

لا تصح فيضيع زمانهم في غير المشروع ثم ينكرون على العلماء استعمالهم
للمباحات ويرون ان التخفف هو الدين وكذلك الوعاظ يحدثون
الناس بما لا يصح عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه فصار
المحال عندهم شريعة فسبحان من حفظ هذه الشريعة باحبار
اخيار ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين

فصل ١٦

كان قد سألني بعض اهل الحديث هل في مسند احمد ما ليس بصحيح
فقلت نعم فعظم ذلك على جماعة ينتسبون الى المذهب فحملت
امرهم على انهم عوام واهملت فكر ذلك واذا بهم قد كتبوا
فتاوى فكتب فيها جماعة من اهل خراسان منهم ابو العلاء
الهمداني يعظمون هذا القول ويردونه ويقبحون قول من
قاله فبقيت دهشا متعجبا وقلت في نفسي واعجبا صار
المنتسبون الى العلم عامة ايضا وما ذاك الا لانهم سمعوا
الحديث ولم يبحثوا عن صحيحه وسقيمه وظنوا ان من قال
ما قلته قد تعرض للطعن فيما اخرجه احمد وليس كذلك
فان الامام احمد روى المشهور والجيد والردي ثم هو قد
رد كثيرا مما روى ولم يقل به ولم يجعله مذهبا له ليس هذا
القائل في حديث الوضوء بالنبيذ مجهول ومن نظر في
كتاب العلل الذي صنفه ابو بكر الخلال رأى احاديث

كثيره وكلها فى المسند وقد طعن فيها احمد ونقلت من خط القاضى
ابى يعلى محمد بن الحسين بن الفرا فى مسئلة النبيذ قال انما
روى احمد فى مسنده ما اشتهر ولم يقصد الصحيح ولا السقيم
ويدل على ذالك ان عبد الله قال قلت لابى ما تقول فى حديث
ربعى بن حراش عن حذيفة قال الذى يرويه عبد العزيز بن ابى
رواد قلت نعم قال الاحاديث بخلافه قلت فقد ذكرته فى المسند
قال قصدت فى المسند المشهور فلو اردت ان اقصد ما صح عندى
لم اردمن هذا المسند الا الشئ بعد الشئ اليسير ولكنك يا
نبى تعرف طريقتى فى الحديث لست اخالف ما ضعف من
الحديث اذا لم يكن فى الباب شئ يدفعه قال القاضى فاخبر
عن نفسه كيف طريقه فى المسند فمن جعله اصلا لصحة
فقد خالفه وترك مقصده قلت قد غمنى فى هذا الزمان
ان العلماء لتقصيرهم فى العلم صاروا كالعامة واذا مر بهم
حديث موضوع قالوا قد روى البكاء ينبغى ان يكون على
خساسة الهمم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿١٧﴾ فصل

بلغنى عن بعض فساق القدماء انه كان يقول شعرا

× ما ارى العيش غير ان تتبع النفس هواها فمخطئا او مصيبا
فتدبرت حال هذا واذا به ميت النفس ليس له انفة
على عرضه

على عرضه ولا خوف عار ومثل هذا ليس فى سلاخ الآدميين
فان الانسان قد يقدم للقتل لئلا يقال جبان ويحمل الاثقال
ليقال ما قصر ويخاف العار فيصبر على كل آفة من الفقر وهو
يستر ذالك حتى لا يرى بعين ناقصة حتى ان الجاهل اذا
قيل له يا جاهل غضب واللصوص المتهيؤن للحرام اذا قيل
لاحدهم لا تتكلم فان اختك تفعل وتصنع اخذته الحمية فتقتل
الاخت ومن له نفس لا يقف فى مقام تهمة لئلا يظن به
فاما من لا يبالى ان يرى سكران ولا يهمه ان شهر بين
الناس ولا يؤلمه ذكر الناس له بالسوء فذاك فى عداد
البهائم وهذا الذى يريد ان يتبع النفس هواها لا يلتذ به
الا ان يخاف عنتا ولا لوم ولا يكون له غرض يحذر عليه
فهو بهيمة فى سلاخ انسان والا فاى عيش لمن شرب
الخمر فاخذ عقيب ذالك باللذة وضرب وشاع فى الناس
فاقد فعل به اما بقى ذالك لابل يربى عليها اضعافا واى
عيش لمن ساكن الكسل اذا رائى اقرانه قد برزوا فى العلم
وهو جاهل اذا استغنوا بالتجارة وهو فقير فهل يبقى للالتذاذ
بالكسل والراحة معنى ولو تفكر الزانى بالاحد وثنة عنه
او تصور اخذ الحد منه لكف الكف غير انه يرى لذة
حاضرة كانها لمع برق وياشوم ما اعقبت من طول الاسى

هذا كله فى العاجل فاما فى الآجل فنغصة العذاب
د آئمة والذين آمنوا مشفقون منها نسئل الله النفة
من الرذآئل وهمة فى طلب الفضآئل انه قريب مجيب

١٨ > فصل

قد تبغت العقوبات وقد يؤخرها الحلم والعاقل من اذا
فعل خطيئة بادرها بالتوبة فكم مغرور بامهال العصاة
لم يمهل واسرع المعاصى عقوبة ماخلا عن لذة تنسى
النهى فيكون تلك الخطيئة كالمعاندة والمبارزة فان كانت
توجب اعتراضا على الخالق ومنازعة له فى عظمته فتلك
التى لا تتلافى خصوصا ان وقعت من عارف بالله عزوجل
فانه يندر اهماله قال عبد المجيد بن عبد العزيز كان عندنا
بخراسان رجل كتب المصحف فى ثلاثة ايام فلقيه رجل فقال
فى كم كتبت هذا فاومأ لها بالسبابة والوسطى والابهام
وقال فى ثلاث وما مسنا من لغوب فجفت اصابعه الثلاث
فلم ينتفع بها فيما بعد خطر لبعض الفصحآء انه يقدر ان
يقول مثل القرآن فصعد الى غرفة فانفرد فيها وقال
امهلونى ثلاثا فصعدوا اليه بعد الثلاث ويده قد يبست
على القلم وهو ميت قال عبد الحميد ورأيت رجلا كان
يأتى امرأته حآئضا فلما كثر الامر به تاب فانقطع عنه
ويلحق بهذا ان يعير الانسان شخصا بفعل

واعظه ان يعير

واعظه ان يعيره بما ليس اليه فيقول يا اعمى ويا قبيح الخلقة
وقد قال ابن سيرين عيرت رجلا بالفقر فحبست على دين
وقد تتأخر العقوبة وتأتى فى آخر العمر فيا طول التعيير
مع كبر السن لذنوب كانت فى الشباب فالحذر الحذر
من عواقب الخطايا والبدار البدار الى محوها بالانابة
فلها تأثيرات قبيحة ان اسرعت والا اجتمعت وجآئت

١٩ > فصل

اعلم ان الآدمى خلق لامر عظيم فهو بمعرفة خالقه جد بالدليل
ولا يكفيه التقليد وذالك يفتقر الى جمع الهمم فاسعد الناس
من له قوت دار بقدر الكفاية لامن بث الناس
وصد قاتهم وقد قنع بهم به فانه حينئذ يجتمع همته لمطلوباته
من الدين والدنيا والعلم واما اذا لم يكن له قوت يكفى فالهم
الذى يريد اجتماعه فى تلك الامور يتشتت ويصير طالبا
للتحيل فى القوت فيذهب العمر فى تحصيل قوت البدن
الذى يريد من بقآئه غير بقآئه ويفوت المقصود ببقآئه
وربما احتاج الى الانذال قال الشاعر شعرا

× حسبى من الدهر ما كفانى × يصون عرضى عن الهوان ×
× مخافة ان يقول قوم × فضل فلان على فلان ×

فينبغى للعاقل اذا رزق قوتا او كان له مواد ان يحفظها

وطلوب طالب بقامة الفروض واجتناب المحارم
فاذا سمعت قوله الى طلب العلم احتاج الى جمع الهمم

ليجتمع همه ولا ينبغي ان يبذر في ذالك فانه يحتاج فيتشتت
همته والنفس اذا احرزت قوتها اطمأنت فان لم يكن لها
مال اكتسبت بقدر كفايته وقلل العلق ليجتمع همته وليقنع
بالقليل متى سمت همته الى فضول المال وقع المحذور من
التشتت لان التشتت في الاول للعدم وهذا التشتت يكون
للحرص على الفضول فيذهب العمر على البارد ~~ومن ينفق~~
× ومن ينفق الايام في حفظ ماله ×
× مخافة فقرا لذي فعل الفقر ×
فافهم هذا يا صاحب الهمة في طلب الفضائل فانك ما لم
تعزل قوت الصبيان شتتوا قلبك وطبعك طفل ففرغ
همك من اسقامه واعرف قدر شرف المال الذي اوجب
جمع همك وصان عرضك عن الخلق واياك ان يحملك
الكرم على فرط الاخراج فتصير كالفقير المتعرض لك بالتعرض
لغيرك وفي الحديث ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فرأى عليه آثار الفقر فعرض به فاعطى شيئا
فجاء فقير آخر فآثره الاول ببعض ما اعطي فرماه النبي صلى الله
عليه وسلم ونهاه عن مثل ذالك والقناعة بما يكفي و
ترك التشوف الى الفضول اصل الاصول ولما آيس
الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى نفسه من قبول

المهدايا والصلات

الهدايا والصلات اجتمع همته وحسن ذكره ولما اطمع
ابن المديني وغيره سقط ذكرهم ثم فيمن يطمع انما هو سلطان
جائر ومزك منان او صديق مدل بما يعطي والعز الذ
من كل لذة والخروج عن ربقة المنن ولو بسف التراب

فصل

قد ركز في الطباع حب التفضيل على الجنس فما احد الا وهو
يحب ان يكون اعلا درجة من غيره فاذ اوقعت نكبة اوجبت
نزوله عن مرتبة فينبغي له ان يتجلد بستر تلك النكبة لئلا
يرى بعين نقص وليتجمل المتعفف حتى لا يرى بعين الرحمة
وليتحامل المريض لئلا يشمت به ذو العافية وقد قال
صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قدموا مكة وقد اخذتهم
الحمى فخاف ان تشمت بهم الاعداء حين منعهم عن السعي
فقال رحم الله من اظهر من نفسه الجلد فرملوا والرمل
شدة السعي وزال ذالك السبب وبقي الحكم ليتذكر السبب
فيفهم معناه واستأذنوا على معاوية وهو في الموت
فقال لأهله اجلسوني فقعد متمكنا يظهر العافية فلما خرج
العواد انشد شعرا

× وتجلدي للشامتين اريهم × انى لريب الدهر لا اتضعضع ×
× واذا المنية انشبت اظفارها × الفيت كل تميمة لا تنفع ×

وما زال العقلاء يظهرون التجلد عند المصائب و الفقر والبلا
ليقلا يحملوا مع النوائب شماتة الاعداء فانها اشد من كل
نائبة فكان فقيرهم يظهر الغنى ومريضهم يظهر العافية بلى
ثم نكتة ينبغى التفطن لها وربما اظهر الانسان كثرة المال
وسبوغ النعم فاصابه عدوه بالعين فلا يغنى ما تبجح به
مما يلاقى من انعكاس النعمة والعين لا تصيب الا ما يستحسن
الشئ ولا يكفى للاستحسان فى اصابة العين حتى تكون من
حاسد ولا يكفى ذالك حتى تكون من شرير الطبع فاذا اجتمعت
هذه الصفات خيف من اصابة العين فليكن الانسان مظهرا
للتجمل مقدار ما يأمن من اصابة العين وليعلم انه فى خير وليحذر
الافراط فى اظهار النعم فان العين هناك محذورة و
قد قال يعقوب عليه السلام لبنيه عليهم السلام لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما خاف
عليهم العين فليفهم هذا الفصل فانه ينفع من له تدبر

فصل ٢٢١

تفكرت فى ابقاء اليهود والنصارى بيننا واخذ الجزية منهم
فرأيت فى ذالك حكما عجيبة منها ما قد ذكر من ان الاسلام
كان ضعيفا فيقوى بما يؤخذ من جزيتهم ومنها ظهور

عزه وذلهم

فصل يحتاج ان يكون عدده ٢٢١

انما خلقنا النمى مع الخالق فى معرفته ومحادثته ورؤيته فى البقاء الدائم
وانما ابتدأ كونا فى الدنيا لانها فى مثال مكتب نتعلم فيه الخط والادب ليصلح
الصبى عند بلوغه الرتب فمن الصبيان بعيد الذهن يطول عكثه
فى المكتب ويخرج وما فهم شيئا وهذا مثال من لا يعلم وجوده ولا نال
المراد ومن الصبيان من يجمع مع بعد ذهنه وقلة فهمه وعدم تعلمه
اذى الصبيان فهو مؤذيهم وسيرة مطاعمهم ويستغيثون من يده
فلا هو صلح ولا فهم ولا كف الشر وهذا مثل اهل الشر والمؤذين
ومن الصبيان من علق شيئا من الخط لكنه ضعيف الاستخراج ردي
الكتابة فخرج ولم يعلق الا القدر ما يعلق به حساب معاملته
وهذا مثل من فهم بعض الشئ وفاته الفضائل الشاهة ومنهم
من جود الخط ولم يتعلم الحساب واتقن الادب حفظا غير انه قاصر
فى ادب النفس فهذا يصلح ان يكون كاتبا للسلطان على مخاطرة
لسؤ ما فى باطنه من الشره وقلة التأدب ومنهم من سمت همته
الى المعانى الكاملة فهو معلم الصبيان فى المكتب وناب عن معلمهم
ثم لم يرتفع عنهم بعز نفسه واداب باطنه واكمال صناعة
الاداب الظاهرة ولا زال الحاث من باطنه يحثه على تعجيل
التعلم وتحصيل كل فضيلة لعلمه ان المكتب لا يراد لنفسه
بل لاخذ الادب منه والرحلة الى حالة الرجولية والتصرف فيها

يبادر الزمان في نيل كل فضيلة فهذا مثل المؤمن الكامل يسبق الاقران
يوم التجاير ويعرض لوح عمله جيد الخط فيقول ليسا ان حاله
هاؤم اقرؤا كتابيه وكذلك الدنيا واهلها من الناس هالك
بعيد عن الخالق وهم الكفار ومنهم خاطئ مع قليل من الايمان فهو معاقب
والمصير الى خير ومنهم سليم لكنه قاصر ومنهم تام لكنه بالاضافة
الى من دونه وهو ناقص بالاضافة الى من فوقه فالبدار البدار يا
ارباب الفهوم فان الدنيا معبر الى دار اقامة وسفر الى القرب من السلطان
ومجاورته فتهيؤا للمجالسة واستعدوا للمخاطبة وبالغوا في
استعمال الادب لتصلحوا من القرب من الحضرة ولا يشغلنكم عن تحضير
الخيل تكاسل وليحملنكم على الجد في ذلك تذكركم يوم السباق فان
قرب للمؤمنين من الخالق على قدر حظهم في الدنيا ومنازلهم على
قدرهم فمنزل التقاط كمنزل الحاجب ولا منزل الحاجب كمكان
الوزير جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة
آنيتهما وما فيهما والفردوس الاعلا لآخرين والذين في ارض
الجنة ينظرون الى اهل الدرجات كما يرون الكوكب الدري
فليتذكر الساعي حلاوة التسليم الى الامين وليتذكر في لذاذة المدح
يوم السباق وليحذر المسابق من تقصير لا يمكن استدراكه
وليخف من عيب فيبقى قبح ذكره هؤلاء الجهنميون عتقاء الرحمن
وليصبر النهوض عن المشتهى فالامام قائل يدخل فقراء المؤمنين

قبل الاغنياء

عدد ٥٦
سنة ٢٢٥

قبل الاغنياء بخمسمائة عام فالجد الجد باقدام المبادرة
فقد لاح العلم خصوصا لمن يأتيه بالثمات الوادي اما بالعلم الدال
على الطريق واما بالسبب الذي هو علم الرحيل وهو يا هذه اهل الجد
وكان الجنيد يقرأ وقت خروج روحه فيقال له في هذا الوقت فيقول
ابادر طي صحيفتي وبعد هذا فالمراد موفق والمطلوب معان
واذا اراد الله امرا هيأ لذلك له

فصل

تاملت حالة عجيبة وهو ان اهل الجنة الساكنين في ارضها في تفاوت
عظيم بالاضافة الى من فوقهم وهم يعلمون فضل اولئك فلو
تفكروا فيما فاتهم من ذلك وقعت الحسرات غير ان ذلك لا يكون
لان ذلك لا يقع لهم لطيب هنائهم ولا يقع في الجنة غم ويرضى
كل بما اعطي من وجهين احدهما انه لا يظن ان يكون نعيم فوق
ما هو فيه وان علت منزلة غيره والثاني فيؤثره على الاجنبي
المستحسن الا ان تحت هذا معنى لطيف وهو ان القوم خلقت
لهم همم قاصرة في الدنيا عن طلب الفضائل ويتفاوت قصورها
فمنهم من يحفظ بعض القرآن ولا يتوق الى التمام ومنهم من يسمع
يسيرا من الحديث ومنهم من يعرف قليلا من الفقه ومنهم من قد
رضي من كل شيء بيسير ومنهم مقتصر على الفرائض ومنهم متنوع
بصلاة ركعتين في الليل ولو علت بهم الهمم لجدت في تحصيل كل الفضائل

ونبت عن النقص فاستخلصت اليدين كما قال الشاعر

ولكل جسم في النحول بلية ... وبلاء جسمي من تفاوت همتي

ويدل على تفاوت الهمم ان في الناس من يسهر في سماع سمر ولا يسهل عليه السهر في سماع القراءة والانسان يحشر مع تلك الهمة فيعطى على مقدار ما حصلت في الدنيا فالعالم تتشوق الى الكمال وقنعت بالدون قنعت في الاخرة بمثل ذلك ثم ان القوم يتفكرون يعقولهم فيعلمون ان الجزاء على قدر العمل ولا يطمع من صلا ركعتين في ثواب من صلا الغداة فان قال قائل فكيف يتصور لها ان تروم ما نالته نفس افضل منها قلت ان لم يتصور نيله يتصور الحزن على فوته وهل رايت عاميا يحزن على فوات الفقه حزنا يقلقه هيهات لو كان ذلك الحزن عنده لحركه الى التشاغل فليس عندهم همة توجب الاسف مع انهم قد رضوا بما هم فيه فافهم ما قلته وبادر فهذا ميدان السباق

فصل - يحتاج ان يكون قبل الفصل عدد وعلى الصحيحة عدد

قد ثبت بالدليل شرف العلم وفضله الا ان طلاب العلم افترقوا فكل تدعوه نفسه الى نوع فمنهم من اذهب عمره في القراءات وذاك تقريط في العمر لانه انما ينبغي ان يعتمد على المشهور منها الا على الشاذ وما اقبح بالقاري ان يسأل عن مسالة في الفقه ولا يدري وليس ما شغله عن ذلك الا كثرة الطرق في روايات القراءات ومنهم من يتشاغل بالنحو فحسب وعلله ومنهم من يتشاغل باللغة فحسب ومنهم من يكتب الحديث فيكثر ولا ينظر في فهم ما كتب وقد رايتنا في مشايخنا المحدثين من كان يسال عن مسئلة في الصلاة فلا يدري ما يقول وكذلك القراء وكذلك اهل اللغة والنحو وحدثني عبد الرحمن بن عيسى الفقيه قال حدثني بن المنصوري قال حضرنا مع ابي محمد بن الخشاب وكان امام الناس في النحو واللغة فذاكروا الفقه فقال سلوني عما شئتم فقال له رجل ان قيل لنا رفع اليدين في الصلاة ما هو فماذا نقول فقال هو ركن قد هشت الجماعة من قلة فقهه وانما ينبغي ان ياخذ من كل علم طرفا ثم يهتم بالفقه ثم ينظر في مقصود العلم وهو المعاملة لله سبحانه والمعرفة به والجهل وما ابلد من يقطع عمره في معرفة علم النجوم وانما ينبغي ان يعرف من ذلك اليسير والمتنازل لعلم الاوقات فاما النظر فيما يدعي انه القضا والحكم فجهل محض لانه لا سبيل الى

علم ذلك حقيقة وقد جرب فيان لا فائدة فيه الا تجهيل المغم
فان قال قائل يمكن دفع ذلك فقد سلم انه لا حقيقة له وايله
من هؤلاء من يتشاغل بعلم الكيميا فانه هذيان فارغ واذا
كان لا يتصور قلب الذهب نحاس لم يتصور قلب النحاس
ذهبا وانما فاعل هذا مستحل للتدليس على الناس في التقوح
هذا اذا صح له مراده وينبغي لطالب العلم ان يصحح قصده
واذا افقد الاخلاص منع قبول الاعمال وليجتهد في مجالسة
العلماء والنظر في الاقوال المختلفة وتحصيل المكتب فلا يخلو
كتاب من فائدة وليجعل همته للحفظ ولا ينظر ولا يكتب
الا في وقت النغب من الحفظ وليحذر صحبة السلطان وليتظر
في منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين
وليجتهد في رياضة نفسه والعمل بعلمه ومن تولاه الحق وفقه

فصل

طال تعجبي من اقوام لهم افئدة وعندهم كبر زائد في الحد خصوصا
العرب الذين من كلمتهم يتفرون ويحاربون ويرضون بالقتل
حتى ان قوما منهم ادركوا الاسلام فقالوا كيف نركع ونسجد
فتعلونا استاهنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا
خير في دين ليس فيه ركوع ومع هذه الانفة يريدون من
هم خير منه وهذا يعبد حجرا وهذا يعبد خشبة وقد كان

قوم يعبدون النخل والبقر وان هؤلاء لاحمق من ابليس فان
ابليس انف لادعائه الكمال ان يسجد لناقص فقال انا خير
منه وفرعون انف ان يعبد شيئا اصلا فالعجب من هؤلاء
المفتخرين المتعظمين المتكبرين كيف جروا وخشبة وانما ينبغي
ان يذل الناقص للكاملين وقد اشير الى هذا في ذم الاصنام
وقوله تعالى (الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون
بها ام لهم اعين يبصرون بها) والمعنى انتم لكم هذه
الالات المدركة وهم ليس لهم فكيف يعبد الكامل
الناقص عترا ان هوى القوم في متابعة الاسلاف
واستحلاء ما اختزعوا بآرائهم غطى على العقول فلم تتأمل
حقائق الامور ثم غطى على الحسد على اقوام فتركوا الحق وقد
عرفوه قاصدين الصلت بقبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقصده
ليؤمن به ثم يعود فيقول لا اؤمن لرسول ليس من ثقيف
وابو جهل يقول والله ما كذب محمد قط ولكن اذا كانت
السدانة والحجابة في بني هاشم ثم النبوة فما بقي لنا وابو
طالب يرى المعجزات ويقول اني لاعلم انك على الحق ولولا
ان تعير في نساء قريش لاقررت بها عينك فنعوذ بالله
من ظلمة جسد وعماية كبر وحماقة هوى يغطي على
نور العقل وشاله الهام الرشد والعمل بمقتضى الحق

عزه وذلهم الى غير ذالك مما قيل ووقع لى فيه معنى عجيب
وهوان وجودهم وتعبدهم وحفظهم لشرع نبيهم صلى الله
عليه وسلم دليل على انه قد كان انبياء وشرائع وان
نبينا صلى الله عليه وسلم ليس ببدع من الرسل
فقد اجتمعت الجن وهم على اثبات صانع واقرار
برسل فبان اننا ما ابتدعنا ما لم يكن وهم يصبرون
على باطلهم ويؤدون الجزية فكيف لا نصبر على حق و
الدولة لنا وفى بقائهم احترام لما كان صحيحا من الدين
ولير جع متبصر وليستعمل فكر

فصل

قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق
السلامة والمحبة واللطف فعاملهم كذالك لانهم لا يحتمل
طبعهم غير ذالك ففى الاوائل برخ العابد خرج يستسقى
فقال ما هذا الذى لا نعرفه منك اسقنا الساعة فسقوا
وفى الصحابة انس بن النضر يقول والله لا تكسر سن الربيع
فجرى الامر كما قال فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من
عباد الله من لو اقسم على الله لابره وهؤلاء قوم غلب
عليهم ملاحظة اللطف والرفق فلطف بهم واجروا على

ما اعتقدوا وهناك اعلام من هؤلآء يسألون فلا يجابون و
هم بالمنع راضون ليس لاحدهم انبساط بل قد قيدهم الخوف
ونكس رؤسهم الحذر ولم يروا انفسهم اهلا للانبساط فغاية
آمالهم العفو فان انبسط احدهم بسؤال فلم ير الاجابة عاد
على نفسه بالتوبيخ فيقول مثلك لا يجاب وربما قال لعل
المصلحة فى منعى وهؤلآء الرجال حقا والابله الذى يرى
له من الحق ان يجاب فان يجب تدمرنى باطنه كانه يطلب
اجرة عمله وكانه قد نفع الخالق بعبادته وانما العبد حقا
من يرضى ~~الخالق~~ ما يفعله الخالق فان سأل فاجيب رأى ذلك
فضلا وان منع رأى تصرف المالك فى مملوكه فلا يحل فى قلبه
اعتراض بحال

٢٢٣ فصل

تفكرت فى قول شيبان الراعى لسفيان يا سفيان عد منع الله
اياك عطآء منه لك فانه لم يمنعك بخلا انما منعك لطفا
فرأيته كلام من قد عرف الحقائق فان الانسان قد يريد
المستحسنات الفائقات فلا يقدر وعجزه اصلح له لانه لو قدر
عليهن تشتت ~~همه~~ قلبه اما بحفظهن او بالكسب عليهن
فان قوى عشقه لهن ضاع عمره وانقلب همّ الآخرة الى

الاهتمام بهن

فصل يكره قبل انفصال عيد

رأيت جماعة من العلمآء يتغمصون ويظنون ان العلم يدفع عنهم وما يدرون
ان العلم خصمهم وانه يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب
وذلك لان الجاهل لم يتعرض بالحق والعالم يتادب معه ورأيت بعض القوم
يقول انا قد لقيت منجابي بين الحصادين وتمت ثم كان يتفسح فى اشياء لا
تجوز فتفكرت فاذا العلم الذى هو معرفة الحقائق والنظر فى سير الانبياء
والتادب باداب القوم ومعرفة الحق وما يجب له ليس عند القوم انما
عندهم صورة الفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم وليس ذاك العلم
النافع انما هو فهم الاصول ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقه
والنظر فى سير الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والتادب باآدابهم
وفهم ما نقل عنهم هو العلم النافع الذى يدفع اعظم العلمآء عند نفسه
من اجهل الجهال ورأيت بعضهم من تعبد مدة ثم فتر فبلغنى
انه قال عبدته عبادة ما عبده بها احد والان قد ضعفت
فقلت ما اخوفنى ان تكون كلمته هذه سبب الرد الكل لانه قد
رأى انه عمل مع الحق شيئا وانما وقف بسبب النجاة بطلب الد
رجات ففى حق نفسه فعل وما مثله الا كمثل من وقف بكدى
فلا ينبغى ان يمن على المعطى وانما سبب هذا الانبساط الجهل
بالحقائق وابن هو من كبار علمآء المعاملة الذين كان فيهم
مثل صلة بن اشيم اذا رآه السبع هرب منه وهو يقول اذا
انقضى الليل عنه صلاة يا رب اجرنى من النار ومثلى سيال

نسخة الألوكة www.alukah.net

الجنة وابلغ من هذا قول عمر وددت اني نجوت كفافا لا لي
ولا علي وقول سفيان عند موته لمحاذين سلمة ارتجو
لمثلي ان ينجو من النار وقول احمد لا يعد فانا احمد الله
عز وجل اذ تخلصت من جهل المتسمين بالعلم من هؤلاء
الذين ذممتهم وبالحري هذا من هؤلاء الذين عينتهم فاني
قد اطلعت من عظمة الخالق وسير المحققين ما يخرس
لسان الانبساط ويمحو النظر الى كل فعل وكيف انظر الى
فعلي المستحسن وهو الذي وهبه لي واطلعني على ما
خفي عن غيري فهل حصل ذلك بي او بلطفه وكيف اشكر
توفيقي للشكر ثم اي عالم اذا سير امور القدماء من
العلماء لا يحتقر نفسه هذا في صورة العلم قد ذع معناه
واي عابد يسمح بالعباد ولا يجري في صورة التعبد
قد ذع المعنى فسال الله عز وجل معرفة تعرفنا اقدا
رنا حتى لا يبقى للعجب بحقير ما عندنا اثر في قلوبنا
وترغيب اليه في معرفته وعظمته تخرس الالسن ان
تنطق بادلال وترجو من فضله توفيقا يلاحظ
به افات الاعمال التي بها وهو حتى تتم الملاحظة
لعيوبها التي من وجودها انه قريب مجيب

فصل

سبب تنغيص العيش

سبب تنغيص العيش فوات الحظوظ العاجلة وليس في الدنيا
طيب العيش على الدوام الا للعارف الذي شغله رضى حبيبه
والتزود للرحيل الدائم فانه ان وجد راحة في الدنيا استعان بها
على طلب الاخرة وان وجد شدة اغتنم الصبر عليها لثواب الاخرة
فهو راض بكل ما يجري عليه مرى ذلك من قضاء الخالق ويعلم انه
مراده كما قال قائلهم

ان كان رضاكم في سهري ... فسلام الله على وسني

فاما من طلب حظه فانه يقلقه لفوات مراده ويتنغص لبعد
ما يشتهي فلو افتقر تغير قلبه ولو خرج تغير وهذا لانه قائم
مع غرضه وهواه وما احسن قول الحضري (ايش علي مني
وايش لي في) وهذا الكلام عارف لانه كان ينظر الى الحقيقة
الملكية فعبد يتصرف فيه مولاه فاعتراضه لا وجه له وارادته
ان يقع غير ما يجب فضول في البين وان نظر ان النفس
كالملك له فقد خرجت عن يده من يوم (ان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) فيحسن لمن باع شاة ان يعترض على المشتري اذا ذبحها
او يتغير قلبه والله لو قال المالك سبحانه انما خلقتكم ليستدل
على وجودي ثم انا افنيكم ولا اعادة لكان يجب على النفوس
العارفة به ان تقول سمعا لما قلت وطاعة واي شيء
لنا فيتا حتى نتكلم وكيف وقد وعد بالاجر الجزيل
والخلود في النعيم الذي لا ينفد لكن طريق الوصول يحتاج
الى صبر على المشقة وما يبقى لتعب رمل زرود اثر اذا لاح العلم
فالصبر الصبر يا اقدام المبتدئين لاح المنزل والسرور السرور

يا متوسطين ضربة الخيم والفرح الكامل يا عارفين فقد تلقيتم
بالبشاير زالت فوالله اثقال المعاملات عنكم وكانت معرفتكم
بالمبتلى حلاوة تعقبت مشربة للجاهدة فلم يبق في الفم للمرائر
تخايل لهوى اقرد للمناجات ولذة الحضور ورد وارکوا من الرضى
عنكم فقد اخذت شمس الدنيا في الطفل ما ينسا الا تصرم هذا
السبع البوافي حتى يطول حديثنا يصنوف ما كنا فلا في
من التخفيل ان تعاقب شخصا او تسيء اليه اساءة عظيمة وتعلم ان مثل
ذلك يجد الحقد فتراه ذليلا لك طائعا فانيا مقلعا عما فعل
فتعفو وتستطيبه وتنسى ما فعلت وتظن انه قد انمحى من قلبه
فربما عمل لك المحن ونصب لك المكايد كما جرى لقصير مع الزبا
واختباره معروفة فاياك ان تتساكن من اذيته بل ان كانت ولابد
فمن خارج مما تومن الاحقاد ومتى رايت عدوك فيه غفلة لا
يشبهه مثل هذا فاحسن اليه فانه ينسى عداوتك ولا يظن انك
قد اضمرت له جزاء على قبح فعله فحينئذ تقدر الحل على بلوغ كل
غرضه ومن الفوز اظهار العداوة للعدو ومن احسن التدبير
التلطف بالاعداء الى ان يمكن ولو لم يمكن كان اللطف سببا
في كف اكفهم عن اذاك وقيلهم من يستحي لحسن فعلك فيتغير
قلبه لك وقد كان جماعة من السلف اذا بلغهم ان رجلا
قد شتمهم اهدوا اليه واعطوه فهم بالعاجل يكفون شره
ويحتالون في تقليب قلبه ويقع بيدك لهم مهلة لتدبير
الحيل عليه ان ارادوا وكفى بالذهن الناظر الى العواقب
والتامل لكل ممكن هوديا صح قصر تقرد في قوديا الرعي

رايت جماعة من الخلق يتعللون بالاقدار فيقول قايلهم ان وفقت فعلت
هذا فعل بارد ودفع للامر بالراح وهو يشير الى رد اقوال الانبياء والشرايع
جميعها فانه لو قال كافر للرسول ان وفقني اسلمت لم يجب الا بضرب العنق
وهذا من جنس قول الناس لعلي رضي الله عنه تدعونا الى كتاب الله فقال
كلمة حق اريد بها باطل وكذلك قول المتعللين عند الصدقة
(انطعم من لو يشا الله اطعمه) ولعمري ان التوفيق اصل الفعل
ولكن التوفيق امر خفي والخطاب بالفعل امر جلي فلا ينبغي
ان يتشاغل عما هو الحالي بذكر الخفي ومما يقطع هذا الاحتجاج ان
يقال لهذا القائل ان الله سبحانه وتعالى لم يكلفك شيئا الا وعندك
ادوات ذلك الفعل ولك قدرة عليه فان كانت القدرة عليه
معروفة والادوات غير محصلة فلا امر ولا تكليف وان كنت
تسعى بتلك الادوات في تحصيل غرضك وهواك فاسع بها في
اقامة مفروضك مثال ذلك انك تسافر في طلب الربح وتسئل
الحج فلا تفعل وتثقل عليك الانتباه بالليل فلو اردت الخروج الى
العيد انتبهت مسحرا وتقف في بعض اغراضك مع صديق تحادثه
ساعات فاذا وقفت في الصلاة استعجلت وثقل عليك
فاياك اياك ان تتعلق بامر لا حجة لك فيه ثم من تصيدك
ينقص ومن حفظك تضييع فانما تخرك لك وتما غرضك تفعك
فبادر فانك حيا در بك ومما مر مل كسلك اذ تاملت ان تتخايل

الألوكة

تواب المجتهدين وقد فاتك ويكون ذلك في توبيخ المقصران
ان كانت له نفس فما المدت الهمة فما الجرح بميت ايلام
كيف بك اذا قمت من قبرك وقد قربت نجائب النجاة
لاقوام وتغترت واسرعت اقدام الصالحين على الصراط
وتخبطت هيهات ذهبت حلاوة البطالة وبقيت مرارة الاسف
ونضب ماء كاس الكسل وبقي رسوب الندامة وما قدر البقاء
في الدنيا بالاضافة الى دوام الاخرة ثم ما قدر عمرك في الدنيا
ونصفه نوم وباقيه غفلة فيا خاطبا حور الجنة وهو لاهك
فلسا من غرامه افتح عين الفكر في ضوء العين افلك تبصر مواقع
خطابك فان رايت تنبطا من الباطن فاستغيث بعيون اللطيف
وتنبه في الاسحار لعلك تنالح مركب الارباح ويعلق على قطار
المستغفرين ولوخطوات وانزل في رياعة المجتهدين ولو منزلا

فصل

نظرت في قول ابي الدرداء رضي الله عنه ما اعرف شيئا مما كنا عليه
اليوم الا القبلة فقلت واعجبا كيف لو رانا اليوم وما علمنا من
الشريعة الا الرسم والشريعة هي الطريق وانما تعرف شريعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بافعاله او باقواله وسبب
الانحراف عن طريقه صلى الله عليه وسلم اما الجهل بها فيجري الانسان
مع الطبع والعادات وربما اتخذ ما يضاد الشريعة طريقا

وقد كان

وقد كان الصحابة شاهدته وسمعت منه فقل ان يتحرق احد
منهم عن حادثة الا ان ابا الدرداء رضي الله عنه راى بعض الانحراف
لميل الطباع فضج فانه قد يعرق الانسان الصواب عن ان
طبعه يميل عنه وما زالت الاحاديث المنقولة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يقل الاشتغال
بها والنظر فيها الى ان اعرض عنها بالكلية في زماننا هذا
وجهلت الا النادر واتخذت طرائق تضاد الشريعة
وصارت عادات وكانت اسهل عند الخلق من اتباع الشريعة
فكيف العوام ولما اعرض كثير من العلماء عن المنقولات ابتدعوا
في الاصول والفروع فالاصوليون تشاغلوا بالكلام
واخذوه من الفلاسفة والعلماء للنطق وداخلت ايدي
الفروعيين في ذلك فتشاغلوا بالجدل وتركوا الحديث الذي
عليه مدار الحكم ثم راى الخواص ان النفاق بالنفاق
فاقبل قوم منهم على التلبيس بالزهد ومقصودهم الدنيا
وراى جمهورهم ان القلوب تميل الى الاغاني فاحضروا
المطربين من القراء وانشدوا اشعار الغزل وتركوا
الاشتغال بالحديث ولم يلتفتوا الى نهي العوام عن الربا والزنا
وامرهم باداء الواجبات وصار متكلمهم يقطع المجلس بذكر
ليلى والمجنون والطور وموسى وابي من يدي والحاج والهدهد
وان الذي لا محصول له وانقراد اقوام بالزهد والا
نقطاع فامتنعوا من عيادة المرضى والمشي بين الناس

الاهتمام بهن فان لم يُرِدْنه فذاك الهلاك الاكبر وان
طلبت نفقة لم يطقها كان سبب ذهاب مروءته وهلاك
عرضه وان اَرَدْنَ الوطئ وهو عاجز فربما اهلكنه او فجرن
وان مات معشوق هلك هو اسفا فالذى يطلب الفايق
يطلب سكينا لذبحه وما يعلم وكذالك انفاذ قدر القوت
فانه نعمة وفى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا ومتى كثر تشتت اللهم فالعاقل
من علم ان الدنيا لم تُخلق للتنعيم فقنع بدفع الوقت فى كل حال

فصل

كنت اسمع علىّ بن الحسين الواعظ يقول على المنبر والله لقد
بكيت البارحة من يد نفسى فبقيت انا اتفكر واقول لاىّ
شئ قد فعلت ~~يد~~ نفس هذا حتى يبكى هذا الرجل
متنعم له الجوارى التركيات وقد بلغنى انه تزوج فى السر بجملة
من النساء ولا يطعم الا الغاية من الدجاج والحلوى وله
الدخل الكثير والمال الوافر والجاه العريض والافضال
على الناس وقد حصل طرفا من العلم واستعبد كثيرا
من العلماء بمعروفه وراحته دائمة فما الذى يبكيه فتفكرت
فعلمت ان النفس لا تقف على حدّ بل تروم من اللذات ما لا منتهى له

واظهروا التخاشع ووضعوا كتبا للرياضات والتقلل
من الطعام فصارت الشريعة عندهم كلام ابى مزيد والشبلى
والمتصوفة ومعلوم ان من سير الشريعة لم يرقها
شيئا من ذلك واما الامراء فجروا مع العادات وسموا
ما يفعلونه من القتل والقطع سياسات لم يعملوا فيها
بمقتضى الشريعة وتبع الاخير فى ذلك المتقدم فاين
الشريعة المحمدية ومن اين تعرف مع الاعراض عن
المنقولات نسال الله عز وجل التوفيق للقيام بالشريعة
والاعانة على رد البدع انه قادر ~~صح~~

فصل كنت اسمع علىّ بن الحسين الواعظ الخ

وكلما حصل لها غرض برد عندها وطلبت سواه فيفنى
العمر ويضعف البدن ويقع النغص ويرق الجاه ولا يحصل
المراد وليس في الدنيا ابلة ممن يطلب النهاية في لذات
الدنيا وليس في الدنيا على الحقيقة لذة انما هي راحة من
مؤلم فالسعيد من اذا حصلت له امرأة او جارية فمال اليها
ومالت اليه وعلم ستر ها ودينها ان يعقد الخنصر على
صحبتها واكثر اسباب دوام محبتها ان لا يطلق بصره فمتى
اطلق بصره واطمع النفس في غيرها فان الطمع في الجديد ينغص
الخلق وينقص ملل المخالطة ويستر عيوب الخارج فتميل
النفس الى المشاهد الغريب ويتكدر العيش مع الحاضر القريب
ثم تصير الثانية كالأولى وتطلب النفس ثالثة وليس لهذا
آخر بل الغض عن الشهوات ويأس النفس عن طلب المستحسنات
يطيب العيش مع المعاش ومن لم يقبل هذا النصح تعثر في
طريق الهوى وربما سعى لنفسه في الهلاك العاجل او
في العار الحاضر فان كثيرا من المستحسنات لسن بصينات
فلا يفي التمتع بهن بالعار الحاصل ومنهن المبذرات
في المال ومنهن المبغضة للزوج وهو يحبها كعابد صنم
وأبلة البلد الشيخ يطلب صبية ولعمري ان كمال

المتعة انما يكون

المتعة انما يكون بالصبى وقبيح بمن عبر الستين ان يتعرض
بكرة النساء فان اتفق معه صاحبة دين قبل ذالك فليرع لها
معاشرتها وليتمم نقصه عندها تارة بالانفاق وتارة بحسن
الخلق وليزد فى تعريفها احوال الصالحات والزاهدات و
ليكثر من ذكر القيامة وذم الدنيا وليعرض بذكر محبة العرب
فانهم كانوا يعشقون ولا يرون وطئ المعشوق كما قال
قائلهم

ان نكح الحب فسد × انى الحب قبلة × وغير كف وعضد ×
فان وطئ فليصبر عن الانزال حفظا لقوته وقضاء لحقها والسكين
من دخل فى امر لم يتلج عواقبه قبل الدخول ورى حبة الفخ
فبادر طالبا لها ناسيا تعرقل الجناح والذبح ومجموع ما قد
بسطته حفظ البصر عن الاطلاق ويأس النفس عن التحصيل قنوعا بالحال
خصوصا من قد علمت سنه وعلم ان الصبية عدو له
ومتمنية هلاكه وهو يريها لغيره وفى بعض ما ذكرته ما يفرغ الفاضل عن النقض

فصل

اعجب الاشياء اغترار الانسان بالسلامة وتأميله الاصلاح
فيما بعد وليس لهذا الامل منتهى ولا للأغترار فكلما اصبح
وامسى معافى زاد الاغترار وطال الامل واى موعظة
ابلغ من ان ترى ديار الاقران واحوال الخلان وقبور

نسخة الألوكة www.alukah.net

كما قال الفاضل وعلت بنفسى الهنا الصغار وعنى لم تكن الصبية بالغة
لم يكن الاستمتاع فاذا بلغت اردت كثرة الجماع والنوح لا يقدر فاجعل
على نفسه لم يبلغ مرادها وهلاك سريعا ولا ينفى ان يقع ويشهوته الجماع فان
متهمة كالفحل الكاذب وقد رأينا سيخا اشترى جارية فباتا معها فاقلب
عفلها فاذا هما فى المارستان شاب قد بقى يقرن بالقيام فنخلت عليه
فاغلبتنا فان ان انقضا قد بعضا منها من اللهو الى
ولم تجد ما فعلتا عليه ذهبت واذ قنع الشيخ بالاستماع
من غير وطئ فهى لا تقنع فنصير كالعبد له فربما غلبها الهوى فخرجت
اواحتالت على قتله خصوصا الجوارى اللواتى قد بعن من بلاد الاتراك
ففيهن قسوة القلب ح

انى الحب قبلة × وغير كف وعضد ×
انى العشق هكذا × ان نكح الحب فسد ×

المحبوبين فتعلم انك بعد ايام مثلهم ثم لا تقع انتباه
حتى يثبته الغير بك هذا والله شان الحمقى وحوشى
من له عقل ان يسلك هذا المسلك بل والله ان العاقل ليبادر
السلامة فيد خر من زمنها للزمن ويتزود عند
القدرة على الزاد لوقت العسرة خصوصا لمن قد علم ان مراتب
الآخرة انما تعلو بمقدار علق العمل لها وان التدارك بعد
الفوت لا يمكن وقد ران العاصى يعفى عنه اينال مراتب
العمال ومن اجال على خاطره ذكر الجنة التى لا موت فيها
ولا مرض ولا نوم ولا غم بل لذاتها متصلة من غير انقطاع
وزيادتها على قدر زيادة الجد هاهنا نسأل الله توفيقا
يلهم الرشاد ويمنع الفساد انه قريب مجيب

فصل ٢٢٦

تفكرت فى نفسى فرأيتنى مفلسا من كل شئ ان اعتمدت على
الزوجة لم تكن كما اريد ان حسنت صورتها لم تكمل اخلاقها
وان تكمل اخلاقها كانت مريدة لغرضها لا لى ولعلها تنتظر
رحيلى وان اعتمدت على الولد فكذالك والخادم والمريد
كذالك فان لم يكن لهما منى فائدة لم يريدانى وامّا
صديق فليس مع [illegible] واخ فى الله كعنقاء مغرب ومعارف
يفتقدون اهل الخير ويعتقدون فيهم فقد عدموا وبقيت

وهدى وعدن

فصل يحتاج ان يكون قبل الفصل عدد ٢٢٦

تاملت سبب تخليط العقائد فاذا به الميل الى الحس وقياس الغائبات
على الحاضر فان اقواما غلب عليهم الحس فلما لم يشاهدوا الصانع جحدوا وجوده
ونسوا الله قد ظهر بافعاله وان هذه الافعال لا بد لها من فاعل فان العاقل
اذا مر على صحراء خالية ثم عاد وفيها غرس وبنا علم قطعا انه لا بد من غارس
وبانى اذ الغرس لا يكون بنفسه ولا البنا ثم جاء قوم فانكروا وجود الصانع
ثم قاسوه على احوالهم فتحيروا حتى اذ قائلهم يقول فى قوله ينزل الى السماء
ينتقل ويستدل بان العرب لا تعرف النزول الا الانتقال وفعل خلق كثير فى صفاته
كما فعل خلق فى ذاته فظن اقوام انه تتأثر حين سمعوا انه يغضب ويرضى
ونسوا ان صفته قديمة لا يحدث منها شئ وضل خلق فى افعاله فاخذوا يعللون
فلم يقعوا على شئ فخرج منهم قوم الى ان نسبوا فعله الى ضد تعالى عن ذلك ومن رزق
التوفيق قليحضر قلبه لما اقول اعلم ان ذاته سبحانه لا تشبه الذوات وصفاته
ليست كالصفات وافعاله لا تقاس بافعال المخلوق اما ذاته سبحانه
فانا لا نعرف ذاتا الا ان يكون جسما وذاك يستدعى سابقة تاليف
وهو منزه عن ذلك لانه المؤلف او ان يكون جوهرا فالجوهر متحيز وله
اشكال وقد جل عن ذلك سبحانه او عرض فالعرض لا يقوم بنفسه بل
بغيره وقد يقال عن ذلك فاذا اثبتنا ذاتا قديمة خارجة عما
يعرف فليعلم ان الصفات تابعة لتلك الذات فلا يجوز لنا ان نقيس
شيئا منها على ما نعقله ونفهمه بل نؤمن به ونسلمه وكذلك افعاله
فان احدنا لو فعل فعلا لا يجلب به نفعا ولا يدفع به عنه ضرا عد
عابثا وهو سبحانه اوجد الخلق لا لنفع يعود اليه ولا لدفع ضر او لمنافع

لا افضل اليه والمضار لا تتطرق عليه فان قال قائل انما خلق الخلق ليتفضل
بطاهذ القول ثم خلقه للكفر وعذابه ثم يزاله يوم القيامة والاطفال
ويخلق المضار وهو قادر ان لا يفعل ذلك فان قال قائل انه يثيب على ذلك
قلنا هو قادر ان يثيب بلا هذه الاشياء فان السلطان لو اراد ان ينفع
فقيرا فجرحه ثم اغناه ليس على ذلك لانه قادر ان يغنيه بلا جراح ثم
من يرى ما جرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه من الجوع
والقتل مع قدرة الناصر ثم يسأل في امره فلا يجاب لو كان المسئول
بعضنا قلنا لم تمنع ما لا يضرك غير ان الحق سبحانه لا تقاس افعاله
على افعالنا ولا تعلل والذي يوجب علينا التسليم ان حكمته فوق العقل
فمن تقضي على العقول والعقول لا تقضي عليها ومن قاس افعاله على
افعالنا غلط الغلط الفاحش وانما هلكت المعتزلة من هذا
القبيل فانهم قالوا كيف يامر شيء ويقضي بما منتاعه ولو ان انسانا
دعانا الى داره ثم اقام من يصد الداخل لعيب ولقد صدقوا فيما
يتعلق بالمشاهد فاما من افعاله لا تعلل ولا تقاس بشاهد
فانا لا افضل المعرفة حكمته فان قال قائل فكيف يمكنني ان اقود عقلي
الى ما ينافيه قلنا لانا قد قطع بالدليل القطعي
انه حكيم وانه مالك والحكيم لا يفعل شيئا الا لحكمة غير ان تلك
الحكمة لا يبلغها العقل الا ترى ان الخضر خرق سفينة وقتل
شخصا فانكر عليه موسى عليهما السلام بحكم العلم ولم يطلع على
حكمة فعله فلما اظهر له اذعن (ولله المثل الأعلى) فاياك اياك
ان تقيس شيئا من افعاله على افعال الخلق او شيئا من صفاته او ذاته

سبحانه وتعالى

سبحانه وتعالى فانك ان حفظت هذا سلمت من التشبيه
الذي وقع فيه من راى الاستواء اعتمادا والنزول انتقالا
وتجوز من الاعتراض الذي اخرج قوما الى الكفر حتى طعنوا
في الحكمة واول القوم ابليس فانه راى تقديم الطين على
النار ليس بحكمة فنسي انما علم ذلك من علمه بالفهم الذي
وهب له والعقل الذي منحه فنسي ان الواهب اعلم (اولم يروا
ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة) ولقد رايت
لابن الزوزني اعتراضا على من يقول بتخليد الكفار
في النار ينبغي ان يقبل كل ما يقوله العقل ولا يرد بعضه
اذ ليس رد بعضه باولى من رد الكل وتخليد الكفار لا
غرض فيه للمعذب ولا المعذب به يتخلا يجوز ان يكون فقلت
العجب من هذا الذي يدعي وجود العقل ولا عقل عنده
واول ما اقول له اصح عندك الخبر عن الخالق سبحانه
انه اخبر بخلود اهل النار ام لم يصح فان كان ما صح
عنده فالكلام اذن في اثبات النبوة وصحة القرآن
فما وجد ذكر الفرع مع جحد الاصل وان قال قد ثبت
عندي فواجب عليه ان يتحمل اقامة العذر الا ان يقف
في وجه المعارضة وانما ينكر هذا من يأخذ الامر
من المشاهد وقد بينا ان ذات الحق سبحانه لا كالذوات

وان صفته لاكالصفات وان افعاله لاتعلل ولو تلمحنا شيئاً
من التعليل لاتخلوه الكفار لبادا ذ من الجائز ان يكون
دوام تعذيبهم لاظهار صدق الوعيد فانه قال من كفر
بي خلدته في العذاب ولاجناية كالكفر ولاعقوبة كدوام الاحراق فهو يدوم ليظهر صدق الواعد ومن الجائز
ان يكون ذلك لنقمة منعم المؤمنين فانهم اعداء الكفار
وقد قال سبحانه ويشف صدور قوم مؤمنين وكم من
قلق في صدر بلال وحنق على ابي جهل فيما فعل به وكم
غم في قلب عمار واحد سمية وغيرهم من افعال الكفار بهم
فدوام عذابهم شفاء لقلوب اهل الايمان ومن الجائز ان
يدوم العذاب لدوام الاعتراض وذكر المعذب بما لايحق
فكلما زاد عذابهم زاد كفرهم واعتراضهم فهم معذبون
لذلك ودليل دوام كفرهم به (لو يحيون له كما يحيون لكم)
فان كفرهم مازال ومعرفتهم به ما حصلت والشكاين
في البواطن وعلى ذلك يقع التعذيب (ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه)

فصل

فينبغي للمؤمن بالله سبحانه وتعالى اذا نظر في الفصل الذي قد
تقدم هذا ان لايعترض على الله سبحانه في شيء لافي باطنه
ولافي ظاهره ولا يطلب تعليلات افعاله فان المتكلمين

اعترضوا

اعترضوا على السنن وتكلموا بآرائهم فما صفى لهم شرب
بدليل اختلافهم وكذلك اضمار القياس لما اعملوه جاءت
احاديث تعكر عليهم والصواب التعليل لما يمكن والتسليم
لما يخفى وكذلك سؤال الحق سبحانه فاذا دعا المؤمن ولم ير
اجابة سلم وفوض وتأول للمنع فيقول ربما يكون المنع
اصلح وربما يكون لاجل ذنوبي وربما يكون التأخير اولى
وربما لم يكن هذا مصلحة واذا لم يجد تأويلا لم يحتج
في باطنه بنوع اعتراض بل يرى انه قد تعبد بالدعاء فان
انعم عليه تفضل وان لم يجب فمالك يفعل ما يشاء
على ان اكثر السؤال انما يقع في طلب اغراض الدنيا التي اذا
ردت كان اصلح فليكن هم العاقل في اقامة حق الحق
والرضى بتدبيره وان ساء فمتى اقبلت عليه اقبل
على اصلاح شأنك واذا عرفت انه كريم قلله ولا
تسأل ومتى اقبلت على طاعته فمحال ان يجود صانع
ويتصع في العمل ثم لا يعطي الاجرة

فصل

والله اني لاتخايل دخول الجنة ودوام الاقامة فيها من غير
مرض ولا يصاق ولا قوم ولا آفة تطرأ بل صحة
دائمة واغراض متصلة لايعترضها منغص في تعميم

شبكة الألوكة www.alukah.net

متجدد في كل لحظة الى زيادة ولا انتهاء هي فاطيش ويكاد
الطبع عن تصديق ذلك لولا ان الشرع قد ضمنه ومعلوم
ان تلك المنازل انما تكون على قدر الاجتهاد هنا فوا
عجبا من مضيع لحظة تقع فيها فتنبيحة يغرس لها في
الجنة نخلة اكلها دائم وظلها فيا ايها الخائف من
فوت ذلك سبح قليلك بالروحي ويا ايها المنزعج للذكر
الموت تامل ما بعد مرارة السرية من العاقبة فانه من
ساعة خروج الروح لا بل قبل خروجها تنكشف للمرء
كل لاصحابها فيهون سير المجدين للذة للمشتاق اليه
ثم الارواح في حواصل طير تعلق في شجر الجنة فكل الاوقات
والمخافات في نهار الاجل وقد اصفرت شمس العمر
فالبدار البدار قبل الغروب ولا معين توافق على تلك
الطريق الا الفكر اذا جلس مع العقل قتلة اكرا العواقب
فاذا فرغ ذلك المجلس فالنظر في سير المجدين فانه يعود
مستجلبا للفكر منها للفضائل والتوفيق من وراء ذلك
وحتى اراد ذلك لشيء عهاك له فاما مخالطة الذين ليس
عندهم خبر الا من العاجلة فهو من اكبر اسباب مرض

الفهم



الفهم وعلل العقل والعزلة عن الشر حمية والمخالطة سبب العاقبة

فصل

رايت سبب المهموم والقموم الاعراض عن الله عز وجل والاقبال
على الدنيا وكلما فات منها شيء وقع الغم لفوات فاما من رزق
معرفة بالله تعالى لانه يستغني بالرضا بالقضاء فمهما قدر له
رضي وان دعاه فلم ير اثر الاجابة لم يحتاج في قلبه اعتراض
لانه مملوك مدبر فتكون همته في خدمة الخالق ومن هذه
صفته لا يؤثر جمع مال ولا مخالطة الخلق ولا الالتذاذ
بالشهوات لانه اما ان يكون مقصرا في المعرفة فهو مقبل
على التعبد المحض من هذه في الفاني ليتال الباقي واما ان
يكون له ذوق في المعرفة فانه مشغول عن الكل بحب
الكل فتراه منفردا في الخلوة به مستانسا بمناجاته
مستوحشا من مخالطة خلقه راضيا بما يقدر له فعيشه
معه كعيش محب قد خلا بحبيبه لا يريد سواه ولا يهتم
لغيره فاما من لم يرزق هذه الاشياء فانه لا من الى في
تنغيص متكدر العيش لان الذي يطلبه من الدنيا لا
يقدر عليه فيبقى ابدا في الحرارة مع ما يفوته من الاخرة
وطلب المعاملة تعالى الله عز وجل ان يستصلحنا له
فانه لا حول ولا قوة الا به صح

فصل

تفكر متفقد نفسي فرايتني مفلسا الخ

وحدى وعدت الى نفسى وهى لا تصفو لى ايضا ولا تقيم
على حال سليمة فلم يبق لى الا الخالق سبحانه فرأيت انى
اعتمدت على انعامه ولا آمن قطع ذالك بالبلاء وان رجوت
عفوه فما آمن عقوبته فما اسفا لا طمأنينة ولا قرار واقلقنى
من قلقى واحرقنى من حرقى بالله ما العيش الا فى الجنة حيث
يقع اليقين بالرضى والمعاشرة لمن لا يخون ولا يؤذى واما
الدنيا فما هى دار ذاك

فصل

ينبغى لمن صحب سلطانا او محتشما ان يكون ظاهره معه وباطنه
سواء فانه قد يدس اليه من يختبره فربما افتضح فى الابتلاء و
قد كان جماعة من الملوك يقصدون [illegible]
له حجرة فى دورهم فاذا ارادوا ان يختصوا به اختبروه بالهنا
وذاك لا يدرى فيظهر منه ما لا يصلح فيطرد ولقد امتحن
ابرويز رجلا من خاصته فدس اليه جارية معها الطاف
وامرها ان لا تقعد عندها فحملته ثم انفذها مرة اخرى
وامرها ان تقعد بعد التسليم هنيئة ففعلت فلاحظها
الرجل ثم بعثها ثالثة وامرها ان تطيل القعود عنده وتحدثه
فاطالت الحديث معه فابدى لها من الميل شيئا فقالت اخاف
ان يطلع علينا ولكن دعنى ادبر فى هذا فذهبت فاخبرت

الملك بذالك فوجه غيرها من خواص جواريه بمثل ذالك
فلما جائته قال ما فعلت فلانة قالت مريضة فاريد لونه
ثم فعلت الجارية مثل ما فعلت الاولى فقالت له ان الملك
يمضى الى بستانه فيقيم هناك فان ارادك ان تظهر معه
فاظهر انك عليل فان خيرك بين الانصراف الى دورنسائك
او المقام ههنا فاختر المقام ههنا واخبره انك لا تقدر
على الحركة فان اجابك الى ذالك جئت اليك كل ليلة
مادام الملك غائبا فسكن الى قولها ثم مضت فاخبرت الملك
بذالك فلما كان بعد ثلاث استدعاه الملك فقال النديم
انى مريض فعاد الرسول فاخبر الملك بما قاله النديم فتبسم
وقال هذا اول الشر فوجه اليه محفة حمل فيها اليه فلما
بصر به ابرويز قال والمحفة الشر الثانى فرأى العصابة على
رأسه فقال والعصابة الشر الثالث فقال له الملك ايما احب
اليك الانصراف الى نسائك ليمرضنك او المقام ههنا الى وقت
رجوعى قال المقام ههنا ارفق لى لعلة الحركة فتبسم الملك
وقال حركتك ههنا ان تركت اكثر من حركتك الى منزلك
ثم امر له بعصا الزناة التى كان يوسم بها من زنى فايقن
الرجل بالامر وامر الملك ان يكتب ما كان من امره حرفا حرفا
فيقرأ على الناس حرفا حرفا اذا حضروا وان ينفى الى اقصى المملكة
وتجعل العصا على رأس رمح يكون معه حيث كان ليحذر

منه من لا يعرفه

منه من لا يعرفه فلما نفى اخذ من بعض الموكلين به مدية فجب
بها ذكره وقال من اطاع عضوا صغيرا افسد عليه جميع
اعضائه ومات من ساعته عفى الله عنه قلت قد كان
جماعة من الامراء يتنكرون ويسئلون العوام عن سيرتهم
فيتكلم العامى بما لا يصلح فيضبطون عليه وربما بعثوا
دسيسا وربما كلمات قالها مسترسل فبلغها فضولى
ورأى عمر بن عبد العزيز رجلا كثير الصلاة من العمال فدس
عليه من قال له ان اخذت لك الولاية الفلانية فما تعطينى
قال اعطيك كذا وكذا قال عمر غررتنا بصلاتك وقد بلغنى
ان رجلا كلم امرأة فاجابته فاستدعته الى دارها فلما دخل
اقامت من قتله فقد يتجلى من هذه الحكاية انه لا ينبغى
ان يسكن الى قول امرأة اورجل يجوز ان يكون جاسوسا
ومختبرا وكذالك لا يظهر ما ينبغى اخفاؤه من مال او مذهب
او سبب رجل فربما كان له فى الحاضرين قريب ولا يوثق
بمودة لا اصل لها وربما كانت تحتها آفة تقصد وليحذر
من كل امر يحتمل وربّ كلمة نقلها صديق الى صديق فتحدث
بها من لا يقصد اذى للقائل فبلغت فتاذى وربّ مظهر
للمحبة مبالغ حتى يتمكن من مراده فالحذر الحذر من الطمأنينة
الى احد خصوصا من عدو آذيته او قتلت له قريبا فربما

اظهر الجميل شبكة لاصطيادك كحديث الزباء

٨٠ فصل

رأيت النفس بعد علو السن يقوى املها ويزداد حرصها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم وتشيب منه خصلتان او خلتان الحرص وطول الامل ورأيت اكثر اسباب ذلك فراغ اليد من الدنيا وكثرة العائلة وقوة الحاجة فيحتاج الانسان الى التعرض بما يشين العرض ليحصل الغرض فقلت الهي بعد رؤية جبال عرفة اضل بعد مشارفة الحرم تأخذني اعراب البادية والسفا ايطلع فجر النحر وما وصلت الى عرفات ويا ضياع سفر العمر وما حصل المقصود

شعر

قد كنت ارجوك لنيل المنى ✕ واليوم لا الطبي ولا الارضي ✕
ثم قلت يا نفس مالك ملجأ الا اللجا واستغاثة الغريق
فان رحمت والا فكم حسرة تحت التراب

٨١ فصل

شكى الي بعض الاشياخ فقال قد علت سني وضعفت قوتي ونفسي تطلب من شرار الجواري الصغار ومعلوم انهن عوّدن النكاح وما تقنع النفس مني برؤية البيت اذ قد كبرت فقلت له عندي جوابان احدهما الجواب العامي وهو ان اقول ينبغي ان تشتغل بذكر الموت وما قد توجهت

اليه وتحذر

اليه وتحذر من شرار جارية لا تقدر على ايفاء حقها فانها تبغضك فان اجهدت نفسك استعملت التلف وان استبقيت قوتك غضبت هي على انها لا تريد شيخا كيف كان وقد انشدنا علي بن عبد الله قال انشدنا ابو محمد التميمي شعرا

افق بها فؤادي من غرامك واسمع ✕ مقالة محزون عليك شفيق ✕
علقت فتاة قلبها متعلق ✕ بغيرك فاستوثقت غير وثيق ✕
فاصبحت موثوقا وراحت طليقة ✕ فكم بين موثوق وبين طليق ✕

فاعلم انها تعد عليك الايام وتطلب منك فضل المال لتستعد لغيرك وربما قصدت حتفك فاحذر والسلامة في الترك والاقتناع بما يدفع الزمان والحوادث

يخلو ان تكون قادرا على الوطئ في وقت او لا تكون فان كنت لا تقدر فالاولى مصابرة الترك للكل فان كان يمكن فالحازم ينبغي له ان يداري المرأة بالنفقة وطيب الخلق الا انه يخاطر وان كنت تقدر في اوقات على ذلك ورأيت من نفسك توقا شديدا فعليك بالمراهقات فانهن ما عرفن النكاح وما طلعن بالوطئ واغمرهن بالانفاق وحسن الخلق مع الاحتياط عليهن والمنع من مخالطة النسوة واذا اتفق وطئ فتصبر عن الانزال ريثما تقضي المرأة حاجتها

واعتمه وعظها وتذكرها بالآخرة فاذكر لها حكايات العشاق
من غير نكاح وقبح صورة الفعل والفت قلبها الى ذكر
الصالحين ولا تخل نفسك من الطيب والتزين والكياسة
والمداراة والانفاق الواسع فهذا ربما حرك الناقة للمسير
مع خطر السلامة

٣٠ فصل

ابلة الناس من عمل على الحالة الحاضرة ولم يصور تغيرها ولا
وقوع ما يجوز وقوعه مثاله ان يغتر بدولة فيعمل بمقتضى
ملكه فاذا تغيرت هلك وربما عادى خلقا اغترارا بانه
متسلط او انه صاحب سلطان فاذا تغيرت حاله اكل
لغيبة ندما عنه فواته وكذلك من له مال يُبَذِّره سكونا
الى وجود المال فينسى حاله عند العدم وكذلك من يتناول
الشهوات ويسرف من المآكل والمشارب والنكاح ثقة
بعافيته وينسى ما يعقب ذلك من الامراض والآفات
ومن اظرف الاحوال ان يحب جارية فيعشقها ويهب لها
او امرأة فيسكن اليها ويهب لها فيتمكن ولا تمضي الايام حتى
يسلوها او يطلب غيرها ولا يجد طريقا للخلاص فان
تخلص منها اخذت ما غنمت منه فلقي من الغيظ اضعاف
ما يلتذ به فلا ينبغي ان يولق بامرأة ولا بمحبة انسان فانه
قد يحب امرأة ويظن انه لا يسلوها فيسترسل اليها

والسلو يحدث

والسلو يحدث وربما احب غيرها فينسى الاولى فيصعب
عليه الخلاص من الاولى فالعاقل لا يدخل في شئ حتى يهيئ
الخروج منه فان الاشياء لا تثبت والمحبة لا تدوم والتغير
مقرون بكل حال وكذلك يعطي ماله ثم ولده ثم يبقى كلا
عليه فيتمنى الولد هلاكه وربما عذبه في النفقة وكذلك
قد يثق بالصديق فيبث اسراره اليه فربما اظهر ذلك فكان
منها ما يوجب هلاكه وكذلك يغتر الانسان بالسلامة و
ينسى طروق الموت فيأتيه بغتة فتبهته وقد فات الاستدراك
ولم يبق الا الندم فالعاقل من كانت عينه مراقبة للعواقب
محترزة مما يجوز وقوعه عاملة على الاحتياط في كل حافظة
للمال والسر غير واثقة بزوجة ولا ولد ولا صديق متأهبة
للرحيل متهيئة للنقلة هذه صفة اهل الحزم والتفريط للمذابح
البقر

٣١ فصل

من اعجب الامور طلبا الاطلاع على تحقيق العرفان لذات الله
عز وجل وصفاته وافعاله وهيهات ليس الا المعرفة
بالجملة ولقد اوغل المتكلمون فما وقعوا بشئ فرجع
عقلاؤهم الى التسليم وكذلك اصحاب الرأي مالوا الى
القياس فاذا الاشياء كثيرة تعكس مرادهم فلم يجدوا
ملجأ الا التسليم فسموا ما خالفهم استحسانا فالفقيه

من علل بما يمكن فاذا عجز استطرح للتسليم وهذا شأن
العبيد فاما من يقول لم فعل كذا وما معنى كذا فانه يطلب
الاطلاع على سر الملك وما يجد الى ذلك سبيلا لوجهين
احدهما ان الله ستر كثيرا من كلمة عن الخلق والثانى انه ليس
فى قوى البشر ادراك حِكَم الله تعالى كلها فلا يبقى مع المعترض
سوى الاعتراض المخرج الى الكفر فليمد بسبب الى السماء
ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ والمعنى من
رضى بافعالى والا فليختق نفسه فما افعل الا ما اريد

فصل

من رزقه الله تعالى العلم والنظر فى سير السلف رى
ان هذا العالم ظلمة وجمهورهم على غير الجادة والمخالطة لهم
تضر ولا تنفع فالعجب لمن ترخص فى المخالطة وهو يعلم
ان الطبع ليسرق من المخالطة وانما ينبغى ان تقع المخالطة
للارفع والاعلى فى العلم والعمل ليستفاد منه واما مخالطة
الدون فانها تؤذى الا ان يكون عاميا يقبل من معلمه فينبغى
ان يخالط بالاحتراز وفى هذا الزمان ان وقعت المخالطة
للعوام فهم ظلمة مستحكمة فاذا ابتلى العالم بمخالطتهم فليشمر
ثياب الحذر ولتكن مجالسته اياهم للتذكرة و
التأديب فحسب وان وقعت المخالطة للعلماء فاكثرهم

على غير الجادة

على غير الجادة مقصودهم صورة العلم لا للعمل به فلا تكاد
ترى من تذاكره امر الآخرة انما شغلهم الغيبة وقصد
الغلبة واحتلاب الدنيا ثم فيهم من الحسد للنظراء ما لا يوصف
وان وقعت المخالطة للامراء فذاك تعرض لفساد الدين
لانه ان تولى لهم ولاية دنيوية فالظلم من ضروراتها الغلبة
العادة عليهم والاعراض عن الشرع وان كانت ولاية دينية
كالقضاء فانهم يأمرونه باشياء لا يكاد يمكنه المراجعة
فيها ولو راجع لم يقبلوا واكثر القوم يخاف على منصبه فيفعل
ما امر به وان لم يجز وربما رأيت فى هذا الزمان اقواما
يبذلون المال ليكونوا قضاة او شهودا ومقصودهم الرفعة
ثم اكثر الشهود يشهد على مال يعرفه ويقول معرف يدرى
انه كذاب وانه انما عرف لاجل جبة يعطاها ولكم قد وقعت
شهادة على غير المشهود عليه وعلى مكره وان وقعت المخالطة
للمتزهدين فاكثرهم على غير الجادة وعلى خلاف العلم قد جعلوا
لانفسهم نواميس فلا يبتسمون ولا يخرجون الى السوق
ويظهرون التخشع الزائد وكله نفاق وفيهم من يلبس الصوف
تحت ثيابه وربما لوح له بكمه ليرى وقد حكى عن طاهر بن
الحسين انه قال لبعض المتزهدين منذ كم قدمت العراق
قال منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صائم فقال
سألناك عن مسئلة فاجبت عن اثنتين وبنت الصوفية

اربطة فهى خوارج على المساجد وهى دكاكين كرية
تقعد فيها الكسالى عن الكسب مع القدرة عليه ويتعرضون
بالتعدد للصدقات ولاموال الظلمة وقد اراحوا انفسهم
من اعادة العلم والكرّ هم لايصلى نافلة ولا يقوم الليل
بل همتهم المأكول والمشروب والرقص وقد اتخذوا
سننا تخالف للشريعة فهم يلبسون المرقع لامن فقر وهذا
قبيح لانه ليس عندهم من امارات الزهد سوى الملبس الملوّن
فثيابهم تصيح نحن زهاد وباقى افعالهم المستورة تفضحهم
اذا اطلع عليها فالمطبخ ذايو والحمام والحلوى كثيره والطيب
والدعه فالكبر حاصل بذالك الكبر وقد قال النبى صلى الله
عليه وسلم لمالك بن فضلة وقد رآه اشعث الهيئة
امالك مال قال بلى من كل المال قد اتانى الله عز وجل قال
فان الله عز وجل اذا انعم على عبد نعمة احب ان ترى
عليه ومن اخلاقهم تنفير الناس عن العلم ويزعمون ان
لاحاجة الى الوسائط وانما هو قلب ورب ولهم من الاقوال
والافعال المنكرات ماقد ذكرته فى تلبيس ابليس
آه لوكان للزمان عمر لاحتاج كل يوم الى مائة درة
لابل كان يستعمل السيف فى حق هؤلآء الخوارج وهم
داخل البلد لاقدرة للعلمآء عليهم اذ قولهم فيهم لا

يقبل فمن رزقه

يقبل فمن رزقه الله سبحانه فى سير السلف ووفقه للأقتداء بهم
ان يعتزل عن اكثر الخلق ولا يخالطهم فانه من خالط داری ومن
داری لم يسلم من المداهنة فالنصح اليوم مردود

٢٣٣ فصل

من البلاء ان يبارز عدوًّا او حسودا بالمخاصمة وانما ينبغى ان
عرفت حاله ان تظهر له مايوجب السلامة بينكما وان اعتذر
قبلت عذره وان اخذ فى الخصومة صفحت واريته ان الامر
قريب ثم تبطن فى الحذر منه فلا تثق به فى حال وتتجافاه باطنا
مع اظهار المخالطة فى الظاهر فاذا اردت ان تؤذيه فاقلّ
ماتؤذيه به اصلاحك نفسك واجتهادك فيما يرفعك
ومن اعظم العقوبة له العفو عن زلله وان بالغ فى السب فبالغ
فى الصفح تنب عنك العوام فى شتمه ويحمدك العلمآء على
حلمك وماتؤذيه به من ذالك وغيره فى الباطن اضعاف
ماتؤذيه به من كلمة اذا قلتها له سمعت اضعافها منه ثم
بالجومة تعلمه انك عدو فياخذ الحذر ويهبط اللسان دائما
وبالصفح يجهل مافى باطنك فيمكنك حينئذٍ ان تشتفى منه بما
يؤذى دينك فيكون هو الذى قد استشفى منك وماظفر
قط من ظفر به الاثم بل الصفح المطلق من غير اضمار جزآء
عقوبة الكرام وهو الصفح الجميل وانما يقع هذا ممن يرى

ان تسلطه عليه اما عقوبة لذنب او لرفع درجة او للابتلاء
فهو لا يرى الخصم وانما يرى القدرة الالهية

فصل ٢٤

اذا وقعت في محنة يصعب الخلاص منها فليس لك الا الدعاء
واللجا بعد ان تقدم التوبة من الذنوب ارتفع السبب فاذا
تُلبتَ ودعوت ولم تر للأجابة اثرا فتفقد امرك فربما كانت
التوبة ما صَحَّت فَصَحِّحها ثم ادع ولا تمل من الدعاء فربما
كانت المصلحة في تأخير الاجابة وربما لم تكن المصلحة في
الاجابة فانت تثاب وتجاب الى منافعك ومن منافعك
ان لا تعطى ما طلبت بل تعوّض غيره فاذا جاء ابليس وقال
كم تدعو ولا ترى جوابا فقل له انا اتعبد بالدعاء وانا موقن
~~بالجواب~~ ان الجواب حاصل غير انه ربما كان تاخيره لبعض المصالح
على ما سبب ولو لم يحصل حصل التعبد والذل فاياك ان
تسئل شيئًا الا وتقرنه بسؤال الخيره فرب مطلوب من الدنيا
كان حصوله سببا للهلاك فاذا كنت امرتَ بالمشاورة
في امور الدنيا لجنسك ليبين لك في بعض الاراء ما يومر بك
وترى ان ما وقع لكن لا يصلح فكيف لا تسأل ربك وهو
اعلم بالمصالح والاستخارة من جنس المشاورة

فصل ٢٥

نظرت في الناس

نظرت في الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل فاما
الجهال فانقسموا فمنهم سلطان قد رضي في الجهل ولبس الحرير
وشرب الخمور وظلم الناس وله عمّال على مثل حاله فهؤلاء
بمعزل عن الخير بالجملة ومنهم تجار همتهم الاكتساب وجمع
الاموال واكثر لا يؤدي الزكاة ولا يتحاشا من الربا فهؤلاء
في صور الناس ومنهم ارباب معاش يطففون ويبخسون
ويتعاملون الربا وهم في الاسواق طول النهار لا همّة لهم
الا ما هم فيه فاذا جاء الليل وقعوا نياما كالسكارى فهمّة
احدهم ما يأكل ويلتذ به وليس عندهم من الصلاة خبر
فان صلى احدهم نقرها او جمع بينها فهؤلاء في عداد البهائم
ومن الناس رذالة في جميع احوالهم فهذا كناس وهذا زبال
وهذا نخال وهذا يلمسح الحش فهؤلاء ارذال القوم ومنهم
من يطلب اللذات ولا يساعده المعاش فيخرج الى قطع الطريق
وهؤلاء احمق الجماعة اذ لا عيش لهم فان التذ والحظة يأكل
وشرب فحركت الريح قصبة هربوا خوفا من السلطان وما اقل
بقاؤهم ثم القتل والصلب مع الاثم الآخرة ومنهم ارباب
قرى قد عمهم الجهل واكثرهم لا يتحاشا من نجاسة فهم في زمرة
البقر ورأيت النساء ينقسمن ايضا فمنهن المستحسنة التي تبغي
ومنهن الخائنة لزوجها في ماله ومنهن من لا تصلي ولا تعرف

شيئاً من الدين فهؤلاء حشو النار فاذا سمعن موعظة
فانها ماء مرّ على حجر واذا قرئ عندهن القرآن فكأنهن سمعن
السمر واما العلماء فالمبتدؤن منهم ينقسمون الى ذى نية
خبيثة يقصد بالعلم المباهات للعمل ويميل الى الفسق
ظنا ان العلم يدفع عنه وانما هو حجة عليه واما المتوسطون
المشهورون فاكثرهم يغشون السلاطين ويسكت عن انكار
المنكر وقليل من العلماء من تسلم له نيته وتحسن قصده فمن
اراد الله به خيرا رزقه حسن القصد فى طلب العلم فهو يحصله
لينتفع به وينفع ولا يبالى بعمل ما يدل عليه العلم فتراه
يتجافى ارباب الدنيا ويحذر مخالطة العوام ويقنع بالقليل خوفا
من المخاطرة بالدنيا فى تحصيل الكثير ويؤثر العزلة فليس مذكرا
بالآخرة مثلها وليس على العالم اضر من الدخول على السلاطين
فانه يحسن للعالم الدنيا ويهون عليه المنكر وربما اراد ان ينكر
فلا يصح له فان عدم القناعة وغلبته نفسه فى طلب فضول
الدنيا تسلم عليه لانه يتعرض عليه بارتيابها وان الانسان
ليمشى فى الشوق ساعة فينسى بما يرى ما يعلم فكيف اذا انضم
الى ذلك التردد الى الاغنياء والطمع فى اموالهم فاما الوحدة
فانها سبب رجوع القلب وجمع الهم والنظر فى العواقب
والتهيئ للرحيل وتحصيل الزاد فاذا انضمت اليها القناعة

طلبت المستحسنة

طلبت المستحسنة ولا تحسن اليوم المجالسة الا الكتاب يحدثك
عن اسرار السلف فاما مجالسة العلماء اليوم فمخاطرة اذ لا يجتمعون
على ذكر الآخرة فى الاغلب ومجالسة العوام فتنة للدين الا
ان يحترز فى مجالسهم ويمنعهم من القول فيقول هو ويكلفهم
السماع ثم يستوفر للبعد عنهم ولا يمكن الانقطاع الكلى الا
بقطع الطمع ولا ينقطع الطمع الا بالقناعة باليسير او
بتميز تجارتها او ان يكون له عقار تشغله فانه متى احتاج
تشتت الهم ومتى انقطع العالم عن الخلق وقطع طمعه فيهم و
توفر على ذكر الآخرة فذاك الذى ينفع وينتفع به والله الموفق

فصل ٣٦

من تأمل لعين الفكر دوام البقاء فى الجنة فى صفاء بلا كدر
ولذات بلا انقطاع وبلوغ كل مطلوب للنفس والزيادة
بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من
غير تغير ولا زوال ولا يقال الف الف سنة ولا مائة الف
الف سنة ولو ان الانسان عد الالوف الالوف من السنين
لا يقضى عدده وكان له نهاية وبقاء الآخرة لا نفاد له الا انه
لا يحصل ذلك الا بنفاد العمر وما مقدار غاية مائة
سنة منها خمس عشرة صبوة وجهل ثلاثون بعد السبعين

ان حصلت ضعف وعجز والتوسط نصفه نوم وبعضه زمان
اكل وشرب وكسب والمتخلّ منه للعبادات يسير افلا يشترى
ذلك الدآئم بهذا القليل ان الاعراض للشروع فى هذا البيع و
الشرآء لغبن فاحش فى العقل وخلل دائم فى الايمان بالوعد
فانما يدرى كيف يعقد البيع بالعلم فهو الذى يدل على الطريق
ويعرف ما يصلح لها ويحذر من قطاعها ولقد دخل ابليس على
طآئفة من المتزهدين بآفات اعظمها انه صرفهم عن العلم فكأنه
شرع فى اطفآء المصابيح ليسرق فى الظلمة حتى انه اخذ قومًا من
من كبار العلمآء فسلك بهم من ذالك ما ينهى عنه العلم فرأيت
ابا حامد الطوسى يحكى عن نفسه فى بعض مصنفاته قال شاورت
متبوعا مقدما من الصوفية فى المواظبة على تلاوة القرآن فمنعنى
منه وقال السبيل ان تقطع علائقك من الدنيا بالكليه بحيث لا
يلتفت قلبك الى اهل وولد ومال وعلم بل تصير الى حالة يستوى
عندك وجود ذالك وعدمه ثم تخلو بنفسك فى زاوية فتقتصر
من العبادة على الفرائض والرواتب وتجلس فارغ القلب ولا تزال
تقول الله الله الى ان تنتهى الى حالة لو تركت تحريك اللسان
رأيت كان الكلمة جارية على لسانك ثم تنتظر ما يفتح مما
فتح مثله على الانبيآء والاولياء قلت وهذا امر لا تعجب انا فيه
من الموصى به وانما التعجب من الذى قبله مع معرفته وفهمه وهل

يقطع الطريق بالاعراض

يقطع الطريق بالاعراض عن تلاوة القران وهل فتح للانبيآء
ما فتح بمجاهداتهم ورياضاتهم وهل يوفق بما يظهر ثم ما الذى
يفتح اثم اطلاع على علم يكتب ام وحي فهذا كله من تلاعب
النفس بالقوم وربما كان ما يتخايل من الما ليخوليا ومن ابليس
فعليك بالعلم وانظر فى سير السلف هل فعل احد منهم من هذا
شيئًا او امر به وانما تشاغلوا بالقرآن والعلم فدلهم على
الصلاح البواطن وتصفيتها نسئل الله عز وجل علمًا نافعًا
ودفعا للعدق مانعا انه قادر

فصل ٢٣٧

من اراد اصطفآء محبوب فالمحبوب نوعان امرأة يقصد منها
حسن الصورة وصديق يقصد منه حسن المعنى فاذا اعجبك
صورة امرأة فتأمل خلالها الباطنة مد يده قبل ان يتعلق
بها القلب تعلقا محكما فان رأيتها كما تحب واصل ذالك كله
الدين كما قال عليك بذات الدين ~~تربت~~ فمل اليها واستولدها
وكن فى ميلك معتدلا الميل فانه من الغلط ان تظر لمحبوبك
المحبة فانه يشتط عليك وتلقى منه الاذى والتجنى والهجران
والادلال وطلب الانفاق الكثير وان كانت تحبك لان هذا
انما يجتلبه حب الادلال المقهور ثم نكتة عجيبه وهو انك ربما
عملت بمقتضى الحال الحاضرة وهى تحكم بكمال الحب ثم ان ذالك

لا يثبت اليك نصع فتبقى مقهورا ويصعب عليك الخلاص وربما
تمكنت بمعرفة سرك او باخذ كثير من مالك ومن احسن ما بلغني
في هذا ان جارية لبعض الخلفاء كانت تحبه حبا شديدا ولا تظهر
له ذلك فسئلت عن هذا فقالت لو اظهرت ما عندي فجفاني
هلكت قال الشاعر

× لا تظهرن مودة لحبيب × فترى بعينك منه كل عجيب ×
× اظهرت يوما للحبيب مودة × فاخذت من هجرانه بنصيب ×

وكذلك ينبغي ان تكتم بعض حسبك ولدك لانه ينبسط عليك و
يضيع مالك ويبالغ في الادلال ويمتنع عن التعلم والتأديب
وكذلك اذا اصطفيت صديقا وخبرته فلا تخبره بكل ما عندك
بل تعاهده بالاحسان كما تعاهد الشجرة فانها اذا كانت
جيدة الاصل حسنت ثمرتها بالتعاهد ثم كن منه على حذر
فقد تتغير الاحوال وقد قيل شعرا

× احذر عدوك مرة × واحذر صديقك الفه ×
× فلربما انقلب الصديق فكان ادرى بالمضره ×

واما اذا ابغضت شخصا فلا تظهر له ذلك فانه تنبهه على اخذ الحذر
منك وتدعوه الى المبارزة فيبالغ في حربك والاحتيال عليك بل ينبغي
ان تظهر له الجميل ان قدرت وتبره ما استطعت

× فان لم تطق فهجر جميل ×

لا تبين فيه ما يؤذي ومتى سمعت عنه كلمة قذعة فاجعل جوابها

كلمة جميلة

كلمة جميلة فهي اقوى في كف لسانه وكذلك جميع ما يخاف اظهاره
فلا تتكلمن به فربما وقعت كلمة استقطت بها عن سلطان اليه
وكانت سبب هلاكك او عن صديق فكانت سبب عداوته او صرت
رهينا لمن سمعها خائفا ان يظهرها فالحزم كتمان الحب والبغض
وكذلك ينبغي ان تكتم سنك فان كنت كبيرا استهرموك وان
كنت صغيرا استحقروك وكذلك مقدار مالك فانه ان كان
كثيرا نسبوك في نفقتك الى البخل وان كان قليلا طلبوا الراحة
منك وكذلك المذهب فانك ان اظهرته لم تأمن ان يسمعه
مخالف فيقطع بكفرك وقد انشدنا محمد بن عبد الباقي البزاز شعرا

× احفظ لسانك لا تبح بثلاثة × سن ومال ما استطعت ومذهب ×
× فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة × بمموه ومخرق ومكذب ×

فصل ٣٨

طال تعجبي من مؤمن بالله عز وجل مؤمن بجزائه يؤثر خدمة السلطان
مع ما يرى من الجور الظاهر فواعجبا ما الذي يعجبه ان كان الذي يعجبه
دنيا فليس ثم الا ان يصاح بين يديه بسم الله وان يتصدر في
المجالس ويلوى عنقه كبرا على النظراء وياخذ الاسحات وهو
يعلم من اين حصل وربما انبسط في البرطيل ثم يقابل هذا ان
يصادر ويعزل مستخرج تلك المرارة منه كل حلاوة كانت في
الولاية وربما كانت قريب الحال فافتقر بالمصادرة جدا ثم

تنطلق الالسنة المادحة بالذم ثم لو سلم من هذا فانه لا يسلم قلبه من الخوف وان كان دينا فانه يعلم انهم لا يمكنونه في الغالب من العمل بمقتضى الدين فانهم يأمرونه بترك ما يجب وفعل ما لا يجوز فيذهب دينه على البارد ولعقاب الآخرة اشق

٢٣٩ فصل

العجب من الذي انف من الذل كيف لا يصبر على حلف الخز ولا يتعرض لمن الانذال اتراه ما يعلم انه ما بقي صاحب مروءة وانه ان سأل سائل بخيلا لا يعطي فان اعطى نزرا فانه يستعبد المعطي باقي العمر بذلك ثم القدر النزر يذهب عاجلا وتبقى المنن والخجل ورؤية النفس بعين الاحتقار اذ صارت سائلة ورؤية المعطي بعين التعظيم ابدا ثم يوجب ذلك السكوت عن معائب المعطي والبدار الى قضاء حقوقه وحدسه فما يغني واعجب من هذا من يقدر ان يستعبد الاحرار بقليل العطاء الفاني ولا يفعل فان الحر لا يشترى الا بالاحسان قال الشاعر

× تفضل على من شئت واعن بامره × فانت ولو كان الامير اميره ×
× وكن ذا غنى عن من تشاء من الورى × ولو كان سلطانا فانت نظيره ×
× ومن كنت محتاجا اليه وذاقنا × على طمع منه فانت اسيره ×

فصل يتضمن

٢٤٠ فصل

يتضمن وصية الشباب ينبغي للصبي اذا بلغ ان يحذر كثرة الجماع لبقي جوهره فيفيده ذلك في الكبر لانه من الجائز ان يكبر والاستعداد للجايز جزم فكيف للغالب فما ينبغي ان يستعد للشتاء قبل هجومه ومتى انفق الحاصل وقت القدرة تاذى بالفقر اليه وقت الفاقة وليعلمه ذو الدين والفهم ان المتعة انما تكون بالقرب من الحبيب والقرب يحصل بالتقبيل والضم وذلك يقوى المحبة ويلد وجودها والوطئ ينقص المحبة ويعدم تلك اللذة وقد كان العرب يعشقون ولا يزنون وطئ المعشوق قال قائلهم × ان نكح الحب فسد × فاما الالتذاذ بنفس الوطئ فشأن البهائم ولقد تأملت المراد من الوطئ فوجدت فيه معنى عجيبا يخفى على كثير من الناس وهو ان النفس اذا عشقت شخصا احبت القرب منه فهي تؤثر الضم والمعانقة لانها غاية في القرب ثم تريد قربا يزيد على هذا فيقبل الخد ثم تطلب القرب من الروح فيقبل الفم لانه منفذ الى الروح ثم تطلب الزيادة فيمص لسان المحبوب وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوشح عائشة ويقبلها ويمص لسانها فاذا طلبت النفس زيادة في القرب الى النفس استعملت الوطئ فهذا سره المعنوي ويحصل منه الالتذاذ الحسي

فصل ٤١

ليس على العوام اضر من سماعهم علم الكلام وانما ينبغي ان يحذر العوام من سماعه والخوض فيه كما يحذر الصبي من شاطئ النهر خوف الغرق وربما ظن العامي ان له قوة يدرك بها هذا وهو فاسد فانه قد زل فيه خلق كثير من العلماء فكيف العوام وما رأيت احمق من جمهور قصاص زماننا فانه يحضر عندهم العوام الغثة فلا ينهوهم عن خمر ولا زنا وغيبة ولا يعلمونهم اركان الصلاة ووظائف التعبد بل يملؤن الزمان بذكر الاستواء وتأويل الصفات وان الكلام قائم بالذات فيتأذى قلبه بذلك من كان قلبه سليما وانما على العامي ان يؤمن بالاصول الخمسة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويقنع بما قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق والاستواء حق والكيف مجهول وليعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكلف الاعراب بسوى مجرد الايمان ولم يتكلم الصحابة بالجواهر والاعراض فمن مات على طريقهم مات مؤمنا سليما من بدعة ومن تعرض لساحل البحر وهو لا يحسن السباحة فالظاهر غرقه

فصل ٤٢

اشد الناس جهلا من جهل ما بالذات واللذات على ضربين

مباحة ومحظورة

مباحة ومحظورة فالمباحة لا يكاد يحصل منها شئ الا بضياع ما هو مهم من الدين فاذا حصلت منها حبه قارنها قنطار من الهم ثم لا تكاد تصفو في نفسها بل مكدراتها الوف فاذا صور عدمها الالوف صار التصوير مغلصما للهوى محربا للنفس فاذا انفت من الاسف على الدوام ما لا يجويه صفة فهي تغر الغمر وتهدم العمر وتديم الاسى ومع هذا فالمهموم كلما عدم لذة طلب اختها وقد عرف خيانة الاولى وجنايتها وهذا مرض العقل وداء الطبع فلا يزال صاحب هذا كذلك الى ان يختطف بالموت فيبقى بقاء ملقا على بساط ندم لا يستدرك فالعجب ممن همته هكذا مع قصر العمر ثم لا يهتم لآخرته التي لذاتها سليمة من شامت منزهة عن عائب دائمة لا الى امد باقية ببقاء الابد وانا يحصل تقريب هذه بابعاد تلك وعمران هذه بتخريب تلك فواعجبا لعاقل حصيف حسن التدبير فاتنه النظر في هذه الاحوال وغفل عن تمييز ما بين هذين الامرين وان كانت اللذة معصية انضم الى ما ذكرناه عار الدنيا والفضيحة بين الخلق وعقوبة الحدود وعقاب الآخرة وغضب الحق سبحانه بالله ان المباحات تشغل عن تحصيل الفضائل فذم ذلك لبيان الحزم فكيف بالمحرمات التي هي غاية الرذائل نسئل الله عز وجل يقظة تحركنا الى منافعنا فتزعجنا من خوادعنا انه قريب مجيب

اى الجاهل

٢٤٣ فصل

تأملت على الخلق واذا فى الاول حالة عجيبة تكاد يقطع معها بفساد العقل وذالك ان الانسان ليسمع المواعظ وتذكر عنده الآخرة فيعلم صدق القائل فيبكى وينزعج على تفريطه ويعزم على الاستدراك ثم يترا خى عمله بمقتضى ماعزم عليه فاذا قيل له اتشك فيما وُعدت به قال لا والله فيقال فاعمل فينوى ذالك ثم يتوقف عن العمل وربما مال الى لذة محرمة وهو يعلم النهى عنها ومن هذا الجنس تأخر الثلاثة الذين خلفوا ولم يكن لهم عذر وهم قبح التأخر وكذالك كل عاص ومفرط فتأملت السبب فى ان الاعتقاد صحيح والفعل بطئ فاذا له ثلاثة اسباب احدها رؤية الهوى العاجل فان رؤيته تشغل عن الفكر فيما يجنيه والثانى التسويف بالتوبة ولو حصل العقل لحذر من آفات التأخر فربما هجم الموت ولم تحصل التوبة والعجب ممن يحذر سلب روحه قبل مضى ساعة لا يعمل على الحزم غير ان الهوى يطيل الأمل وقد قال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودّع وهذا نهاية الدواء لهذا الداء فانه من ظن انه لا يبقى الى صلاة اخرى جد واجتهد والثالث رجاء الرحمة فيرى العاصى يقول ربى رحيم وينسى انه شديد العقاب ولو علم ان رحمته ليست رقة اذ لو كانت لما ذبح عصفورا ولا ألم طفلا وعقابه غير مأمون فانه شرع قطع اليد

الشريفة بسرقة

الشريفة بسرقة خمسة قراريط فنسأل الله عز وجل ان يهب لنا حزما بسبب المصالح جزما

٢٤٤ فصل

نظرت فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لبس الخاتم ثم رمى به وقال شغلنى نظره اليكم ونظره اليه وقوله بينما رجل يتبختر فى حلته مرجلا جمته خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة فرأيت انه لا ينبغى لاحد ان يلبس ثوبا عجبا ولا شيئا من زينته لان ذالك يوجب النظر الى النفس بعين الاعجاب والنفس ينبغى ان تكون دليله للخالق وقد كان قد مات الاحبار فى بنى اسرائيل على العصى لئلا يقع منهم بطر فى المشى ولبست عائشة ام المؤمنين درعا لها رضى الله عنها فاعجبت به فقال لها رسول الله صلى ان الله لا ينظر اليك فى حالتك هذه ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة لها اعلام قال الهتنى هذه عن صلاتى وهذا كله يوجب الاعراض عن الزينة وما يحركه الى الفخر والزهو والعجب ولهذا حرّم الحرير واقول على اسباب هذه ان المرقعات يتنوق منها المتصوفة بالسواك والتلميع وربما اوجبت زهو الملابس اما الحسنها فى ذاتها او لعلمه انها تنبى عنه بالتصوف والزهد وكذالك الخاتم فى اليد وطرز الاكمام والنعال الصارة ولا اقول ان

هذه الاشياء تحرم بل ربما جلبت ما يحرم من الزهو فينبغي
للعاقل ان يتنبه بما قلت في دفع كل ما يحذر من شر وقد
ركب ابن عمر رضي الله عنهما نجيبًا فاعجبه مشيه فنزل وقال
يانافع ادخله في البُدُنِ

٢٤٥ فصل

من اراد اجتماع همته واصلاح قلبه فليحذر من مخالطة الناس
في هذا الزمان فانه قد كان يقع الاجتماع على ما ينفع ذكره فصار
الاجتماع على ما يضر وقد جربت على نفسي مرارا اني احضرها في
بيت العزلة فيجتمع همي ويضاف الى ذلك النظر في سير السلف
فالعزلة حمية والنظر في سير القوم دواء واستعمال الحمية
والدواء عن التخليط نافع فاذا فسحت لنفسي في مجالسة
الناس ولقائهم وفتشت القلب المجتمع وقع الذهول عما كنت
اراعيه وانتقش في القلب ما قد رأته العين وفي الضمير ما
تسمعه الأذن وفي النفس ما تطمع في تحصيله من الدنيا واذا
جمهور المخالطين ارباب غفلة والطبع بمجالستهم يسرق من
طباعهم فاذا اعدت لطلب القلب لم اجده واروم ذلك الحضور
فافقده فيبقى في غمار ذلك اللقاء للناس اياما حتى ما يسلو
الهوى وما فائدة تعرض البناء للنقض فان دوام العزلة
كالبناء والنظر في سير السلف يرفعه فاذا وقعت المخالطة

انتقض ما بنى

انتقض ما بنى في مدة في لحظة وصعب التلافي وضعف القلب
ومن لم يفهم يعرف امراض القلب واعراضه عن صاحبه وخروج
طائره من قفصه ولا يؤمن على هذا المرض ان يكون مرضه
هذا سبب التلف وعلى هذا الطائر المحصور ان لا يقع في
الشبكة وسبب مرض القلب انه كان محميا عن التخليط
مغذيا بالعلم وسير السلف فخلط بالمخالطة فلم يحتمل
مزاجه فوقع المرض فالجد الجد فانما هي ايام وما نرى من يلقى
ولا من يؤخذ منه ولا من تنفع مجالسته الا ان يكون نادرا

ما اعرفه شعر

x ما في الصحاب اخو وجد نطارحه x حديث نجد ولا خل نجاريه x
فالزم خلوتك وراع ما بقيت فاذا قلقت النفس واشتاقت
الى لقاء الخلق فاعلم انها بعد كدرة فرضها ليصير لقاؤهم
عندها مكروها ولو كان عندها شغل بالخالق لما احبت
الرجعة كما ان الذي يخلو بحبيبه لا يؤثر حضور غيره ولو انها
عشقت طريق اليمن لم تلتفت الى الشام

٢٤٦ فصل

تفكرت في سبب هداية من يهتدي وانتباه من يتيقظ من رقاد
غفلته فوجدت السبب الاكبر اختيار الحق سبحانه لذلك
الشخص كما قيل اذا اراد لأمر هيأ له فثارة تقع
اليقظة بمجرد فكر يوجبه نظر العقل فتلمح الانسان

وجود نفسه فيعلم ان لها صانعا وقد طالبه بحقه وشكر
نعمته وخوفه عقاب مخالفته ولا يكون ذلك بسبب ظاهر
ومن هذا ما جرى لاهل الكهف اذ قالوا فقالوا ربنا رب
السموات والارض وفى التفسير ان كل واحد منهم القى فى
قلبه يقظة فقال لابد لهذا الخلق من خالق فاشتد كرب
بواطنهم من وقود نار الحذر فخرجوا الى الصحراء فاجتمعوا عن غير
موعد فكل واحد يسأل الآخر ما الذى اخرجك فتصادقوا
ومن الناس من يجعل الخالق سبحانه وتعالى لذلك السبب
الذى هو الفكر والنظر سببا ظاهرا اما من موعظة يسمعها
ويراك فيحرك منه السبب الظاهر فكرة القلب الباطنة ثم
ينقسم المتيقظون به فمنهم من يغلبه هواه ويقتضيه طبعه
ما يشتهى مما قد اعتاده فيعود القهقرى ولا ينفعه ما حصل
له من الانتباه فانتباه مثل هذا زيادة فى الحجة عليه ومنهم
من هو واقف فى مقام المجاهدات بين الصفين العقل الامر
بالتقوى والهوى المتقاضى بالشهوات فمنهم من يغلب بعد
المجاهدات الطويلة فيعود الى الشر ويختم له به ومنهم من
من يُغْلَب تارة ويَغْلِب اخرى فجراحاته لا فى مقتل ومنهم
من يقهر عدوّه فيسجنه فى حبس فلا يبقى للعدو من الحيلة
الا الوسواس ومن الصفوة اقوام قد تيقظوا اما نائما وعند
سلكوا ما وقفوا فهمتهم صعود وترق كلما عبروا مقاما
الى مقام رأوا نقيص ما كانوا فيه فاستغفروا ومنهم من

يرقى عن الاحتياج الى مجاهدة اما الحسنة ما يدعو اليه الطبع
عنده ولا وقع له واما شرف مطلوب به فلا يلتفت الى عائق عنه
واعلم ان الطريق الموصلة الى الحق سبحانه ليست مما يقطع الاقدام
وانما يقطع بالقلوب والشهوات العاجلة قُطّاع الطريق
والسبيل كالليل المدلهم غير ان عين الموفق بصر فرس لانه
يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء والصدق فى الطلب اينار
جودها يدل على الجادة وانما يتعثر من لم يخلص وانما يمتنع الاخلاص
ممن لا يراد فلا حول ولا قوة الا بالله

٢٤٧ فصل

عجبت لمن يعجب بصورته ويختال فى مشيته وينسى امره انما اوله
لقمة ضمت اليها جرعة ماء فان سئلت فقل كسرة خبز معها
تمرات وقطعة من لحم ومذقة من لبن او جرعة من ماء ونحو
ذلك طبخته الكبد فاخرجت منه قطرات منى فاستقرت
فى الانثيين فحركتها الشهوة فصب فى بطن الام مدة حتى تكاملت
صورتها فخرجت طفلا يتقلب فى خرق البول واما آخره فانه
يلقى فى التراب فيأكله الدود ويصير رفاتا تسفيه السوافى وكم
يخرج تراب بدنه من مكان الى مكان آخر ويقلب فى احوال
الى ان يعود ويجمع هذا خبر البدن انما الروح عليها العمل
فان تجوهرت بالادب وتقومت بالعلم وعرفت الصانع

وقامت بحقه فما يضرها نقض المركب وان هي بقيت على صنعتها
من الجهالة شابهت الطين بل صارت الى اخس حالة منه

فصل ٤٨

هيهات ان يجتمع الهم مع التلبيس بامور الدنيا خصوصا بالشاب
الفقيه الذى قد الف الفقر فانه اذا تزوج وليس له شئ من
الدنيا اهتم بالكسب او بالطلب من الناس فتشتت همته وجاءه
الاولاد فزاد الامر عليه ولا يزال يرخص لنفسه فيما يحصل الى ان
يتلبس بالحرام ومن ينكر فهمته ما يأكله اهله وما يرضى به زوجته
من النفقة والكسوة وليس له ذلك فاى قلب يحضر له واى
هم يجتمع هيهات والله لا يجتمع الهم والعين تنظر الى الناس
والسمع يسمع حديثهم واللسان يخاطبهم والقلب متوزع
فى تحصيل ما لا بد منه فان قال قائل وكيف اصنع قلت ان وجدت
ما يكفيك من الدنيا او معيشة تكفيك فاقنع بها وانفرد فى خلوة
عن الخلق مهما قدرت وان تزوجت فبفقيرة تقنع باليسير
وتصبر انت على صبرتها وفقرها ولا تترك نفسك تطمح الى
من يحتاج الى فضل نفقة فان رزقت امرأة صالحة جمعت
همك وان لم تقدر فالصبر اصلح لك من المخاطرة
وايك والمستحسنات فان صاحبهن اذا سلم كعابد صنم
واذا حصل بيدك شئ فانفق بعضه فيحفظ الباقى

تحفظ شتات

تحفظ شتات قلبك واحذر كل الحذر من الزمان واهله فما
بقى مواس ولا مؤثر ولا من يهتم لسد خلة ولا من لو سئل
اعطى الآن يعطى نزرا يتضجر ومنه يتعبد المعطى بقية العمر
ويتشغله كلما رآه وليستدعى خدمته له ويتردد اليه وانما
كان فى الزمان مثل ابى عمرو ابن جيد سمع اباعثمان المغربى
يقول يوما على المنبر على الف دينار وقد ضاق صدرى فمضى
ابو عمرو اليه فى الليل ومعه الف دينار وقال اقض دينك فلما
عاد وصعد المنبر قال نشكر الله لابى عمرو فانه اراح قلبى و
قضى دينى فقام ابو عمرو وقال ايها الشيخ ذلك المال كان
لوالدتى وقد شق عليها ما فعلت فان رأيت ان تتقدم برده
فافعل فلما كان فى الليل عاد اليه وقال له لماذا شهرتنى بين
الناس وانا ما فعلت ذلك لاجل الخلق فخذه ولا تذكرنى

شعر

ماتوا وغيبوا فى التراب شخوصهم
فانشر مسك والعظام رميم

فالبعد البعد عن من همته الدنيا فان زادهم اليوم الى ان يحصل
اقرب منه الى ان يؤثر ولا تكاد ترى الا عدوا فى الباطن صديق
فى الظاهر شامتا بباطنه حسودا على نعمه فاشتغل العزلة
بما بيعت فان من له قلب اذا مشى فى الاسواق وعاد الى منزله

تغير قلبه فكيف ان عرقله بالميل الى اسباب الدنيا واجتهد
فى جمع الهمّ للبعد عن الخلق ليهو القلب بالتفكر فى المآب
ويتلمح عين البصيرة بما ثم الرحيل

٤٩ فصل

كان المريد فى بداية الزمان اذا اظلم قلبه او مرض لبه قصد زيارة
بعض الصالحين فانجلى ما اظلم واليوم متى حصلت ذرة من
الصدق للمريد فرد نة فى بيت عزلة ووجد نسيما من روح
العافية ونورا فى باطن قلبه وكاد همه يجتمع وشتاته ينتظم
فخرج فلقى من يومى اليه بعلم او زهد راى عنده البطالين
وهو يجرى معهم بتلك الهذيان الذى لا ينفع وراى صورته صورة
منمس واهون ما عليه تضييع الاوقات فى الحديث الفارغ فما
يرجع المريد من ذلك الوطن الا وقد اكتسب ظلمة فى القلب
وشتاتا فى العزم وغفلة من ذكر الآخرة فيعود مرض القلب
يتعب فى معالجته اياما كثيرة حتى يعود الى ما كان فيه وربما
لم يعد لان المريد فيه ضعف فاذا راى شيخا قد جرب وعرف
ثم يؤثر البطالة لم يأمن ان يتبعه الطبع فالاولى للمريد اليوم
ان لا يزور الا المقابر ولا يفاوض الا الكتب التى قد حوت
محاسن القوم وليستعن بالله تعالى على التوفيق لمراضيه فانه
ان اراده هيّاه لما يرضيه

فصل تأملت الذين

٥٠ فصل

تأملت الذين يختارهم الحق عزوجل لولايته والقرب منه
فقد سمعنا اوصافهم ومن لظنه منهم مما رأينا فوجدته سبحانه
وتعالى لا يختار الا شخصا كامل الصورة لا عيب فى صورته ولا
نقص فى خلقته فتراه حسن الوجه معتدل القامة سليمة من
آفة فى بدنه ثم يكون كاملا فى باطنه سخيا جوادا عاقلا غير خب
ولا خادع ولا حسود ولا حقود ولا عيب فيه من عيوب الباطن
فذلك الذى يزيد من صغره فتراه فى الطفولة معتزلا عن
الصبيان كأنه فى الصبا شيخ ينبو عن الرذائل يفزع من النقائص
ثم لا تزال شجرة همته تنمى حتى يرى ثمرها مشهدا لا على
اغصان الشاب فهو حريص على العلم منكمش على العمل محافظ
للزمان مراع للاوقات ساع فى طلب الفضائل غاض
عن النقائص ولو رأيت التوفيق والالهام الربانى كيف
يأخذ بيده ان عثر ويمنعه من الخطأ ان همّ وليستخدمه فى
الفضائل وليستر عمله عنه حتى لا يراه منه ثم ينقسم هؤلاء
فمنهم من تفقه على قدم الزهد او التعبد ومنهم من تفقه على
العلم واتباع السنة ومنهم من تجمع له الكل ويرقيه الى مزاحمة
الكاملين وعلامات ثبات الكمال فى العمل والعلم والاقبال
بالكلية على معاملة الحق ومحبته واستيعاب الفضائل كلها

فلو تصورت النبوة ان تكتسب له خلت فى كسب ومراتب
هذا لا يحتملها الوصف لكنه درة الوجود التى لا تكاد تنعقد
فى الصدف الا فى كل كور ودور نسأل الله عز وجل توفيقا
لمراضيه وقربه ونعوذ به من طرده وابعاده

٢٥١ فصل

اكثر الخلائق على طبع ردى وتقومه الرياضة لا يدرون لماذا
خلقوا ولا المراد منهم وغاية همتهم حصول نهمتهم من اغراضهم
ولا يسألون عند نيلها ما اجتلبت لهم من ذم يبذلون العرض
دون الغرض ويؤثرون لذة ساعة وان اجتلبت زمان
مرض يلبسون عند التجارة ثياب محتال فى شعار محتال
ويلبسون فى المعاملات ويسترون الحال ان كسبوا فشهوة
وان اكلوا فشهوة ينامون الليل وان كانوا نياما النهار فى
المعنى ولا نوم يهد الصورة فاذا اصبحوا اسعوا فى تحصيل
شهواتهم بحرص خنزير وتبصبص كلب وتملق هرة وافتراس
اسد وغارة ذئب وروغان ثعلب ويتأسفون عند الموت
على فقد الهوى لا على عدم التقوى ذلك مبلغهم من العلم كيف يفلح
من يؤثر ما يراه بعينه على ما يبصره بعقله وما يدركه بصره اعز
عنده مما يراه ببصيرته تالله لو فتحوا اسماعهم لسمعوا هاتف

الرحيل فى زمان

الرحيل فى زمان الاقامة يصيح فى عرصات الدنيا تلمحوا تفويض خيام
الاوائل لكن غمرهم سكر الجهالة فلم يفيقوا الا بضرب الحد

٢٥٢ فصل

رأيت بعض المتقدمين سئل عن من يكسب حلالا وحراما من
السلاطين والامراء ثم يبنى المساجد والاربطة هل له فيها
ثواب فافتى بما فيه يطيب خاطر المنفق وان له فى انفاق
ما لا يملكه نوع سمسرة لانه لا يعرف اعيان المعصومين فيرد
فقلت واعجبا من متصدين للفتوى لا يعرفون اصول
الشريعة ينبغى ان ينظر فى حال هذا المنفق اولا فان كان سلطانا
فما يخرج من بيت المال قد عرفت وجوه مصارفه فكيف يمنع
مستحقه ويشغله بما لا يفيد من بناء مدرسة ورباط
وان كان المنفق من الامراء ونواب السلاطين فانه يجب
ان يرد ما يجب رده الى بيت المال وليس فيه الا ما فرض
من ايجاب يليق به فان تصرف فى غير ذلك كان مصروفا
فيما ليس له ولو اذن له كان الاذن جائزا وان كان قد
اقطع ما لا يقاوم عمله كان ما يأخذه فاضلا من اموال المسلمين
لا حق له فيه وعلى من اطلقه فى ذلك اثم ايضا من اذا اسلم
المال وكان من حله فاما اذا كان حراما او غصبا فكل

تصرفه فيه حرام والواجب رده على من اخذه منه او على ورثتهم
فان لم يعرف طريق الى الرد كان فى بيت مال المسلمين يصرف
فى مصالحهم او يصرف فى الصدقة ولم يحظ آخذهُ بغير الأثم
انبانا احمد بن الحسن بن البنا قال اخبرنا محمد بن على الزجاجي
قال اخبرنا عبد الله بن محمد الأسدى قال اخبرنا على بن
الحسن قال حدثنا ابو داود قال حدثنى محمد بن عون الطائى
قال حدثنا ابو المغيرة قال حدثنا الاوزاعى قال حدثنى موسى بن
سليمان قال سمعت القاسم بن مخيمرة يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالا فى مأثم فوصل رحما او
تصدق به او انفقه فى سبيل الله تعالى جمع ذلك جميعا
فقذف به فى جهنم فأما اذا كان البانى تاجرا مكتسبا للحلال
فبنى مسجدا او وقف وقفا للمتفقهة فهذا مما يثاب عليه و
يبعد من يكسب الحلال حتى يفضل عنه هذا المقدر ويخرج
الزكاة مستقصاة ثم يطيب قلبه بمثل هذا البناء والنفقة اذ
مثل هذا البنيان لا يجوز ان يكون من زكاة واين سلامة النية
وخلوص القصد وان بناء المدارس اليوم مخاطرة اذ قد انعكف
اكثر المتفقهة على علم الجدل واعرضوا عن علوم الشريعة وتركوا
التردد الى المساجد واقتنعوا بالمدارس والانقاب واما بناء
الاربطة فليس بشئ اصلا لان جمهور المتصوفة جلوس على
بساط الجهل والكسل ثم يدعى مدعيهم المحبة والقرب و

يكره التشاغل

يكره التشاغل بالعلم وقد تركوا سيرة سرى وعادة الجنيد
واقتنعوا باداء الفرائض ورضوا بالمرقعات فلا تحسن اعانتهم
على بطالتهم وراحتهم ولا ثواب فى ذلك

٥٣ فصل

عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد يرجو بذلك قربه من قلوبهم
وينسى ان قلوبهم بيد من يعمل له فان رضى عمله ورآه خالصا الفت
القلوب اليه وان لم يره خالصا اعرض بها عنه ومتى نظر العامل
الى التفات القلوب اليه فقد زاحم الشرك لانه ينبغى ان يقتنع
بنظر من يعمل له ومن ضرورة الاخلاص الفات القلوب اليه
فذاك يحصل لا بقصده بل بكراهته لذلك وليعلم الانسان
ان اعمال كلها يعلمها الخلق جملة وان لم يطلع عليها فالقلوب
تشهد للصالح بالصلاح وان لم تشاهد منه ذلك وتشهد
للطالح بحاله وان لم يشاهد منه ذلك فاما من يقصد روية
الخلق بعمله فقد مضى العمل ضائعا لانه غير مقبول عند الخالق
ولا عند الخلق لان قلوبهم قد التفتت عنه فقد ضاع العمل
وذهب العمر ولقد اخبرنا ابن الحصين قال اخبرنا ابن المذهب
قال اخبرنا احمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن احمد قال
حدثنى ابى قال حدثنا حسن بن موسى قال حدثنا ابن لهيعة
قال حدثنا دراج عن ابى الهيثم عن ابى سعيد الخدرى عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان احدكم يعمل فى صخرة صماء ليس
لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان فليتق الله
العبد وليقصد من ينفعه قصده ولا يتشاغل بمدح من عن
قليل يلى به هو وهم

٥٤ فصل

قدم علينا بعض الفقهاء من بلاد الاعاجم وكان قاضيا ببلده فرأيت
على دابته الذهب ومعه انوار الفضه واشياء كثيرة من المحرمات
فقلت اى شئ افاد هذا العلم بل والله قد كثرت عليه الحجج واكبر
الاسباب قلة علم هؤلاء لسيرة السلف وما كان عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انهم يجهلون الجملة ولكنهم يتشاغلون
بعلم الخلاف ويقصدون التقدم ولاسماع حديث ولا بالنظر
فى سير السلف ويخالطون السلاطين فيحتاجون الى التزيى بزيهم
فربما خطر لهم ان هذا يحتمل ويغفر فى جانب تشاغلنا بالعلم
ثم يرون بكرههم لنيل شئ من دنياهم ولا ينكرون عليهم
ولقد رأيت من الذين ينتسبون الى العلم يستصحب المردان
ويشترى المماليك وما كان من يفعل هذا الا من قد يئس من
الآخرة ورأيت من بلغ الثمانين من العلماء وهو على هذه الحالة
فالله الله يا من يريد حفظ دينه ويوقن بالآخرة اياك
والتأويلات الفاسدة والأهواء الغالبة فانك ان ترخصت

بالدخول فى بعضها

٧ قريب وان لم يخطر لهم فالهوى غالب بلا صاد وربما خطر لهم ان هذا ع

بالدخول فى بعضها جرى الامر الى الباقى ولم تقدر على الخروج لموضع
الف الهوى فاقبل نصحى واقنع بالكسرة وابعد عن ارباب
الدنيا فاذا ضج الهوى فزعة لهذا وربما قال لك فالامر
الفلانى قريب فلا تغفل فانه يدعو الى غيره ويصعب التلافى
فالصبر الصبر على شظف العيش والبعد عن ارباب الهوى
فما يتم دين الا بذلك ومتى وقع ترخص حمل الى غير كالساطئ
الى اللجة وانما هو طعام دون طعام ولباس دون لباس
ووجه اصبح من وجه وانما هى ايام يسيرة

٥٥ فصل

من تفكر فى عظمة الله عز وجل طاش عقله لانه يحتاج ان
يثبت موجودا لا اول لوجوده وهذا شئ لا يعرفه الحس
وانما يقربه العقل ضرورة وهو متحير بعد الاقرار ثم يرى من
افعاله ما يدل على وجوده فلا يخفى وجوده ثم يجرى فى
اقداره امورا ولا ثبوت الدليل على وجوده لاوجبت الجحد
لانه يفرق البحر لبنى اسرائيل وذلك لا شئ لا يقدر عليه سوى
الخالق ويصير العصا حية تسعى ثم يعيدها عصى وتتلقف
ما صنعوا ولا يزيد فيها شئ فهل بعد هذا بيان فاذا آمن
السحرة تركهم مع فرعون يصلبهم ولا يمنع الانبياء يبتلون

بالجوع والقتل وزكريا بنشر ويحيى تقتله زانية ونبينا محمد صلى الله
عليه وسلم يقول كل عام من يؤذيني من ينصرني فيكاد الجاهل يوجوز
الخالق ان يقول لوكان موجودا لنصر اوليائه فينبغي للعاقل
الذى ثبتت عنده وجوده بالادلة الظاهرة الجليه ان لا يمكن
عقله من الاعتراض عليه فى افعاله ولا يطلب لها علة اذ قد ثبت
انه مالك وحكيم فاذا خفي عليه وجه الحكمة فى فعله نسبنا
العجز الى فهومنا وكيف لا وقد عجز موسى عليه السلام ان يعرف
حكمة خرق السفينة وقتل الغلام فلما بان له ذالك الفساد
والظاهر اقر فلو قد بانت الحكمة فى افعال الخالق جحد العقل
جحد موسى يوم الخضر فمتى رأيت العقل يقول لم فاخرسه
بان تقول له يا عاجز انت ماتعرف حقيقة نفسك فما لك
والاعتراض على المالك وربما قال العقل اى فائدة فى الابتلاء
وهو قادر ان يثيب ولا ابتلاء واى غرض فى تعذيب اهل النار
وليس ثم تشفي فقيل له حكمته فوق مرتبتك فسلم لما
لا تعلم فان اول من اعترض بعقله ابليس فرأى فضل النار
على الطين فاعترض وقد رأينا كثيرا وسمعنا عنهم انهم يقدحون
فى الحكمة لانهم يحكمون العقول على مقتضاها وينسون ان
حكمة الخالق ورآء العقول فاياك ان تفسح لعقلك فى
تعليل او ان تطلب له جواب اعتراض وقل له سلم تسلم

فانك لا تدرى

فانك لا تدرى غور البحر الا وقد ادركك الغرق قبل ذالك هذا
اصل عظيم متى فات الآدمي اخرجه الاعتراض الى الكفر

فصل ٥٦

العجب ممن يقول اخرج الى المقابر فاعتبر اهل البلا ولو فطن لعلم
انه مقبرة يغنيه الاعتبار بما فيها عن غيرها خصوصا من قد اوغل
فى السن فان شهوته ضعفت وقواه قلت والحواس كلت والنشاط
فقر والشعر ابيض فليعتبر بما فقد ويستغني عن ذكر منه فقد
وقد اغنى بما عنده من التطلع الى غيره

فصل ٥٧

متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا فتخال الجسم وقوى السقم
فاستد الحزن لان العقل كلما تلمح العواقب اعرض عن الدنيا
والتفت الى ما تلمح ولا لذة عنده بشئ من العاجل وانما
يلتذ اهل الغفلة عن الآخرة ولا غفلة لكامل العقل ولهذا
لا يقدر على مخالطة الخلق لانهم كانهم من غير جنسهم كما قال الشاعر

× ما فى الديار اخو وجد نطارحه × حديث وجد ولا خل نجاريه

فصل ٥٨

ادعى الطبايعيون ان مادة الموت جميع ذات الماء والتراب والنار
والهوى فاذا كان فى القيامة اذهب الأصول ثم اعاد الحيوان
ليعلم انها كانت بالقدرة لا عن تأثير الكليات ومن قدح فى

الحكمة فى البعث فقد بالغ فى القدح ومن قال الروح عرض فقد
جحد البعث لان العرض لا يبقى والاجساد تصير ترابا فا
وجد شئ فهو ابتداء خلق كلا والله بل يعيد النفو
بدليل اعادة مذكوراتها قال قائل منهم انى كان
ان لطفه فى البداية دليل على النهاية ح
اللبن فى الثدى وانشاء الاطعمة
افيحسن ان يقال بعد هذا التدبير انه يهمل بعد الموت
فلا يبعث اثره من احب ان يعرف فانك
كنت كنزا لا اعرف فاحببت ان اعرف
فيجهل قدره سبحان من اعمى القلو

٢٥٩ فصل

سبحان من ظهر لخلقه حتى لم يبق خفاء ثم خفى حتى كأنه لا ظهور
اى ظهور اجلا من هذه المصنوعات التى كلها تنطق بان لها صانعا
صنعها ورتبها على قانون الحكمة خصوصا هذا الآدمى الذى
انشأه من قطرة وبناه على اعجب فطره ورزقه الفهم والذهن
واليقظة والعلم وابسط له المهاد واجرى له الماء والريح
واجرى له الزرع ورفع من فوقه السماء واوقد له مصباح
الشمس بالنهار وجاء بالظلمة ليسكن الى غير ذالك مما لا يخفى
وكله ينطق بصوت فصيح يدل على خالقه وقد تجلى الخالق

سبحانه بهذه

سبحانه بهذه الافعال فلا خفاء ثم بعث الرسل فقرأ من الدنيا
ضعفاء الابدان فقهر بهم الجبابرة واظهر على ايديهم من المعجزات
ما لا يدخل تحت مقدور البشر وكل ينطق وقد تجلى سبحانه
بذالك ثم يأتى موسى عليه السلام الى البحر فينصرف فلا يبقى
شك فى ان الخالق فعل هذا ويكلم عيسى عليه السلام الميت
فيقوم ~~سبحانه~~ ويبعث طيرا ابابيل تحفظ بيته فيهلك قاصديه
وهذا امر يطول ذكره كله يدل على تجلى الخالق سبحانه بغير
خفاء فاذا ثبت عند العقول ذالك من غير ارتياب ولا
شك جائت اشياء كانها تنشر الظاهر على ما سبق
من تسليط الاعداء على الاولياء واذا ثبت التجلى بادلة
لا تحتمل التأويل علمت ان لهذا الخفاء سبب لا يعلمه معترض
على العقل فيه التسليم للحكيم فمن سلم سلم ومن اعترض
هلك

٢٦٠ فصل

قد يدعى اهل مذهب الاجتهاد فى طلب الصواب والكل هم لا
يقصد الا الحق فيرى الراهب يتعبد ويتجوع واليهود يذل
ويؤدى الجزية وصاحب كل مذهب يبالغ فيه ويحتمل
الضيم والأذى طلبا للتهدى وتحصيل الاجر ومع هذا فيقطع

بضلال الاكثرين وهذا قد يشكل وانما كشفه انه ينبغي ان
يطلب الهدى باسبابه ويستعمل الاجتهاد بآلاته فاما من
فاته الاسباب او فقد بعض الآلات فلا يقال له مجتهد فاليهود
والنصارى بين عالم قد عرف صدق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يمسك لرئاسته فهذا بين معاند وبين مقلد لا ينظر
فهذا مهمل فهو يتعبد مع اهمال الاصل فهذا لا ينفع وبين
ناظر منهم لا ينظر حق النظر فيقول في التوراة ان ديننا
لا ينسخ وهو على غير ثقة ان هذا غير معمول ولا مدخل
فيها ويقول النسخ ذا ولا ينظر في الفرق فينبغي ان ينظر
حق النظر ومن هذا الجنس تعبد الخوارج مع اقتناعهم بعلمهم
القاصب وقولهم لا حكم الا لله ولم يفهموا ان التحكيم
من حكم الله فجعلوا قتال علي رضي الله عنه وقتله مبنيا
على ظنهم الفاسد ولما نهاهم مسلم بن عقبة المدينة
وقتل الخلق قال ان دخلت النار بعد هذا انني لشقي فظن
بجهله انهم لما خالفوا بيعة يزيد يجوز استباحتهم وقتلهم
فالويل لعالم قليل العلم لا يتهم نفسه في واقعة ولا يذاكر
به من هو اعلم منه بل يقطع بظنه ويقدم وهذا اصل
ينبغي تأمله فقد هلك زاهما له خلق كثير لا تحصى وقد

رأينا خلقا من

رأينا خلقا من العوام اذا وقع لهم واقعة لم يقبلوا فتوى
وجوه يومئذ ناصبة عاملة تصلى نارا حامية

٦١ فصل

للنفس ذخائر في البدن منها الدم والمني واشياء تقوى بها
فاذا فقدت الذخائر ولم يبق منها شئ ذهبت ومن ذخائرها
التقوى بالمال والجاه وما يوجب الفرح فاذا فقدت ذلك
وكانت عزيزة ذات انفة خرجت وقد يهجم عليها الخوف
فلا تجد ذخيرة من الرجاء مقاومة فتذهب ويغلب عليها
الفرح فلا تجد من الحزن ما يقاومه فتذهب فاجتهد في حفظ
ذخائرها وخصوصا الشيخ فانه ينبغي له ان لا يفرط باخراج
الدم ولا يرى اخراج المني وان وجد شبقا الا ان يكون
الشبق زائدا في الحد فيخرج المؤذي في كل حين وعلامته
ان يكون مؤذيا وجود الراحة عند خروجه فمتى وجد ضعفا
فقد آذى خروجه وليحفظ ذو الانفة على نفسه حشمته
بان لا يقف في موقف يعاب به فانه يتمتع بذخيرة العز
والانفة ويضاد النفس وجود ضد ذلك وكذلك
ينبغي ان يستعد لآخر عمره مالا مخافة ان يحتاج فيذل
او يسعى وقد كلت الآلة ولم يخلفها لعدوه اولى من ان يحتاج

الى صديقه ولا تلتفت الى من يذم المال فانهم الحمقى الجهال الذين اتكلوا على خبز الراحة واستطابوا الكسل والدعة ولم يألفوا من تناول الصدقة ولا من التعرض الى السؤال وقد كان لكل نبى معاش ولجميع الصحابة وخلفوا اموالا كثيره فافهم هذا الاصل ولا تلتفت الى كلام الجهال

فصل ٦٢

رأيت فى زهاد زماننا من الكبر وحفظ الناموس وتربية الجاه فى قلوب العامة ما كدت اقطع به على انهم اهل رياء ونفاق فترى احدهم يلبس الثوب الدنى ليرى بعين الزهد ويأكل اطائب الطعام ويتكبر على ابناء الجنس ويصادق الاغنياء ويباعد الفقراء ويحب الخطاب لمولانا ويمشى بحاجب ويضيع الزمان فى الهذيان ويتقوت بخدمة الناس له والتسليم عليه ولو انه لبس ثوبا يخلطه بالفقهاء لذهب الجاه ولم يبق له متعلق ولو ان افعاله ناسبت ثيابه لهان الامر لكن بهرجوا على من لا يخفى عليه من الخلق فكيف الخالق سبحانه وتعالى

فصل ٦٣

كثيرا ما اعيد هذا المعنى الذى انا ذاكره فى هذا الكتاب بعبارات

ينبغى للمؤمن

ينبغى للمؤمن ان يتشاغل بمعاش ويرفق فى نفقته فانه قد كان للعلماء من بيت المال شئ ورفقا من الاخوان ومعونة من العوام فانقطع الكل وبقى المتشاغل بالعلم او بالتعبد مسكينا خصوصا ذو العائلة وما رأينا مثل هذا الزمان القبيح فما بقى من يومى اليه بمعونة ولا باستقراض منه فيحتاج الانسان ان يدخل فى مداخل لا تليق به وان يتعرض بما لا يصلح فينبغى تقليل العائلة وتقويت القوت وترقيع الخلق وان امكن معاش فهو اولى من التشاغل بالتعبد والتعليم لفضول العلم والاضاع الدين فى مداخل لا تصلح او التعرض لبذل نذل

فصل ٦٤

ينبغى للعاقل ان يحترز غاية ما يمكنه فاذا جرى القدر مع احترازه لم يلم والاحتراز من كل شئ يمكن وقوعه واخذ العده لذلك وهذا يكون فى كل حال قد قص رجل ظفر افخاف عليه فحنثت يده فمات ومر شيخنا احمد الحزبى وهو راكب بمكان ضيق فنظا طائر على السرج فانعصر فؤاده فمرض فمات وكان يحيى بن نوار شيخنا يحضر مجلسى قد طرأ عليه ثقل الأذن فاستدعى طرفيا فمص اذنه فجرى شئ من مخه فمات وانظر الى احتراز رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر على حائط

مآئل فاسرع وينبغي ان يحترز بالكسب في زمن شبابه ادخارا
لزمن شيبه ولاينبغي ان يثق بمعامل الا بوثيقه ويبادر
بالوصيه مخافة ان يطرقه الموت ويحترز من صديقه فضلا
من عدوه ولايثق بمودة من قد آذاه هو فان الحقد في القلوب
لايزول ويحترز ليحترز من زوجته فربما اطلعها على سر طلقها
فيتأذى بما تفعل به وقد كان ابن افلح الشاعر يكاتب رئيسا
في زمن المسترشد فعلم بذالك بوابه واتفق انه صرف بوابه
فنم عليه فنقضت داره فهذه المذكورات امثلة تنبه على
مالم يذكر واهم الكل ان يحترز باخذ العده وتحقيق التوبة
قبل ان يهجم مالم يؤمن هجومه وليحذر من لص الكسل فانه محتال
على سرقة الزمان

٦٥ فصل

تأملت خصومات الملوك وحرص التجار ونفاق المتزهدين فوجدت
جمهور ذالك على لذات الحس واذا تفكر العاقل في ذالك علم ان
امر الحسيات قريب يندفع باقل شئ وان الغاية لايمكن نيلها
وان بالغ عاد بالاذى على نفسه اضعاف مانالة من اللذة كمن
ينكح كثيرا ويأكل كثيرا فالسعيد من اهتم لحفظ دينه واخذ من
ذالك بمقدار الحاجة واعجبا هذا الملبوس اذا كان وسطا

خدم واذا كان

خدم واذا كان مرتفعا خديم فان نظر اللابس اليه معجبا به فان
الله لاينظر اليه حينئذ في الصحيح بينا رجل يفتخر في بردته خسف
به وهو ان المشروب ان كان حراما فعقابه اضعاف لذته
وهتكه العرض بين الناس عقاب آخر وان كان مباحا فالشره
فيه يؤذي البدن واما المنكوح فمدارات المستحسن يؤذي فوق
كل اذى ومقاساة المستقبح اشد اذى فعليك بالمتوسط
وتفكر في احوال السلاطين كيف قتلوا ظلما وكم ارتكبوا حراما
ومانالوا الا يسيرا من لذات الحس فانقشع ذميم العمر عن حسرات
الفضائل وحصول العقاب فليس في الدنيا اطيب عيشا من
منفرد عن العالم بعلمه فهو انيسه وجليسه وقد قنع بها يسلم
به دينه من المباحاة الحاصلة لا عن تكلف ولا تضييع دين
فارتدى بالعز عن الدنا بالدنيا واهلها والتحق بالقناعة باليسير
اذا لم يقدر على الكثير فوجدته يسلم دينه ودنياه واشتغاله
بالعلم يدله على الفضائل ويفرجه في البساتين فهو يسلم من
الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة ولكن لايصلح هذا
الا للعالم فانه اذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتحفظ

٦٦ فصل

تأملت حالة تدخل على ~~الطلاب~~ طلاب العلم توجب الغفلة عن
المقصود وهو حرصهم على كتابة العلم خصوصا المحدثين فيستغرق
زمانهم عن ان يحفظوا ويفهموا فيذهب العمر وقد عروا عن العلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

الا اليسير فمن وفق جعل معظم الزمان مصروفا فى الاعادة والحفظ وجعل وقت التعب عن التكرار للنسخ فيحصل له المراد والموفق من طلب المهم فان العمر يعجز عن تحصيل الكل وجمهور العلوم الفقه وفى الناس من حصل له العلم وغفل عن العمل بمقتضاه وكأنه ما حصل شيئا نعوذ بالله من الخذلان

٢٦٧ فصل

ما اعتمد احد امرا اذا همه بشئ مثل التثبت فانه متى عمل بواقعة من غير تأمل للعواقب كان الغالب عليه الندم ولهذا امر بالمشاورة لان الأنسان قد يرى ما ليس يُرى والتثبت من جنس المشاورة لان الانسان بالتثبت يتفكر فيعرض على نفسه بالتفكر للاحوال فكأنه شاور وقد قيل * خير الراى خرجت فطيره واشة الناس تفريطا من عمل ما مبادرة واقعة من غير تثبت ولا استشارة خصوصا فيما يوجبه الغضب فانه يجلب الهلاك او الندم العظيم وكم من غضب فقتل وضرب ثم لما سكن غضبه بقى طول دهره فى الحزن والبكاء والندم والغالب فى القاتل يقتل فتفوت الدنيا والآخرة فكذلك من عرضت له شهوة فاستعجل لذتها ونسى عاقبتها فكم من ندم يتجرعه فى باقى عمره وعقابه يستقبله بعد موته وعقاب لا يؤمن وقوعه كل ذلك للذة لحظة كانت كبرق فالله الله التثبت التثبت فى كل الأمور والنظر فى عواقبها خصوصا الغضب المثير للخصومة وتعجيل الطلاق

٢٦٨ فصل

سألنى سائل

٢٦٨ فصل

سألنى سائل فقال قد قال بعض الحكماء من لم يحترز بعقله من عقله هلك بعقله * فما معنى هذا فبقيت مدة لا ينكشف لى المعنى ثم اتضح وذلك انه اذا طلبت معرفة ذات الخالق سبحانه من العقل فزع الى الحس فوقع التشبيه فالاحتراز من العقل بالعقل هو انه ينظر فيعلم انه لا يجوز ان يكون جسما ولا مشبها لشئ واذا نظر العاقل الى افعال البارى سبحانه رأى اشياء لا يقتضيها مثل الآلام والذبح للحيوان وتسليط الاعداء على الاولياء مع القدرة على المنع والابتلاء بالمجاعة للصالحين والمعاقبة على الذنب بعد البعد لزلة فى اشياء كثيرة ومن هذا الجنس يعرضها العقل على العادات فى تدبيره فيرى انه لا حكمة تظهر له فيها فالاحتراز من العقل بان يقال له اليس قد ثبت عندك انه مالك وانه حكيم وانه لا يفعل شيئا عبثا فيقول بلى فيقال فنحن نحترز من تدبيرك الثانى بما ثبت عندك لم فى الاول لم يبق الا انه يخفى عليك وجه الحكمة فى فعله فيجب التسليم له لعلمنا انه حكيم فحينئذ يذعن ويقول قد سلمت وكثير من الخلق نظروا لمقتضى واقع العقل الاول فاعترضوا حتى ان العامى يقول كيف قضى علىّ سوء عاقبتى ولم ضيق رزقى وما وجه الحكمة فى ابتلاء فى فنون الابتلاء ولو انه تلمح انه مالك حكيم لم يبق

الا التسليم لما خفى ولقد انس ببدرة العقل خلق من الأكابر
اوّلهم ابليس فانه رأى تفضيل النار على الطين فاعترض و
رأينا خلقا من نسب الى العلم قد زلّوا فى هذا واعترضوا وراوا
ان كثيرا من الافعال لا حكمة تحتها والسبب ما ذكرنا وهو الانس
بنظر العقل فى البديهة والعادات والقياس لافعال المخلوقين
ولو استخرجوا علم العقل الباطن وهو انه قد ثبت الكمال للخالق
ونفى عنه النقائص وعلم انه حكيم لا يعبث لبقى التسليم لما لا يعقل
واعتبر هذا بحال الخضر وموسى عليهما السلام فانه لما فعل الخضر
اشياء تخرج عن العادات انكر موسى ونسى اعلامه له بانى
انظر فيما لا يعلمه من العواقب فاذا خفيت مصلحة العواقب
على موسى عليه السلام مع نخلوق فاولى ان يخفى علينا كثير من
حكمة الحكيم الخالق جل جلاله وهذا اصل ان لم يثبت عند الانسان
اخرجه الى الاعتراض والكفر وان ثبت استراح عند نزول
كل آفة

٦٩ فصل

بلغنى عن بعض الكرماء ان رجلا سأله فقال انا احسنت اليه
فى يوم كذا وكذا فقال مرحبا بمن يتوسل الينا بنا ثم قضى حاجته
فاخذت من ذلك اشارة فاجبت بها فقلت انا الذى هديته
من زمن الطفولة وحفظته من الضلال وعصمته من كثير من
الذنوب والهمة

الذنوب والهمته طلب العلم لا يفهم الشرف لموضع الصغر ولا
لحب والده ورزقته فهما لتفقهه وتصنيفه وهيأت له اسبابا
جمعه وقمت برزقه من غير تعب منه ولا ذل للخلق بالسؤال
وحميت عنه الاعداء فلم يقصده جبار فسلم وجمعت له ما لم
يجمع لاكثر الخلق من فنون العلوم التى لا تكاد تجتمع فى شخص
واضفت اليها تعلق القلب بمعرفتك ومحبتك وحسن العبادة
ولطفها فى الدلالة عليك ووضعت له فى القلوب القبول حتى
ان الخلق يُقبلون عليه ويقبلون ما يقوله ولا يشكون فيه ويتناقون
الكلام ولا يدركهم الملل منه وصنعته بالعزلة عن مخالطة من
لا يصلح وانسته فى خلوته بالعلم تارة وبمناجاتك اخرى
وان ذهبت اعدد لم اقدر على احصاء عشير العشير وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها فيا محسنا الى قبل ان اطلب لا تخيب
املى فيك وانا اطلب فبانعامك المتقدم اتوسل اليك

٧٠ فصل

سبحان من جعل الخلق بين طرفى نقيض والمتوسط منهم بين
منهم من يغضب فيقتل ويضرب ومنهم من هو آلة لقوة الحكم
لا يؤثر عنده السيب ومنهم شرِه يتناول كلما يشتهى ومنهم
متزهد يتجحف فيمنع النفس حقها وكذلك سائر الاشياء
والمحمود منها المتوسط فالمنفق كلما يجد فهو مبذر والبخيل

يحبئ المال ويمنع نفسه حظها ومعلوم ان المال لايراد
لنفسه بل للمصالح فاذا بذر الانسان فيه احتاج الى بذل وجهه
ودينه ومنّة البخلاء عليه وهذا لايصلح ولئن يخلف الانسان
لعدوّه احسن بما يحتاج الصديق فى الناس من يبخل ثم
يتفاوتون فى البخل حتى ينتهى بالبخلاء الامر الى عشق عين المال
فربما احدهم هزلا ولا ينفقه فيأخذه الغير وندم المخلف ولقد
بلغنى فى هذا ماليس فوقه مزيد ذكرته لتعتبر به فحدثنى
شيخنا ابو الفضل بن ناصر عن شيخه عبد المحسن الصورى
قال كان بصور تاجر فى غرفة له يأخذ كل ليلة من البقال رغيفين
وجوزه فيدخل الى غرفته وقت المغرب فيضرم النار فى
الجوزة فتضى بمقدار ماينزع ثوبه وفى زمان احراق القشر
قد استوت فيمسح بها الرغيفين ويأكلهما فبقى على هذا مدة
فمات فاخذ منه ملك صرر ثلاثين الفا ورأيت ان رجلا
من كبار العلماء قد مرض فاستلقى عند بعض اصدقائه ليس
له من يخدمه ولا يرفقه وهو مضر فلما مات وجد بين كتبه
خمسمائة دينار وحدثنى ابو الحسن الراندسى قال مرض رجل
عندنا فبعث الى فحضرته فقال قد ختم القاضى على مالى فقلت
ان شئت قمت وفتحت الختم واعطيتك الثلث تفرقه وتعمل
به ماتشاء فقال لا والله ما اريد ان افرقه بل اريد مالى يكون
عندى فقلت مايعطونك بل انا آخذ لك الثلث فقال

لا اريد فمات واخذ

لا اريد فمات واخذ ماله قال وجاء رجل فحدثنى بعجيبة فقال
مرضت حماتى فقالت اريد ان تشترى لى خبيصا فاشتريت لها
وكانت ملقاة فى صفة ونحن فى صفة اخرى فجاءنى ولدى
الصغير وقال ياسيدى انها تبلع الذهب فقمت واذا بها تجعل
الدينار فى شئ من الخبيص فتبلعه فامسكت يدها وزجرتها
عن هذا فقالت انا اخاف تتزوج على بنتى فقلت ما افعل
فقالت احلف لى فحلفت فاعطتنى باقى الذهب ثم ماتت فدفنتها
فلما كان بعد اشهر مات لنا طفل فحملناه اليها واخذت معى خرقة خام
وقلت للحفار اجمع لى عظام تلك العجوز فجمعها فى الخرقة فجئت
بها الى البيت وتركتها فى اجانة وصببت عليها الماء وحركتها
فاخرجت ثمانين دينارا او نحوها كانت قد ابتلعتها وحكى
لى صديق لنا ان رجلا مات ودفن فى الدار ثم ندبس بعد مدة
ليخرج فوجدوا تحت رأسه لبنة مقبرة فسئل اهله عنها
فقالوا هو قبيرة هذه اللبنة واوصى ان تترك تحت رأسه
فى قبره وقال ان اللبن يبلى سريعا وهذه لموضع القار لاتبلى
فاخذوها فوجدوها رزينة فكسروها ووجدوا فيها تسعمائة
دينار فقولها اصحاب التركات وبلغنى ان رجلا كان يكنس
المساجد ويجمع ترابها ثم ضرب به لبنا فقيل له هذا الذى شئ
فقال هذا تراب مبارك واريد ان يجعلوه على لحدى

فلما مات جعل على لحده ففضل منه لبنات فرموها فى البيت فجاءه المطر
فتسخت اللبنات فاذا فيها دنانير فمضوا وكسفوا اللبن عن لحده
وكله مملوءة دنانير ولقد مات بعض اصحابنا وكنت اعلم له مالاً
كثيرًا وطال مرضه فما اطلع اهله على شئ ولا اكاد اشك انه من شحه
وحرصه على الحياة ورجائه انه يبقى لم يعلمهم بمدفونه خوفا ان
يؤخذ فيجيء هو وقد اخذ المال وما يكون بعد هذا الخزى شئ
وحدثنى بعض اصحابنا عن حالة شاهدها فى هذا الفن قال
كان فلان له ولدان ذكران وبنت وله الف دينار مدفونة فمرض
مرضًا شديدًا فاحشوشته اهله فقال لاحد ابنيه لا تبرح من
عندى فلما خلا قال له ان اخاك مشغول باللعب بالطيور و
ان اختك لها زوج تركى ومتى وصل من مالى اليهما شئ انفقوه
فى اللعب وانت على سيرتى واخلاقى ولى فى الموضع الفلانى الف
دينار فاذا انامت فخذها وحدك بالوفاشتد بالرجل المرض
فمضى الولد فاخذ المال فعوفى الاب فجعل يسئل الولد ان يرد
اليه المال فلا يفعل فمرض الولد واشتهى فجعل الاب يتضرع اليه و
يقول ويحك خصصتك بالمال دونهم فتموت فيذهب المال
ويحك لا تفعل فما زال به حتى اخبره بمكانه فاخذه ثم عوفى الولد
ومضت مدة فمرض الاب فاجتهد الولد ان يخبره بمكان المال و
بالغ فلم يخبره فمات وضاع المال فسبحان من اعدم من هؤلاء العقول
والفهوم ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا

٧١ فصل

كان لنا اصدقاء واخوان فرأيت منهم من الجفا وترك شروط الصداقة
والأخوة عجائب فاخذت اعتب ثم انتبهت لنفسى فقلت وما
ينفع العتاب فانهم ان صلحوا فللعتاب لا للصفاء فهمت بمقاطعتهم
ثم تفكرت فرأيت الناس بين معارف واصدقاء فى الظاهر
واخوة مباطنين فقلت لا تصلح مقاطعتهم انما ينبغى ان ينقلهم
من ديوان الأخوة الى ديوان الصداقة الظاهرة فان لم يصلحوا
لها نقلتهم الى جملة المعارض وعاملتهم بمعاملة المعارف و
من الغلط ان تعاتبهم فقد قال يحيى بن معاذ بئس الاخ اخ
تحتاج ان تقول له اذكرنى فى دعائك وجمهور الناس اليوم
معارف وينذر فيهم صديق فى الظاهر فاما الاخوة و
المصافاة فذاك شئ قد نسخ فلا يطمع فيه ومارى الانسان
يصفوله اخوه من النسب ولا ولده ولا زوجته فدع الطماع
فى الصفا وصد عن الكل جانبا وعاملهم معاملة الغربا و
اياك ان تنخدع بمن يظهر لك الود فانه مع الزمان يبن لك
الحال فيما اظهره وربما اظهر ذلك لسبب ينالة منك وقد
قال الفضيل بن عياض اذا اردت تصادق صديقا فاغضبه
فان رأيته كما ينبغى فصادقه وهذا اليوم مخاطرة لانك اذا
اغضبت احدًا صار عدوًا فى الحال والسبب فى نسخ حكم الصفا

الى فصل كان لنا اصدقاء

ان السلف كان همتهم الآخرة وحدها فصفت نياتهم في الأخوة
والمخالطة فكانت دينا لا دنيا والآن فقد استولى حب الدنيا
على القلوب فان رأيت متملقا في باب الدين فاخبر فعله

٧٢ فصل

رأيت المعافى لا يعرف قدر العافية الا في المرض لا يعرف شكر
الاطلاق الا في الحبس وتأملت على الآدمي حالة عجيبة وهو ان
يكون معه امرأة لا بأس بها الآن قلبه لا يتعلق بمحبتها تعلقا
يلتذ به ولذلك سببان احدهما ان تكون غير غاية في الحسن
والثاني ان كل مملوك مملول والنفس تطلب ما لا يقدر عليه
فتراه يضج ويشتهي شيئا يحبه وامرأة يعشقها ولا يدري
انه انما يطلب قيدا اوثقا يمنع القلب من التصرف في
امور الآخرة او في علم او عمل ويخبطه في تصرف الدنيا فيبقى
ذلك العاشق اسير المعشوق همته كله معه فالمحب لمطلق
يؤثر التقييد فان كانت تلك المرأة تحتاج ان تحفظ فالويل
له لا قرار له ولا سكون فان كانت من المتبرجات اللواتي لا يؤمن
فسادهن فذاك هلاكه بمره فلا هو ان نام يلتذ بنومه
ولا ان خرج من الدار يأمن محنة وان كانت تريد نفقة واسعة
وليس له فكم يدخل مدخل سوء لاجلها وان كانت تؤثر الجماع

وقد علت سنه

وقد علت سنه فذاك الهلاك العظيم وان كانت تبغضه فما
بقيت من اسباب تلفه بقيه فيكون هذا ساعيا في تلف نفسه
كما قال القائل شعرا

× يحب القدود ويهوى الخدود × ويعلم يعلم انا نحب المنونا ×

وهذا على الحقيقة كعابد صنم فليتق الله من عنده امرأة لا بأس
بها وليعرض عن حديث النفس ومناها فما له منتهى ولو حصل
له غرضه كما يريد وقع الملل وطلب ثالثة ثم يقع الملل ويطلب
رابعة وما لهذا اخير انما يفيد بالعاجل تعلق قلبه وأسر
لبه فيبقى كالمبهوت فكره كله في تحصيل ما يريد محبوبة فان
جرت فرقة او آفة فتلك الحسرات الدائمة ان بقي او التلف
عاجلا واين المستحسن المصون الدين القنوع المحب لمن يحبه
هذا اقل من الكبريت الاحمر فلينظر في تحصيل ما يجمع معظم
الهم ولا يلتفت الى سواد الهوى وغاية المنى وقد سلم

٧٣ فصل

اذا تم علم الانسان لم ير لنفسه عملا وانما يرى انعام الموفق
لذلك العمل الذي يمنع العاقل ان يرى لنفسه عملا او يعجب
باشياء ومنها انه وفق لذلك العمل وحبب اليكم الايمان
وزينه في قلوبكم ومنها انه اذا قيس بالنعم لم يف

بمسار عشيرها ومنها لو لوحظت عظمة المخدوم احتقر كل عمل
وتعبد هذا اذا سلم من شائبة وخلص من غفلة فاما والغفلات
تحيط به فينبغي ان يغلب الحذر من رده ويخاف القلب على التقصير
فيه فيشتغل عن النظر فيه وتأمل على الفطنا احوالهم في ذالك
فالملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون قالوا ما
عبدناك حق عبادتك والخليل عليه السلام يقول والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وما ادل بصبره على النار وتسليمه
الولد للذبح ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما منكم من ينجيه
عمله قالوا ولا انت قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه برحمته و
ابو بكر رضي الله عنه يقول وهل انا ومالي الا لك يا رسول الله و
عمر رضي الله عنه يقول لو اني لي طلاع الارض لافتديت به من هول
ما امامي قبل اعلم ما الخبر وابن مسعود يقول ليتني اذ امت لم ابعث
وعائشة تقول ليتني كنت نسيا منسيا فرضي الله عنهم اجمعين و
هذا شأن جميع العقلاء وقد روي عن قوم من صلحاء بني اسرائيل
ما يدل على قلة الافهام كما شرحته لانهم تفكروا الى اعمالهم فادلوا
بها فمنه حديث العابد الذي تعبد خمسمائة سنة في جزيرة
واخرج له كل ليلة رمانة وسأل الله ان يميته في سجوده فاذا
حشر قيل له ادخل الجنة برحمتي قال بل بعملي فيوزن جميع عمله بنعمة
واحدة فلا يفي فيقول يا رب برحمتك وكذلك اهل الغار
الذين انطبقت

الذين انطبقت عليهم الصخرة قال احدهم توسل بعمل كان ينبغي ان
يستحي من ذكره وهو انه عزم على الزنا ثم خاف العقوبة فتركه
فليت شعري بماذا يدل من خاف ان يعاقب على شيء فتركه لخوف
العقوبة انما لو كان مباحا فتركه كان فيه ما فيه ولو فهم لشغله
خجل الهمة عن الأدلال كما قال يوسف عليه السلام وما ابرأ
نفسي والآخر ترك صبيانه يتضاغون الى الفجر ليسقي ابويه
اللبن وفي ضمن هذا البر اذى للأطفال ولكن الفهم عزيز وكأنهم
لما احسنوا قال لسان الحال اعطوهم ما طلبوا فانهم يطلبون
اجرة ما عملوا ولو لا عزة الفهم ما تكبر متكبر على جنسه ولكان كل
كامل خائفا محتقرا لعمله حذرا من التقصير في شكر ما انعم عليه
وفهم هذا المشروح ينكسر رأس الكبر ويوجب مساكنة الذل
فتأمله فانه اصل عظيم

٧٤ فصل

ينبغي للعاقل ان يكون على خوف من ذنوبه وان تاب منها ويبكي عليها
واني رأيت اكثر الناس قد سكنوا الى قبول التوبة وكأنهم قد قطعوا
على ذالك وهذا امر غائب ثم لو غفرت بقي الخجل من فعلها
ويؤيد الخوف بعد التوبة انه في الصحاح ان الناس يأتون
آدم عليه السلام فيقولون اشفع لنا فيقول ذنبي والى نوح
عليه السلام فيقول ذنبي والى ابراهيم والى موسى والى عيسى صلوات

الله عليهم وسلامه فهؤلاء اذا اعتبرت ذنوبهم لم تكن اكثرها ذنوبا
حقيقة ثم ان كانت فقد تابوا منها واعتذروا فهم بعد
على خوف منها ثم ان الخجل بعد قبول التوبة لا يرتفع وما
احسن ما قال الفضيل بن عياض رحمه الله واسوءتاه منك
وان عفوت فأف والله لمختار الذنوب ومؤثر لذة لحظة تبقى
حسرة لا تزول عن قلب المؤمن وان غفرله فالحذر الحذر من
كل ما يوجب خجلا وكدرا وهذا امر قل ان ينظر فيه تائب وزاهد
لأنه يرى ان العفو قد غمر الذنب بالتوبة الصادقة وما ذكرته
يوجب دوام الحذر والخجل

٢٧٥ فصل

نعوذ بالله من سوء الفهم خصوصا من المتسمين بالعلم روى
احمد في مسنده انه تنازع ابو عبد الرحمن السلمي وحيان بن عبد الله
فقال ابو عبد الرحمن لحيان قد علمت ما الذي حدصاحبك عليا
يعني عليا قال ما هو قال قول النبي صلى الله عليه وسلم لعل الله
اطلع الى اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وهذا
سوء فهم من ابي عبد الرحمن حين ظن ان عليا قاتل وقتل اعتمادا
على انه قد غفرله وينبغي ان يعلم معنى الحديث انما معناه
لتكن اعمالكم المتقدمة كانت فقد غفرت لكم فاما غفران
ما سيأتي فلا يتضمنه ذلك اتراه لو وقع من اهل بدر

وحاشاهم الشرك

وحاشاهم الشرك اذ ليسوا بمعصومين اما كانوا يواخذون فكذلك
العاصي ثم لو قلنا انه يتضمن غفران ما سيأتي والمعنى ان ما لكم
الى الغفران ثم دعنا من معنى الحديث كيف يحل لمسلم ان يظن
بامير المؤمنين علي رضي الله عنه انه فعل ما لا يجوز اعتمادا على
انه سيغفرله حوشي من هذا وانما قاتل بالدليل المضطر له الى
القتال فكان على الحق ولا يختلف العلماء ان عليا رضي الله
عنه لم يقاتل احدا الا والحق مع علي كيف وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم ادر معه الحق كيف ما دار فقد غلط
ابو عبد الرحمن غلطا قبيحا حمله انه كان عثمانيا

٢٧٦ فصل

تأملت على متزهدة زماننا اشياء تدل على النفاق والرياء وهم
يدعون الاخلاص منها يلزمون زاوية فلا يزورون صديقا
ولا يعودون مريضا ويدعون انهم يريدون الانقطاع من
الناس اشتغالا بالعبادة وانما هي اقامة نواميس ليشار
اليهم بالانقطاع اذ لو مشوا بين الناس زالت هيبتهم
وما كان الناس كذلك بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعود المريض ويشتري الحاجة من السوق وابو بكر رضي الله
عنه يتجر بالبز اي الخرقة وابو عبيدة بن الجراح يحفر القبور
وابو طلحة ايضا وابن سيرين يغسل الموتى وما كان عند

القوم اقامة ناموس واصحابنا يلزمون الصمت بين الناس
والتخشع والتماوت وهذا هو النفاق فقد كان ابن سيرين
يضحك بين الناس ويبكي في الليل وقد رأيت من المتزهدين
من يلزم المسجد ويصلي فيجتمع الناس فيصلون بصلاته
ليلاً ونهاراً وقد شاع هذا له فتقوى نفسه عليه لحب
المحمدة والنبي صلى الله عليه وسلم قال في صلاة التطوع اجعلوا
هذه في البيوت وفي اصحابنا من يظهر الصوم الدائم ويتقوت
بقول الناس فلان ما يفطر اصلا وهذا ابلة ما يدري
انه لاجل الناس يفعل ذلك ولولا هذا كان يفطر والناس
يرونه يومين او ثلاثة حتى يذهب عن ذلك الاسم ثم
يعود الى الصوم وقد كان ابراهيم بن ادهم اذا مرض يترك
عنده من الطعام ما يأكله الاصحاء ورأيت زهادنا من يصلي
الفجر يوم الجمعة بالناس ويقرأ المعوذتين والمعنى قد ختمت
فان لهذه الاعمال التي هي صريحة في النفاق والرياء وفيهم
من يأخذ الصدقات وهو غني ولا يبالي اخذ من الظلمة او اهل
الخير ويمشي الى الامراء ليسألهم وهو يدري من اين حصلت اموالهم
فالله الله في اصلاح النيات فان جمهور هذه الاعمال مردودة
قال مالك بن دينار وقولوا لمن لم يكن صادقا لا يتعنى وليعلم
المرائي ان الذي يقصده يفوته وهو إلفات القلوب اليه

فانه متى لم يخلص

فانه متى لم يخلص محبة القلوب ولم يلتفت اليه والمخلص محبوب فلو
علم المرائي ان قلوب الذين يراءهم بيد من يعصيه لما فعل وكم من
قد رأينا من يلبس الصوف ويظهر النسك لا يلتفت اليه
وآخر يلبس جيد الثياب ويتبسم والقلوب تحبه نسئل الله
عز وجل اخلاصا نخلصنا ونستعيذه به من رياء يبطل اعمالنا
انه قادر

٧٧ فصل

من الجهل ان يخفى على الانسان مراد التكليف فانه موضوع على
عكس الاغراض فينبغي للعاقل ان يأنس بانعكاس الاغراض
فان دعا وسئل وبلوغ غرض تعبد بالدعاء فان اعطى
مراده شكر وان لم ينل مراده فلا ينبغي ان يلح في الطلب لان
الدنيا ليست لبلوغ الاغراض وليقل لنفسه وعسى ان تكرهوا
شيئاً وهو خير لكم ومن اعظم الجهل ان يبغض في باطنه
لانعكاس اغراضه وربما اعترض في الباطن وربما قال حصول
غرض لا يضر ودعاء لم يستجب وهذا كله دليل على جهله وقلة
ايمانه وتسليمه للحكمة ومن الذي حصل له غرض ثم لم يكدر
هذا آدم طاب عيشه في الجنة واخرج منها ونوح سأل في
ابنه فلم يعط مراده والخليل ابتلي بالنار واسحق بالذبح
ويعقوب بفقد الولد ويوسف بمجاهدة الهوى وايوب
بالبلاء وداود وسليمان بالفتنة وجميع الانبياء على هذا

وبالقى نبينا صلى الله عليه وسلم من الجوع والاذى وكدر العيش فمعلوم
فالدنيا وضعت للبلا فينبغى للعاقل ان يوطن على الصبر وان
يعلم ان ما حصل من المراد فلطف ومالم يحصل فعلى اصل الخلق
والحيلة للدنيا كما قيل

* طبعت على كدر وانت تريدها * صفوًا من الاقذار والاكدار
* ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وهذا من قوة الايمان وضعفه فليستعمل المؤمن من ادوية هذا
المرض التسليم للمالك والحكيم لحكمته وليقل قد قيل لسيد الكل
ليس لك من الامر شئ ثم ليسل نفسه بان المنع ليس عن
البخل وانما هو لمصلحة لا يعلمها وليوجر الصابر عن اغراضه
وليعلم الله الذين سلموا ورضوا وان زمن الابتلاء مقدار يسير
والاغراض مدخرة تلقى بعد قليل وكأنه بالظلمة وقد انجلت
وبفجر الاجر قد طلع ومتى ارتقى فهمه الى ان ماجرى هو الحق
سبحانه اقتضاه ايمانه ان يريد ما يريد ويرضى بما يقدره
اذ لو لم يكن كذلك كان خارجا من ربقة العبودية فى المعنى
وهذا اصل ينبغى ان يتأمل ويعمل عليه فى كل غرض انعكس

مراد صح

٢٧٨ فصل

رأيت خلقا من العلماء والقصاص لضيق عليهم الدنيا فيفزعون
الى مخالطة السلاطين لينالوا من اموالهم وهم يعلمون ان

السلاطين لا يكادون

السلاطين لا يكادون يأخذون الاموال من وجهها ولا يخرجونها
فى حقها فان اكثرهم اذا حصل له خراج ينبغى ان يصرف الى
المصالح وهبه لشاعر وربما كان معه جندى يصلح ان تكون
مشاهرته عشرة دنانير فاعطاه عشرة الاف وربما غزى فاخذ
ما ينبغى ان يقسم على الجيش فاصطفاه لنفسه هذا ما يجرى
من الظلمة فى المعاملات واول على ذلك العالم انه قد حرم النفع
بعلمه وقد رأى بعض الصالحين رجلا عالما يخرج من دار
يحيى بن خالد البرمكى فقال اعوذ بالله من علم لا ينفع الم ترى
المنكرات ولا تنكر وتتناول من طعامهم الذى لا يكاد
يحصل الا بظلم فينطمس قلبه ويحرم لذة المعاملة للحق سبحانه
ولا يقدر له ان يهتدى به احد بل كان ربما كان فعله هذا
سببا لاضلال الناس فى الاقتداء به فهو يؤذى نفسه
ويؤذى اميره لانه يقول لولا اننى على صواب ما صحبنى هذا
ولا ينكر علىّ ويؤذى العوام بان يرى ان ما فيه الامير صواب
وان الدخول والسكوت عن الانكار جائز ويحبب اليهم
الدنيا والآخرة والله فى سعة من الدنيا ضيقت طريق الآخرة
وانا افدى اقواما صابروا عطش الدنيا فى هجير الشهوات
زمان العمر حتى رووا يوم الموت من شراب الرضا وبقيت
اذكارهم تروى فتروى من القلوب ويجلو صداها هذا

الأمام احمد يحتاج فيخرج الى اللقاط ولا يقبل مال سلطان
هذا ابراهيم الحربى يتغذى بالبقل ويرد على المعتصم الف دينار
وهذا بشر الحافى يشكو الجوع فيقال له يصنع لك حساء من
دقيق فيقال اخاف ان يقول فى هذا الدقيق من اين لك بقيد
والله اذكار القوم وماكان الصبر الا غفوة نوم ومصت لذات
المرخصين وبليت الابدان ووهن الدين فالصبر الصبر يامن
وفق ولا ينغبطن من اتسع له امر الدنيا فانك اذا تأملت تلك
السعة رأيتها ضيقا فى باب الدين ولا ترخص لنفسك فى
تأويل فعمرك فى الدنيا قليل وسواء اذا انقضى يوم فى سرور
ويوم صابر كره ومتى ضجت نفسك لقلة الصبر فاتل عليها
اخبار الزهاد فانها ترعوى وتستحى وتنكسر ان كانت لها
همة اوفيها يقظة ومسالة ترخص على بن المدينى وقبوله ما
لابن ابى دواد وصبر احمد بن حنبل وكم بين الرجلين والذكرين
وانظر قدر ما يروى عن كل واحد منهما وما يذكران به و
سيندم ابن المدينى اذا قال احمد سلم دينى

٧٩ فصل

تأملت احوال الناس فرأيت جمهورهم منسلاً من ربقة العبودية
فان تعبدوا فعادة او فيما لا ينافى اغراضهم منافاة تؤذى
القلوب فاكثر السلاطين يحصلون الاموال من وجوه ردية
وينفقونها فى وجوه

وينفقونها فى وجوه لا تصلح وكأنهم قد تملكوها وليست مال الله
الذى اذا غزى احدهم فغنم الاموال اصطفاها لنفسه واعطاها
اصحابه كيف اشتهى والعلماء لقوة فقرهم وشدة شوههم يوافقون
الامراء وينخرطون فى سلكهم والتجار على العقود الفاسدة والعوام
على المعاصى والاهمال لجانب الشريعة فان فات بعض اغراضهم
فربما قالوا ما نريد نصلى لا صلى الله عليهم وقد منعوا الزكاة
وتركوا الامر بالمعروف ومن الناس من يغره تأخير العقوبة
ومنهم من كان يقطع بالعفو واكثرهم يتزلزل الايمان فنسأل
الله ان يميتنا مسلمين

٨٠ فصل

من العجب سلامة دين ذى العيال اذا ضاق به الكسب فما
مثله الا كمثل الماء اذا ضرب فى وجهه سكر فانه يحمل باطنا
ويبالغ حتى يفتتح فتحة فكذلك صاحب العيال اذا ضاق
به الامر لا يزال يحتال فاذا لم يقدر على الحلال ترخص فى
تناول الشبهات فان ضعف دينه مد يده الى الحرام فالمؤمن
الموفق اذا علم ضعفه عن الكسب اجتهد فى التعفف عن
النكاح وتقليل النفقة اذا حصل الاولاد والقناعة باليسير
فاما من ليس له كسب كالعلماء والمتزهدين فسلامتهم
ظريفة اذ قد انقطعت مواد السلاطين ومراعاة العوام
فاذا كثرت عائلتهم لم يؤمن عليهم شر مما يجرى على الجهال

فمن قدر منهم على كسب بالنسخ وغيره فليجتهد فيه مع تقليل
النفقة والقناعة باليسير فانه من ترخص منهم اليوم اكل
الحرام لانه يأخذ من الظلمة خصوصا ان اخذ بحجة التنعم
والتزهد ومن كان له منهم مال فليجتهد فى تنميته وحفظه
فما بقى من يؤثر ولا من يقرض وقد صار الجمهور بل الكل كأنهم
يعبدون المال فمن حفظه حفظ دينه ولا يلتفت الى قول
الجهلة الذين يأمرون باخراج المال فما هذا وقته واعلم
انه اذا لم يجتمع الهم لم يحصل العلم ولا العمل ولا التشاغل
بالفكر فى عظمة الله وقد كان هم القدماء يجتمع باشياء جمهورها
انه كان لهم من بيت المال نصيب فى كل عام وكان يصلهم ~~يفضلهم~~
~~يفضلهم~~ فيفضل عنهم وفيهم من كان له مال يتجر به كسعيد
ابن المسيب وسفيان وابن المبارك وكان همه مجتمعا
فقال سفيان فى الديانة لولاك لتدلوبى ففقدت بضاعة
لابن المبارك فبكى وقال هو قوام دينى فكان جماعة يسكنون
الى عطاء الاخوان الذين لا يمنون وكان ابن المبارك يبعث
الى الفضيل وغيره وكان الليث بن ~~سعيد~~ سعد ينفقد الاكابر
فبعث الى مالك الف دينار والى ابن لهيعة الف دينار
واعطى منصور بن عمار الف دينار وجارية بثلاثمائة دينار
ومازال الزمان على هذا الى ان آل الامر على بحاق ذالك
فقلت عطايا السلاطين وقل من يؤثر الاخوان الا انه كان
فى ذالك القليل

فى ذالك القليل ما يدفع الزمان فاتاز مانا هذا فقد انقبضت
الايدى كلها حتى قل من يخرج الزكاة الواجبة فكيف يجتمع
همّ من يريد من العلماء والزهاد ان يعمل همه ليلا ونهارا فى
وجوه الكسب وليس من شأنه ولا يهتدى له فقد رأينا
الامر اخرج الى التعرض بالسلاطين والترخص فى اخذ ما لا يصلح
واخرج المتزهدين الى ~~الله~~ التصنع ليحصل الدنيا الله الله
يا من يريد حفظ دينه قد كررت عليك الوصية بقليل جهدك
وخفف العلائق مهما امكنك واحتفظ بدرهم يكون معك
فانه دينك وافهم ما قد شرحته فان ضجت النفس لمراداتها
فقل لها ان كان عندك ايمان فاصبرى وان اردت التحصيل
لما يفنى ببذل الدين فما نفعك فتفكرى فى العلماء الذين
جمعوا من غير وجهه وفى المنسين ذهب دينهم وزالت دنياهم
وتفكرى فى العلماء الصادقين الصابرين كبشر واحمد اندفعت
الايام وبقى لهم حسن الذكر وفى الجملة من يتقى الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ورزق الله تارة بايعاد
الصبر على البلا والايام تندفع وعاقبة الصبر الجميل
جميلة

٨١ > فصل

شكى رجل من بغضه لزوجته وقال ما اقدر على فراقها لامور منها

كثرة دينها علي وصبري قليل ولا اكاد اسلم من فلتات لساني
في الشكوى او في كلمات يعلم بغضي لها فقلت له هذا لا ينفع
وانما تؤتى البيوت من ابوابها فينبغي ان تخلو بنفسك
فتعلم انها انما سلطت عليك بذنوبك فتبالغ في الاعتذار
والتوبة فاما التضجر والاذى لها فما ينفع كما قال الحسن
ان الحجاج عقوبة من الله لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف
وقابلوها بالاستغفار واعلم انك في مقام مبتلى
ولك اجر بالصبر وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم فعاملوا
الله سبحانه بالصبر على ما قضى وسله الفرج فاذا جمعت
بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب والصبر على القضاء
وسؤال الفرج حصلت ثلاثة فنون من العبادة تثاب على كل
منها ولا تضيع الزمان في شئ لا ينفع ولا تحتال ظانا انك
ترفع ما قدر وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وقد
روينا ان جندبا نزل في دار ابي يزيد فرآه فوقف وقال
لبعض اصحابه ادخل الى المكان الفلاني فاقلع الطين الطري
فانه من وجه قنية شبهة فقلعه فخرج الجندي واما
اذاك للمرأة فلا وجه له لانها مسلطة فليكن شغلك لغير هذا
وقد روي عنه ان رجلا شتمه فوضع خده على الارض وقال
اغفر لي الذنب الذي سلطت هذا به علي قال الرجل
وهذه المرأة تحبني زائدا في الحد وتبالغ في خدمتي

غير ان البغض

غير ان البغض لها مركوز في طباعي قلت عامل الله سبحانه
بالصبر عليها فانك تثاب وقد قيل لابي عثمان النيسابوري
ما ارجى عملك عندك قال كنت في صبوتي بجتهد اهلي ان اتزوج
فابى فجائتني امرأة فقالت يا ابا عثمان اني قد هويتك وانا
اسألك بالله ان تتزوجني فاحضرت اباها وكان فقيرا فزوجني
وفرح بذلك فلما دخلت الى رأيتها عوراء عرجاء شوهاء و
كانت لمحبتها لي تمنعني الخروج فاقعد حفظا لقلبها ولا اظهر
لها من البغض شيئا وكانى على جمر الغضا من بغضها فبقيت
هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عمل شئ هو ارجى عندي
من حفظي قلبها قلت له هذا عمل الرجال واي شئ ينفع ضجيج
المبتلى بالتضجر باظهار البغض وانما طريقه ما ذكرته لك
من التوبة والصبر وسؤال الفرج وبذكر ذنوب كانت هذه
عقوبتها وبالغ فان وقع فرج في الحساب والا فاستعمال
الصبر على القضاء عباده وتكلف اظهار المودة لها كذالك وان
لم يكن قلبك ثبت على هذا وليس للقيد ذنب فيلام انما
ينبغي التشاغل بمن قيد والسلام

فصل ٢٨٢

لاريب بالآله سبحانه وبا دامره يحتاج الى انعكاف على ذكره
وطاعته وامتثال اوامره وهذا يفتقر الى جمع الهم وكفى بما وضع

في الطبع من المنازعة الى الشهوات مشتتا للهم المجتمع فينبغي
للأنسان ان يجتهد في جمع همه لينفرد همه بذكر الله سبحانه
وتعالى واوامره والتهيؤ للقائه وذلك انما يحصل بقطع
القواطع والامتناع من الشواغل وما يمكن قطع القواطع جملة
فينبغي ان يقطع ما يمكن وما رأيت مشتتا للهم مبددا للقلب
مثل شيئين احدهما ان تطاع النفس في كل ما تشتهي وذلك
لا يقف على حد فيذهب الدين والدنيا ولا ينال كل المراد مثل
ان تكون الهمة في المستحسنات اوفي جمع المال اوفي طلب
الرياسة وما يشبه هذه الاشياء فيالله من شتات لا جامع
له يذهب العمر ولا ينال بعض المراد والثاني مخالطة الناس
خصوصا العوام والمشي في الاسواق فان الطبع يتقاضى
بالشهوات وينسى الرحيل عن الدنيا ويحب الكسل عن
الطاعة والبطالة والغفلة والراحة فيثقل على من الف
مخالطة الناس التشاغل بالعلم اوبالعبادة ولا يزال
مخالطهم حتى تهون عليه الغيبة وتضييع الساعات في غير شئ
فمن اراد اجتماع همه فعليه بالعزلة بحيث لا يسمع صوت
احد فحينئذ يخلو القلب بمعارفه ولا تجد النفس رفيقا
مثل الهوى فاذا اضطر الى المخالطة كان على ساتر كما تهوى
الضفدع لحظة ثم تعود الى الماء فهذا طريق السلامة فتأمل

فوائدها يطيب لك

فوائدها يطيب لك

٨٣ فصل

ما رأت عيني مصيبة نزلت بالخلق اعظم من سبتهم الزمان
وعيبهم للدهر وقد كان هذا في الجاهلية ونهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لا تسبوا الدهر فان الله
هو الدهر ومعناه انتم تسبون من فرق شملكم وامات اهاليكم
وتنسبونه الى الدهر والله تعالى هو الفاعل لذلك فتعجبت
كيف علم اهل الاستقام بهذه الحال وهم على ما كان عليه اهل
الجاهلية عليه ما يتغيرون حتى ربما اجتمع الفطناء الأدباء
الظراف على زعمهم فلم يكن لهم شغل الا ذم الدهر وربما جعلوا
الله الدنيا يقولون فعلت وضعت حتى رأيت ابا القاسم
الحريري أنحائه يقول

× ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى × عن الرشد في الجائه ومقاصده ×
× تعاميت حتى قيل اني اخو عمى × ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده ×

وقد رأيت خلقا يعتقدون انهم فقهاء وفهماء ولا يتحاشون
من هذا وهؤلاء انما ارادوا بالدهر مرور الزمان
فذلك لا اختيار له ولا مراد ولا يعرف رشدا ولا ضلالا
ولا ينبغي ان يلام فانه زمان مدبر يتصرف ولا يتصرف

ومايظن لعاقل يشير الى ان المذموم المعرض عن الرشد الشئ
الحكم هو الزمان فلم يبق الآن القوم خرجوا عن ربقة الاسلام
ونسبوا هذه القبائح الى الصانع فاعتقدوا فيه قصور الحكمة
وفعل مالا يصلح عما اعتقده ابليس فى عدم تفضيل
آدم عليه السلام وهؤلاء لا ينفعهم مع هذا اعتقاد اسلام
ولا فعل صلاة بل هم شر من الكفار ولا اصلح لهم شأنا
ولا هداهم الى الرشاد

٨٤ فصل

من عجائب ما ارى من نفسى ومن الخلق كلهم الميل الى الغفلة
عما فى ايدينا مع العلم بقصر العمر وان زيادة الثواب هناك
بقدر العمل ههنا فيا قصير العمر اغتنم يوما منى وانتظر
ساعة النفر واياك ان تشغل قلبك بغير ماخلق له و
احمل نفسك على المروة فمعها اذا ابت ولا تسرح لها فى
الطول فما انت فى مرعى وقبيح بمن كان بين الصفين اذا
تشاغل بغير ما هو فيه

٨٥ فصل

قد كررت هذا المعنى فى هذا الكتاب وهو الامر بحفظ
السر والحذر من الانبساط فيما لا يصلح بين يدى

الناس فرب

الناس فرب منبسط بين يدى من يظنه صديقا فيقول فى صديق
او فى سلطان انه لا يتهم فى ذلك فيكون سبب هلاك ذاك
فانا اوصى سليم الصدر الذى يظن بالناس خيرا ان يحترز من الناس
وان لا يقول فى الخلق كلمة لا تصلح للخلق ولا يغتر بمن
يظهر الصداقة او التدين فقد عم الخبث

٨٦ فصل

تأملت على اكثر الناس عباداتهم فاذا هى عادات فاما ارباب
اليقظة فعاداتهم عبادة حقيقة فان العاقل يقول سبحان
الله عادة والمتيقظ لا يزال فكره فى عجائب المخلوقات او فى
عظمة الخالق فيحركه الفكر فى ذلك فيقول سبحان الله
ولو ان انسانا تفكر فى زمانه فنظر فى تصنيف جبهما
وحفظه بالاغشية لئلا يتصال واقامة الماء على عظم
العجم وجعل الغشاء عليه يحفظه وتصوير الفرخ فى
باطن البيضة والآدمى فى حشا الأم الى غير ذلك من المخلوقات
از عجه هذا الفكر الى العظيم الخالق فقال سبحان الله وكان
هذا التسبيح ثمرة الفكر فهذا تسبيح المتيقظين فما تزال
افكارهم تجول فتقع عباداتهم بالتسبيحات محققه
وكذلك يتفكرون فى قبائح ذنوب قد تقدمت

فيوجب ذالك الفكر احياء الباطن وقلق القلب وندم
النفس فيشم ذالك ان يقول قائلهم استغفر الله فهذا
هو التسبيح والاستغفار فاما الغافلون فيقولون
ذالك عادة وشتان مابين الفريقين

٢٨٧ فصل

لايصفو التعبد والتزهد والاشتغال بالآخرة الا بالانقطاع
الكلى عن الخلق بحيث لايبصرهم ولا يسمع كلامهم الا فى وقت
ضرورة بصلاة جمعة او جماعات ويحترز فى تلك الساعات
منهم وان كان عالما نفعهم وعدهم وقتا معروفا واحترز
فى الكلام واما من يمشى فى الاسواق ويسعى ويشترى
مع هذا العالم المظلم ويرى المنكرات والمستحسنات فما
يعود الى البيت الا وقد اظلم القلب فلا ينبغى للمريد ان يكون
خروجه الا الى الصحراء او المقابر وقد كان جماعة من
السلف يبيعون ويشترون ويحترزون ومع هذا فما صفا
لصافيهم وقت حتى قاطع الخلق قال ابو الدرداء زاولت
العبادة والتجارة فلم يجتمعا فاخترت العبادة وقد جاء
فى الحديث الأسواق تلهى وتلغى فمن قدر على الحمية النافعة
واضطر الى المخالطة والكسب للعائلة فليحترز احتراز

الماشى فى الشوك

الماشى فى الشوك ويعيد سلامته

٢٨٨ فصل

من رزق قلبا طيبا ولذة مناجاة فليراع حاله وليحذر من
التغير وانما تدوم له حاله بدوام التقوى وكنت قد رزقت قلبا
طيبا ومناجاة خلوة فاحضرنى بعض ارباب المناصب الى
طعامه فما امكن خلافه فتناولت واكلت منه فلقيت الشدائد
ورأيت العقوبة فى الحال واستمرت مدة وغضبت على قلبى
وفقدت كلما كنت اجده فقلت واعجبا كنت فى هذا كالمكره
فتفكرت واذا به قد كان يمكن مداراة الامر بلقيمات يسيره
وانما التأويل تناول بشهوة اكثر مما يدفع المداراة و
قال ومن اين لى ان عين هذا حرام فقالت اليقظة واين
الورع عن الشبهات وان يتناول بالتأويل لقمة استجلبها
بالطبع فقد لقيت الامرين بفقد القلب فاعتبروا يا اولى
الابصار

٢٨٩ فصل

همة المؤمن متعلقة بالآخرة وكل ما فى الدنيا يحرك الى
ذكر الآخرة وكل من شغله شئ فهمه شغله الا ترى
انه لو دخل ارباب صنائع الى دار معمورة رأيت البزاز

ينظر الى الفراش ويحزر قيمته والنجار الى السقف والابواب والبناء الى الحيطان والحائك الى نسج الثياب والمؤمن الزاهد ان رأى ظلمة ذكر ظلمة القبر وان رأى مؤلما ذكر العقاب وان سمع صوتا فظيعا ذكر نفخة الصور وان رأى الناس ذكر الموتى فى القبور وان وجد لذة ذكر الجنة فهمته متعلقة بمائم وذالك يشغله من كل مائم واعظم ماعنده انه يتخايل دوام البقاء فى الجنة وان بقاءه لا ينقطع ولا يزول ولا يعتريه غصة فيكاد اذا تخايل نفسه متقلبا فى تلك اللذات الدائمة التى لا تفنى يطيش فرحا ويسهل عليه مافى الطريق اليها من مرض والم وابتلاء وفقد محبوب وهجوم الموت ومعالجة غصصه فان المشتاق الى الكعبة يهون عليه رمل زرود والتائق الى العافية لا يبالى بمرارة الدواء ويعلم ان جودة الثمر على مقدار جودة البذر ههنا فهو متخير الاجود ويغتنم الزرع فى تشرين العمر من غير فتور ثم تخايل المؤمن دخول النار والعقوبة فينغص عيشه ويقوى قلقه فعنده بالحالين شغل عن الدنيا ومافيها فقلبه هائم فى بيداء الشوق تارة وفى صحراء الخوف اخرى فما يرى البنيان فاذا نازله الموت قوى ظنه

بالسلامة ورجى

بالسلامة ورجى نفسه النجاة فيهون عليه فاذا نزل الى القبر وجاءه الملائكة يسألونه قال بعضهم لبعض دعوه فما استراح الا الساعة نسئل الله عز وجل يقظة تامة تحرك الى طلب الفضائل وتمنعنا من اختيار الرذائل فانه ان وفق والا فلا نافع

فصل ٩٠

لقد اعترت على مولاى سبحانه وتعالى امرا عجيبا وهو انه تعالى لا يختار لمحبته والقرب منه الا الكامل صورة ومعنى ولست اعنى حسن التخاطيط وانما كمال الصورة اعتدالها والمعتدلة ما تخلو من حسن فتسبقها حسن الصورة الباطنة الباطنة وهو كمال الاخلاق وزوال الاكدار ولا يرى فى باطنه خبثا ولا كدرا بل قد حسن ظاهره وقد كان موسى عليه السلام كل من رآه يحبه وكان نبينا صلى الله عليه وسلم كالقمر ليلة البدر وقد يكون الولد اسود اللون لكنه حسن الصورة لطيف المعانى فعلى قدر ماعند الانسان من التمام فمن كمال الخلقة والخلق يكون عمله ويكون تقريبه الى الحضرة بحسب ذالك فمنهم كالخادم على الباب ومنهم صاحب ومنهم مقرب ويندر من يتم له الكمال والعلة لا يوجد فى مائة سنة منهم غير واحد وهذه حكاية ماتحصل بالاجتهاد

بل الاجتهاد يحصل منها لانه اذا وقع تمام حث على الجد على قدر
نقصانه وهذا الاحيلة فى اصله انما هو حيلة واذا
ارادك لامر هيأك له.

ارادك لعله

٩١ فصل

تأملت على قوم يدعون العقول يعترضون على حكمة الخالق فينبغى
ان يقال لهم هذا الفهم الذى دلكم على رد حكمته اليس هو من منحه
افاعطاكم الكمال ورضى لنفسه بالنقص هذا الكفر المحض الذى
يزيد فى القبح على الجحد فاول القوم ابليس فانه رأى بعقله
ان جوهر النار اشرف من جوهر الطين فرد حكمة الخالق ومر
على هذا خلق كثير من المعترضين مثل ابن الراوندى والنضرى
وهذا المعرى اللعين يقول كيف ساب بن الحجاج بالسخف
والدهر اقبح فعلا منه اترى يعنى به الزمان كلا فان ممر
الزمان والاوقات لا يفعل شيئا وانما هو تسقيض و
كان يتعجل الموت ظنا منه انه يستريح وكان يوصى بترك
النكاح والنسل فلا يرى فى الايجاد حكمة الا العناء والتعب
ومصير الابدان الى البلاء هذا لو كان كما ظن كان الايجاد
عبثا والحق منزه عن العبث قال تعالى وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما باطلا فاذا كان ما خلق لنا لم يخلق

عبثا افنكون

عبثا افنكون نحن ونحن مواطن معرفته ومحال تكاليفه قد
وجدنا عبثا ومثل هذا الجهل انما يصدر ممن ينظر فى قضايا
العقول التى يحكم بها على الظواهر مثل ان يرى مبنيا ينقض و
العقل بمجرده لا يرى ذلك حكمة ولو كشفت له حكمة ذلك
لعلم انه صواب كما كشف لموسى مراد الخضر فى خرق السفينة
وقتل الغلام ومعلوم ان ذبح الحيوان وتقطيع الرغيف ومضغ
الطعام لا يظهر له فائدة سوى الاطلاق فاذا علم انه غذاء بدن
من هو اشرف بدنا من المذبوح حسن ذلك الفعل واعجبا
اوما تقضى العقول بوجوب طاعة الحكيم الذى نعجز عن معرفة
حكم مخلوقاته فكيف نعارضه فى افعاله نعوذ بالله من الخذلان

٩٢ فصل

ينبغى لمن وعظ سلطانا ان يبالغ فى التلطف ولا يواجهه بما
يقتضى انه ظالم فان السلاطين حظهم التفرد بالقهر والغلبة
فاذا اجرى نوع توبيخ لهم كان اذلالا لهم فانهم لا يحتملون ذلك
وانما ينبغى ان يمزج وعظه بذكر شرف الولاية وحصول الثواب
فى رعاية الرعايا وذكر سبب العادلين من اسلافهم ثم لينظر الواعظ
فى حال الموعوظ قبل وعظه فان كان سيرته جميلة كما كان
منصور بن عمار وغيره يعظون الرشيد وهو يبكى وقصده

من كلام المعرى
* ارى ولدا لنفى كلا عليه * لقد سعد الذى لمسى نفيا *
* فما لك يا عدوا وما ان يخلف تيسا * فيفنى جزه ابدا تقيا *
* وما ان يصا دفر حام * فيبقى جزه ابدا تقيا *

الخير زاد فى وعظه ووصيته وان رآه ظالم لم يلتفت الى الخير
وقد غلب عليه الجهل اجتهد فى ان لا يراه ولا يعظه لانه ان
وعظه خاطر بنفسه وان مدحه كان مداهنا فان اضطر الى
موعظته كانت كالاشارة وقد كان اقوام من السلاطين يلينون
عند الموعظة ويحتملون الواعظين حتى انه قد كان المنصور
يواجه بانك ظالم فيصبر وقد تغير الزمان وفسد اكثر الولاة
وداهنهم العلماء ومن لا يداهنهم لا يجد قبولا للصواب فيسكت
وقد كانت الولايات لا يسألها الا من احكمته العلوم وثقفته
التجارب وكان اكثر الولاة يتشاورون فى الجهل فتأتى الولاية
على من ليس من اهلها ومثل هؤلاء ينبغى الحذر منهم والبعد عنهم
فمن ابتلى بوعظهم فليكن على غاية التحرز فيما يقول ولا ينبغى
ان يغتر بقولهم عظنا فانه لو قال كلمة لا توافق اغراضهم
وليحذر مذكر السلطان ان يعرض
له بارباب الولايات فانهم اذا سمعوا بذلك صار الواعظ
مقصودا لهم بالاهلاك خوفا من ان يعتب السلطان احوالهم
فتفسد امورهم والبعد فى هذا الزمان عنهم اصلح والسكوت
عن المواعظ لهم اسلم فمن اضطر تلطف غاية التلطف و
جعل وعظه للعوام وهم يسمعون ولا يعنيهم منه بشئ و
الله الموفق

فصل الحق ٩٣

فصل ٩٣

الحق لا يشبه بباطل انما يموه الباطل عند من لا يفهم له وهذا فى
حق من يدعى النبوات وفى حق من يدعى الكرامات اما النبوات
فانه قد ادعاها خلق كثير ظهرت قبائحهم وبانت فضائحهم
ومنهم من يوحيه خسة الهمة والتهتك فى الشهوات والتهافت
فى الاقوال والافعال حتى افتضحوا فمنهم الاسود العنسى ادعى
النبوة ولقب نفسه (ذو الخمار) لانه كان يقول واينبتي
ذو الخمار وكان فى اول امره كاهنا يشعبذ فيظهر الاعاجيب فخرج
فى اواخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم وكاتبته مذحج وداعد
ونجران واخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد صاحبى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصفاله اليمن وقاتل شهر بن باذام قتله
وتزوج ابنته فاعانت على قتله فهلك فى حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبان للعقلاء انه كان يشعبذ ومنهم
مسيلمة ادعى النبوة وتسمى رحمن اليمامة لانه كان يقول
الذى يأتينى رحمن فآمن برسول الله محمد صلى الله عليه
وسلم وادعى انه قد اشرك معه فالعجب انه يؤمن برسول
يقول انه كذاب ثم جاء مسيلمة بقرآن يضحك الناس
مثل قوله (يا ضفدع بنت ضفدعين نقى ما تنقين اعلاك

في الماء واسفلك في الطين) ومن العجائب شاة سوداء تحلب لبنا ابيضا فانهتك ستره في هذه الفضاحة ثم مسح بيده رأس صبي فذهب شعره ولصق في بئر فيبست وتزوج سجاح التي ادعت النبوة فقالوا لا بد لها من مهر فقال مهر انى قد اسقطت عنكم صلاة الفجر والعتمة وكانت هذه سجاح قد ادعت النبوة بعد موت رسول الله صلى عليه وسلم فاستجاب لها جماعة فقالت اعدوا الركاب واستعدوا للنهاب ثم اغيروا على الرباب فليس دونهم حجاب وقاتلوهم ثم قصدت اليمامة فهابها مسيلمة فراسلها واهدى لها فحضرت عنده فقالت اقرأ علي ما يأتيك به جبريل فقال انكن معشر النساء خلقتن افواجا وجعلتن لنا ازواجا نولجه فيكن ايلاجا فقالت صدقت انت نبي فقال لها

× الا قومي الى المخدع × فقد هيئ لك المضجع ×
× فان شئت مسلقاة × وان شئت على اربع ×
× وان شئت بثلثيه × وان شئت به اجمع ×

فقالت بل به اجمع فهو اجمع للشمل وانفع فافتضت عند العقلاء منهم اى من اصحابها فقال منهم عطارد بن حاجب شعرا

اضحت نبيتنا

× اضحت نبيتنا انثى يطاف بها × واصبحت انبياء الناس ذكرانا ×
× فلعنة الله رب الناس كلهم × على سجاح ومن بالافك اغوانا ×
× اعنى مسيلمة الكذاب لما سقيت × اصدأوه من رعيث حيث كانا ×

ثم انها رجعت عن غيها واسلمت ومازالت تبين فضائحه حتى قتل ومنهم طليحة بن خويلد خرج بعد دعوى مسيلمة النبوة فادعى النبوة وتبعه عوام ونزل سميراء فسمى بذى النون يقول ان الذى يأتيه يقال له ذو النون وكان من كلامه (ان الله لا يضيع بتعفير وجوهكم ولا قبح ادباركم شيئا فاذكروا الله اعفة قياما ومن قرآنه والحمام واليمام والقرد والصوام ليبلغن ملكنا العراق والشام وتبعه عيينة بن حصين فقاتله خالد بن الوليد فجاء عيينة الى طليحة فقال ويحك اجاءك الملك قال لا فرجع فقاتل ثم عاد فقاتل ثم جاء اجاءك الملك قال لا فرجع فقاتل ثم عاد فقال اجاءك الملك قال نعم قال ما قال لك قال × ان لك جيشا لا تنساه × فصاح عيينة الرجل والله كذاب فانصرف الناس منهزمين وهرب طليحة الى الشام ثم اسلم وصح اسلامه وقتل بنهاوند وذكر الواقدى ان رجلا من بنى يربوع يقال له جندب بن كلثوم كان يلقب كردانا ادعى

النبوة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يزعم ان دليله
على نبوته انه يسرج مسامير الحديد والطين وذلك لانه
يطلي ذلك بدهن الـ ٢ ٣ ٠ ٦ ١ ٠ ٥ فتعمل فيه النار وقد
تنبأ رجل يقال له كهمس الكلابي وكان يزعم ان الله اوحى اليه
يا ايها الجامع اشرب لبنا تسبع ولا تضرب الذى لا ينفع فانه
ليس بمقنع وزعم ان دليله على نبوته انه يطرح بين السباع
الضارية فلا تأكله وحيلته في ذالك انه يأخذ دهن الغال
وحجر البرسان وحب ماء محرقا وماء زبد البحر وصدفا محرقا
مسحوقا وشيئا من الصبر والجعد فيطلي به جسمه فاذا اقربت
منه السباع فشمت تلك الارياح وزفوراتها نفرت
وتنبأ بالطائف رجل يقال ابو جعرانة العامري وزعم ان
دليله انه يطرح النار في القطن فلا يحترق وهذا لانه يدهنه
بدهن معروف فلا يحترق ومنهم هذيل بن بعيفور من بني
سعد بن زهير حكى عن الاصمعي انه عارض سورة الاخلاص
فقال (قل هو الله احد الها كالأسد جالسا على الرصد
لا يفوته احد) ومنهم هذيل بن واسع كان يزعم انه
من ولد النابغة الذبياني عارض سورة الكوثر فقال
له رجل ما قلت قال قلت (انا اعطيناك الجواهر فصل

لربك وجاهر

لربك وجاهر فما يردك الافاجر) فظهر عليه السنوى فقتله
وصلبه على العمود فعبر عليه رجل فقال (انا اعطيناك العمود
فصل لربك من قعود بلا ركوع ولا سجود فما اراك تعود)
ومن ظهر وادعى انه يوحى اليه المختار بن ابي عبيد وكان
متخبطا في دعواه وقتل خلقا كثيرا وكان يزعم انه ينصر
الحسين رضوان الله عليه ثم قتل ومنهم حنظلة بن
يزيد الكوفي كان يزعم ان دليله انه يدخل البيضة في القنينة
ويخرجها منها صحيحة وذالك انه كان ينقع البيضة في
الخل الحامض اياما فيلين قشرها ثم يصب ماء في قنينة ثم يدس
البيضة فاذا القيت الماء صلبت وقد تنبأ اقوام قبل نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم كرزادشت وماني وافتضحوا
ومات المدعين وامرهم خذل وهم اذل وقد جاءت
القرامطة بحيل عجيبة وقد ذكرت جمهور هؤلاء في كتابي
التاريخ المسمى (بالمنتظم) وما فيهم من يتم له امر الا
وليفتضح

ودليل صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اجلا
من الشمس فانه ظهر فقيرا والخلق اعداؤه فوعد
بالملك فملك واخبر بما سيكون فكان وصين زمن

النبوة عن الشره وخساسة الهمة والكذب والكبر وايد بالثقة
والامانة والنزاهة والعفة وظهرت معجزاته للبعيد والقريب
وانزل عليه الكتاب العزيز الذى حارت فيه عقول الفصحاء
ولم يقدروا على الاتيان باية تشبهه فضلا عن سورة وقد
قال قائلهم وافتضح ثم اخبر سبحانه انه لا يعارض فيه
فكان كما قال وذلك قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله)
ثم قال (فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) وكذلك قوله (فتمنوا
الموت ولن يتمنوه) فما تمناه احد اذ لو قال قائل قد تمنيته
لبطل دعواه وكان يقول ليلة غزاة بدر صلى الله عليه وسلم
غدا مصرع فلان ههنا فلا يتعداه وقال عليه السلام واذا
هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر
فلم يملك بعدهما من له كبير قدر ولا من استبر الله حال
ومن دليل صدقه انه لم يرد الدنيا فكان يبيت جائعا
ويؤثر اذا وجد ويلبس الصوف ويقوم الليل وانما
تطلب النواميس لاجتلاب الشهوات فلما لم يردها دل
على انه يدل على الآخرة التى هى حق ثم لم يزل دينه يعلو
حتى عم الدنيا وان كان الكفر فى زوايا الارض الا انه مخذول

وصائر تابعيه من امته

وصائر تابعيه من امته الفقهاء الذين لو سمع كلامهم الانبياء القدماء
تحيروا فى حسن استخراجهم والزهاد الذين لو رأتهم الرهبان لتحيروا
فى صدق زهدهم والفطناء الذين لا نظير لهم فى القدماء اوليس
قوم موسى يعبدون بقرة ويتوقفون فى ذبح بقرة ويعبرون البحر
ثم يقولون اجعل لنا الها وقوم عيسى يدخرون من
المائدة وقد نهوا والمعتدون فى السبت يعصون الله لاجل
الحيتان وامتنا بحمد الله سليمة من هذه الاشياء وانما فى
بعضها ميل الى الشهوات المنهى عنها وذلك فى الفروع لا فى
الأصول فاذا ذكروا بكوا وندموا على تفريطهم فنحمد الله تعالى
على هذا الدين وعلى اننا من أمة هذا النبي الامين صلى الله
عليه وسلم وقد كان جماعة من المتصفين بالزهد مالوا
الى طلب الدنيا والرياسة فاستغواهم الهوى فخرقوا باظهار
ما يشبه الكرامات كالحلاج وابن الشياس وغيرهما ممن
ذكرت حال تلبيسه فى كتاب (تلبيس ابليس) وانما
فعلوا ذلك لاختلاف اغراضهم ولم يزل الله سبحانه ينشئ
فى هذا الدين من الفقهاء من يظهر ما ستره المتعلمون كما ينشئ
من علماء الحديث من هتك ما اختلقه الواضعون حفظا لهذا
الدين ودفعا للشبهات عنه فلا يزال الفقيه والمحدث يظهران
عوار كل ملبس بوضع حديث او باظهار دعوى

تزهد وتنميس فلا يؤثر ما ادعياه الا عند جاهل بعيد
عن العلم والعمل ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون

٩٤ فصل

واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود فان فهم لم يعمل بمقتضى
فهمه ويعلم ان العمر تصير وهو يضيعه فى النوم والبطالة و
الحديث الفارغ وطلبه للذات وانما ايامه ايام عمل لا زمان
فراغ وقد كلفت بذل المال بمخالفة الطبع من الشرع فبخل به
الى ان تضايق الخناق فيقول حينئذ فرقوا عنى بعد موتى و
افعلوا كذا فاين يقع هذا لو فعل وبعيد ان يفعل وانما يراد
بانفاقك فى صحتك مخالفة للطبع فى تكلف مشاق الاخراج
فى زمن السلامة فما فرق بين الحالتين ان كان لك فهم فالسعيد
من انتبه لنفسه وعمل بمقتضى عقله واغتنم زمنا نهايته
زمن وانتهب عمرا ياقرب انقطاعه ويحك ما تصنع بادخار
مال لا يؤثر حسنة فى صحيفة ولا مكرمة فى تاريخ اما سمعت
بانفاق ابى بكر وبخل ثعلبة اما رأيت تأثير مدح حاتم
وبخل الحباحب ويحك لو ابتلاك فى مالك لاستغثت
اوفى بدنك ليلة بمرض شكوت فانت تستوفى مطلوباتك
منه ولا تستوفى حقه عليك ويل للمطففين ولتعلم انه
بهذا القدر المفرط فيه لمحل الخلود الدائم فى ثواب العمل

فيه فسبحان

فيه فسبحان من منّ على اقوام فهموا المراد فاتعبوا الاجساد و
غطى على قلوب آخرين فوجودهم كالعدم فكيف لا يتعب العاقل
بدنه اتعاب البدن والمقصود متى ترى ما بال الحق متجليا فى
ايجادك ايها العبد بلى والله ان موجودك دليل وجوده
وان نعمه عليك دليل وجوده فكما قدّمك على سائر الحيوانات
فقدّمه فى قلبك على كل المطلوبات واخيبة من جهله
وافقر من اعرض عنه واذلّ من اعزّ بغيره واحسرة من
اشتغل بغير خدمته

٩٥ فصل

انى لاعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على اقرانه وجيرانه
كيف عيشه خصوصا اذا علت سنه واعجبا لمن
يرى الافاعى تدب اليه وهو لا يزعج اما يرى الشيخ دبيب
الموت اليه فى اعضائه قد سكن القوى ونزل متغشرم
الضعف وقلب السواد بياضا فى كل يوم يزيد الناقض
ففى نظر العاقل فى نفسه ما يشغله عن النظر الى خراب
الدنيا وفراق الاقران وان كان ذلك مزعجا ولكن
شغل من احرق بيته بنقل متاعه يلهيه عن ذكر بيوت
الجيران وانه مما يسلى عن الدنيا ويهون فراقها استبدال

المعارف ثم ينكره فقد رأينا اغنياء كانوا يؤثرون وفقراء كانوا يصبرون ومحاسبين لانفسهم يتورّعون فاستبدل السفهاء عن العقلاء والبخلاء عن الكرماء فيا سهولة الرحيل لعلّ النفس تلقى من فقدت فتلحق من احبّت

فصل ٩٦

نظرت فى قول الله تعالى (الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) ثم قال وكثير من الناس فرأيت الجمادات كلها قد وصفت بالسجود واستثنى من العقلاء فذكرت قول بعضهم شعرا

× ما جحد الصامت من انشأ × ومن ذوى النطق اتاه الجحود ×

فقلت ان هذه لقدرة عظيمة يوهب عقلا لشخص ثم يسلب فائدته وان هذا الأقوى دليل على الله قادر قاهر والا فكيف يحسن من عاقل ان لا يعرف بوجوده وجود من اوجده وكيف ينحت صنما بيده ثم يعبده غير ان الحق سبحانه وهب للاقوام من العقل ما ثبت عليهم الحجة واعمى قلوبهم كما شاء عن المحجّة

فصل ٩٧

ما رأيت اكثر اذى مؤمن من مخالطة من لا يصلح فان الطبع

يسرق فان لم

يسرق فان لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله فان رؤية الدنيا تحث على طلبها وقد رى رسول الله صلى الله عليه وسلم سترا على بابه فهتكه وقال مالى وللدنيا وليس ثوبا له طراز فرماه وقال شغلتنى اعلامه وليس خاتما ثم رماه وقال نظرت اليكم ونظرت اليه وكذلك ارباب الدنيا ودورهم واحوالهم خصوصا لمن له نفس تطلب الرفعة وكذلك سماع الاغانى ومخالطة الصوفية الذين لا نظر لهم فى الرزق الحاصل بل لو كان من اين كان قبلوه ولا يتورّعون ان يأخذوا من ظالم وليس عندهم خوف كما كان اوائلهم فقد كان سرى السقطى يبكى طول الليل وكان يبالغ فى الورع ولا لهم تعبّد الجنيد وانما ثمّ اكل ورقص وبطالة وسماع اغانى من المردان حتى قال من يعتبر قوله حضرت مع رجل كبير يوما اليه من مشائخ الربط ومغنيهم امرد فقام الشيخ ونقطه بدينار على خدّه وادّعاؤهم ان سماع هذه الاشياء يدعو الى الآخرة فوق الكذب وليس العجب منهم وانما العجب من جهال ينفقون عليهم فينفقون عليهم ولقد كان جماعة من القدماء يرون اوائل الصوفية يتعبدون ويتورعون فيعجبهم حالهم وهم معذورون فى اعجابهم بهم وان كان اكثر القوم

فى تعبدهم على غير الجادة كما ذكرت فى كتاب (تلبيس ابليس)
فقد برح الخفا احدهم يتردد الى الظلمة ويأكل اموالهم و
ويصايفهم بقميص ليس فيه طراز وهذا هو التصوف فحسب
اولا يستحى من الله من يزهد فى ترقيع الأثواب لاجل
الخلائق لا لاجل الحق الخالق ولا يزهد فى مطعم ولا فى
شبهة فالبعد عن هؤلاء لازم وينبغى للمنفرد لطاعة الله تعالى
عن الخلق ان لا يخرج الى سوق جهده فان خرج ضرورة
غض بصره وان لا يزور صاحب منصب ولا يلقاه فان
اضطر دار الامر ولا يخالط عاميا الا لضرورة مع التحرز
ولا يفتح على نفسه باب التزويج بل يقنع بامرأة فيها
دين فقد قال الشاعر

× والمرء مادام ذا عين يقلبها × فى اعين العين موقوف على الخطر ×
× يسر مقلته ما ضر مهجته × لا مرحبا بسرور عاد بالضرر ×

فان كان يغلب عليه العلم انفرد بدراسته واحترز من
الاتباع المتعلمين وان غلبت عليه العبادة زاد فى احترازه
وليجعل خلوته آنيسه والنظر فى سير السلف الصالح
جليسه وليكن له وظيفة من زيارة قبور الصالحين
والخلوة بها ولا ينبغى ان يفوته ورده من قيام الليل
وليكن بعض نصف الاول فليطل مهما قدر فانه

زمان بعيد المثل

زمان بعيد المثل وليمثل رحيله عن قرب ليقصر امله و
ليتزود فى الطريق على قدر طول السفر نسئل الله عز وجل
يقظة من فضله واقبال على خدمته وان لا يخذلنا بالالتفات
عنه انه قريب مجيب

٢٩٨ فصل

كلما نظرت فى تواصل النعم علىّ تحيرت فى شكرها واعلم ان
الشكر من النعم فكيف اشكر لكنى معترف بالتقصير وارجو
ان يكون اعترافى قائما ببعض الحقوق وعندى خلة ارجو
بها كل خير وهو ان من يصوم ويصلى يرى انه تعبد ويخدم
كأنه يقضى حق المخدوم وانى ارانى اذا صليت ركعتين
فانما فلنفسى اعمل اذ المخدوم غنى عن طاعتى وكان بعض
المشائخ يقول جاء فى الحديث الدعاء عبادة وانا اقول
العبادة دعاء فالعجب ممن يقف للخدمة يسأل حظ
نفسه كيف يرى انه قد فعل شيئا انما انت فى حاجتك
ومنة من ايقظك لاتقاضها خدمتك فانا اقول كما
قال الأول شعرا

قمت الكرى

× يا منتهى الآمال انت كفلتنى وحفظتنى ×
× وعدى الزمان علىّ كى يجتاحنى ×
× فمنعتنى فانقاد لى متخشعا × لما رأى نصرتنى وكسوتنى ×

× ثوب الغنى ومن الطلب قد صنتنى ×

× فاذا سكت بدأتنى واذا سألت اجبتنى ×

× فاذا شكرتك زدتنى فمدحتنى ونصرتنى ×

× اوان أجُدْ بالمال انت افدتنى ×

٢٩٩ فصل

رأيت اكثر العلماء يتشاغلون بصورة بالعلم فهمُّ الفقيه التدريس وهمُّ الواعظ الوعظ فهذا يراعى درسه فيفرح بكثرة من يسمعه ويقدح فى كلام من يخالفه ويمضى زمانه فى التفكر فى المنافسات ليقهر من يجادله وعَيْنُه الى التصدر والارتفاع فى المجالس وربما كانت همته جمع الحطام ومخالطة السلاطين والواعظ همته ما يزوق به كلامه ويكثر جمعه ويجلب به قلوب الناس الى تعظيمه فان كان له نظر فى شغله اخذ ليطعن فيه وهذه قلوب غافلة عن الله عز وجل اذ لو كانت لها به معرفة لأشتغلت به وكان انسها بمناجاته وايثارها لطاعته واقبالها على الخلوة به لكنها لما خلت من هذا تشاغلت بالدنيا وذاك دنيا مثلها فاذا خلت بخدمة الله تعالى لم تجد لها طعمًا وكان جمع الناس احب اليها وزيارة الخلق

لها اثر عندها

لها اثر عندها وهذه علامة الخذلان وعلى ضد هذا متى كان العالم مقبلا على الله سبحانه مشغولا بطاعته كان اصعب الاشياء عنده لقاء الخلق ومحادثتهم واحب الاشياء الخلوة وكان له شغل من القدح فى النظر او من طلب رياسته فان ما علق به همته من الآخرة اعلا من ذلك والنفس لابد لها مما تشاغل به فمن اشتغل بخدمة الخلق اعرض عن الحق فانما يربى رياسته وذلك يوجب الاعراض عن الحق وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه

٣٠٠ فصل

قد جاء فى الأثر (اللهم ارنا الاشياء كما هى) وهذا كلام حسن غاية واكثر الناس ما يرون الاشياء بعينها فانهم يرون الفانى كأنه باقى ولا يكادون يتخايلون زوال ما هم فيه وان علموا ذلك الآن عينه مشغولة بالنظر الى الحاضر الا ترى زوال اللذة وبقاء اثمها ولو رأى اللص قطع يده هان عليه المسروق عنده فمن جمع الاموال ولم ينفقها فما رآها بعينها اذ هى آلة لتحصيل الاغراض لا تراد لذاتها ومن رأى المعصية بعين الشهوة فما رآها اذ فيها من العيوب ما شئت ثمرتها عقوبة آجلة وفضيحة عاجلة وانظر الى اكثر شهوات الحس وهى الوطى فان الملا هو

الملا

يحصل الا بعد مطعم ومشرب ومن تفكر فى المطعم نظر الحرث
الارض وانها تفتقر الى بقر للحراثة عليهن المحراث وهو حديد
ومعه خشب ويتعلق به حبال فمن تفكر فى عمل الحبال نظر فى
زرع القنب وتسريحه وفتله والحديد وجلبه وضربه و
الخشب ونباته ونجارته ودوران الدولاب وعمله ثم استحصاد
الزرع وحصده وتذريته وطحنه وعجنه وخبزه ومن عمل
التنور وجلب الشوك ومن هذا الجنس اذا نظر فيه كرر
جدا حتى قالوا لا يتناول لقمة الا وقد عمل فيها ثلثمائة
نفس ونحوهم فاذا اكلت تلك اللقمة فليتفكر فى خلق
الانسان بقطعها والاضراس بطحنها وعذوبة ماء الفم
يخلطها واللسان يقلبها وعضلات الفم يصعد منها شئ
ويترك شئ حتى يصلح البلع ثم يتناولها المعى فيصلها
الى الكبد فتقوم طابخة لها فاذا صارت دما دسوبها
الى الطحال ومائيتها الى المثانة واستخلصت من اخلص
الدم واصفاه الكبد والدماغ والقلب واخذت
اجود ذلك فحدرته الى الانثيين معدة لخلق آدمى فاذا
تحركت نيران الشهوة تورث تلك النطفة وقد
حكم الشرع بطهارتها وحكم لها بطهارة الرحم والمحل الذى
يباشره الذكر فيخلق منها الآدمى الموحد فما جاء هذا
الشخص الا بأغلا الغلا وبعد عجائب اشرنا اليها

الا ان عددناها

الا ان عددناها أفمن فهم هذا يحسن منه ان يبدد تلك
النطفة فى حرام وان يطأ فى محل نجس فتضييع فكم تتعلق
بالزنا من محن لا يفى معشار عشرها بلذة لحظة منها هتك
العرض بين الناس وكشف العورات المحرمة وخيانة الاخ
المسلم فى زوجته ان كانت متزوجة وفضيحة المزنى بها
وهى كأخت او بنت فان علقت منه ولها زوج الحقته
بذلك الزوج وكان هذا الزانى سببا فى ميراث من لا
يتحقق ومنع من يستحق ثم يتسلسل ذلك من ولد الى
ولد واما سخط الحق سبحانه فمعلوم قد قال تعالى ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وقال صلى الله
عليه وسلم ما من ذنب بعد الشرك اعظم عند الله من
نطفة وضعها رجل فى رحم لا تحل له ومن له فهم فهو
يعلم ان المراد من النطفة ايجاد الموجودين ولولا تركيب
الشهوة لم يقع الوطئ لانه التقاء عضوين غير مستحسنين
ولا صورتهما حسنة ولا ريحهما طيبة وانما الشهوة تغطى
عين الناظرين ليحصل الولد اصلا انما هى عارض فمن طلب
الشهوة ونسى خيانته بالزنا فما رأى الاشياء على ما
هى وقس على هذا المطعم والمشرب وجمع المال
وغير ذلك

٣٠١ فصل

ان قال قائل اى فائدة فى خلق ما يؤذى فالجواب انه قد ثبت حكمة الخالق فاذا خفيت وجب التسليم ثم ان المستحسنات فى الجملة انموذج ما اعد من الثواب والمؤذيات انموذج ما اعد من العقاب وما خلق شيئاً يضر الا وفيه منفعة قيل لبعض الاطباء ان فلانا يقول انا كالعقرب اضر ولا انفع فقال ما اقل علمه انها لتنفع اذا شق بطنها ثم شدت على موضع اللسعة وقد تجعل فى جوف فخار مشدود الرأس مطبق الجوانب ثم يوضع الفخار فى تنور فاذا صارت رمادا سقى من ذلك الرماد مقدار نصف دانق او اكثر من به حصاة يفتها من غير ان يضر بشئ من سائر الاعضاء وقد تلسع العقرب من به حمى عتيقة فتزول ولسعت رجلا مفلوجا فزال عنه الفالج وقد تلتقى فى الدهن حتى يجتذب قواها فيزيل ذلك الدهن الاورام الغليظة ومثل هذا كثير فالجاهل عدو ما جهله واكبر الحماقة رد الجاهل على العالم

٣٠٢ فصل

كلما اوغلت الفهوم فى معرفة الخالق وشاهدت عظمته ولطفه وفقته تاهت فى محبته فخرجت من حد الثبوت وقد كان خلق من الناس غلبت عليهم محبته فلم يقدروا

على مخالطة

على مخالطة الخلق ومنهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر ومنهم من لم ينم الا غلبة ومنهم من هام فى البرارى ومنهم من احترق فى بدنه فيا حسن مخمورهم ما الذ سكره ويا عطش قلقهم ما احسن وجده كان ابو عبيدة الخواص قد غلبه الوجد فكان يمشى فى الاسواق ويقول واشوقاه الى من يرانى ولا اراه وكان فتح بن سخرف يقول قد طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك وكان قيس بن الربيع كأنه مخمور من غير شراب وكان ابن عقيل يقول ان التبذل فيه سبحانه احسن من التجمل فى غيره هل رأيت قط عراة احسن من المحرمين هل رأيت للمتزينين رياش الدنيا كأثواب الصالحين هل رأيت خمارا احسن من نعاس المتهجدين هل رأيت سكرا احسن من صفوة الواجدين هل شاهدت ماء صافيا اصفى من دموع المتأسفين هل رأيت رؤسا مائلة كرؤس المنكسرين هل لصق بالأرض احسن من جباه المصلين هل حرك نسيم الاسحار اوراق الأشجار فبلغ مبلغ تحريكه اذيال المتهجدين هل ارتفعت وانبسطت ايدي الراغبين وتلهفت اكف السائلين هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن اورنة وتركما حرك حنين المشتاقين وانما يحسن التبذل

في تحصيل او في الاغراض فلذالك حسن التبذل في خدمة المنعم جل جلاله سبحانه

٣٠٣ فصل

في سبب تبذير الولاة اكثرهم لا يعرف ولا يتأدب بآدابه العقل في اصل الوضع ثم ذالك القليل

لا يعاون بل ضاد ان عليه وذالك ان الجارحة اذا دام تعطلها عن عملها الذي هيئت له تعطلت وخمدت و لهذا نقص ابصار النساخ والرفائين وتحتد ابصار اهل البوادي لانه لا صارم لابصارهم وشغل العقل للفكر والنظر في عواقب الأصول والاستدلال بالشاهد على الغائب وهم يمتلؤن من الطعام دائما وذالك يؤذي العقل ثم يطلبون النوم فاذا انتبهوا شربوا المسكر للعقل تعطيل وتغطية فساء التدبير

٣٠٤ فصل

من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا يحتمله قلوبهم او بما رسخ في نفوسهم ضده مثاله ان قوما قد رسخ في قلوبهم التشبيه وان ذات الخالق سبحانه ملاصقة للعرش وهي بقدر العرش ويفضل من العرش اربع اصابع وسمعوا مثل هذا من اشياخهم وثبت عندهم

انه اذا نزل

انه اذا نزل انتقل الى السماء الدنيا فخلت منه ست سماواته فاذا دعى احدهم الى التنزيه وقيل له ليس كما خطر لك انما ينبغي ان نمر الأحاديث كما جائت من غير مساكنة ما يتوهمه صعب هذا عليه لوجهين احدهما غلبة الحس عليه والحس على العوام اغلب والثاني لما سمعه من الأشياخ الذين كانوا اجهل منه فالمخاطب لهذا مخاطر بنفسه ولقد بلغني عن بعض من كان يتدين انه ممن قد رسخ في قلبه التشبيه انه سمع من بعض العلماء شيئا من التنزيه فقال والله لو قدرت عليه لقتلته فالله الله ان تحدث مخلوقا من العوام بما لا يحتمله فانه لا يزول ما في نفسه ويخاطر المحدث له بنفسه وكذالك كلما يتعلق بالأصول

٣٠٥ فصل

لا يغرنك من الرجل طنطنته ولا ما تراه يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعزلة عن الخلق انما الرجل هو الذي يراعي شيئين حفظ الحدود واخلاص العمل فكم قد رأينا متعبدا يخرق الحدود بالغيبة وفعل ما لا يجوز مما يوافق هواه وكم قد اعتبرنا على صاحب دين انه يقصد بفعله غير الله تعالى وهذه الآفة تزيد وتنقص في الخلق فالرجل كل الرجل هو الذي يراعي حدود الله تعالى وهي

ما فرض عليه وألزم به ولا يتعداها الى هواه ويحسن القصد
فيكون عمله وقوله خالصا لله تعالى ولا يريد به الخلق ولا
تعظيمهم له فربما خاشع ليقال ناسك وصامت ليقال
خائف وتارك للدنيا ليقال زاهد وعلامة المخلص
ان يكون في جلوته كخلوته وربما تكلف • بين الناس
التبسم والانبساط لينمحي عنه اسم زاهد فقد كان
ابن سيرين يضحك بالنهار فاذا جن الليل فكأنه
قتل اهل القرية واعلم ان المعمول معه لا يريد الشركاء
فالمخلص له مفرد له بالمقصد والمرائي قد اشرك ليحصل
له مدد الناس وذلك ينقلب لان قلوبهم بيد من
اشرك معه فهو يقلبها عليه لا اليه فالموفق من كانت
معاملته باطنة واعماله خالصة وذلك الذي تحبه
الناس وان كرهوا كما يمقتون المرائي وان زاد تعبده
ثم ان الرجل الموصوف بهذه الخصال لا يتنا هى عن كمال
العلوم ولا يقصر عن طلب الفضائل فلأن الزمان
اكثر مما يسعه من الخير وقلبه لا يفتر عن العمل القلبي الا ان
يصير شغله بالحق سبحانه وتعالى

٢٠٦ فصل

رأيت خلقا كثيرا يفرطون في اديانهم ثم يقولون احملونا
اذا متنا الى مقبرة احمد اتراهم ما سمعوا ان

رسول الله صلى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم امتنع من الصلاة على من عليه
دين وعلى الغال وقال ما ينفعه صلاتي عليه ولقد
رأيت اقواما من العلماء حملهم حب الصيت على ان استخرجوا
اذنا من السلطان فدفنوا في دكة الامام احمد بن حنبل
وهم يعلمون ان هناك بعضهم على بعض وما فيهم الا من
يعلم انه ما يستحق القرب من مثل ذاك فاين احتقار
النفوس وما سمعوا ان عمر بن عبد العزيز قيل له تدفن
في الحجرة فقال لأن القى الله بكل ذنب ما خلا الشرك احب
الي ان ارى نفسي اهلا لذلك لكن العادات وحب
الرئاسة غاب على هؤلاء فبقي العلم يجري على الالسن
عادة لا للعمل به ثم آل الأمر الى جماعة خالطوا السلاطين
وباشروا الظلم يزاحمون على الدفن بمقبرة احمد ويوصون
بذلك فليتهم اوصوا بالدفن في موضع فارغ انما
يدفنون على موتى ويخرج عظام اولئك فيحشرون
على الفواحش من الظلم حتى في موتهم وينسون انهم كانوا من
اعوان الظلمة اترى ما علموا ان مساعد الظالم ظالم
وفي الحديث كفى بالمرء خيانة ان يكون امينا للخونة قال
السنجاني لاحمد بن حنبل اتأمن اعوان الظلمة فقال لا انت
من الظلمة انما اعوان الظلمة من اعانك في امر

٣٠٧ فصل

رأيت الناس يذمون الحاسد ويبالغون ويقولون لا يحسد يعادى نعمة الله ولا يرضى بقضائه ويبخل على اخيه المسلم فنظرت فما رأيته كما يقولون وذاك ان الانسان لا يحب ان يرتفع عليه احد فاذا رأى صديقه قد علا عليه تأثر هو ولم يحب ان يرتفع عليه ووَدَّ ان لو لم ينل صديقه ما ينال او ان ينال هو ما نال ذاك لئلا يرتفع عليه وهذا معجون في الطين ولا لوم على ذلك انما اللوم ان يعمل بمقتضاه من قول او فعل وكنت اظن ان هذا قد وقع لي من سري وفحصي فرأيت في الحديث عن الحسن البصري انه كان قد سبقني اليه قال اخبرنا عبد الخالق بن عبد الصمد قال اخبرنا ابن عبد المقعد قال اخبرنا المخلص قال حدثنا البغوي قال حدثنا ابو روح قال حدثنا مخلد بن الحسين عن هشام عن الحسن قال ليس من ولد آدم احد الا وقد خلق معه الحسد فمن لم يجاوز ذلك بقول ولا بفعل لم يتبعه شئ

٣٠٨ فصل

من اعظم الضرر الداخل على الانسان النساء انه اوّلاً

يتشتت همه في محبتهن ومداراتهن وغيرتهن والانفاق عليهن ولا يأمن احداهن ان تكرهه وتريد غيره فلا تتخلص الا بقتله ولو سلم من جميع ذلك لم يسلم في الكسب لهن فان سلم لم ينج من السآمة لهن او لبعضهن ويطلب مالا يقدر عليه من غيرهن حتى انه لو قدر على نساء بغداد كلهن فقدمت امرأة مُتَسَتِّرَةٌ من غير البلد ظن انه يجد عندها ما ليس عندهن ولعمري ان في الجديدة لذة ولكن رب مستور اذا انكشف افتضح واذا سلم من كل اذى يتعلق بهن انهكة بدنه في الجماع فيكون طلبه للألتذاذ مانعا من دوام الالتذاذ ورب لقمة منعت لقمات ورب لذة كانت سببا لانقطاع لذات والعاقل من يقتنص على الواحدة اذا وافقت غرضه ولا بد ان يكون فيها شئ لا يوافق انما العمل على الغالب فيوهب الخلة الردية للجميد وينبغي ان لا يكون النظر الى باب الدين قبل النظر الى الحسن فانه اذا قلّ الدين لم ينتفع ذو مروءة بتلك المرأة ومما يهلك الشيخ سريعا الجماع فلا يغتر بما يرى من انبساط الآلة وحصول الشهوة وذلك مستخرج من قوته ما لا يعود مثله فلا ينبغي ان يغتر بحركة وشهوة ولا يقرب يقرب من النساء ان كان له رأى في البقاء

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٠٩ فصل

اذا رأيت قليل العقل فى اصل الوضع فلا ترج خيره فامّا اذا كان وافر العقل لكنه يغلب عليه الهوى فارجه وعلامة ذالك انه يدبر امره فى جهله فيستتر من الناس اذا اتى فاحشة ويراقب فى بعض الاحوال ويبكى عند الموعظة ويحترم اهل الدين فهذا عاقل مغلوب بالهوى فاذا انتبه بالندم انبسط شيطان الهوى وجاء ملك العقل فاما اذا كان قليل فى اصل الوضع وعلامته انه لا ينظر فى عاقبة عاجله ولا جله ولا يستحى من الناس ان يروه على فاحشة ولا يدبر امر دنياه فذاك بعيد الرجاء وقد يندر من هؤلاء من يفلح ويكون السبب فيه خمد من العقل غطّى عليها كثرة الهوى فمثلهم مثل مصروع افاق

٣١٠ فصل

ينبغى الاحتراز من كل ما يجوز ان يكون ولا ينبغى ان يقال الغالب السلامة وقد رأينا من نزل مع الخيل فى سفينة فاضطربت فغرق من فى السفينة وان كان الغالب السلامة وكذا ينبغى ان يقدر الانسان فى نفقته

وان رأى الدنيا

وان رأى الدنيا مقبلة لجواز ان تنقطع تلك الاسباب وحاجة النفس لا بد من قضائها فاذا بذر وقت السعة فجاء وقت الضيق لم يأمن ان يدخل فى مداخل سوء او ان يتعرض بالطلب من الناس وكذالك ينبغى للمعافى ان يعد للمرض ويتقوى ان يتهيأ للهرم وفى الجملة فالنظر فى العواقب وفيما يجوز ان يقع شأن العقلاء فامّا النظر فى الحالة الراهنة فحسب فحالة الجهلة الحمقى مثل ان يرى نفسه معافى وينسى المرض او غنيا وينسى الفقر او يرى لذة عاجلة وينسى ما يجنى عواقبها وليس للعقل شغل الا النظر فى العواقب وهو يسير بالصواب اين من مقبل

٣١١ فصل

بين ايمان المؤمن عند الابتلاء فهو يبالغ بالدعاء ولا يرى اثرا للاجابة ولا يتغير المه ورجاؤه ولو قويت اسباب اليأس لعلمه ان الحق اعلم بالمصالح او لأنّ المراد منه الصبر او الايمان فان لم تحكم له الا هو يريد من القلب التسليم لينظر كيف صبره او يريد كثرة اللجاج بالدعاء فامّا من يريد تعجيل الاجابة

وينذر ان لم يتعجل فذاك ضعيف الايمان يرى ان له حق
فى الاجابة وكان يتقاضى باجرة عمله اما سمعت قصة
يعقوب عليه السلام بقى ثمانين سنة فى البلآء و
رجآؤه لا يتغير فلما ضم الى يوسف فَقْد ابنه يامين
لم يتغير امله وقال عسى الله ان يأتينى بهم جميعا وقد
كشف هذا المعنى قوله تعالى (ام حسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مسّتهم البأسآء و
الضرآء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه
متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) ومعلوم ان هذا لا
يصدر من الرسول والمؤمنين الا بعد طول البلآء و
قريب اليأس من الفرج ومن هذا قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يزال بخير مالم يستعجل قيل له وما يستعجل
قال يقول دعوت فلم يستجب لى واياك اياك ان
تستطيل زمن البلآء او تضجر من كثرة الدعآء فانك مبتلى
بالبلاء متعبد بالصبر والدعآء ولا تيأس من روح الله
وان طال البلا

٣١٢ فصل

تذكرت فى سبب دخول جهنم فاذا هو المعاصى فنظرت

فى المعاصى فاذا

فى المعاصى فاذا هى حاصلة من طلب اللذات فنظرت فى
اللذات فرأيتها سدا عما ليست بشئ وفى ضمنها من الاكدار
ما يصيرها نغصا فتخرج عن كونها لذات فكيف يبيع العاقل
نفسه ويرضى بجهنم لاجل هذه الاكدار فمن اللذات الزنا
فان كان المراد اراقة الماء فقد يراق فى حلال وان كان
فى معشوق فمراد النفس دوام البقآء مع المعشوق فاذا
هو ملكه فالمملوك مملول وان هو قارنه ساعة ثم فارقه
فحسرة الفراق تزيد على لذة القرب وان كان ولد له
من الزنا فالفضيحة الدائمة والعقوبة القائمة وتنكيس
الرأس عند الخالق والمخلوق واما الجاهل يرى لذته
فى بلوغ ذلك الغرض وينسى ما يجنى مما يكدر عيش
الدنيا والآخرة ومن ذلك شرب الخمر فانه ينجس
الفم والثوب وابعاد للعقل وتأثيراته معلومة عند
الخالق والمخلوق فالعجب ممن يؤثر لذة ساعة تجنى
عقابا وذهاب جاه ومن بما خرج بالعربدة الى القتل
وعلى هذا فقس جميع الملوبات الملذوذات فان
لذاتها اذا وزنت بميزان العقل لا يفى بمعشار عشير
عواقبها القباح فى الدنيا والآخرة ثم هى فى نفسها
ليست بكبير شئ فكيف تباع الآخرة بمثل هذا

سبحان من انعم على اقوام كلما لاحت لهم لذة نصبوا ميزان
العقل و نظروا فيما يجنى و تلمحوا ما يؤثر تركها فرجحوا
الأصلح و طمس على قلوب فهى ترى صورة الشئ و
تنسى جناياته ثم العجب انا نرى من يبعد عن زوجته
وهو شاب ليعد فى الطريق فيقال سايح فغلب هواه
لطلب ما هو اعلا وهو المدح وكيف لا يترك محرما يمدح
فى الدنيا والآخرة ثم قدر حصول ما طلبت من اللذات
وذهابها واحسب انها قد كانت وقد هانت وتخلصت
من محنها واين تعب عالم درس العلم خمسين سنة
ذهب التعب وحصل العلم واين لذة البطالة ذهبت
الراحة واعقبت الندم

٣١٣ فصل

من وقف على موجب الحس هلك ومن تبع العقل سلم
ان مجرد الحس لا يرى الا الحاضر وهو الدنيا واما العقل
فانه ينظر الى المخلوقات فيعلم وجود الخالق قد منع
واباح واطلق وحظر واخبر انى سائلكم ومبتليكم
ليظهر دليل وجودى عندكم بترك ما تشتهون طاعة
لى وانى قد بنيت لكم دارا غير هذه لثواب من يثاب

وعقوبة من

وعقوبة من يخالف ثم لو ترك الحس وما يشتهى مع اغراضه
قرب الامر انما يزنى فيجلد ويشرب الخمر فيعاقب ويسرق
فيقطع ويفعل زلة فيفتضح بين الخليقة ويعرض عن العلم
الى البطالة فيقع الندم عند حصول الجهل ثم انا نرى الكثير
ممن عمل بمقتضى عقله قد سلمت دنياه وآخرته وميز
بين الخلق بالتعظيم وقد كان عيشه فى لذاته غالبا خيرا
من عيش موافق الهوى فليعتبر ذو الفهم بما قلت وليعمل
بمقتضى الدليل وقد سلم

٣١٤ فصل

العجب لمؤثر شهوات الدنيا ان لا يتدبر امرها بالعقل
قبل ان يصير المنقولات الشرع ان اعظم لذات الحس الوطئ
والمرأة المستحسنة انما يكون حال كما لها من وقت
بلوغها الى الثلاثين فاذا بلغت اثر فيها وربما ابيضت
شعرات من رأسها فينفر الانسان منها وقد يقع الملل
قبل ذلك وطول الصحبة يكشف العيوب وما عيب
نساء الدنيا بابلغ من قوله تعالى (لهم فيها ازواج مطهرة)
فلو تفكر الانسان فى جسد مملوء بالنجاسة ما طاب له
ضمه غير ان الشهوة تغطى عين الفكر فالعاقل من
حفظ دينه ومروءته بترك الحرام وحفظ قوته

عن الحلال فانفقها فى طلب الفضائل من علم او عمل ولم يسعى
فى افناء عمره وتشتيت قلبه فى شئ لا تحسن عاقبته
× مافى سواد جكم من مهجتى عوض × ان مت شوقاً ولا فيها لها ثمن ×
وعموم من رأينا من الكبار غلبت عليهم شهوة الوطئ فانهدمت
اعمارهم ورحلوا سريعًا وقد رأينا من العقلاء من زجر نفسه عن هذه
المحنة ولم يستعملها الا وقت الحاجة فبقى لهم سواد شعورهم
وقوتهم حتى تمتعوا بها فى الحيوة الدنيا وحصلوا المناقب و
عرفت منهم النفوس قوة العزيمة فلم تطالبهم بما يؤذى

٣١٥ فصل

قد اشكل على بعض الناس رؤية النبى صلى الله عليه وسلم منامًا
وقوله (من رآنى فى المنام فقد رآنى) فقال ظاهر الحديث انه
يراه حقيقة وفى الناس من يراه شيخا وشابا ومريضًا ومعافى
فالجواب ان من ظن ان جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المودع فى المدينة خرج من القبر وحضر فى المكان الذى رآه
فيه فهذا جهل لا يشبهه فقد يراه فى وقت واحد
الف شخص فى الف مكان على صور مختلفة فكيف يتصور
هذا فى شخص واحد وانما الذى يرى مثاله لا شخصه فيبقى
من رآنى فقد رآنى فمعناه قد رأى مثالى الذى يعرفه الصواب

ويحصل به

ويحصل به الفائدة المطلوبة فان قيل ما تقولون فى رؤية الحق
سبحانه فنقول يرى مثال لا مثل والمثال لا يفتقر الى مساواة
والمشابهة كما قال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها فضرب مثلا للقرآن وانتفاع الخلق به ويوضح هذا
انه انما يرى منه راى الحق سبحانه وتعالى على هيئة
مخصوصة والخالق سبحانه وتعالى منزه قد توحد فوضح
ما قلناه

٣١٦ فصل

عزيز الفائدة اعلم انه اتسع العمر لم امنع من الأنيال فى علم لا
منتهاه غير ان العمر قصير والعلم كثير فينبغى للأنسان ان يقتصر
على القرآن اذا حفظ القرآن على العشرة ومن الحديث على
الصحاح والست والمسانيد المصنفة فان علوم الحديث قد
انبسطت زائدة فى الحد ومافى هذا الخبر وانما الطرق
تختلف وعلم الحديث يتعلق بعضه ببعض هو مشتهى
والفقهاء علم الكسالى لانهم يتشاغلون بكتابته وسماعه
ولا يكادون يعانون حفظه ويفوتهم المهم وهو الفقه
وقد كان المحدثون قديمًا هم الفقهاء ثم صار الفقهاء لا
يعرفون الحديث والمحدثون لا يعرفون الفقه فمن كان ذا همة

ونصح نفسه تشاغل بالمهم من كل علم وجعل شغله الفقه
فهو اعظم العلوم واهمها وقد قال ابو زرعة كتبت الحاديث
فان هذا الحديث قد رواه ثمانية وتسعون رجلاً عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذى صح منه طرق يسيرة والتشاغل
بغير ما صح يمنع التشاغل بما هو اهم ولو اتسع العمر كان
استيفاء كل الطرق فى كل الاحاديث غاية فى الجودة لكن
العمر قصير ولها تشاغل بالطرق الكثيرة اقوام مثل يحيى بن
~~سعيد~~ معين فاته من الفقه كثير حتى انه سئل عن الحائض
يجوز ان تغسل الميت فلم يعلم حتى جاء ابو ثور فقال يجوز
لان عائشة رضى الله عنها قالت كنت ارجل رأس رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا حائض فيحيى اعلم بالحديث منه
ولكن لم يتشاغل بفهمه ~~فانا~~ فانا انهى اهل الحديث ان
يشغلهم كثرة الطرق ومن اقبح الاشياء ان تجرى حادثة
ليسئل عنها شيخ قد كتب الحديث ستين سنة فلا يعرف
حكم الله عز وجل فيها وكذا انهى من يتشاغل بالتزهد
والانقطاع عن الناس ويعرض عن العلم وينبغى ان يجعل
لنفسه منه حظا ليعلم ان زل كيف يتخلص

فصل معرفة الله ٢١٧

٢١٧ فصل

معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحصل الا لكامل العقل صحيح المزاج
والترقى الى محبته بذلك يكون وان اقواما قلت عقولهم وفسدت
امزجتهم وساءت مطاعمهم وقلت فتخايلت لهم الخيالات الفاسده
فادعوا معرفة الحق ومحبته ولم يكن عندهم من العلم ما يصدقهم
عما ادعوا فهلكوا وليعلم ان فى المأكولات افساد العقل فيها
ما يزيد فى السوداء فتوجب المالنخوليا فترى صاحبها يحب
الخلوة ويهرب من الناس ويقلل المطعم فيقوى مرضه فيتخايل
له خيالات يظنها حقا فمنهم من يقول رأيت الملائكة
ومنهم من يخرجه الامر الى دعوى صحبة الحق والوله فيه ولا
يكون ذلك عن اصل يعتمد عليه وانما العاقل العالم يسرى
فى الطريقين بين الرفيقين العلم والعقل فان تقلل من
الطعام فيعقل وحد التقلل ترك فضول المطعم وما يخاف
شره من شبهة او شهوة يحذر تعودها واما زيادة التقلل
مع القدرة فليس لعقل ولا للشرع الا ان يكون الفقر قد
عم فيقلل ضرورة ومن تأمل حال رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه وجدهم يأخذون بمقدار ولا يتركون
حظوظ النفس التى تصلحها واحسن الأمر واعدل قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث
نفس وقد قال لعلي رضي الله عنه وهو مريض اصب من هذا
الطعام فهو ارفق لك من هذا وكان صلى الله عليه وسلم
يشاور الاطباء ويحثهم ويحث على التداوي ويقول ما انزل
الله داء الا وانزل له شفاء فتداووا فجاء اقوام جهلوا العلم
والحكمة في بنيان الابدان فمنهم من اقام في الجبال يأكل البلوط
فاصابه القولنج ومنهم من قلل المطعم الى ان ضعفت قواه
ومنهم من اقتصر على نبات الصحراء ومنهم من كان لا يتقوت
الا الباقلا والشعير فاوجبت هذه الافعال امراض في
البدن او ترقت الى افساد العقل واتفق لهم قلة العلم
اذ لو علموا لفهموا ان الحكمة تنهى عن مثل هذا فان البدن
مبني على اخلاط اذا اعتدلت وقعت السلامة واذا زاد
بعضها وقع المرض واكثر هؤلاء مرضوا وتعجل لهم الموت
وفيهم من خرج الى التسودن ومنهم من لاحت له لوائح فادعى
رؤية الملائكة الى غير ذلك فاما اهل العلم والعقل فزهدهم
من الخلق لخوف المعاصي ورؤية المنكر وفيهم من قد قويت
معرفته فشغلته معرفة الحق ومحبته عن ملاقاة الخلق
فهذه هي الخلوات الصافية لانها تصدر عن علم وعقل
فتحفظ البدن لانه ناقة توصل ولا ينبغي ان يتهاون

بالمأكولات خصوصا

بالمأكولات خصوصا من لم يعتد ولا يلبس الصوف على البدن
من لم يفقد وليتفقد طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصحابته فانهم القدوة ولا يلتفت الى بنيات الطريق فيقال
فلان الزاهد قد اكل الطين وفلان كان يمشي حافيا وفلان
بقي شهرا ما اكل فان المحققين من هؤلاء المخلصين لله تعالى
على غير الجادة لان الجادة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
واصحابه وما كانوا يفعلون هذا ولعمري انه قد كان
فيهم من يقنع بالمذقة من اللبن ويصبر عن الطعام الايام
ولكن اما لضرورة او لأنه معتاد لذلك كما يعتاد البدوي
شرب اللبن وحده ولا يؤذيه ذلك وفي الحديث عودوا
كل بدن ما اعتاد وفي المتزهدين من اخرج ماله كله عن يده
زهدا ومعلوم ان الحاجات لا تنقضي فلما احتاج تعرض
للطلب وافتقر الى اخذ مال من يدين يعلم انه ظالم وبذل
وجهه وقد كانت الصحابة تتجر وتحفظ المال وجهال
المتزهدين يرون ان جمع المال ينافي الزهد فمحضة هذا
الفصل ان اقول ينبغي لمن رزق فهما ان يسعى في صلاح بدنه
ولا يحمل عليه ما يؤذيه ولا يتناوله من القوت ما لا يوافقه
ولا يضيع ماله وليجتهد في استثماره لئلا يحتاج فانه ما
نافق زاهد الا لأهل الدنيا وليتنظر في سير الكاملين

من السلف وليتشاغل بالعلم فانه الدليل فحينئذ يحمد
الامر على الخلوة بربه والاشتغال بحبه فيكون ماظهر
منه ثمرة نضيجة لافجة والله الموفق

٣١٨ فصل

ما رأيت اظرف من لعب الدنيا بالعقول وقد سمعنا ورأينا
جماعة من العظماء الكاملي العقل لعبت بهم الدنيا حتى صاروا
كالمجانين فولوا الولايات فخرجوا الى القتل والضرب والحبس و
الشتم واذهاب الدين والمباشرة للظلم كله لاجل دنيا
تذهب سريعًا وفي مدة اقامتها هي معجونة بالنغص فيا ايها
المرزوق عقلا لاتبخسه حظه ولا تطفئ نوره واسمع ما
نشير به ولا تلتفت الى بكاء طفل الطبع لفوات غرضه
فانك ان رحمت بكاءه لم تقدر على فطامه ولم يمكنك
تأديبه فيبلغ جاهلاً فقيرًا شعر

× لا تسلى عن ادب الصغير × ولو تشكى الم التعب ×
× ودع الكبير لشأنه × كبر الكبير عن الأدب ×

واعلم ان زمان الابتلاء ضيق قواه الصبر كما قال الامام
احمد بن حنبل انما هو طعام دون طعام ولباس دون

لباس وانها ايام

لباس وانها ايام قلائل فلا تنظر الى لذة المترفين وتلمح
عواقبهم ولا تضق صدرًا بضيق المعاش وعلل الناقة
بالجد وشربه

× طاول بها الليل مال ام جنحا × وماطل النوم عز الجفن ام سمحا ×
× فان تشكت فعللها المجرة من × ضوء الصباح وعللها بالراح ضحى ×

وقد كان اهدى لاحمد بن حنبل هدية فردها ثم قال سنة
لاولاده لو كنا قبلنا ها كانت قد ذهبت ومر بشر على بئر
فقال له صاحبه انا عطشان فقال البئر الاخرى فمر اليها
فقال الأخرى ثم قال كذا تقطع الدنيا ودخلوا في دار بشر
الحافي وليس في داره حصير فقيل له الا بذى تؤذى فقال
امر ينقضي وكان لداود الطائي دار يأوي اليها فوقع
سقف فانتقل الى سقف الى ان مات في الدهليز فهؤلاء
الذين نظروا في عواقب الامور وبعد هذا فلا اطالبك بهذه
الرتبة بل اقول لك ان حصل كل شئ من المباح لا مَنَّ فيه
ولا اذى ولا نلته بسؤال ولا من يد ظالم تعلم ان ماله
حرام او شبهة فافسح لنفسك في مباحاتها بمقدار ما
يحتاج اليه وكن مقدرًا للمنفقة غير مبذر فان الحلال لا
يحتمل السرف ومتى اسرفت احتجت الى التعرض للخلق والتناول
من الاكدار وان ضاق بك امر فاصبر فان ضعف الصبر

فاسأل فاتح الابواب فهو الكريم وعنده مفاتح الغيب واياك
ان تبذل دينك بتصنع للخلق او بتقرب الى الامرآء او تستعطى
اموالهم واذكر طريق السلف كان ابن سمعون له ثياب يجلس
فيها للناس ثم يطويها للمجلس الآخر ورثها من ابيه بقيت له
اربعين سنة وكانت ميمونة بنت شاقولة تعظ الناس ولها
ثياب بقيت اربعين سنة ومن صفى نظره وتهذب لفظه
ونفع وعظه ومن كدر بدر عليه والحالة العالية فى هذا
اقبال القلب على الله عزوجل والتوكل عليه والنظر اليه
والتفات القلب عن الخلق فان احتجت فاسأله وان ضعفت
فارغب اليه ومتى ساكنت الاسباب انقطعت منه ومتى
استقام باطنك استقامت لك الأمور

٣١٩ فصل

رأيت نفسى تأنس بخلطآء تسميهم اصدقآء فبحثت التجارب
عنهم فاذا اكثرهم حساد على النعم واعدآء لا يسترون زلة
ولا يعرفون لجليس حقا ولا يواسون من مالهم صديقا فتأملت
الامر فاذا الحق سبحانه يغار على قلب المؤمن ان يجعل له
شيئا يأنس به فهو يكدر عليه الدنيا واهلها ليكون
انسه به فينبغى ان يعد الخلق كلهم معارف ليس فيهم

صديق بل تحسبهم

صديق بل تحسبهم اعدآء ولا تظهر سرك لمخلوق منهم ولا
تعتد منهم من يصلح لشدة لا ولدا ولا اخا ولا صديقا
بل عاملهم بالظاهر ولا تخالطهم الا حالة الضرورة بالتوقى
لحظه ثم انفر عنهم واقبل على شانك متوكلا على خالقك
فانه لا يجلب الخير سواه ولا يصرف السوء الا اياه فليكن جليسك
وانيسك وموضع توكلك وشكواك فان ضعف صبرك
فاستغث به وان قل يقينك فسله القوة واياك ان
تميل الى غير فانه غيور وان تشكو من اقداره فربما لم يحتمل
اوحى الله عزوجل الى يوسف عليه السلام بسبب مباح اذكرنى
عند ربك ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم وما اعرف العيش
الا لمن يعرفه ويعيش معه ويتأدب بين يديه فى حركاته
وكأنه يراه ويقف على باب طرقه حارسا من نظرة لا
تصلح وعلى باب لسانه حافظا له من كلمة لا تحسن وعلى باب
قلبه حماية بمسكنه من دخول الاغيار ويستوحش شغلا به
وهذا يكون على سيرة الروحانيين فاما المخلط فالكدر غالب
عليه والمحق لا يطلب الا الأرفع قال القائل

× انى لا احب السير الا مصاعدا × ولا البرق الا ان يكون يمانيا ×

٣٢٠ فصل

رأيت اكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته ومقصوده
فالقارئ مشغول بالروايات عاكف على الشواذ يرى ان المقصود
نفس التلاوة ولا يتلمح عظمة المتكلم ولا زجر القرآن ووعده
وربما ظن ان حفظ القرآن يدفع عنه فتراه يترخص الذنوب
ولو فهم لعلم ان الحجة عليه اقوى ممن لم يقرأ والمحدث يجمع
الطرق ويحفظ الأسانيد ولا يتأمل مقصود المنقول و
يرى انه قد حفظ على الناس الاحاديث فهو يرجو بذالك
السلامة وربما ترخص في الخطايا ظنا منه ان ما فعل في
الشريعة يدفع عنه والفقيه قد وقع انه له بما قد عرف من
الجدل الذى يقوى به خصامه والمسائل التى قد عرف
فيها المذهب قد حصل بما يفتى به الناس ما يرفع قدره
ويحوذ نيه فربما يهم على الخطا ظنا ان ذالك يدفع عنه
وربما لم يحفظ القرآن ولم يعرف الحديث وانهما ينهيان
عن الفواحش بزجر وترقيق ويضاف اليه مع الجهل
بهما حب الرئاسة وايثار الغلبة في الجدل فيزيد قسوة
قلبه وعلى هذا اكثر الناس صور العلم عندهم صناعة
فهى تكسبهم الكبر والحماقة وقد حكى بعض العشيين
عن شيخ افنى عمره في علوم كثيرة انه فتن في آخر بفسق

اضر عليه وبارز

اضر عليه وبارز الله به وكانت حالته تعطى بضمونها ان
علمى يدفع عنى شر ما انا فيه ولا يبقى له اثر وكان كأنه
قطع لنفسه بالنجاة فلا يرى عنده اثر لخوف ولا ندم على ذنب
قال فتغير في آخر عمره ولازمه الفقر فكان يلقى الشدائد
ولا ينتهى عن قبيح حاله الى ان جمعت له يوما قراريط على
وجه الكدية فاستحيا من ذالك وقال يارب الى هذا الحد
قال الحاكى فتعجبت من غفلته كيف ينسى الله عز وجل و
اراد منه حسن التدبير له والصيانة وسعة الرزق و
وكأنه ما سمع قوله تعالى (وان لو استقاموا على الطريقة
لأسقيناهم ماءً غدقا) ولا علم ان المعاصى تسد ابواب
الرزق وان من ضيع امر الله ضيعه الله تعالى ما رأيت
علما ما افاد كعلم هذا اذ ازل انكسر وهذا مصر لا تؤثر له
معصية وكأنه يجوز له ما يفعل او كأن له تصرف في الدين
تحليلا وتحريما فمرض عاجلا ومات على اقبح حال قال
الحاكى ورأيت شيخا آخر حصل صور علم فما افادته
كان اى فسق امكنه لا يتحاشى منه واى امر لا يعجبه من القدر
عارضه بالاعتراض على المقدر واللوم له فعاش اكدر عيش
وعلى اقبح اجتهاد حتى درج وهؤلاء لم يفهموا معنى العلم

وليس العلم صور الالفاظ انما المقصود فهم المراد منه
وذلك يورث الخشية والخوف ويرى المنة للمنعم بالعلم
وقوة الحجة له على المتعلم نسأل الله عز وجل يقظة تفهمنا
المقصود وتعرفنا المعبود ونعوذ بالله من سبيل رعاع
يتسمون بالعلماء لا ينهاهم ما يحملون ويعلمون ولا
يعلمون ويتكبرون على الناس بما يعلمون ويأخذون عرض
الأدنى وقد نهوا عما يأخذون غلبتهم طباعهم وما راضتهم
علومهم التي يدرسون فهم اخس حالاً من العوام الذين يجهلون
ما يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون

٣٢١ فصل

ينبغي للفقيه ان يطالع من كل فن طرفا من تاريخ وحديث و
لغة وغير ذلك فان الفقيه يحتاج الى جميع العلوم فيأخذ
فيأخذ من كل شئ منها مهما ولقد رأيت بعض الفقهاء يقول
اجتمع الشبلي وشريك القاضي فاستحييت له كيف لا يدري
بعد ما بينهما وقال في مناظرته كانت الزوجية بين فاطمة
وعلي رضي الله عنهما غير منقطعة الحكم فلهذا غسلها فقلت
له ويحك فقد تزوج امامة بنت زينب وهي بنت اختها
فانقطع ورأيت في كتاب (احياء علوم الدين) للغزالي من

هذا مايدهش

هذا مايدهش من التخليط في الأحاديث والتواريخ فجمعت من
اغاليطه في كتاب وقد ذكر في كتاب له سماه (المستظهري) و
عرضه على المستظهر بالله ان سليمان بن عبد الملك بعث الى الحجاز
ابعث لي من فطورك فبعث اليه نخالة مقلوة فافطر عليها
ثم جامع زوجته فجاءت بعبد العزيز ثم ولد له عمر وهذا اغلاط
قبيح فانه جعله عمر بن عبد العزيز بن سليمان بن عبد الملك
فجعل سليمان جده وانما هو ابن عمه وقد ذكر ابو المعالي الجويني
في اواخر كتاب (الشامل) في الاصول قال قد ذكرت طائفة
من الثقاة المعتنين بالبحث عن البواطن ان الحلاج والجنابي
القرمطي وابن المقنع تواصوا على قلب الدول وافساد المملكة
واستعطاف القلوب وارتاد كل منهم قطرا فقطن الجنابي
في الأحساء وتوغل ابن المقنع في اطراف بلاد الترك وقطن
الحلاج بغداد فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن
بلوغ الامنية لبعد اهل بغداد من الانخداع وتوفر فطنهم
وصدق فراستهما قلت ولو ان هذا الرجل او من حكى
عنه عرف التواريخ لعلم ان الحلاج لم يدرك ابن المقنع
فان ابن المقنع امر بقتله المنصور فقتل في سنة اربع و
اربعين ومائة وابو سعيد الجنابي القرمطي ظهر في سنة
ست وثمانين ومائتين والحلاج قتل سنة تسع و
ثلاثمائة فزمان الحلاج والقرمطي متقارب فاما ابن المقنع

ابن المقفع

فكلاً فينبغي لكل ذي علم ان يشام بباقي العلوم فيطالع منها طرفا
اذ لكل علم يعلم تعلق وما اقبح بمحدث يُسأل عن حادثة فلا
يدري وقد شغله عنها جمع طرق الاحاديث وقبيح بالفقيه
ان يقال له ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا
فلا يدري صحة الحديث ولا معناه نسئل الله عز وجل همة
عالية لا ترضى بالنقائص بمنه وكرمه ولطفه

٣٢٢ فصل

كانت هم القدماء من العلماء عَلِيَّة تدل عليها تصانيفهم
التي هي زبدة اعمارهم الآن اكثر تصانيفهم دثرت لان هم
الطلاب ضعفت فصاروا يطلبون المختصرات ولا ينشطون
للمطولات ثم اقتصروا على ما يدرسون به من بعضها
فدثرت الكتب ولم تنسخ فسبيل الطالب الكمال في طلب
العلم الاطلاع على الكتب التي قد تخلفت من المصنفات
فليكثر من المطالعة فانه يرى من علوم القوم وعلق هممهم
ما يشحذ خاطره ويحرك عزيمته للجد وما يخلو كتاب من
فائدة واعوذ بالله من سير هؤلاء الذين نعاشرهم لا نرى
فيهم ذا همة عالية فيقتدي بها المبتدي ولا صاحب ورع
فيستفيد منهم الزاهد فالله الله عليكم بملاحظة سير السلف
ومطالعة تصانيفهم واخبارهم فالاستكثار من مطالعة

لكتبهم رؤية لهم

كتبهم رؤية لهم كما قال القائل

× فانني ان ارى الديار بطرفي × فلعلي ارى الديار بسمعي ×

واني اخبر عن حالي ما اشبع من مطالعة الكتب واذا رأيت
كتابا لم اره كأني قد وقعت على كنز ولقد نظرت في ثبت الكتب
الموقوفة في المدرسة النظامية فاذا به يحتوي على نحو ستة
الاف مجلد وفي ثبت كتب ابي حنيفة وكتب الحميدي وكتب
شيخنا عبد الوهاب وابن ناصر وكتب ابي محمد الخشاب و
كانت احمالاً وغير ذلك من كل كتاب اقدر عليه ولو قلت
اني طالعت عشرين الف مجلد كان اكثر وانا بعد في الطلب و
استفدت في النظر ملاحظة سير القوم وقدر همهم وحظهم و
عاداتهم وغرائب علومهم لا يعرفها من لم يطالع فصرت
استزري ما الناس فيه واحتقر همم الطلاب ولله الحمد

٣٢٣ فصل

ليس للآدمي اعز من نفسه عجبت ممن يخاطر بها ويعرضها للهلاك
والسبب في ذلك قلة العقل وسوء النظر فمنهم من يعرضها
للتلف ليمدح بزعمه مثل قوم يخرجون الى قتال السبع و
منهم من يصعد الى ايوان كسرى ليقال شاطر وسابح يمشي
ثلاثين فرسخا هؤلاء اذا تلفوا حملوا الى النار فلا
ينفع قول المادح لهم بعدهم وممن قل عقله راكب البحر

للتجارة يغتر بمن سلم فان هلك ذهبت النفس التي يراد المال لاجلها واعجب من الكل من يخاطر بنفسه في الهلاك الابدي مثل ان يغضب فيقتل المسلم فيشفي غيظه لحظة بالتعذيب في جهنم واظرف من هذا اليهود والنصارى فان احدهم يبلغ فيجب عليه ان ينظر في نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم فاذا فرط فمات فله الخلود في جهنم ولقد قلت لبعضهم ويحك تخاطر بنفسك في عذاب الابد نحن نؤمن بنبيكم فنقول لو ان مسلما آمن بنبينا وكذب بنبيكم او بالتوراة خلد بالنار فما بيننا وبينكم خلاف اذ نحن مؤمنون بصدقه وكتابه فلو لقيناه لم نجمل ولوعاتبنا مثلا قال هلا قمتم بالسبت والسبت من الفروع والفروع لا يعاقب عليها بالخلود فقال لي رئيس القوم ما نطالبكم بهذا لأن السبت انما يلزم بني اسرائيل قلت فقد سلمنا باجماعكم وانتم هالكون لانكم تخاطرون بارواحكم في العذاب الدائم والعجب ممن يهمل النظر فيما اذا توانى فيه اوجب الخلود في العقاب الدائم واعجب من الكل جاحد الخالق وهو يرى احكام الصنعة وهو يقول للصانع والسبب في هذه الاشياء كلها قلة العقل وترك اعماله في النظر والاستدلال

٣٢٤ فصل

لا ينبغي لعاقل

لا ينبغي لعاقل ان يظهر سرا حتى يعلم انه اذا اظهر لا يتأذى بظهوره ومعلوم ان السبب في بث السر طلب الاستراحة ببثه وذاك الم قريب فليصبر عليه فرب مظهر سرا لزوجة فاذا طلقت بثته وهلك او لصديقة فيظهر عليه حسدا له اذا كان مماثلا وان كان عاميا فالعامي احمق فرب سر اظهر فكان سبب الهلاك

٣٢٥ فصل

ما يتناهى في طلب العلم الا عاشق للعلم والعاشق ينبغي ان يصبر على المكاره ومن ضرورة المتشاغل به البعد عن الكسب وقد فقد التفقد من الأمراء ومن الأخوان فلازمهم الفقر ضرورة والفضائل تنادي (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) فكلما خافت من ابتلى قلت

× لا تحسب المجد تمرا انت آكله × لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولما آثر الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه لطلب العلم وكان فقيرا بقي اربعين سنة متشاغلا به ولا يتزوج فينبغي للفقير ان يصابر فقره كما فعل احمد ومن يطيق ما اطاق فقد رد من المال خمسين الفا وكان يأكل الكامخ ويتادم بالملح فما شاع له الذكر الجميل جزافا ولا تردد الاقدام الى

قبره الا لمعنى عجيب فياله ثناء ملأ الآفاق وجمالا زين الوجوه
وعزا نسخ كل ذل هذا فى العاجل وثواب الآجل لا يوصف
وتلمح قبور اكثر العلماء لا تعرف ولا تزار ترخصوا وتأولوا
وخالطوا السلاطين فذهبت بركة العلم ومحى الجاه و
وردوا عند الموت حياض الندم فيالها حسرات لا
تتلافى وخسرانا لا ينجبر كانت صحبة اللذات طرفة عين
ولازم الأسف دائما فالصبر الصبر ايها الطالب للفضائل
فان لذة الراحة بالهوى او بالبطالة يذهب ويبقى الأسى
وقد قال الشافعى رضى الله عنه شعرا

× يا نفس ما هى الا صبر ايام × كأن مدتها اضغاث احلام ×
× يا نفس جوزى عن الدنيا مبادرة × وخلى عنها فان العيش قد امى ×
ايها العالم الفقير ايسرك ملك سلطان من السلاطين وان
ما تعلمه من العلم ما تعلمه كلا ما اظن بالمتيقظ ان يؤثر
هذا ثم انت اذا وقع لك خاطر مستحسن او معنى عجيب تجد
لذة لا يجدها ملتذ باللذات الحسية فقد حرم من رزق
الشهوات ما قد رزقت وقد شاركتهم فى قوام العيش
ولم يبق الا الفضول الذى اذا حد ولم يكد يضر ثم هم
على المخاطرة فى باب الآخرة غالبا وانت على السلامة
فى الاغلب فتلمح يا اخى عواقب الاحوال واقمع الكسل المثبط

عن الفضائل

عن الفضائل فان كثيرا من العلماء من الذين ماتوا مفرطين
يتقلبون فى حسرات واسف راى رجل شيخنا ابن الزاغونى
فى المنام فقال له الشيخ اكثر ما عندكم الغفلة واكثر ما عندنا
الندامة فاهرب وفقك الله قبل الحبس وفسخ عقد الهوى
على الغبن الفاحش واعلم ان الفضائل لا تنال بالهوينا
وان يسير التفريط يشين وجه المحاسن فالبدار البدار
ونفس النفس يتردد وملك الموت غائب ما قدم يعد
وانهض بعزيمة عازم

× اذا هم الفتى بين عينيه عرضه × ونكب عن ذكر الحوادث جانبا ×
× ولم يستشر فى امره غير نفسه × ولم يرض الا قائم السيف صاحبا

وارفض فى هذه العزيمة الدنيا وار بابها فبارك الله لاهل
الدنيا فى دنياهم فنحن الاغنياء وهم الفقراء كما قال ابراهيم
ابن ادهم لو علم الملوك وابناء الملوك لجالدونا عليه بالسيوف
ايام الدنيا احدهم يأكل لقمة الا حراما او شبهة وهو
ان لم يؤثر ذلك فوكيله يفعله ولا يبالى بقلة دين وكيله
وان عمروا دارا سخر الفعلة وان جمعوا مالا من وجوه
لا تصلح ثم كل منهم خائف ان يقتل او يعزل او يسيم فعيشهم
نغص ونحن ناكل ما ظاهر الشرع يشهد له بالاباحة
ولا يخاف من عدو ولا ولاية تقبل العزل والعزفى

الدنيا لنا لالهم واقبال الخلق علينا وتقبيل ايدينا وتعظيمنا
عندهم كثير وفى الآخرة بيننا وبينهم تفاوت ان شاء
الله تعالى فان علت ارباب الدنيا اعناقهم يعلمون قدر
مراتبنا وان غلت ايديهم من اعطائنا فلذة العفاف اطيب
ومرارة المنة لا تفى بالمأخوذ وانما هو طعام دون طعام
ولباس دون لباس وانها ايام قلائل والعجب لمن شرفت
نفسه حتى طلبت العلم اذ لا يطلبه الا نفس شريفة كيف
يذل ليذل ما عزه الا بالدنانير ولا فخره الا بالمكنة ولقد
انشدنى ابو يعلى العلوى شعرا

كيف يذل لمن ما عزه الا بالدنانير ولا فخره الا بالمكنة

× رب قوم فى خلائقهم عر × وقد صير واعرورا ×
× ستر المال القبيح لهم × سترى ان زال ما سترى ×

ايقظنا الله تعالى من رقدة الغافلين ورزقنا فكر المتيقظين
ووفقنا العمل بمقتضى العلم والعقل انه قريب مجيب

٣٢٦ فصل

لا ينبغى للانسان ان يحمل على بدنه ما لا يطيق فان البدن
كالراحلة ان لم يرفق بها لم تصل بالراكب فترى بالتائبين
من يتزهد ويقدر بى جسده على الترف فيعرض عما الفه
فيتجدد له الأمراض فتقطعه عن كثير من العبادات

وقد قيل عودا

وقد قيل عودوا كل بدن ما اعتاد وقد قرب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضب فقال اجدنى اعافه لانه ليس بارض
قومى وفى حديث الهجرة ان ابا بكر رضى الله تعالى عنه طلب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الظل وفرش له فروة وصب
على القدح الذى فيه اللبن ماء حتى برد وجاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم على قوم فقال ان كان عندكم ماء بائت فى شن
والا كرعنا وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الدجاج وفى
الصحيح انه كان يحب الحلوى والعسل وكان اذا لم يقدر
اكل ما حضر ولعمرى ان فى العرب واهل السواد من لا يؤثر
عنده التخشن فى المطعم والملبس وذاك اذا جرى بعد
نوبته على علاته لم يستضر فامر مامن قد الف اللطف فانه
اذا غير حاله لغير بدنه وقلت عبادته وقد كان الحسن
يديم اكل اللحم ويقول لا رغبنى مالك ولا صحنا فرقد وكان
ابن سيرين لا يخلى منزله من حلوى وكان سفيان الثورى
يسافر وفى سفرته الحمل المشوى والفالوذج وقالت
رابعة العدوية ما ارى البدن يراد به العمل لله تعالى
اذا اكل الفالوذج عيبا فمن الف الترف فينبغى ان يلطف
بنفسه اذا امكنه وقد عرفت هذا من نفسى فانى ربيت
فى ترف فلما ابتدأت فى التقلل وهجر المشتهى اثر معى
مرضا قطعنى عن كثير من التعبد حتى انى قرأت فى ايام

هو ابن دينار الزاهد

هو السنجى الزاهد

كل يوم خمسة اجزآء من القرآن فتناولت يومًا مالا يصلح
فلم اقدر فى ذالك اليوم على قرآئتها فقلت ان لقمة تؤثر
قرآءة خمسة اجزآء بكل حرف عشر حسنات ان تناولها
طاعة عظيمة وان طعامًا يؤذى البدن فيفوته فعل خير ينبغى
ان يهجر وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا من
اصحابه حضر عنده وقد تغيّر من التقشف فقال له من
امرك بهذا فالعاقل يعطى بدنه من الغذآء مايوافقه
كما يُنقى الغازى شعير الدابة ولا تظنن انى آمر باكل الشهوات
ولا بالاكثار من الملذوذ انما آمر بتناول مايحفظ النفس
وانهى عما يؤذى البدن فاما التوسع فى المطاعم فانه
سبب النوم والشبع يعمى القلب ويرهل البدن و
يضعفه فافهم ما اشرت اليه فالطريق هى الوسطى

٣٢٧ فصل

اذا تكامل العقل قوى الذكآء والفطنة والذكى يتخلص اذا
وقع فى آفة كما قال الحسن اذا كان اللص ظريفًا لم يقطع
فاما المغفل فيجئ على نفسه المحن هؤلآء اخوة يوسف
عليهم السلام ابعدوه عن ابيه ليتفقدوا عنده وما علموا ان
حزنه عليه يشغله عنهم وتهمته اياهم يُبَغِّضُهم اليه ثم
رموه فى الجب فقالوا يلتقطه بعض السيارة وليس بطفل

وانما هو صبي

وانما هو صبي كبير فما علموا انه اذا التقط يتحدث بحاله فيبلغ
الخبر الى ابيه وهذا التغفيل ثم انهم قالوا اكله الذئب وجاؤا
بقميصه صحيحًا ولو خرقوه اختل الأمر ثم لما مضوا اليه يمتارون
قال ائتونى باخ لكم من ابيكم فلو فطنوا علموا ان ملك مصر
لا غرض له فى اخيهم ثم حبسه بحجة ثم قال هذا الصاع
الصواع يخبرنى انه كان كذا وكذا هذا كله وما يفطنون
فلما احسّ يعقوب عليه السلام بهذه الاشيآء قال اذهبوا
فتحسّسوا من يوسف وكان يوسف عليه السلام قد نهى
بالوحى ان يعلم اباه بوجوده ولهذا لما التقيا قال له
هلّا كتبت الىّ كتابا فقال انّ جبرئيل منعنى فلما نهى
ان يعرفه خبره لينذ البلا كان مافعل باخيه تنبيها فصار
كأنه عرض بخطبة المعتدة وعلى فهم يوسف والله بكى يعقوب
لا على مجرد صورته

٣٢٨ فصل

الآدمى موضوع على مطلوبات تشتت الهم فالعين تطلب
المنظور واللسان يطلب الكلام والبطن يطلب المأكول
والفرج يطلب المنكوح والطبع يحب جمع المال وقد
امرنا بجمع الهم لذكر الآخرة والهوى يشتته فكيف اذا

اجتمعت اليه حاجات لازمة من طلب قوت البدن وقوت
العيال وهذا يبكر الى دكانه ويفتكر فى التحصيل ويستعمل آلة
الفهم فى نيل مال لابد منه فاى هم يجتمع خصوصًا ان اخذه
الشره فى صورة فيمضى العمر فينهض من الدكان الى القبر و
كيف يحصل العلم والعمل واخلاص القصد اوطلب الفضائل
فمن رزق يقظة فينبغى ان يصابر لنيل الفضائل فان كان
متزهدًا بغير عائلة فقد كان السبتى يعمل يوم السبت فيكتفى
بطول الاسبوع فان كان له مال باضع به من يكفيه بدينه
وثقته ان يهتم هو وان كان له عائلة جمع همته فى نية
الكسب عليهم فيكون متعبدا اويكون قنية مال كعقاب
تلطف به فى نفقته ليكفيه دخله وليقلل الهم على مقدار ما
يمكنه من حذف العلائق جهده ليجمع الهم فى ذكر الآخرة
فان لم يفعل اخذ على غفلته وندم فى حضرته واقبح الاحوال
حال عالم فقيه كلما جمع همته لذكر الآخرة شتتته طلب
القوت للعائلة وربما احتاج الى التعرض بالظلمة واخذ
الشبهات وبذل الوجه فيلزم من هذا التقدير فى النفقة
واذا حصل له شئ من وجه دبر فيه ولا ينبغى ان يحمله
قصر الامل على اخراج ما فى يده فقد صلى الله عليه وسلم
لأن تترك ورثتك اغنياء خير من ان تتركهم

عالة يتكففون الناس

عالة يتكففون الناس واذل من كل ذل التعرض للبخلاء و
الامراء فليد برامرء ويقلل العلائق ويحفظ جاهه فالايام
قلائل وقد بُعِث الى احمد بن حنبل مال فسأله ابنه قبوله
فقال ياصالح صنّي ثم قال استخير الله فاصبح فقال يا بنيّ
قد عزم لى ان لا اقبله هذا وقد كان العطاء هنيئًا وجاءته
من وجوه فانعكس الامر اليوم

٢٢٩ فصل

العزلة عن الخلق سبب طيب العيش ولابد من مخالطة بمقدار
فدار العدو واستحله فربما كادك فاهلكك واحسن
الظن من اساء اليك واستعن على امورك بالكتمان وليكن
الناس عندك معارف فاما اصدقاء فلا لأن اعز الاشياء
وجود صديق لأن الصديق ينبغى ان يكون فى مرتبة مماثل
فان صادقت عاميا لم تنتفع به لسوء اخلاقه وقلة
علمه وادبه وان صادقت مماثلا اومقاربا حسدك
واذا كان لك يقظة تلمحت من افعاله واقواله ما يدل على
حسدك ولتعرفنهم فى لحن القول واذا اردت تأكيد ذلك
فضع عليه من يضعك عنده فلا يخرج اليه بما فى قلبه فان
اردت العيش فابعد عن الحسود لانه يرى نعمتك فربما

بالعين فان اضطررت الى مخالطته فلا تفش اليه سرك ولا
تشاوره ولا يغرك تلطفه لك ولا ما يظهر من الدين والتعبد
فان الحسد يغلب الدين وقد عرفت ان قابيل اخرجه الحسد
الى القتل وان اخوة يوسف باعوه بثمن بخس وكان ابو عامر
الراهب من المتعبدين العقلاء وعبد الله بن ابى من الرؤساء
اخرجهما حسد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النفاق
وترك الصواب ولا ينبغى ان تطلب لحاسدك عقوبة اكثر
مما هو فيه فانه امر عظيم متصل لا يرضيه الا زوال نعمتك
وكلما امتدت امتد عذابه فلا عيش له وما طاب عيش
اهل الجنة الا حين نزع الحسد والغل من صدورهم ولولا انه
نُزِع تحاسدوا وتنغص عيشهم

٣٣٠ فصل

من سار مع العقل وخالف طريق الهوى نظر الى العواقب و
امكنه ان يتمتع من الدنيا اضعاف ما تمتع من استعجل الشهوات
فاما المستعجل فيفوت نفسه حظ الدنيا والذكر الجميل
ويكون ذلك سببا لفوات مراده من اللذات وبيان
هذا من وجهين احدهما ان من مال الى شهوة النكاح واكثر
منها قل التذاذه وفنيت حرارته وكان ذلك سببا
فى عدم مطلوبه منها ومن استعمل ذلك بمقدار
ما يجزه من العقل

ما يجزه من العقل ويحتمله كان التذاذه اكثر لبعد ما
بين الجماعين وامكنه التردد لبقاء الحرارة وكذلك من غش
فى معاملته او خاف فانه لا يعامل فيفوته ربح المعاملة
الدائمة لخيانته مرة ولو عرف بالثقة دامت معاملة
الناس له فزاد ربحه وانه من اتقى الله وتشاغل بالعلم
وتحقيق الزهد وفتح له من المباحات ما يلتذ به كثيرا ومن
تقاعد له الكسل عن العلم والهوى عن تحقيق الزهد لم
يحصل له الا اليسير من مراده قال عز وجل (وان لو استقاموا
على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا)

٣٣١ فصل

ينبغى ان يكون العمل كله لله ومعه ومن اجله وقد كفاك كل
مخلوق وجلب لك كل خير واياك ان تميل عنه بموافقة هوى
وارضاء مخلوق فانه يعكس عليك الحال ويفوتك المقصود
وفى الحديث من ارضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس
ذاما واطيب العيش من يعيش مع الخالق سبحانه فان
قيل كيف العيش معه قلت بامتثال اوامره واجتناب نهيه
ومراعاة حدوده والرضى بقضاءه وحسن الأدب فى الخلوة
به وكثرة ذكره وسلامة القلب من الاعتراض فى اقداره

فان احتجت سألته فان اعطى والا رضيت بالمنع وعلمت انه
لم يمنع بخلا وانما نظر لك ولا تنقطع عن السؤال لأنك
متعبد به ومتى دمت على ذلك رزقك محبته وصدق
التوكل عليه فصارت المحبة بذلك على المقصود وائمرت
محبته اياك فحينئذ تعيش عيش الصديقين ولا خير في
عيش لم يكن كذا فان اكثر الناس مخبط في عيشه يدارى
الأسباب ويميل اليها في قلبه ويتعب في تحصيل الرزق
بحرص زائد على الحد ويرغب الى الخلق ويتعرض عند
انكسار الأغراض والقدر يجرى ولا يبالى بسخطه ولا
يحصل الا ما قُدِّر وقد فاته القرب من الحق والمحبة له
والتأدب معه فذلك العيش عيش البهائم

٣٣٢ فصل

نظرت في حكمة المطعم والمشرب والملبس والمنكح فرأيت
ان الآدمي لما خلق من اصول تتحلل وهى الماء والتراب
والنار والهوى وابقاؤه انما يكون بالحرارة والرطوبة
والحرارة تحلل الرطوبة دائما فلم يكن له بد من شئ يخلف
ولما كان اللحم لا ينوب عنه الا اللحم اباح ذبح الحيوان
ليتقوى به من هو اشرف منه ولما كان بدنه يحتاج الى

كسوة وله قدرة

كسوة وله قدرة تميز وقدرة يصنع بها ما يقيه الاذى من
القطن والصوف لم يجعل على جلده ما يقيه خلقه بخلاف
الحيوان البهيم فانه لما لم يكن له قدرة على ما يغطى جلده
عوضه بالريش والشعر والوبر ولما لم يكن بدن فناء
الآدمي والحيوان هيج شهوة الجماع لتخلف النسل فمقتضى
العقل الذى حرك على طلب هذه المصالح ان يكون التناول
للمطعم والمشرب بمقدار الحاجة والمصلحة ليقع الالتذاذ
بالعافية ومن البلية طلب الالتذاذ بالمطعم وان كان
غير صالح او تكثر به والشره في تناوله وكذلك الكسوة
والنكاح ومن الحزم جمع المال وادخاره لعارض حاجه
من ذلك ومن التغفيل انفاق الحاصل فربما عرضت
حاجة فلم يقدر عليها فاثر مستخدمها في البدن
او في العرض مطلبها من الانذال ومن اقبح الامور الانهماك
في النكاح طلبا لصورة اللذة ناسيا ما يجنى ذلك
من الخلال القوة ويزيد في الحرام بالعقوبة فمن مال الى
+ تدبير العقل سلم في دنياه وآخرته ومن اعرض من مشورته
او عن القبول عنه تعجل عطبه فليفهم مقصود الموضوعات
وحكمها والمراد منها فمن لم يفهم ولم يعمل بمقتضى ما فهم

كان كأجهل العوام وان كان عالمًا

٣٣٣ فصل

في مخالطة الأمرآء العجب ممن له مسكة من عقل او عنده قليل من دين كيف يؤثر مخالطتهم فان المخالط لهم اذا العمل معهم يكون صاحبه خائفا من عزل او قتل اوسم ولا يمكنه ان يعمل الا بمقتضى اوامرهم فان امروا بما لا يجوز لم يقدر ان يراجع فقد باع دينه قطعًا ودنياه ممنعه بالخوف ولم يبق بيده الا عاجل التعظيم وان يقال بين يديه بسم الله وان ينفذ امره وذالك بعيد السلامة في باب الدين وما يلتذ به منه في الدنيا ممزوج بخوف العزل والقتل

٣٣٤ فصل

من الغلط العظيم ان يتكلم في حق معزول بما لا يصلح فانه لا يؤمن ان يلي فينتقم وفي الجملة لا ينبغي ان يظهر العداوة لاحد اصلا فقد يرتفع المحتقر وقد يتمكن من لا يعد بل ينبغي ان يكتم ما في النفوس على الاعداء فان امكن الانتقام منهم كان العفو انتقامًا لانه يذلهم وينبغي ان يحسن الى كل احد خصوصًا من يجوز ان يكون له ولاية وان يخدم المعزول فربما نفع في ولايته وقد رويانا ان رجلا استأذن على

قاضي القضاة

قاضي القضاة ابن ابي دواد وقال قولوا له ابو جعفر بالباب فلما سمع هش لذالك وقال ائذنوا له فدخل فقام فتلقاه واكرمه واعطاه خمسة الاف وودعه فقيل له رجل من العوام فعلت به هذا قال اني كنت فقيرا وكان هذا صديقا لي فجئته يومًا فقلت له انا جائع فقال اجلس فخرج فجاء بشوى وحلوى وخبز فقال كل فقلت كل معي قال لا قلت ووالله لا آكل حتى تأكلوا فاكل فجعل الدم يجري من فمه فقلت ما هذا فقال مرض فقلت والله لابد ان تخبرني فقال انك لما جئتني لم اكن املك شيئًا وكانت اسناني مضببة بشريط من الذهب فنزعته واشتريت به فهل لا اكافي مثل هذا وعلى عكس هذه الاشياء كان ابن الزيات وزير الواثق وكان يضع من المتوكل فلما ولي عذبه بانواع العذاب وكذالك ابن الجزري كان لا يوقر المسترشد قيل الولاية فجرت عليه الآفات لما ولي فالعاقل من تأمل العواقب وراعاها وصور كلما يجوز ان يقع فعمل بمقتضى الحزم وابلغ من هذا تصوره وجود الموت عاجلا لانه يجوز ان يأتي بغتة من غير مرض فالحازم من استعد له وعمل عمل من لا يندم اذا جاءه وحذر من الذنوب فانها كعدو مراصد بالجزاء وادخر لنفسه صالح الاعمال فانها كصديق ينفع

وقت الشدة وابلغ من كل شئ ان يعلم المؤمن انه كلما زاد
عمله في الفضائل علت مرتبته في الجنة وان نقص نقصت فهو
وان دخل الجنة ما يجده في نقص بالاضافة الى كمال غيره غير انه
قد رضي به ولا يشعر بذلك فرحم الله من تلمح العواقب وعمل
بمقتضى التلمح والله تعالى الموفق

٣٣٥ فصل

لما جمعت كتابي المسمى (بالمنتظم في تاريخ الملوك والامم)
اطلعت على سير الخلق من الملوك والخلفاء والوزراء والعلماء
والأدباء والفقهاء والمحدثين والزهاد وغيرهم فرأيت الدنيا
قد تلاعبت بالاكثرين تلاعب اذهب اديانهم حتى كانوا
لا يؤمنون بالعقاب فمن الامراء من يقتل ويصادر ويقطع
ويحبس بغير حق ثم ينخرط في سلك القاضي كان الامر اليه
او قد جاءه الامن العقاب فربما تخايل ان حفظي للرعايا
يرد عني وينسى انه قد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وقد انخرط
جماعة ممن اتسم بالعلم في سلك المعاصي لتحصل اغراضهم
العاجلة فما نفعهم علمهم ورأى خلق من المتزهدين لنيل
اغراضهم وهذا الأن الدنيا فخ والناس كعصافير والعصفور

يريد الجنة

يريد الجنة وينسى الخنق فقد نسي اكثر الخلق ما آلهم ميلاً
الى عاجل لذاتهم واقبلوا يسامرون الهوى ولا يلتفتون الى
مشاورة العقل فلقد باعوا بلذة يسيرة خيراً كثيراً واستبدلوا
بشهوات مرذولة عذاباً عظيماً فاذا نزل باحدهم الموت
قال ليتني لم اكن ليتني كنت تراباً فيقال له الآن فواأسفا
لفائت لا يمكن استدراكه ولمرتهن لا يصح فكاكه ولندم
لا ينقطع زمانه ولمعذب عز عليه امانه بالله ما نفعت العقول
الا لمن يلتفت اليها ويعول عليها ولا يمكن قبول مشاورها
الا بعزيمة الصبر عما يشتهي فتأمل في الأمراء عمر بن الخطاب
وابن عبد العزيز رضي الله عنهما وفي العلماء احمد بن حنبل
رحمة الله عليه وفي الزهاد اويس القرني لقد اعطوا الجد
حقه وفهموا مقصود الوجود وما هلك الهالك الا لقلة
الصبر عن المشتهى وربما كان فيهم من لا يؤمن بالبعث و
العقاب وليس العجب من ذاك انما العجب من مؤمن يوقن
ولا ينفعه يقينه ويعقل العواقب ولا ينفعه عقله

٣٣٦ فصل

من رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها كما قال الشاعر شعرا

* واذا كانت النفوس كبارا * تعبت في مرادها الاجسام *

وقال الآخر

× ولكل جسم فى النحول بليّة × وبلآء جسمى من تفاوت همّتى ×

وبيان هذا ان من علت همّته طلب العلوم كلها ولم يقتصر على بعضها وطلب من كل علم نهايته وهذا لا يحتمله البدن ثم يرى ان المراد العمل فيجتهد فى قيام الليل وصيام النهار والجمع بين ذلك وبين العلم صعب ثم يرى ترك الدنيا ويحتاج الى مالا بد منه ويجب الايثار ولا يقدر على البخل ويتقاضاه الكرم النبيل ويمنعه عز النفس عن الكسب فان هو جرى على طبعه من الكرم احتاج وافتقر وتأثر بدنه وعائلته وان امسك فطبعه يابى ذلك وفى الجملة يحتاج الى معاناة وجمع بين اضداد فهو ابدا فى نصب لا ينقضى وتعب لا يفرغ ثم اذا حققت الاخلاص فى الاعمال زاد تعبه وقوى ~~تعبه~~ وصبه فاين هو من دنت همته ان كان فقيها فسئل عن حديث قال ما اعرفه وان كان محدثا فسئل عن مسألة فقهية قال ما ادرى ولا يبال ان قيل له مقصر والعالى الهمة يرى التقصير فى بعض العلوم فضيحة قد كشفت عيبه وقد رأت الناس عورته والقصير الهمة لا يبالى بمن الناس ولا يستقبح سؤالهم ولا يأنف من رد والعالى الهمة لا يحتمل ذلك ولكن تعب العالى الهمة راحة

فى المعنى وراحة

فى المعنى وراحة القصير الهمة تعب ودنس ان كان ثم فهم والدنيا دار سباق الى عالى المعالى فينبغى لذى الهمة ان لا يقصر فى شوطه فان سبق فهو المقصود. وان كبا جواده مع اجتهاده لم يلم

٣٣٧ فصل

المصيبة العظمى رضاء الانسان عن نفسه واقتناعه بعلمه وهذه محنة وقد عمت اكثر الخلق فيرى اليهودى والنصرانى يرى انه على الصواب ولا يبحث ولا ينظر فى دليل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واذا سمع ما يلين قلبه مثل القرآن المعجز هرب لئلا يسمع وكذلك ذى هوى يثبت امّا لانه مذهب ابيه واهله اولانه نظر نظرا اولا فرآها صوابا ولم ينظر فيما يناقضه ولم يباحث العلماء ليبينوا له خطأه ومن هذا حال الخوارج على امير المؤمنين علىّ رضى الله عنه فانهم استحسنوا ما وقع لهم ولم يرجعوا الى من يعلم ولما لقيهم عبد الله بن عباس رضى الله عنه فبين لهم خطأهم رجع عن مذهبه الفان منهم ومن لم يرجع عن هواه ابن ملجم فراى مذهبه هو الحق فاستحل قتل امير المؤمنين على رضى الله عنه ورآه دينا حتى انه لما قطعت اعضاؤه لم يمانع فلما طلب

سيئة ومن الاغترار ان يظن المذنب اذا لم ير عقوبة انه قد سومح وربما جائت العقوبة بعد مدة وقل من فعل ذنبا الا وقوبل عليه قال الله عز وجل (من يعمل سوءا يجز به) هذا آدم عليه السلام اكل لقمة فقد عرفت ما جرى عليه قال وهب بن منبه اوحى الله اليه الم اصطنعك لنفسي و احللتك داري واسجدت لك ملائكتي فعصيت امري ونسيت عهدي وعزتي لو ملأت الارض كلهم مثلك يعبدوني ويسبحوني الليل والنهار ثم عصوني لانزلتهم منازل العاصين فنزع جبرئيل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه وجذب بناصيته فاهبط فبكى آدم ثلاث مائة عام على جبل الهند تجري دموعه في اودية الجبال فنبتت تلك المدامع اشجار طيبكم هذا وكذلك داود عليه السلام نظر نظرة فاوجبت عقابه وبكاؤه الدائم حتى نبت العشب من دموعه واما سليمان عليه السلام فان قوما اختصموا اليه فكان هواه مع احد الخصمين فعوقب فتغير في اعين الناس وكان يقول اطعموني فلا يطعم واما يعقوب عليه السلام فانه يقال انه ذبح عجلا بين امه فعوقب بفراق ولده يوسف عليه السلام

لسانه ليقطع انزعج وقال كيف القى ساعة في الدنيا لا اذكر الله تعالى ومثل هذا ماله دواء وكذلك كان الحجاج يقول والله لا ارجو الخير الا بعد الموت هذا هو قوله وكم قد قتل من لا يحل قتله منهم سعيد بن جبير وقد اخبرنا عبد الوهاب وابن ناصر الحافظ قالا اخبرنا المبارك بن عبد الجبار قال اخبرنا الحسين بن محمد النصيبي قال اخبرنا اسماعيل ابن سعيد قال حدثنا ابو بكر بن الانباري قال حدثنا ابو عيسى الختلي قال حدثنا ابو يعلى قال حدثنا الاصمعي قال حدثنا عاصم عن عباد بن كثير عن قحذم قال وجد في سجن الحجاج ثلاثة وثلاثون الفا ما يجب على احدهم قطع ولا قتل ولا صلب قلت وعموم السلاطين يقتلون ويقطعون ظنا منهم جواز ذلك ولو سألوا العلماء بينوا لهم وعموم العوام يبارزون بالذنوب اعتمادا على العفو وينسون العقاب ومنهم من يعتمد انه من اهل السنة وان له حسنات تدفع وكل هذا لقوة الجهل فينبغي للانسان ان يبالغ في معرفة الدليل ولا يساكن شبهة ولا يثق بعلم نفسه نسئل الله السلامة من جميع الآفات

٣٣٨ فصل

ينبغي تأمله اعلم ان الجزاء بالمرصاد ان كانت حسنة او كانت

سيئة ومن الاغترار

واما فوخذ بالهم وكل واحد من اخوته ولد له اثنا عشر
ولدا وتصرهو ولد لاجل تلك الهمة واما ايوب عليه
السلام فانه قصر في الانكار على ملك ظالم لاجل خيل
كانت له في ناحيته فابتلي واما يونس عليه السلام
فخرج عن قومه بغير اذن فالتقمه الحوت واوحى الله عز وجل
الى ارميا ان قومك تركوا الامر الذي امرت اباءهم وعزتي
لاهيجن عليهم جنودا لا يرحمون بكاءهم فقال يارب
هم ولد خليلك وامة صفيك موسى عليه السلام وقوم
نبيك داود فاوحى الله اليه انما اكرمت موسى وابراهيم
وداود بطاعتي ولو عصوني لانزلتهم منازل العاصين
ونظر بعض العباد الى شخص مستحسن فقال له شيخه ماهذا
النظر ستجد غبه فنسي القرآن بعد اربعين سنة وقال
آخر عيرت شخصا قد ذهبت اسنانه فانتثرت
اسناني ونظرت الى امرأة لا تحل فنظر الى زوجتي من
لا أريد وكان بعض العاقين قد ضرب اباه وسحبه الى
مكان فقال له الأب حسبك الى ههنا سحبت ابي وقال
ابن سيرين عيرت رجلا بالافلاس فافلست ومثل
هذا كثير ومن عجيب ما سمعت فيه عن الوزير ابن حصير

الملقب بالنظام

الملقب بالنظام ان المقتفي غضب عليه وامر بان يؤخذ منه
عشرة الاف دينار فدخل عليه اهله محزونين وقال له من
اين لك عشرة الاف دينار فقال ما يؤخذ مني عشرة ولا خمسة
ولا اربعة قالوا له من اين لك قال اني طلبت رجلا والزمته
ثلاثة آلاف فلا يؤخذ مني اكثر منها فلما ادى ثلاثة الاف دينار
وقع الخليفة باطلاقه ومسامحته في الباقي وانا اقول عن نفسي
ما نزلت بي آفة او غم او ضيق صدر الا بذلك اعرفه حتى
يمكنني ان اقول هذا بالشيء الفلاني وربما تأولت فيه
بعد فاري العقوبة فينبغي للانسان ان يرتقب جزاء الذنوب
فقل ان يسلم منه وليجتهد في التوبة فقد روي في الحديث
ما من شيء اسرع لحاقا بشيء من حسنة حديثة لذنب قديم
ومع التوبة يكون خائفا من المؤاخذة متوقعا لها فان
الله قد تاب على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي حديث
الشفاعة يقول آدم ذنبي ويقول نوح ذنبي ويقول
ابراهيم وموسى ذنبي فان قال قائل قوله تعالى (من يعمل
سوءا يجز به) خبر فهو يقتضي ان لا يجاوز عن مذنب وقد
عرفنا قبول التوبة والصفح عن الخاطئين فالجواب من وجهين
احدهما ان يحمل على من مات مصرا ولم يتب فان التوبة
تجب ما قبلها والثاني انه على اطلاقه وهو الذي

اختاره انا واستدل بالنقل والمعنى اما النقل فانه لما
نزلت هذه الآية قال ابو بكر يا رسول الله اوجاءنى بكل
ما نعمل فقال الست تمرض الست تحزن الست يصيبك
اللأواء فذالك ما تُجْزَوْنَ واما المعنى فان المؤمن
اذا تاب وندم كان اسفه على ذنبه فى كل وقت اقوى
من كل عقوبة فالويل لمن عرف مرارة الجزاء الدائم ثم
آثر لذة المعصية لحظة

٣٣٩ فصل

تفكرت فى نفسى تفكر محقق فحاسبتها قبل ان تحاسب و
وزنتها قبل ان توزن فرأيت اللطف الربانى قد رتانى
فمبدأ الطفولة والى الآن ارى لطفًا بعد لطف وسترا
على قبح وعفوًا عما يوجب عقوبة وما ارى لذالك
شكرا الا باللسان ولقد تفكرت فى خطايا لو عوقبت ببعضها
هلكت سريعًا ولو كشف بعضها للناس لاستحيت ولا
يعتقد معتقد عند سماع هذا انها من كبائر الذنوب حتى
لا يظن فى ما يظن فى الفساق هل هى ذنوب قبيحة فى
حق مثلى وقعت بتأويلات فاسده فصرت اذا دعوت
اقول اللهم بحلمك عنى وسترك علىّ فاغفر لى ثم طالبت
نفسى بالشكر على ذالك فما وجدته كما ينبغى ثم انا

انقاضى القدر

انقاضى القدر مرادانى ولا انقاضى نفسى تصبر على مكروه
ولا تشكر على نعمة فاخذت انوح على تقصيرى فى شكر
المنعم وكونى اتلذذ بايراد العلم من غير تحقيق عمل به
وقد كنت ارجو مقامات الكبار فذهب العمر وما
حصل المقصود فوجدت ابا الوفا على بن عقيل قد ناح
نحو مائتى فاعجبتنى نياحته فكتبتها هُهُنا قال النفسه
يا رُعْنَاء تُقَوِّمين الالفاظ ليقال مناظر وثمرتُ هذا يا مناظر
كما يقال للمصارع الفارِه ضَيَّعْتِ اعزّ الاشياء وانفسها
عند العقلاء وهى ايام العمر حتى متاع لك باين من بيوت
غدا اسم مناظر وينسى الذاكر والمذكور اذا درت القلوب
هذا ان تاخر الأمر الى موتك بل ربما نشأ شاب افره
منك فمهر هو فصار الأسم له والعقلاء تشاغلوا بما اذا
انظروا نشركهم وهو العمل بالعلم والنظر الخالص لنفوسهم
افٍ لنفسى وقد سطرت ما بين مجلدات فى فنون العلوم
وما عبق بها فضيلة ان نوظِرت سمحت وان نوصحت
تعجرفت وان لاحت الدنيا طارت اليها طيران الرخم
وسقوط الغراب على الجيف فليتها اخذت اخذ
المضطر من الميتة تُوفِّر فى المخالطة عيوبا تبلى ولا تحتشم
نظر الحق اليها وان انكسر لها غرض تضجرت وان

امتدت بالنعم اشتغلت عن المنعم أفٍّ والله منى اليوم
على وجه الأرض وغدا تحتها والله انّ نتن جسدى بَعْدَ
ثلاث تحت التراب نتن فلا يقى وانا بين الاصحاب
والله انني قد بهرنى حلم هذا الكريم عَنّى كيف سترنى وانا
انهتك ويجمعنى وانا اتبدد وغدا يقال مات الحبر العالم
الصالح ولو عرفونى حق معرفتى لنفسى ما دفنونى والله
لأنادينّ على نفسى نداء المتكشفين معايب الاعداء
ولأنوحَنّ نوح الثاكلين للأعداء اذ لا ناح لى ينوح
على هذه المصائب المكتومة والخلال المغطاة التى قد
سترها مَنْ خبرها وغطاها من علمها والله ما اجد
لنفسى خلّة استحسن ان اقول متوسلاً بها اللهم اغفر
لى كذا بكذا والله ما التفت قط الاّ وجدتُ منه سبحانه
برّا يكفينى ووقا تحمينى مع تسلّط الاعداء ولا عرضت
حاجة فمددت يدى الاّ قضاها هذا فعله معى وهو
رب غنى وهذا فعلى وانا عبد فقير اليه ولا عذر لى قط
قول ما دريتُ وسهوتُ والله لقد خلقنى خَلْقا صحيحا
سليما ونوّر قلبى بالفطنة حتى ان المعايات المكتومات
تنكشف لفهمى فواحسرتا على عمر انقضى فيما لا يطابق
المرض واحرمانى لمقامات الرجال الفطنا يا حسرتى

على ما فرطت فى

على ما فرطت فى جنب الله واشماتة العدوّ بي واخيبة
من احسن الظنّ بى اذ اشهدت الجوارح على واخذنى
عند اقامة الحجة على سخر والله منى الشيطان وانا الفطن
اللهم توبة خالصة من هذه الاقذار ونهضة صادقة
لتصفية ما بقى من الاكدار وقد جئتك بعد الخمسين وانا
من خلق المتاع وابى الآن تأخذ بيدي الى معدن الكرم
وليس لى وسيلة الا التأسف والندم فوالله ما عصيتك
جاهلا بمقدار نعمك ولا ناسيا لما اسلفت من كرمك
فاغفر لى سالف فعلى

٣٤٠ فصل

عداوة الأقارب صعبة وربما دامت كحرب بكر وتغلب
بنى وائل وعبس وذبيان ابنى بغيض والأوس و
الخزرج ابنى قيلة قال الجاحظ ركدت هذه الحرب اربعين
عاما قلت والسبب فى هذا ان كل واحد من الاقارب
يكره ان يفوق قرينه فيقع التحاسد فينبغى لمن فضل على
اقاربه ان يتواضع لهم ويرفعهم جهده ويرفق بهم لعله
يسلم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لى اقارب
اصلهم فيقطعونى فقال كأنما تسفهم المسل ولن يزال
معك من الله ظهير مادمت على ذلك

٣٤١ فصل

رأيت كلاب الصيد اذا مرت بكلاب المحلة نبحتها وبالغت واسرعت حلها وكأنها تراها مكرمة مجللة فتحسدها على ذالك ورأيت كلاب الصيد حينئذ لا تلتفت ~~الى ذالك~~ اليها ولا يقرها الطرف ولا تعد نباحها شيئاً فرأيت ان كلاب الصيد كأنها ليست من جنس تلك الكلاب لان تلك غليظة البدن كثيفة الاعضاء ولا مانة لها وهذه لطيفة دقيقة الخلقة ومعها آداب قد ناسبت خلقتها اللطيفة وانها تحبس الصيد على مالكها خوفاً من عقابه او مراعاة لشكر نعمته عليها فرأيت ان الأدب وحسن العشرة يتبع لطافة البدن وصفاء الروح وهكذا المؤمن العاقل لا يلتفت الى حاسده ولا يعده شيئاً اذ هو في وادٍ وذاك في وادٍ يحسده على الدنيا وهذه همته الآخرة فيا بعد ما بين الواديين

٣٤٢ فصل

ملاحظته من اهم الاشياء ينبغي لمن آمن بالله تعالى ان يسلم له في افعاله ويعلم انه حكيم ومالك وانه لا يغيب فاذا خفيت عليه حكمة فعله نسب الجهل الى نفسه وسلم الحكم للمالك الحكيم فاذا طالبه العقل بحكمة الفعل

قال ما بانت لي

قال ما بانت لي فيجب علي تسليم الأمر لمالكه وان اقواماً نظروا بمجرد العقل الى كثير من افعال الخالق سبحانه فرأوها لو صدرت من مخلوق لنسب فيها الى ضد الحكمة فنسبوا الخالق الى ذالك وهذا الكفر المحض والجنون البارد والواجب نسبة الجهل الى النفوس فان العقل قاصر عن مطالعة حكمة واول من فعل ذالك ابليس فانه رأى قد فضل طيناً على نار والعقل يرى النار افضل فعاب حكمته وعمت هذه المحنة خلقاً ممن ينتسب الى العلم وكثيراً من العوام فكم قد رأينا عالماً يعترض وعامياً يرد عليه فيكفر وهذه محنة قد شملت اكثر الخلق يرون عالماً يضيق عليه وفاسقاً يوسع عليه فيقولون هذا لا يليق بالحكمة وقد علم العلماء ان الله تعالى قد فرض الزكوات والخراج والجزية والغنائم والكفارات ليستغني بها الفقراء فينبغي ان نذم هؤلاء الظلمة ~~فاختصموا~~ فاختصوا باذالك الظلمة وصانع من يجب عليه الزكاة باخراج بعضها فجاع الفقراء ولا نعترض على من قدر للفقراء وقد حصل في ضمن هذا عقوبة الظالمين في حبسهم الحقوق وابتلا الفقراء بصبرهم عن حظوظهم واكثر هؤلاء المعترضين لا يكادون يسلمون وقت خروج الروح من اعتراض يخرج الى الكفر فتخرج النفس كافرة فلم

عامي يقول فلان قد ابتلى وما يستحق ومعناه انه قد فعل معه
مالا يليق بالصواب وقد قال بعض الخلق شعرا

× اي رب تخلق اقمار ليل × واغصان بان وكثبان رمل ×
× وتنهى عبادك ان يعشقوا × اي حاكم العدل هذا عدل

ومثل هذا ينشده جماعة من العلماء ويستحسنونه وهو كفر محض
ومنافهم هؤلاء الثلاثة القائلين لهذا لأنه ما نهى عن العشق
انما نهى عن العمل بمقتضى العشق من الأشياء المحرمة كالنظر
واللمس والفعل القبيح وفي الامتناع عن المشتهى دليل
على وجود التائب كصبر العطشان في رمضان عن الماء فانه
دليل على الايمان بوجود من امر بالصوم وتسليم النفوس
الى القتل في الجهاد دليل على اليقين بالجزاء ثم المستحسن
انموذج ما قد اعد فاين العقل للمتأمل كلا لو تأمل لصبر
قليلا ليربح كثيرا ولو ذهبت اذكر ما قد عرفت من اعتراض
العلماء والعوام لطال ومن احسن الناس خلقا في ذلك
ما يحكى عن ابن الراوندي انه جاع يوما واشتد جوعه
فجلس على الجسر وقد امضه الجوع فمضت خيل مزينة بالحرير
والديباج فقال لمن هذه فقالوا لعلي بن يلتق غلام
الخليفة فمرت جواري مستحسنات فقال لمن هذه فقالوا
لعلي بن يلتق فمر به رجل فرآه وعليه اثر الضر فرمى اليه

رغيفين فاخذهما

رغيفين فاخذهما ورمى بهما وقال هذه لعلي بن يلتق وينسى
الجاهل الاحمق ما يقول ويعترض
فيا معترضون وهم في غاية النقص على من لا عيب في فعله انتم
في البداية من ماء وطين وفي الثاني من ماء مهين ثم تحملون
الانجاس على الدوام ولو حبس عنكم الهوى صرتم جيف اليق
منكم اهلكم ومن رآه حازمكم فاذا عرضه على غير تبين له
قبح رأيه ثم المعاصي منكم زائدة في الحد فما فيكم الا الاعتراض
على المالك الحكيم ولو لم يكن في هذه البلاوى الا ان يراد التسليم
ولو انه انشأ الخلق ليدلوا على وجوده اثم اهلكهم ولم
يعدهم كان ذلك له لكنه بفضله وعد بالاعادة والجزاء
والبقاء الدائم في النعيم فمتى اجرى امرا لا تعرف علته فانسب
ذلك الى قصور علمك وقد ترى مقتولا مظلوما وكم قد
قتل وظلم حتى قتل بل ببعضه وقل ان يجرى لاحد آفة
الا ويستحقها غير ان تلك الآفات المجازى بها غائب عنا
ورأينا الجزاء فسلم تسلم واحذر من كل كلمة اعتراض او
اضمار فربما اخرجتك من دائرة الاسلام

٣٤٣ فصل

رأيت الناس يوم العيد فشبهت الحال في يوم القيامة فانهم
لما انتبهوا من قبورهم يعله خرجوا الى عيدهم كخروج الموتى من

يعله نومهم

من قبورهم الحسرهم فمنهم من زينته الغاية ومركبه النهاية
ومنهم المتوسط ومنهم المرذول وعلى هذا احوال القيامة
قال الله عزوجل (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) اى ركبانا
(ونسوق المجرمين الى جهنم وردا) اى عطاشا قال عليه
الصلاة والسلام يحشرون ركبانا ومشاة وعلى وجوههم
ومن الناس من يداس من زحمة وكذلك الظلمة يطأهم
الناس باقدامهم يوم القيمة ومن الناس يوم العيد الغنى
المتصدق كذلك يوم القيمة اهل المعروف فى الدنيا
هم اهل المعروف فى الآخرة ومنهم الفقير العائل فقد يعطى
اعددت بشفاعتى لاهل الكبائر ومنهم من لا يعطف عليه
فمالناس شافعين ولاصديق حميم والاعلام منشورة فى
العيد كذلك * اعلام المتقين يوم القيمة والبوق يضرب
كذلك يخبر بحال العبد فيقال يا اهل الموقف ان فلانا
قد سعد سعادة لاشقاوة بعدها وان فلانا قد شقا
شقاوة لاسعادة بعدها ثم يرجعون يوم العيد بالخواص
الى باب الحجرة يجزون بامتثال الأوامر اولئك المقربون
فيخرج التوقيع اليهم وكان سعيهم مشكورا ومن هو دونهم
يختلف حاله فمنهم من يرجع الى بيت عامر × بما اسلفتم فى
الايام الخالية × ومنهم متوسط ومنهم من يعود ببيت

فقر فاعتبروا يا اولى الالباب

٣٤٤ فصل

يتضمن نصيحة للعلماء والزهاد يا قوم قد علمتم ان الاعمال
بالنيات وقد فهمتم قوله تعالى الا لله الدين الخالص وقد
سمعتم عن السلف انهم كانوا لا يعملون ولا يقولون حتى تتقدم
النية وتصح ايذهب زمانكم يا فقهاء فى الجدل والصياح
وترتفع اصواتكم عند اجتماع العوام تقصدون المغالبة
او ما سمعتم (من طلب العلم ليباهى به العلماء او ليمارى به
السفهاء او ليصرف وجوه الناس اليه لم يرح رائحة الجنة)
ثم يقدم احدكم على الفتوى وليس من اهلها وقد كان السلف
يتدافعونها ويا معشر المتزهدين انه يعلم السر وما يخفى اتظهرون
الفقر فى لباسكم وانتم تستوفون شهوات النفوس وتظهرون
التخاشع والبكاء فى الخلوات دون الخلوات فان ابن سيرين
يضحك ويقهقه بالنهار واذا خلى بكى اكثر الليل وقال
سفيان لصاحبه ما اوقحك تصلى والناس يرونك

× افدى ظباء فلاة ما عرفن بها × مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب ×

آه للمرائى من يوم وحصل ما فى الصدور وهى النيات
فافيقوا من سكركم وتوبوا من زللكم واستقيموا على الجادة
ان تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله

٣٤٥ فصل

رأيت جمهور الناس حايدين عن الشريعة حايرين على ما الفوا من العادة وقد يخلص منهم فريقان على اعباد فتأملت جمهور العلماء فرأيتهم في تخليط منهم من يقتصر على معاملات الدنيا ويعرض عن معاملات الآخرة اما لجهله او لثقل امرها عليه فهو يجري على ما لا يثقل عليه مما يوجبه العلم يقع في الباقي العادات وربما تخائل انه يسامح في الخطأ لكونه عالما وقد نسي ان العلم حجة عليه ومنهم من واقف مع صورة العلم غافلا عن المقصود بالعلم وفيهم من يخالط السلطان فيتأذى المخالط بما يرى من الذنوب والظلم ولا يمكنه الانكار وربما مدح ويتأذى السلطان فيقول لولا اني على صواب ما جالسني هذا ويتأذى العوام فيقولون لولا ان امر السلطان قريب ما خالط هذا العالم ورأيت الاشراف يثقون بشفاعة ابائهم وينسون ان اليهود من بني اسرائيل واما الفريق الثاني وهم العباد فرأيت اكثرهم في تخليط اما الصحيح القصد منهم فعلى غير الجادة في اكثر عملهم قد وضع لهم جماعة من المتقدمين كتبا فيها دقائق قبيحة واحاديث غير صحيحة ويامرون فيها باشياء تخالف الشريعة مثل

كتب الحرث

كتب الحرث المحاسبي وابي عبد الله الترمذي وقوت القلوب لابي طالب المكي وكتاب الاحياء لابي حامد الطوسي. فاذا فتح المبتدي عينه وهم بسلوك الطريق بهذه الكتب محملته الى الخطايا لانهم قد بنوا على احاديث محاله وينهون الدنيا ولا يدرون ما المذموم منها فيتصور المبتدي ذم ذات الدنيا فيهرب المنقطع الى الجبل وربما فاتته الجماعة والجمعة ويقتصر على البلوط والكمثرى فيورثه القولنج ويقنع بعضهم بشرب اللبن فينحل الطبع او بأكل البلتلا والعدس فيحدث له قراقر وانما ينبغي لقاصد الحج ان يرفق بالناقة ليصل الا ترى الفطن من الاتراك يهتم بفرسه قبل تحصيل قوت نفسه وربما تصدى القاص لشرح اقوال قوم من السلف والمتزهدين فيتبعهم المريد فيتأذى بذلك ومتى رددنا ذلك المنقول وبتنا خطأ فاعله قال الجهال لا ترد على الزهاد وانما ينبغي اتباع الصواب ولا ينظرون الى اسماء المعظمين في النفوس فانا نقول قال ابو حنيفة ثم يخالفه الشافعي وانما ينبغي ان يتبع الدليل قال المروذي مدح احمد بن حنبل النكاح فقلت قال ابراهيم بن ادهم فصاح وقال وقعنا في بنيات الطريق عليك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم وتكلم احمد في

الحرث المحاسبي وردعلى سري السقطي حين قال لما خلق الله
الحروف وقف الألف وسجدت الباء فقال نفروا الناس
عنه فالحق لاينبغي ان يحابى فانه جد وانى ارى اكثر
الناس قد حادوا عن الشريعة وصار كلام المتزهدين
كأنه شريعة لهم فيقول قال ابو طالب المكى كان من السلف
من يزن قوته بكرة فينتقص كل يوم وهذا شئ ماعرفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه وانما كانوا
يأكلون دون الشبع فاما الحمل على النفس بالجوع فمنهى
عنه ويقول قال داود الطائى لسفيان اذا كنت
تشرب الماء البارد متى تحب الموت وكان ماءه فى دن
وما علم ان للنفس حظا وان شرب الماء الحار يهضم
المعدة ويوذى وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يبرد الماء ويقول آخر منهم منذ خمسين سنة اشتهى
السوى ما صفا له درهم ويقول آخر اشتهى ان اغمز جزرة
فى دبس فما صح لى اترا كم ارادوا حبة منذ خرجت من
المعدن ما دخلت فى شبهة هذا شئ ما نظر فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا اصحابه رضى الله عنهم وان كان الورع
حسنا ولكن لا على حمل المشاق الشديدة وهذا بشر
يقول لا احدث لانى اشتهى ان احدث وهذا تعليل

لا يصلح للان

لا يصلح لأن الانسان بالنكاح وهو من اكبر الشهى وكان
بشر حافيا حتى قيل له الحافى ولو ستر امره بنعلين كان
اصلح والحفا يؤذى العين وليس من امر الدنيا فى شئ فقد
كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعلان وما كانت سيرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه على ما المتزهدون
عليه اليوم فقد كان رسول الله يضحك ويمزح ويختار
المستحسنات وسابق عائشة رضى الله عنها وكان يأكل
اللحم ويحب الحلوى ويستعذب له الماء وعلى هذا كانت
طريقة اصحابه فاظهر المتزهدون طرائقا كأنها ابتداء
شريعة وكلها على غير الجادة ويحتجون بقول المحاسبى و
المكى ولا يحتج منهم بصحابي ولا تابعى ولا امام من ائمة
الاسلام فان رأوا عالما لبس ثوبا جميلا او تزوج
مستحسنة او افطر بالنهار او ضحك عابوه فينبغى ان يعلم
ان اكثر من صح قصده على غير الجادة لقلة علمهم حتى ان
بعضهم يقول منذ ثمانين سنة ما انضجعت ويقول
آخر حلفت لا شرب الماء سنة وهؤلاء على غير الصواب
فان للنفس حقا فاما من ساء قصده ممن نافق ويرائى
لاجتلاب الدنيا وتقبيل الايدى فلا كلام معه وهم جمهور
المتصوفة فانهم رقعوا الثياب الملونة ليراهم الناس
بعين الترك للزينة ومعلمهم احسن من السفلا طونه

وانما وقع القدماء للفقير فهم فى اللذات وجمع المال واخذ الشبهات واستعمال الرائحة واللعب ومخالطة السلاطين وهؤلاء قد كشفوا القناع وباينوا زهد اوائلهم بلا عجب منهم من يتفق عليه

٣٤٦ فصل

ان الله عزوجل جعل لاحوال الآدمي امثلة يعتبر بها فمن امثلة احواله القمر الذى يتبدا صغيرا ثم يتكامل بدرا ثم يتناقص بالمحاق وقد يطرأ عليه ما يفسده كالكسوف فكذلك الآدمى اوله نطفة ثم يترقى من الفساد الى الصلاح فاذا تم كان بمنزلة البدر الكامل ثم يتناقص احواله بالضعف فربما هجم الموت قبل ذالك هجوم الكسوف على القمر قال الشاعر

شعرا

× والمرء مثل هلال عند طلعته × يبدو ضئيلا لطيفا ثم يتسق ×
× يزداد حتى اذا ما تم اعقبه × كر الجديدين نقصا ثم يمحق ×

ومن امثلة حاله دود القز فانه يكون جبانا الى ان يبتدى نبات قوته وهو ورق الفرصاد فاذا اخضر الورق دبت الروح فيه ثم ينتقل من حال الى حال كانتقال الطفل ثم يرفه فغفلة الآدمي عن النظر فى العواقب ثم ينتبه فيحرص على الاكل كحرص الشره على تحصيل الدنيا ثم يسد على نفسه كما يحطب الآدمى الاوزار على دينه فيرتهن فى ذالك الحبس كما يرتهن

الحبس كما يرتهن الميت فى قبره ثم يقرض فيخرج خلقا آخر كما تنشر الموتى غرلا بهما وقد دله على البعث تكون النطفة كالميت ثم تصير آدميا والقاء الحب تحت الارض فيفسد ثم يهتز خضرا شعرا

× اذا المرء كانت له فكرة × ففى كل شئ له عبرة ×

انما فضل العقل بتأمل العواقب فاما القليل العقل فانه يرى الحال الحاضرة ولا ينظر الى عاقبتها فان اللص يرى اخذ المال وينسى قطع اليد والبطال يرى لذة الراحة وينسى ما تجنى من فوات العلم وكسب المال فاذا كبر وسئل عن علم لم يدر واذا احتاج سأل فذل فلقد اربا ما حصل له من التأسف على لذة البطالة ثم يفوته ثواب الآخرة بترك العمل فى الدنيا وكذالك شارب الخمر يلتذ تلك الساعة وينسى ما يجنى من الآفات فى الدنيا والآخرة وكذالك الزنا فان الانسان يرى قضاء الشهوة وينسى ما تجنى فضيحة الدنيا والحد فربما كان للمرأة زوج فالحقت الحمل من هذا به وتسلسل الامر فقس على هذه النبذة وانتبه للعواقب ولا تؤثر لذة تفوت خيرا كثيرا وصار مسئة تحصل ربحا وافرا

شبكة الألوكة www.alukah.net

٣٤٧ فصل

ليس فى الدنيا عيش الا لعالم او زاهد بلى قد يقع فى صنفا حالهما كدر وهو ان العالم يشتغل بالعلم او بالانقطاع عن الكسب وقد يكون له عائلة فربما تعرض بالسلطان ففسد حاله وكذالك الزاهد فينبغى للعالم والعابد ان يحركا فى معاش كنسخ بأجرة او عمل الخوص او ان فتح له فى شئ واقتنع باليسير فلا يستعبده احد كما كان الامام احمد له اجرة لعلها لا تبلغ دينارا يتقوت بها ومتى لم يقنع افسدت مخالطة السلاطين والعوام دينه ومن الناس من يريد التوسع فى المطاعم ومنهم من لا يوافقه خشن العيش وهيهات وهيهات ان يصح الدين مع تحصيل اللذات واذا اقنع العالم والزاهد بما يكفى لم يستذل يبتذل للسلطان ولم يستخدم بالتردد الى الباب ولم يحتج الزاهد الى تصنع والعيش اللذيذ للمنقطع الذى لا تقنع يتبذل منه ولا يحمل منة

٣٤٨ فصل

ما اكثر تفاوت الناس فى الفهوم حتى العلماء يتفاوتون التفاوت الكثير فى الأصول والفروع فترى اقواما يسمعون اخبار الصفات فيحملونها على ما يقتضيه الحس كقول قائلهم ينزل

قائلهم ينزل بذاته الى السماء ويتنقل وهذا فهم ردي لان المتنقل يكون من مكان الى مكان ويوجب ذلك كون المكان اكبر منه ويلزم منه الحركة وكل ذلك محال على الحق عز وجل واما فى الفروع فكما يروى عن داود انه قال لا يبولن احدكم فى الماء الدائم ثم يتوضأ منه فقال ان بال غيره جاز فما يفهم المراد من التنجيس بل يأخذ بمجرد اللفظ وكذلك يقول لحم الخنزير حرام لا جلده نعوذ بالله من سوء الفهم وكذالك الشعراء الذين شغلهم التفطن لدقائق الأحوال كقول قائلهم شعرا

× لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى ×

× واسيافنا يقطرن من نجدة دما ×

والجفنات عدد يسير فلو قال الجفان لكان ابلغ ولو قال بالدجى لكان احسن ويقطرن دليل على القلة وكذا قول القائل شعرا

× همها الفراش وبعلها (يعلوها) × لجين ولؤلؤ منظوم ×

وهذا قاصر فانه لو فعلت هو هذا سوداء لحسنها انما المادح هو القائل

× الم ترانى كلما جئت طارقا × وجدت بها طيبا وان لم تطيب ×

وكذلك قول القائل القاصر شعرا

صوابه
همها الفراش × الذائب بعلها × لجين ولؤلؤ منظوم

× اَدْعُو اِلَى هَجْرِهَا قلبى فيتبعنى ×

× حتى اذا قلت هذا صادق نزعا ×

ولو كان صادقا فى المحبة لما كان له قلب يخاطبه واذا خاطبه فى الهجر لم يوافقه انما المحب الصادق هو القائل شعرا

× يقولون لو عاتبت قلبك لارعوى

فقلت وهل للعاشقين قلوب ×

ومثل هذا اذا نوقش كثير فاقل موجود فى الناس الفهم والغوص على دقائق المعانى

٣٤٩ فصل

من تأمل الدنيا علم انه ليس له فيها لذة اصلاً فان وجدت لذة شيئت بالنقص التى تزيد على اللذة اضعافاً فمن اللذات النساء فربما لم يثبت المستحسنة وربما تجد الزوج فمتى علم ذالك انفرق منها وربما خانت وذلك للهلاك فان تمت المرادات فذكر الفراق زائد فى التالم على التلذذ ومن اللذات الولد ومقاساة البنت الحال تتزوج وما تلقى من زوجها وخوف عارها محن قبيحة والابن ان مرض ذاب الفؤاد وان خرج عن حد الصلاح زاد الأسف وان كان عدوًا يريد هلاك الاب ثم ان تم المراد فذكر فراقه يذيب القلوب ولو ان فاسقاً

احب بعض المردان

احب بعض المردان لهتك عرضه فى الدنيا وذهب دينه ثم لابد ان تتغير حليته فيصير مبغوضاً مع ما سبق من الهتكة والاثم وكم قد غلبت شهوة رجل فى وطئ الجوارى السود فجاء الولد اسود فبقى عاراً عليه ومن هذا الجنس الالتذاذ بالمال وفى تحصيله آثام وفى فراقه حسرة وذهاب العمر فيه غبينة وهذا انموذج لما لم يذكر فينبغى لمن وفقه الله تعالى ان يأخذ الضرورى الذى يميل الى سلامة الدين والبدن والعافية ويهجر الهوى الذى بعضه يتضاعف على لذته ومن صبر على ما يكره قصداً للنفع فى العاقبة التذ اضعافاً كطالب العلم فانه يتعب يسيرًا وينال خير الدارين مع سلامة العاقبة ولذة البطالة يعقب عدم العلم والعمل فيزيد الأسى على اللذة اضعافاً فالله الله ان يغلبك هواك العاجل ومتى همّ الهوى بالتوثب فامنعه وزن عاجله بآجله وما يتذكر الا اولوا الالباب

٣٥٠ فصل

رأيت ابليس قد احتال بفنون الحيل على الخلق واما لهم عن العلم الذى هو مصباح السالك فتركهم يتخبطون ظلمات الجهل وشغلهم بامور الحس فهم يحسنون ما يحسنه الحس ولا يلتفتون الى مشورة العقل فاذا

وكان القدماء يحذرون من ذلك قال الفضيل اعرف من
يعد كلامه من الجمعة ودخلوا على رجل من السلف فقالوا
لعلنا اشغلناك فقال اصدقكم كنت اقرأ فتركت القراءة
لاجلكم وجاء رجل من المتعبدين الى سري السقطي فرأى
عنده جماعة فقال صرت مناخ البطالين ثم مضى ولم
يجلس ومتى لان المزور طمع فيه الزائر فاطال الجلوس
فلم يسلم من اذى وقد كان جماعة قعودا عند معروف الكرخي
قدس الله سره فاطالوا فقال ان ملك الشمس لا يفتر
في سوقها انما تريدون القيام ومن كان يحفظ اللحظات
عامر بن عبد قيس قال له رجل قف الكلمك قال فامسك
الشمس وقيل لبكر بن وبرة لو خرجت الى الصحراء فقال
يبطل الزوجار وكان داود الطائي يستف الفتيت و
يقول بين سف الفتيت واكل الخبز قراءة خمسين
آية وكان عثمان الباقلاني دائم الذكر لله تعالى فقال
اني وقت الافطار احس ببرودة كأنها تخرج لاجل اشتغالي
بالاكل عن الذكر واوصى بعض السلف اصحابه فقال
اذا خرجتم من عندي فتفرقوا لعل احدكم يقرأ القرآن
في طريقه ومتى اجتمعتم تحدثتم واعلم ان الزمان اشرف
من ان يضيع منه لحظة فان في الصحيح عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من قال سبحان الله العظيم

وبحمده غرست له

وبحمده غرست له بها في الجنة فكم يضيع الآدمي من ساعات
يفوته فيها الثواب الجزيل وهذه الايام مثل المزرعة فكأنه
قيل للانسان كلما بذرت حبة اخرجنا لك الف كر فهل
يجوز للعاقل ان يتوقف في البذر او يتواني والذي يعين
على اغتنام الزمان الانفراد والعزلة بهما امكن والاختصار
على السلام او حاجة مهمة لمن يلقى وقلة فان كثرته سبب
النوم الطويل وضياع الليل ومن نظر في سير السلف و
آمن بالجزاء بان له ما ذكرته

فصل

في معاشرة النساء ينبغي للعاقل ان يتخير امرأة صالحة من
بيت صالح يغلب عليه الفقر لترى ما يأتيها به كثيرا و
ليتزوج من يقاربه بالسن فاما الشيخ فانه اذا تزوج
صبية آذاها وربما فجرت او قتلته او طلبت الطلاق
وهو يحبها فيتأذى وليتم محاسن الاخلاق وكثرة النفقة
ولا ينبغي للمرأة ان تقرب من زوجها كثيرا فتمل ولا تبعد
عنه فينساها ولتكن وقت قربها اليه كاملة النظافة
متحسنة ولتحذر ان يرى فرجها او جسمها كله فان
جسم الانسان ليس مستحسن وكذلك ينبغي ان لا يرى منها
جسمه وانما الجماع في الفراش ورأى كسرى انوشروان

من ملوك الفرس يوما كيف يذبح الحيوان ويطبخ فتقلبت
نفسه ونفى اللحم فذكر ذلك لوزيره فقال ايها الملك
الطبيخ على المائدة والمرأة على الفراش ومعنا لا تفتش
على ذلك قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه منى وقام ليلة
عريانا فما رأيت جسمه قبلها وهذا الحزم وكذلك
تعجب الرجل المرأة لانه لم ير عيوبها وليكن للمرأة فراش
وله فراش فلا يجتمعان الا فى حال الكمال ومن الناس
من يستهين بهذه الاشياء فيرى المرأة مبتذلة تقول
هذا ابو اولادى ويبتذل هو فيرى كل واحد من الآخر
ما لا يشتهى منه فينفر القلب وتبقى المعاشرة بغير المحبة
وهذا فصل ينبغى تأمله والعمل به فانه اصل عظيم

٣٥٣ فصل

لا عيش فى الدنيا الا للقنوع باليسير فانه كلما زاد الحرص
على فضول العيش زاد الهم وتشتت القلب واستعبد
العبد واما القنوع فلا يحتاج الى مخالطة من فوقه ولا
يبالى بمن هو مثله اذ عنده ما عنده وان اقواما لم يقنعوا
وطلبوا لذيذ العيش فازروا بدينهم وذلوا لغيرهم خصوصا
ارباب العلم فانهم تردوا الى الامراء فاستعبدوهم

ورأوا المنكرات

ورأوا المنكرات فلم يقدروا على انكارها وربما مدحوا
الظلم اتقاء لشره فالذى نالهم من الذل وقلة الدين اضعاف
ما نالوا من الدنيا ومن اقبح الناس حالا من تعرض للقضاء
والشهادة ولقد كانتا مرتبتين حسنتين وكان عبد الحميد
القاضى لا يحابى فبعث الى المعتضد قد استأجرت وقوفا
فأدى اجرتها ففعل وقال له المعتضد قدمات فلان ولنا
عليه مال فقلت انت تذكر لنا وليتنى قلت قد اخرجت
هذا الامر من عنقى ووضعته فى عنقك ولا اقبل هذا الا
بشاهدين وكذلك كان الشهود دخل جماعة على بعض
الخلفاء فقال الخادم اشهدوا على مولانا بكذا فشهد وافتقدم
الجذوعى الى الستر فقال يا امير المؤمنين اشهد عليك بما فى
هذا الكتاب فقال اشهد فقال انه لا يكفى فى ذلك اشهد
حتى تقول نعم فقال نعم فما فى زماننا فتغيرت تلك القواعد
من الكل خصوصا من يتقرب بالمال ليستشهد فتراه يسحب
ليشهد على ما لا يرى قال ابو المعالى بن شافع كنت
احمل الى بعض اهل السواد وهو محبوس واشهد عليه فاعلم
انه لولا انه مكره لجاء الىّ بقدميه وانا استغفر الله من
ذلك وليس للشهود جرأة فيحملون ذلك لاجلها
وانما الذى يحصل لهم جرأ الهيلسان وطرق الباب و

قول المعرف حرس الله نعمتك شهادة ولما قيل لأبراهيم
النخع تكون قاضيًا لبس قميصًا احمر وجلس فى السوق
فقالوا هذا لا يصلح ودخل بعض الكبار على الرشيد
وقد احضره ليوليه القضاء فسلم وقال كيف انت و
كيف الصبيان فقيل هذا المجنون فيا لله جنون هو العقل
وما اظن الايمان بالآخرة الا متزلزلاً فى اكثر القلوب
فنسئل الله سبحانه سلامة الدين فانه قادر

٣٥٤ فصل

قد تكرر معناه فى هذا الكتاب الآ ان اعادته على النفوس
مُهِمَّة لئلا يغفل عن مثله ينبغى للمؤمن ان يعلم ان الله
سبحانه وتعالى مالك حكيم لا يعبث وهذا العلم يوجب
نفى الاعتراض على القدر وقد لهج خلق بالاعتراض
قَدْحًا فى الحكمة وذالك كفر واوّل لهم ابليس فى قوله
(خلقتنى من نار وخلقته من طين) ومعنى قوله ان تفضيل
الطين على النار ليس بحكمة وقد رأيت من كان فقيهًا ودأبه
الاعتراض وهذا لأن المعترض ينظر الى صورة الفعل ولو ان
صورة الفعل صدرت من مخلوق مثلنا حسن ان يعترض
عليه فاتاه من نقص الافهام عن مطالعة حكمته فاعتراض
الناقص الجاهل عليه

الناقص الجاهل عليه جنون فاتا اعتراض الخلعآء فدآئم
لانهم يريدون جريان الأمور على اغراضهم فمتى انكسر لاحدهم
غرض اعترض وفيهم من يتعدى الى ذكر الموت فيقول
بَنَىَ ونَقَضْ وكان لنا رفيق قرأ القرآن والقراءآت
وسمع الحديث الكثير ثم وقع فى الدهور وعاش اكثر من سبعين
سنة فلما نزل به الموت ذكر له انه قال قد ضاقت الدنيا
الامن روحى ومن هذا الجنس سمعت شخصًا يقول عند
الموت ربى يظلمنى وهذا كثير ويكره ان يحكى كلام الخلعآء
وجنونهم واعتراضاتهم الباردة ولو فهموا ان الدنيا
ميدان مسابقة ومارستان سير ليتبين بذالك اثر
الخالق لما اعترضوا والذى طلبوه من السلامة وبلوغ
الأغراض امامهم لو فهموا فهم كالزرجاى يتلوث
بالطين فاذا فرغ لبس ثياب النظافة ولما اريد نقض
هذا البدن الذى لا يصلح للبقآء نُحِّيَتْ عنه النفس الشريفة
ثم بُنِى بناء يقبل الدوام وبعد هذا فقل للمعترض فليمدد
بسبب الى السمآء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ
فلو ان اعترض لم يمنع ذلك جريان القدر ان سلم جرى
القدر فلأن يجرى وهو مأجور خير من ان يجرى وهو

مأزقه وما احسن سكوت وضاح اليمن لما اختبئ في صندوق
فقال السلطان ايها الصندوق ان كان فيك ما نظن فقد
محونا اثرك وان لم يكن فليس بدفن خشب من جُناح
فلو انه صاح ما انتفع بشئ ولربما أُخرج فقتل اقبح
قتلة

٣٥٥ فصل

من تلمح احوال الدنيا علم ان مراد الحق سبحانه اجتنابها
فمن مال الى مباحها ليلتذ وجد مع كل فرجة ترحة والى
جانب كل راحة تعب وآخر كل لذة نغص يزيد عليها
وما رفع شئ من الدنيا الا ووُضِع احبَّ رسول الله صلى الله
عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فجاء حديث الأفك ومال
الى زينب فلما قضى زيد منها وطرًا زوجناكها ثم يكفي
انه اذا حصل محبوب فعين العقل يرى فراقه فيتنغص
عند وجوده كما قال الشاعر شعرا

× اتمّ الحزن عندي في سرور × تيقّن عند صاحبه انتقالا ×

فيعلم العاقل ان مراد الحق بهذا التكدير التنفير عن الدنيا
فيبقى اخذ البلغة منها ضرورة وترك الشواغل فيجتمع
الهم في خدمة الحق ومن عدل عن ذلك ندم بعد الفوات

٣٥٦ فصل

العاقل يدبر بعقله عيشه في الدنيا فان كان فقيرا اجتهد
في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق وقلل العلائق و
استعمل القناعة فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا
بينهم وان كان غنيًا فينبغي له ان يدبر في نفقته خوف
ان يفتقر فيحتاج الى الذل للخلق ومن البلية ان يُبذِّر
في النفقة او يباهي بها ليكمد الاعداء كأنه يتعرض بذلك
ان كثر لاصابته بالعين وينبغي التوسط في الأحوال
وكتمان ما يصلح كتمانه ولقد وجد بعض الغسّالين مالاً
فاكثر النفقة فعلم به فاخذ منه المال وعاد الى الفقير
وانما التدبير حفظ المال والتوسط في الانفاق وكتمان
ما لا يصلح اظهاره ومن الغلط اطلاع الزوجة على قدر
المال فانه ان كان قليلاً هان عندها الزوج وان كان
كثيرًا طلبت منه زيادة في الكسوة والحلي قال الله عز وجل
(ولا تؤتوا السفهاء اموالكم) وكذلك الولد وكذلك
الأسرار ينبغي ان تحفظ منهما ومن الصديق فربما انقلب
فقد قال الشاعر شعرا

× احذر عدوك مرة × واحذر صديقك الف مرة ×
× فلربما انقلب الصديق × فكان ادرى بالمضرة ×

تم كلام الامام العلامة ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمة الله عليه
في كتاب (صيد الخاطر) والله الموفق

فهرست صيد الخاطر

عدد صحيفه	عدد فصل	
٢		خطبه
٢	١	فصل قد يعرض عند سماع المواعظ للسامع يقظة الخ
٢	٢	فصل جواذب الطبع الى الدنيا كثيرة الخ
٣	٣	فصل من عاين بعين بصيرته تناهى الأمر فى بدايتها نال خيرها ونجى من شرها الخ
٣	٤	فصل من تفكر فى عواقب الدنيا اخذ الحذر الخ
٤	٥	فصل من قارب الفتنة بعدت عنه السلامة الخ
٤	٦	فصل اعظم المعاقبة ان لا يحسن المعاقب بالعقوبة الخ
٥	٧	فصل من علامة كمال العقل علو الهمة الخ
٥	٨	فصل الواجب على العاقل اخذ العدة لرحيله الخ
٦	٩	فصل خطرت لى فكرة فيما يجرى على كثير من العالم من المصائب الخ
٦	١٠	فصل تأملت التحاسد بين العلماء فرأيت منشأه من حب الدنيا الخ
٧	١١	فصل من احب تصفية الاحوال فليجتهد فى تصفية الاعمال الخ
٨	١٢	فصل تفكرت يوما فى التكليف فرأيته ينقسم الى سهل وصعب

(بيان)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين (اما بعد) فيقول الفقير الى الله الكافى محمد بن حمد العساف انى قد اتممت نقل كتاب صيد الخاطر تصنيف الامام العلامة ابى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى عليه الرحمة فى يوم الاثنين صباحا فى اليوم الثانى والعشرين من شهر رمضان من شهور سنة الف وثلاثمائة وستة وثلاثين هجرية وقد نقلته عن نسخة الأخ فى الله (شيخ عبد الله بن المرحوم الشيخ العلامة ابراهيم بن عبد اللطيف ابن راشد الغملاس) التى اتم نقلها فى يوم الاثنين ايضا فى الثانى والعشرين من شهر ذى الحجة الحرام من شهور سنة الف وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين هجرية والمرقوم قد نقل نسخته هذه التى نقلت انا منها نسختى هذه من نسخة قد نقلها بقلمه نزيل الزبير (الفاضل محمد بن عبد الله بن احمد الجبرتى) وقد اتم نقل نسخته فى سنة الف ومائتين وسبع وثمانين هجرية على صاحبها الصلاة والتحية ولأجل افادة الطالع لهذا الكتاب فى ما يأتى من الازمان قد وضعت ما تقدم اعلاه من البيان ونسئله سبحانه العفو والغفران والنجاة من النيران والدخول فى الجنان نحن ووالدينا ومشائخنا ومن كان من اهل الاسلام والايمان وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

* الفاضل الجبرتى صحيح

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٩	١٣	فصل ينبغي للأنسان ان يعرف شرف زمانه وقدر وقته فلا يضيع منه لحظة
١٠	١٤	فصل رأيت من اعظم حيل الشيطان ومكره انه يخبط ارباب الاموال بالآمال في المشاغل باللذات
١١	١٥	فصل تأملت احوال الفضلآء فوجدتهم في الاغلب قد نجسوا من حظوظ الدنيا
١٢	١٦	فصل تأملت اقدام العلمآء بالعقاب على شهوة النفس المنهى عنها فرأيتها مرتبة تزاحم الكفر
١٣	١٧	فصل من تأمل افعال الباري سبحانه رآها على قانون العدل الخ
١٤	١٨	فصل تأملت احوال الصوفية والزهاد فوجدت اكثرها منحرفا عن الشريعة الخ
٢١	١٩	فصل قد اشكل على الناس امر النفس وماهيتها
٢٢	٢٠	فصل قلت يوما في مجلس لوان الجبال حملت ما حملت لعجزت فلما عدت الى منزلي قالت النفس الخ
٢٦	٢١	فصل تاملت امر الدنيا فوجدت حوادث الدنيا حسية طبعية وحوادث الآخرة ايمانية يقينية
٢٧	٢٢	فصل تاملت حرص النفس على ما منعت منه فرأيت حرصها يزيد على قدر قوة المنع

فصل مازالت نفسي

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٢٧	٢٣	فصل مازالت نفسي تنازعني لما يوجبه مجلس الوعظ الخ
٢٩	٢٤	فصل تأملت المراد من الخلق فاذا هو الذل الخ
٣٠	٢٥	فصل تأملت قوله تعالى (يحبهم ويحبونه) الخ
٣١	٢٦	فصل تأملت حالا عجيبة وهي ان الله سبحانه وتعالى قد بنى هذه الاجسام متقنة على قانون الحكمة الخ
٣٢	٢٧	فصل تأملت فوآئد النكاح ومعانيه وموضوعه فرأيت ان الاصل الاكبر في وضعه وجوه النسل
٣٦	٢٨	فصل كل شئ خلق الله تعالى في الدنيا فهو انموذج في الاخرة الخ
٣٨	٢٩	فصل نظرت في الادلة على الخالق سبحانه وتعالى فوجدتها اكثر من الرمل ورأيت من اعجبها الخ
٣٩	٣٠	فصل تأملت الارض ومن عليها بين فكري فرأيت خرابها اكثر من عمرانها ثم نظرت في المعمور منها الخ
٤٢	٣١	فصل رأيت ميل النفس الى الشهوات زآئدا الخ
٤٣	٣٢	فصل خطر لي خاطر والمجلس قد طاب والقلوب قد حضرت والعيون جارية
٤٥	٣٣	فصل تفكرت فرأيت ان حفظ المال من المتعين. ومما يسميه جهلة المتزهدين توكلا

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٤٦	٣٤	فصل تأملت شهوات الدنيا فرأيتها مصائد هلاك الخ
٤٧	٣٥	فصل بلغني عن بعض زهاد زماننا انه قدم اليه طعام فقال لا آكل الخ
٥٠	٣٦	فصل تأملت جهاد النفس فرأيته اعظم الجهاد
٥٢	٣٧	فصل رأيت من البلايا العجاب ان المؤمن يدعو فلا يجاب
٥٤	٣٨	فصل من نزلت به بلية فاراد تحقيرها
٥٤	٣٩	فصل لما رأيت رأي نفسي في العلم حسنا فهي على كل شيء الخ
٥٥	٤٠	فصل مما يزيد العلم عندي فضلا ان قوما تشاغلوا بالتعبد عن العلم فوقفوا عن الوصول الى حقائق الامور الخ
٥٦	٤١	فصل ما زال التعجب ممن يرى تفضيل الملائكة على الانبياء
٥٩	٤٢	فصل رأيت خلقا كثيرا من الخلق وعالما من العلماء لا ينتهون عن البحث عن اصول الاشياء التي امروا بها بعلم جهلهم من غير بحث عن حقائقها كالروح
٦٠	٤٣	فصل رأيت اكثر الخلق كالمعدوم وبين فهم من لا يعرف الخالق ومنهم من يلبث على مقتضى حسه

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٦١	٤٤	فصل لما تلمحت تدبير الصانع في سوق رزقي بتسخير السحاب وانزاله الخ
٦١	٤٥	فصل كنت في بداية الصبوة قد الهمت سلوك طريق الزهاد الخ
٦٣	٤٦	فصل تأملت على نفسي تأويلا في مباح انال به الخ
٦٣	٤٧	فصل رأيت نفسي كلما صفا فكرها او اتعظت بدارج او زارت قبور الصالحين الخ تتحرك همتها في طلب العز الخ
٦٦	٤٨	فصل عجبت من اقوام يدعون العلم ويميلون الى التشبيه بجهلهم الاحاديث على ظواهرها الخ
٦٨	٤٩	فصل تفكرت في السير الذي اذهب حدقة آية الرحم الخ
٦٨	٥٠	فصل عرضت لي حالة لجأت فيها بقلبي الى الله وحده عالما بانه لا يقدر على جلب نفعي ودفع ضري سواه الخ
٧٠	٥١	فصل تلمحت على خلق كثير من جهلهم اهمال ابدانهم ومنهم من لا ينظف فمه بالخلال بعد الاكل الخ
٧٢	٥٢	فصل تأملت مبالغة ارباب الدنيا في اتقاء الحر والبرد فرأيتها تعكس المقصود وباب الحكمة الخ
٧٢	٥٣	فصل ليس في التكليف اصعب من الصبر على القضاء ولا في فيه افضل من الرضى به

شبكة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٧٥	٥٤	فصل لما انهيت كتابة الفصل المتقدم هتف بي هاتف من باطني من شرح الصدر على الاقذا -
٧٦	٥٥	فصل رأيت جمهور العلمآء يشغلهم طلبهم للعلم في نفس الصبا عن المعاش فيحتاجون الى مسآلة بدنه الخ
٧٧	٥٦	فصل ما زال جماعة من المتزهدين يزورون على كثير من العلمآء اذا انبسطوا في مباحات والذي يحملهم على هذا الجهل
٧٧	٥٧	فصل ليس في الوجود اضر على العلم كيف لا وهو الخ
٧٩	٥٨	فصل مرّ بي حمالان تحت جذع ثقيل وهما يتجاوبان الخ
٨٠	٥٩	فصل تأملت اشياء تجري في مجالس الوعظ يعتقدها العوام وجهّال العلمآء قربة وهي منكر الخ
٨١	٦٠	فصل من اضر الاشياء على العوام كلام المتأولين و النفاة للصفات الخ
٨٥	٦١	فصل قرأت هذه الاية (قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من الٰه غير الله يأتيكم به) فلله در من هذا الشارح كدت اطير شوقا الخ
٨٦	٦٢	فصل نظرت فيما تكلم به الحكمآء في العشق واسبابه واداويته وصنفت في ذلك كتابا سميته (بذم الهوى) الخ
٨٨	٦٣	فصل عرض لي امر يحتاج الى سؤال الله تعالى ودعائه الخ

فصل قرأت من

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٨٩	٦٤	فصل قرأت من غرائب العلم وعجائب الحكم على بعض من يدعي العلم فرأيته يتلوّى من سماع ذلك
٨٩	٦٥	فصل دعوت يوما فقلت الخ
٩٠	٦٦	فصل قلوب العارفين يغار عليها من الاسباب الخ
٩١	٦٧	فصل المؤمن لا يبالغ في الذنوب وانما يقوى الهوى الخ
٩٢	٦٨	فصل افضل الاشياء التزيد من العلم
٩٣	٦٩	فصل قوله عز وجل (يمنون عليك ان اسلموا) الخ
٩٥	٧٠	فصل اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول محرر القواعد الخ
١٠٢	٧١	فصل اعلم ان الزمان لا يثبت على حال
١٠٣	٧٢	فصل تأملت امرا عجيبا واصلا ظريفا وهو انهيال الابتلآء على المؤمن
١٠٤	٧٣	فصل تأملت حالة عجيبة وهو ان المؤمن تنزل به النازلة فيدعو ويبالغ فلا يرى اثر الاجابة الخ
١٠٥	٧٤	فصل لما كان بدن الآدمي لا يقوم الا باجتلاب المصالح ودفع المؤذي ركّب فيه الهوى الخ
١٠٦	٧٥	فصل من تأمل عواقب المعاصي يراها قبيحة
١٠٧	٧٦	فصل ينبغي للعاقل ان يلازم باب مولاه الخ
١٠٨	٧٧	فصل ينبغي لمن تظاهر نعم الله عليه ان يظهر منها ما يبين اثرها

شبكة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
١٠٩	٧٨	فصل رأيت كل من يجيء بشئ او يزلق في طريق يلتفت الى ما عاثر به فينظر اليه طبعا موضوعا الخ
١١٠	٧٩	فصل تأملت قوله تعالى (فمن اتبع هداى فلا يضل) الخ
١١١	٨٠	فصل لا ينال لذة المعاصي الا سكران الغفلة
١١١	٨١	فصل بكرت يوما اطلب الخلوة الجامع الرصافة
١١٥	٨٢	فصل ينبغي لكل ذي لب وفطنة ان يحذر عواقب المعاصي
١١٦	٨٣	فصل كثير من الناس يتسامحون في امور يظنونها
١١٧	٨٤	فصل رأيت من نفسي عجبا تسئل الله عز وجل حاجاتها وتنسى جنايا تها
١١٨	٨٥	فصل اعجب العجب دعوى المعرفة مع البعد عن العرفان الخ
١١٩	٨٦	فصل من عاش مع الله عز وجل طاب العيش الخ
١٢٠	٨٧	فصل ليس في الدنيا ولا في الآخرة اطيب عيشا من العارف بالله
١٢١	٨٨	فصل بالله عليك يا موضوع القدر بالتقوى الخ
١٢٣	٨٩	فصل رأيت العقل نوع منازعة للتطلع الى جميع حكم الحق الخ
١٢٣	٩٠	فصل اعجب الاشياء مجاهدة النفس لانها تحتاج الى صناعة عجيبة
١٢٤	٩١	فصل رأيت عموم الخلائق يذمون الزمان دفعا عجيبا

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
١٢٥	٩٢	فصل مرض ما على المريض هو التخليط
١٢٥	٩٣	فصل رأيت مشائخ احوالهم مختلفة يتفاوتون في مقادير حرمي العلم
١٢٦	٩٤	فصل سبحان الملك العظيم الذي من عرفه خافه الخ
١٢٧	٩٥	فصل تأملت العلم والميل اليه والتشاغل به الخ
١٢٨	٩٦	فصل اظرف الاشياء افاقة المحتضر عند موته الخ
١٢٩	٩٧	فصل ربما اخذ المتيقظ بيت شعر فاخذ منه اشارة انتفع بها الخ
١٣٠	٩٨	فصل امكنني تحصيل شئ من علم الدنيا نوع من انواع الحرص فكنت كلما حصل شئ منه فاتني من قلبي شئ الخ
١٣٢	٩٩	فصل ما زلت اسمع عن جماعة من الاكابر وارباب المناصب انهم يشربون الخمور
١٣٢	١٠٠	فصل اجتهاد العاقل فيما يصلحه لازم له بمقتضى العقل والشرع الخ
١٣٦	١٠١	فصل عرض لي في طريق الحج خوف من العرب فسرنا على طريق خيبر فرأيت من الجبال العالية والطرق الخ
١٣٧	١٠٢	فصل للبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله
١٣٨	١٠٣	فصل ليس في الوجود اصعب من الصبر

نسخة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
١٣٨	١٠٤	فصل ينبغي لمن وقع في شدة ثم دعا ان لا يخالج في قلبه امر من تأخر الاجابة او عدمها لان الذي اليه الخ
١٣٩	١٠٥	فصل من اراد ان يعرف رتبة العلماء على الزهاد فلينظر في رتبة جابريل وميكائيل ومن خصص من الملائكة الخ
١٤٠	١٠٦	فصل اعلم ان اصلح الاصول الاعتماد في كل شيء الخ
١٤١	١٠٧	فصل من اعمل فكره الصافي دله على اشرف المقامات الخ
١٤٤	١٠٨	فصل ليس في الدنيا انفع للعلماء من جمع المال الخ
١٤٥	١٠٩	فصل اعظم دليل على فضيلة الشيء النظر الى ثمرته الخ
١٤٦	١١٠	فصل رأيت كثيرا من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة ولا يتحاشون من غيبة
١٤٨	١١١	فصل من اعظم الغلط الثقة بالناس والاسترسال الى الاصدقاء فان اكثر الاعداء الخ
١٥٠	١١٢	فصل رأيت جماعة ممن افنى اوائل عمره وريعان شبابه في طلب العلم ليصير على انواع الاذى الخ
١٥١	١١٣	فصل رأيت السره في تحصيل الاشياء يفوت السره مقصودها وقد رأينا من كان سرها الخ
١٥٥	١١٤	فصل ان للخلوة تأثيرات تبين في الجلوة كم الخ
١٥٦	١١٥	فصل من عرف جريان الاقدار ثبت لها واجهل الناس من قاواها بعد هذا الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
١٥٧	١١٦	فصل سبحان المتصرف في خلقه بالاغتراب والازلال ليبلو صبرهم ويظهر جواهرهم في الابتلاء الخ
١٥٨	١١٧	فصل ينبغي للعاقل ان لا يقدم على العزائم حتى يرى نفسه هل يطيقها
١٥٩	١١٨	فصل اجهل الجهال من آثر عاجلا على آجل الخ
١٦١	١١٩	فصل اللذات كلها بين حسي وعقلي فنهاية اللذات الخ
١٦٤	١٢٠	فصل في تعليم حظ العلم اعلم ان المعلم يفتقر الى الخ
١٦٥	١٢١	فصل من اراد دوام العافية والسلامة فليتق الله الخ
١٦٧	١٢٢	فصل قدم الى بغداد جماعة من اهل البدع الاعاجم الخ
١٧٢	١٢٣	فصل اعظم البلايا ان يعطيك همة عالية ويمنعك من العمل بمقتضاها
١٧٣	١٢٤	فصل تراءت على نفسي في طلبها شيئا من اغراضها بتأويل فاسد فقلت لها بأسه عليك تصبري الخ
١٧٤	١٢٥	فصل من نازعته نفسه الى لذة محرمة فشغل نظره اليها عن تأمل عواقبها وعقابها الخ
١٧٥	١٢٦	فصل رأيت الخلق كلهم في صفة محاربة الخ
١٧٥	١٢٧	فصل الدنيا فخ والجاهل باول نظرة وقع الخ
١٧٦	١٢٨	فصل اعلموا اخواني ومن يقبل نصيحتي ان للذنوب تأثيرات قبيحة الخ

شبكة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
١٧٨	١٢٩	فصل ضاق بي امران وجب هما لازما واخذت ابالغ في التفكر في التخلص من هذه الهموم الخ
١٧٨	١٣٠	فصل من العجب الحاحك في طلب اغراضك وكلما زاد تعويقها زاد الحاحك وتنسى انها تمتنع لاحد امرين الخ
١٧٩	١٣١	فصل يجب على من لا يدري متى يبغت الموت ان يكون مستعدًا ولا يغتر بالشباب الخ
١٨٠	١٣٢	فصل الحذر الحذر من المعاصي فان عواقبها سيئة الخ
١٨١	١٣٣	فصل اخواني اسمعوا نصيحة من قد جرب وخبر الخ
١٨٢	١٣٤	فصل ايها المذنب اذا احسست نفخات الجزاء فلا تكثرن الضجيج ولا تقولن قد تبت وندمت الخ
١٨٣	١٣٥	فصل الواجب على العاقل ان يحذر مغبة المعاصي الخ
١٨٣	١٣٦	فصل واعجبا من عارف بالله عز وجل يخافه الخ
١٨٥	١٣٧	فصل قدرت في بعض الايام على شهوة للنفس الخ
١٨٦	١٣٨	فصل لا انكر على من طلب لذة الدنيا بطريق المباح الخ
١٨٧	١٣٩	فصل الحق عز وجل اقرب الى عبده من حبل الوريد الخ
١٨٧	١٤٠	فصل الدنيا في الجملة معبرة فينبغي للانسان الخ
١٨٨	١٤١	فصل نازعتني نفسي الى امر مكروه في الشرع الخ
١٩٠	١٤٢	فصل ما رأيت اعظم فتنة من مقارنة الفتنة الخ
١٩١	١٤٣	فصل لولا غيبة العاصي في وقت المعاصي كان كالمعاند الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
١٩٢	١٤٤	فصل البلايا على مقادير الرجال
١٩٢	١٤٥	فصل ينبغي لطالب ان يكون جل همته مصروفة الى الحفظ الخ
١٩٣	١٤٦	فصل اذا صح قصد العالم استراح من كلف التكلف الخ
١٩٤	١٤٧	فصل نزلت بي شدة واكثرت من الدعاء لطلب الفرج والى الراحة وتأخرت الاجابة فانزعجت النفس الخ
١٩٦	١٤٨	فصل حضرنا بعض اعزة ارباب الاموال فرأيت العلماء اذل الناس عندهم
١٩٨	١٤٩	فصل تأملت وقوع المعاصي من العصاة فوجدتهم لا يقصدون العصيان وانما يقصدون موافقة هواهم الخ
١٩٨	١٥٠	فصل رأيت عموم اهل الاموال يستخدمون العلماء ويستفزونهم بشيء يسير يعطونهم من زكاة اموالهم الخ
١٩٩	١٥١	فصل مدار الامر كله على العقل
٢٠١	١٥٢	فصل الواجب على العاقل ان يتبع الدليل الخ
٢٠٣	١٥٣	فصل قرأت سورة يوسف فتعجبت من مدحه على حلم الخ
٢٠٤	١٥٤	فصل رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي صلاح القلب الا ان يمزج بالرقائق الخ
٢٠٥	١٥٥	فصل ترخصت في شيء يجوز في بعض المذاهب فوجدت في قلبي قسوة عظيمة
٢٠٦	١٥٦	فصل مما افادتني تجارب الزمان لا ينبغي لاحد ان يظاهر بالعداوة احدًا مهما استطاع

شبكة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٢٠٦	١٥٧	فصل رأيت النفس تنظر الى لذات ارباب الدنيا العاجلة لخ
٢٠٨	١٥٨	فصل وقع بيني وبين بعض ارباب الولايات نوع معادات لاجل المذهب فاني كنت في مجلس التذكير لخ
٢٠٩	١٥٩	فصل روى عن الحلاج الصوفي انه كان يقعد في الشمس في الحر الشديد وعرقه يسيل فجاز بعض العقلاء لخ
٢١٠	١٦٠	فصل الجادة السليمة والطريق القويم الاقتداء باصحاب الشرع والاستنان به
٢١٦	١٦١	فصل تأملت المدخل الذي دخل في ديننا في العلم والعمل فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وانسا بهما لخ
٢١٧	١٦٢	فصل اعوذ بالله من صحبة البطالين لخ
٢١٨	١٦٣	فصل رأيت عادات الناس قد غلبت على علمهم بالشرع فهم يستحسنون من فعل الشيء
٢٢٠	١٦٤	فصل ما اعرف للعالم لذة قط ولا عزا ولا شرفا وراحة وسلامة افضل من العزلة
٢٢١	١٦٥	فصل تأملت احوال الناس في حالة علو اسنانهم فرأيت اكثر الخلق ببين خسارهم حينئذ
٢٢٥	١٦٦	فصل من الامور التي تخفى على العاقل انه يرى انه متى لم يكن عنده امرأة او جارية يهواها هوى شديدا انه لا يلتذ بالدنيا لخ
٢٢٦	١٦٧	فصل ما ابتلى الانسان قط باعظم من علو همته فان من علت همته يختار اعالي المعالي لخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٢٢٩	١٦٨	فصل لما سطرت هذا الفصل المتقدم رأيت ادكار النفس بما لا بد لها في الطريق منه وهو انه لخ
٢٣١	١٦٩	فصل في تعليم التدبير قوام التدبير في شيئين الحرارة والرطوبة ومن شأن الحرارة ان تحلل الرطوبة لخ
٢٣٤	١٧٠	فصل اشتد الغلاء في بغداد في اول سنة خمس وسبعين وكلما جاء السعر نزاد لخ
٢٣٤	١٧١	فصل تأملت حالة ازعجتني وهو ان الرجل قد يفعل مع امرأته كل جميل وهي لا تحبه
٢٣٥	١٧٢	فصل جرى بيني وبين اصحاب الحديث كلام في قول الامام احمد صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم سبع مائة الف حديث فقلت انما يعني طرقا لخ
٢٣٨	١٧٣	فصل اعلم ان الله عز وجل وضع في النفوس اشياء لا تحتاج الى دليل
٢٣٩	١٧٤	فصل مفيد تدبرت احوال الاخيار والاشرار فرأيت سبب صلاح الاخيار وسبب فساد الاشرار لخ
٢٤٠	١٧٥	فصل خلقت لهمة عالية تطلب الغايات فعلت السن وما بلغت ما املت فاخذ اسأل تطويل العمر لخ
٢٤١	١٧٦	فصل ما اقل من يعمل لله خالصا لخ
٢٤٢	١٧٧	فصل والله ما ينفع تأديب الوالد اذا لم يسبق اختيار الخالق لذا لك الولد لخ

شبكة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٢٤٣	١٧٨	فصل من اكبر الدليل على وجود الخالق ان هذه الخ
٢٤٣	١٧٩	فصل سبحان من من على الخلق بالعلماء الفقهاء الذين فهموا مقصود الأمر ومراد الشارع فهم الخ
٢٤٥	١٨٠	فصل العاقل من يحفظ جانب الله عز وجل
٢٤٧	١٨١	فصل ففيه ينبغي للعاقل ان ينظر الى الاصول فيمن يخالطه ويعاشره ويشاركه ويصادقه ويزوجه الخ
٢٤٩	١٨٢	فصل ينبغي ان يكون شغل العاقل النظر في العواقب الخ
٢٥٠	١٨٣	فصل في حفظ السر الخ
٢٥٢	١٨٤	فصل ما رأيت اصعب على النفس من الحفظ للعلم والتكرار الخ
٢٥٣	١٨٥	فصل ما اعرف نفعا كالعزلة عن الخلق حضورا للعالم الرباني الخ
٢٥٥	١٨٦	فصل ما ابله من لا يعلم متى يأتيه الموت وهو لا يستعد الخ
٢٥٧	١٨٧	فصل ما نهى السلف عن الخوض في الكلام الا لامر عظيم وهو ان لا نسان الخ
٢٥٨	١٨٨	فصل لقد غفل طلاب الدنيا عن اللذة فيها واللذة فيها شرف العلم وزهوة العفة وانفة الحمية الخ
٢٥٩	١٨٩	فصل اصل كل محنة في العقائد قياس امر الخالق على احوال الخلق
٢٦١	١٩٠	فصل تأملت عجبا وهو ان كل شئ نفيس خطير يطول طريقه ويكثر التعب في تحصيله الخ
٢٦٢	١٩١	فصل ليس المؤمن بالذي يؤدي فرائض العبادات صورة ويجتنب المحظورات نحسب الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٢٦٤	١٩٢	فصل اضر ما على العوام المتكلمون فانهم يخبطون عقائدهم الخ
٢٦٥	١٩٣	فصل ما زلت على عادة الخلق في الحزن على من يموت من الاولاد ولا تخايل الا بلى الابدان في القبور فاحزن لذلك فمرت بي احاديث قد كانت تمر بي ولا اتفكر فيها منها قول النبي الخ
٢٦٦	١٩٤	فصل ينبغي للعاقل ان لا يتكلم في الخلوة عن احد شيئ حتى يمثل ذلك الشئ ظاهرا معلنا به ثم ينظر فيما يجئ الخ
٢٦٩	١٩٥	فصل رأيت كثيرا من المتغفلين يظهر عليهم السخط بالاقدار الخ
٢٦٩	١٩٦	فصل لا ينبغي للمؤمن ان يتأوه من مرض او نزول موت الخ
٢٧٠	١٩٧	فصل حضرنا جنازة شاب مات احسن ما كانت الدنيا له الخ
٢٧٣	١٩٨	فصل ما يكاد يجب الاجتماع بالناس الا فارغ لان المشغول القلب بالحق يفر من الخلق الخ
٢٧٤	١٩٩	فصل كل المعاصي قبيحة وبعضها اقبح من بعض
٢٧٦	٢٠٠	فصل اعتبرت على اكثر العلماء والزهاد انهم يبطنون الكبر الخ
٢٧٨	٢٠١	فصل متى رأيت صاحبك قد غضب واخذ يتكلم بما لا يصلح فلا ينبغي ان تعقد على ما يقوله خنصرا
٢٧٩	٢٠٢	فصل ليس في الدنيا ابله ممن يسيئ الى شخص ويعلم انه قد بلغ الى قلبه الاذى ثم يصطلحان في الظاهر فيعلم ان الخ
٢٨٠	٢٠٣	فصل كل من لا يتلمح العواقب ويستعد لما يجوز وقوعه فليس بكامل العقل

نسخة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٢٨١	٢٠٤	فصل بقدر صعود الانسان فى الدنيا تنزل مرتبته فى الآخرة وقد صبر بهذا ابن عمر
٢٨٤	٢٠٥	فصل من عرف الشرع كما ينبغى وعلم حالة الرسول صلى الله عليه وسلم واحوال الصحابة واكابر العلماء على اكثر الناس على غير الجادة
٢٨٥	٢٠٦	فصل الكمال عزيز والكامل قليل الوجود
٢٨٥	٢٠٧	فصل ليس فى الدنيا ابله ممن يريد معاملة الحق سبحانه وتعالى
٢٨٦	٢٠٨	فصل من الابتلاء العظيم اقامة الرجل فى غير مقامه
٢٨٨	٢٠٩	فصل لا ينكر ان الطباع تحب المال لانه سبب الخ
٢٩٠	٢١٠	فصل ينبغى لمن عرف شرف الوجود ان يحصل افضل الموجود هذا العمر موسم والتجارات تختلف
٢٩١	٢١١	فصل من علم قرب الرحيل عن مكة استكثر من الطواف الخ
٢٩٢	٢١٢	فصل من اراد ان يعلم حقيقة الرضا عن الله عز وجل فى افعاله وان يدرى من اين نشأ الرضا فليتفكر فى احوال الخ
٢٩٤	٢١٣	فصل اكثر شهوات الحس الفساد
٢٩٥	٢١٤	فصل سبحان من شغل كل شخص بفن لتنام العيون فى الدنيا فاما فى العلوم فحبب الى هذا القرآن والى هذا الخ
٢٩٥	٢١٥	فصل علم الحديث هو الشريعة لانه الخ
٢٩٦	٢١٦	فصل كان قد سألنى بعض اهل الحديث دخل فى مسند احمد ما ليس بصحيح

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٢٩٨	٢١٧	فصل بلغنى عن بعض فساق القدماء انه كان يقول الخ
٣٠٠	٢١٨	فصل قد تبغت العقوبات وقد يؤخرها الحلم الخ
٣٠١	٢١٩	فصل اعلم ان الآدمى خلق لامر عظيم الخ
٣٠٣	٢٢٠	فصل قد ركز فى الطباع حب التفضيل على الجنس الخ
٣٠٤	٢٢١	فصل تفكرت فى ابقاء اليهود والنصارى بهذا وأخذ الجزية منهم فرأيت فى ذلك حكما عجيبة
٣٠٥	٢٢٢	فصل قد سمعنا بجماعة من الصالحين عاملوا الله عز وجل على طريق السلامة والمحبة واللطف فعاملهم كذلك الخ
٣٠٦	٢٢٣	فصل تفكرت فى قول شيبان الراعى لسفيان يا سفيان عدّ منع الله اياك عطاء منه لك الخ وهذا انفاس نفيس
٣٠٧	٢٢٤	فصل كنت اسمع على بن الحسين الواعظ يقول على المنبر الخ
٣٠٩	٢٢٥	فصل اعجب الاشياء اغترار الانسان بالسلامة الخ
٣١٠	٢٢٦	فصل تفكرت فى نفسى فرأيتنى مفلسا من كل شئ الخ
٣١١	٢٢٧	فصل ينبغى لمن صحب سلطانا او محتشما ان يكون ظاهره معه وباطنه سواء فانه قد يلبس اليه من يخبره الخ
٣١٤	٢٢٨	فصل رأيت النفس بعد علو السن يقوى املها الخ
٣١٤	٢٢٩	فصل شكى الى بعض الاشياخ فقال قد علت سنى الخ
٣١٦	٢٣٠	فصل ابله الناس من عمل على الحالة الحاضرة الخ
٣١٧	٢٣١	فصل من اعجب الامور طلب الاطلاع على تحقيق العرفان لذات الله عز وجل وصفاته وافعاله وهيهات الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٣١٨	٣٢	فصل من رزقه الله تعالى العلم والنظر فى سير السلف راى ان هذا العالم ظلمة
٣٢١	٣٣	فصل اذا وقعت فى محنة يصعب الخلاص منها فليس لك الا الدعآء واللجا
٣٢٢	٣٤	فصل نظرت فى الناس فرأيتهم ينقسمون بين عالم وجاهل الخ
٣٢٢	٣٥	فصل من تأمل بعين الفكر دوام البقآء فى الجنة الخ
٣٢٥	٣٦	فصل من اراد اصطفآء محبوب فالمحبوب نوعان الخ
٣٢٧	٣٧	فصل طال تعجبى من مؤمن بالله عزوجل مؤمن بجزائه يؤثر خدمة السلطان مع مايرى من الجور الظاهر الخ
٣٢٩	٣٨	فصل العجب من الذى انف من الذل كيف لايصبر على الخ
٣٣٠	٣٩	فصل يتضمن وصية الشباب ينبغى للصبى اذا بلغ الخ
٣٣١	٤٠	فصل ليس على العوام اضر من سماعهم علم الكلام الخ
٣٣٢	٤١	فصل اشد الناس جهلا منهو مابالذات
٣٣٢	٤٢	فصل تأملت على الخلق واذا فى الاول حالة عجيبة تكاد تقطع معها بفساد العقل ٤
٣٣٤	٤٣	فصل نظرت فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما لبس الخاتم ثم رمى به شغلنى نظرهم اليكم ونظرهم الىّ الخ
٣٣٥	٤٤	فصل من اراد اجتماع همه واصلاح قلبه فليحذر من مخالطة الناس فى هذا الزمان الخ
٣٣٦	٤٥	

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٣٣٧	٤٦	فصل تفكرت فى سبب هداية من يهتدى وانتباه من يتيقظ من رقاد غفلته
٣٣٩	٤٧	فصل عجبت لمن يعجب بصورته ويختال فى مشيته وينسى امره انما اوله نقمة ضمت اليها جرعة ماء
٣٤٠	٤٨	فصل هيهات ان يجتمع الهم مع التلبيس بامور الدنيا الخ
٣٤٢	٤٩	فصل كان المريد فى بداية الزمان اذا اظلم قلبه او مرض البه قصد زيارة بعض الصالحين فانجلى ما اظلم الخ
٣٤٣	٥٠	فصل تأملت الذين يختارهم الحق عزوجل لولايته الخ
٣٤٤	٥١	فصل اكثر الخلائق على طبع ردى وتقومه الرياضة الخ
٣٤٥	٥٢	فصل رأيت بعض المتقدمين سئل عمن يكسب حلالا او حراما من السلاطين والامرآء ثم يبنى المساجد الخ
٣٤٧	٥٣	فصل عجبت لمن يتصنع للناس بالزهد يرجو بذلك قربهم
٣٤٨	٥٤	فصل قدم علينا بعض الفقهآء من بلاد الاعاجم وكان قاضيا ببلده فرأيت على دابته الذهب الخ
٣٤٩	٥٥	فصل من تفكر فى عظمة الله عزوجل طاش عقله لانه الخ
٣٥١	٥٦	فصل العجب ممن يقول اخرج الى المقابر فاعتبر اهل البلاد لو فطن لعلم انه مقبرة تغنيه الاعتبار الخ
٣٥١	٥٧	فصل متى تكامل العقل فقدت لذة الدنيا الخ
٣٥١	٥٨	فصل ادعى الطبائعيون ان مادة الموجودات الماء والتراب الخ

شبكة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٣٥٢	٥٩	فصل سبحان من ظهر لخلقه حتى لم يبق خفا ثم خفى كأنه لا ظهور اى ظهور اجلا من هذه المصنوعات التى كلها نطق
٣٥٣	٦٠	فصل قد يدعى اهل مذهب الاجتهاد فى طلب الصواب واكثرهم لا يقصد الا الحق فيرى الراهب يتعبد ويتجوع الخ
٣٥٥	٦١	فصل للنفس ذخائر فى البدن منها الدم والمنى الخ
٣٥٦	٦٢	فصل رأيت فى زهاد زماننا من الكبر وحفظ الناموس الخ
٣٥٦	٦٣	فصل كثيرا ما اعيد هذا المعنى الذى اذا ذكر فى هذا الكتاب بعبارات ينبغى للمؤمن
٣٥٧	٦٤	فصل ينبغى للعاقل ان يحترز غاية ما يمكنه فاذا جرى الخ
٣٥٨	٦٥	فصل تأملت خصومات الملوك وحرص التجار ونفاق المتزهدين فوجدت جمهور ذلك على لذات الحس الخ
٣٥٩	٦٦	فصل تأملت حالة تدخل على طلاب العلم توجب الغفلة عن المقصود وهو حرصهم على كتابة العلم
٣٦٠	٦٧	فصل ما اعتمد احد امرا اذ اهمه لشئ مثل التثبت الخ
٣٦١	٦٨	فصل سألنى سائل فقال قد قال بعض الحكماء الخ
٣٦٢	٦٩	فصل بلغنى عن بعض الكرماء ان رجلا سأله فقال الخ
٣٦٣	٧٠	فصل سبحان من جعل الخلق بين طرفى نقيض الخ
٣٦٧	٧١	فصل كان لنا اصدقاء واخوان فرأيت منهم من الجفا الخ
٣٦٨	٧٢	فصل رأيت المعافى لا يعرف قدر العافية الا فى المرض الخ
٣٦٩	٧٣	فصل اذا تم علم الانسان لم ير لنفسه عملا واخا يرى الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٣٧١	٧٤	فصل ينبغى للعاقل ان يكون على خوف من ذنوبه وان تاب منها الخ
٣٧٢	٧٥	فصل نعوذ بالله من سوء الفهم خصوصا من المتسمين بالعلم الخ
٣٧٣	٧٦	فصل تأملت على تزهدى زماننا اشياء تدل على النفاق الخ
٣٧٥	٧٧	فصل من الجهل ان يخفى على الانسان مراد التكليف فانه الخ
٣٧٦	٧٨	فصل رأيت خلقا من العلماء والقصاص تضيق عليهم الدنيا فيفزعون الى مخالطة السلاطين لينالوا من اموالهم الخ
٣٧٨	٧٩	فصل تأملت احوال الناس فرأيت جمهورهم منسلا من ربقة العبودية
٣٧٩	٨٠	فصل من العجب سلامة دين ذى العيال اذا ضاق به الكسب الخ
٣٨١	٨١	فصل شكى لى رجل من بعضة لزوجته وقال ما اقدر على فراقها لامور الخ
٣٨٣	٨٢	فصل لا ارهب الا الله سبحانه وباب امر يحتاج الى الخ
٣٨٥	٨٣	فصل ما رأت عينى مصيبة نزلت بالخلق اعظم من سبهم الزمان الخ
٣٨٦	٨٤	فصل من عجائب ما ارى من نفسى ومن الخلق كلهم الميل الى الغفلة عما فى ايدينا مع العلم بقصر العمر الخ
٣٨٦	٨٥	فصل قد كررت هذا المعنى فى هذا الكتاب وهو الامر بحفظ السر الخ
٣٨٧	٨٦	فصل تأملت على اكثر الناس عبادتهم فاذا هى عادات الخ
٣٨٨	٨٧	فصل لا يصفو التعبد والتزهد والاشتغال بالاخرة الا بالانقطاع الكلى على عن الخلق الخ

صيحة الألوكة www.alukah.net

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٣٨٩	٢٨٨	فصل من سرق قلبا طيبا ولذة مناجاة فليراع حاله الخ
٣٨٩	٢٨٩	فصل همة المؤمن متعلقة بالآخرة وكل ما في الدنيا يحرك الى ذكر الآخرة الخ
٣٩١	٢٩٠	فصل لقد اعتبرت على مولاى سبحانه وتعالى امرا عجيبا وهو انه لا يختار لمحبته والقرب منه الا الكامل صورة ومعنى الخ
٣٩٢	٢٩١	فصل تأملت على اقوام يدعون العقول يعترضون على حكمة الخالق فينبغى ان يقال لهم هذا العزم الذى دلكم الخ
٣٩٣	٢٩٢	فصل ينبغى لمن وعظ سلطانا ان يبالغ فى التلطف الخ
٣٩٥	٢٩٣	فصل الحق لا يشبه بباطل انما يموه الباطل عند من لا يفهم الخ
٤٠٢	٢٩٤	فصل واعجبا من موجود لا يفهم معنى الوجود الخ
٤٠٣	٢٩٥	فصل انى لاعجب من عاقل يرى استيلاء الموت على اقرانه وجيرانه كيف عيشه
٤٠٤	٢٩٦	فصل نظرت فى قول الله تعالى (الم تر ان الله يسجد له) الخ
٤٠٤	٢٩٧	فصل ما رأيت اكثر اذى ممن من مخالطة من لا يصلح الخ
٤٠٧	٢٩٨	فصل كلما نظرت تواصل النعم علىّ تحيرت فى شكرها
٤٠٨	٢٩٩	فصل رأيت اكثر العلماء يتشاغلون بصورة العلم الخ
٤٠٩	٣٠٠	فصل قد جاء فى الاثر (اللهم ارنا الاشياء كما هى) الخ
٤١٢	٣٠١	فصل ان قال قائل اى فائدة فى خلق ما يؤذى فالجواب الخ
٤١٢	٣٠٢	فصل كلما اوغلت الفهوم فى معرفة الخالق وشاهدت عظمته ولطفه وفقته تاهت فى محبته الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفة	عدد فصل	
٤١٤	٣٠٣	فصل فى سبب تبذير الولاة
٤١٤	٣٠٤	فصل من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله قلوبهم الخ
٤١٥	٣٠٥	فصل لا يغرنك من الرجل طنطنته ولا ما تراه يفعل من صلاة وصوم وصدقة وعزلة عن الخلق انما الرجل هو الذى يراعى شيئين حفظ الحدود واخلاص العمل
٤١٦	٣٠٦	فصل رأيت خلقا كثيرا يفرطون فى اديانهم ثم يقولون احملونا الى اذا متنا الى مقبرة احمد الخ
٤١٨	٣٠٧	فصل رأيت الناس يذمون الحاسد ويبالغون الخ
٤١٨	٣٠٨	فصل من اعظم الضرر الداخل على الانسان كثرة النساء الخ
٤٢٠	٣٠٩	فصل اذا رأيت قليل العقل فى اصل الوضع فلا ترج خيره
٤٢٠	٣١٠	فصل ينبغى الاحتراز من كل ما يجوز ان يكون الخ
٤٢١	٣١١	فصل بين ايمان المؤمن عند الابتلاء فهو يبالغ بالدعاء الخ
٤٢٢	٣١٢	فصل تذكرت فى سبب دخول جهنم فاذا هو المعاصى فنظرت الخ
٤٢٤	٣١٣	فصل من وقف على موجب الحس هلك ومن تبع العقل سلم الخ
٤٢٥	٣١٤	فصل العجب لمؤثر شهوات الدنيا ان لا يتدبر امرها بالعقل قبل ان يصير الى منقولات الشرع الخ
٤٢٦	٣١٥	فصل قد اشكل على بعض الناس رؤية النبى صلعم منامًا الخ
٤٢٧	٣١٦	فصل عزيز الفائدة اعلم انه اتسع العمر لم امنع من الاشغال فى علم الى منتهاه غير ان العمر قصير والعلم كثير الخ
٤٢٩	٣١٧	فصل معرفة الله سبحانه وتعالى لا تحصل الا لكامل العقل صحيح المزاج والترقى المحبته بذلك يكون الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٤٣٢	٣١٨	فصل ما رأيت اظرف من لعب الدنيا بذوى بالعقول الخ
٤٣٤	٣١٩	فصل رأيت نفسى تأنس بخلطآء تسميهم اصدقآء فبحثت التجارب عنهم فاذا اكثرهم حسّاد على النعم الخ
٤٣٥	٣٢٠	فصل رأيت اكثر العلمآء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته الخ
٤٣٨	٣٢١	فصل ينبغى للفقيه ان يطالع من كل فن طرفا من تاريخ ونحو الخ
٤٤٠	٣٢٢	فصل كانت همم القدمآء من العلمآء عليّة تدل عليها تصانيفهم الخ
٤٤١	٣٢٣	فصل ليس للآدمى اعز من نفسه عجبت ممن يخاطر بنفسه الخ
٤٤٢	٣٢٤	فصل لا ينبغى لعاقل ان يظهر سرًا
٤٤٣	٣٢٥	فصل ما يتناهى فى طلب العلم الا عاشق للعلم الخ
٤٤٦	٣٢٦	فصل لا ينبغى للأنسان ان يحمل على بدنه ما لا يطيق الخ
٤٤٨	٣٢٧	فصل اذا تكامل العقل قوى الذكآء والفطنة الخ
٤٤٩	٣٢٨	فصل الآدمى موضوع على مطلوبات تشتت الهمم الخ
٤٥١	٣٢٩	فصل العزلة عن الخلق سبب طيب العيش الخ
٤٥٢	٣٣٠	فصل من سار مع العقل وخالف طريق الهوى نظر الى العواقب وامكنه ان يتمتع من الدنيا الخ
٤٥٣	٣٣١	فصل ينبغى ان يكون العمل كله لله ومعه ومن اجله الخ
٤٥٤	٣٣٢	فصل نظرت فى حكمة المطعم والمشرب والملبس والمنكح الخ
٤٥٦	٣٣٣	فصل فى مخالطة الأمرآء العجب ممن له مسكة عقل او الخ
٤٥٦	٣٣٤	فصل من الغلط العظيم ان يتكلم فى حق معزول بما لا يصلح فانه لا يؤمن ان يلى فينتقم الخ

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٤٥٨	٣٣٥	فصل لما جمعت كتابى المسمى (بالمنتظم) فى تاريخ الملوك والامم) الخ
٤٥٩	٣٣٦	فصل من رزق همة عالية يعذب بمقدار علوها الخ
٤٦١	٣٣٧	فصل المصيبة العظمى رضآء الانسان عن نفسه واقتناعه بعلمه الخ
٤٦٢	٣٣٨	فصل ينبغى تأمله اعلم ان الجزآء بالمرصاد الخ
٤٦٦	٣٣٩	فصل تفكر فى نفسى تفكر محقق فحاسبتها قبل ان تحاسب الخ
٤٦٩	٣٤٠	فصل عداوة الاقارب صعبة وربما دامت الخ
٤٧٠	٣٤١	فصل رأيت كلاب الصيد اذا مرت بكلات المحلة نبحتها الخ
٤٧٠	٣٤٢	فصل ملاحظة من اهم الاشيآء ينبغى لمن آمن بالله تعالى ان يسلم له فى افعاله ويعلم انه حكيم ومالك
٤٧٣	٣٤٣	فصل رأيت الناس يوم العيد فشبهت الحال فى يوم القيامة الخ
٤٧٥	٣٤٤	فصل يتضمن نصيحة للعلمآء والزهاد يا قوم الخ
٤٧٦	٣٤٥	فصل رأيت جمهور الناس حائدين عن الشريعة الخ
٤٨٠	٣٤٦	فصل ان الله عزوجل جعل لاحوال الآدمى امثلة يعتبرها الخ
٤٨٢	٣٤٧	فصل ليس فى الدنيا عيش الا لعالم او زاهد الخ
٤٨٢	٣٤٨	فصل ما اكثر تفاوت الناس فى الفهوم حتى العلمآء يتفاوتون الخ
٤٨٤	٣٤٩	فصل من تأمل الدنيا علم انه ليس فيها لذة اصلًا الخ
٤٨٥	٣٥٠	فصل رأيت ابليس قد احتال بفنون الحيل على الخلق واماله اكثرهم عن العلم الذى هو مصباح السالك الخ
٤٨٧	٣٥١	فصل رأيت العادات قد غلبت على الناس فى تضييع الزمان وكان القدمآء يحذرون من ذلك

تتمة الفهرست

عدد صحيفه	عدد فصل	
٤٨٩	٣٥٢	فصل فى معاشرة النساء ينبغى للعاقل ان يتخير امرأة الخ
٤٩٠	٣٥٣	فصل لا عيش فى الدنيا الا للقنوع باليسير فانه الخ
		(فصل قد تكرر معناه فى هذا الكتاب الا ان اعادته
٤٩٢	٣٥٤	(على النفوس مهمة لئلا يغفل عن مثله ينبغى للمؤمن الخ
		(فصل من تلمح احوال الدنيا علم ان مراد الحق سبحانه
٤٩٤	٣٥٥	(اجتنابها الخ
		(فصل العاقل يدبر بعقله عيشه فى الدنيا فان كان
٤٩٥	٣٥٦	(فقيرًا اجتهد فى كسب الخ
٤٩٦		بيان لنا قل هذا الكتاب

تمت الفهرست ولله الحمد والمنه وله الشكر والنعمه رب اغفر لى ولوالدى آمين

(فائدة) فى ذكر حديث من احاديث الملاحم ذكره السيوطى فى الجامع الكبير نقلته من نسخة صيد الخاطر التى نقلت هذه منها

عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان اكرههم وجوههم ووجوه الآدميين وقلوبهم قلوب الذئاب الضوارى سفاكون للدماء لا يرعوون عن قبيح فعلوه فان تابعتهم وأربوك وان حدثوك كذبوك وان ائتمنتهم خانوك وان توارثت منهم اغتابوك صبيهم عارم وشيبا بهم شاطر وشيخهم فاجر لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر الاختلاط بهم ذل وطلب ما فى ايديهم فقر الحليم فيهم غاوٍ والغاوى فيهم حليم السنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة والآمر بالمعروف بينهم مشوه والفاسق فيهم مشرف والمؤمن بينهم مستضعف فاذا فعلوا ذلك سلط الله عليهم اقواما ان تكلموا قتلوا وان سكتوا فيهم استباحوهم يستأثرون عليهم بفيهم ويجورون عليهم بحكمهم انتهى

وفيه آخر

عن محمد بن عبد الله القرشى عن ابيه قال نظر عمر بن الخطاب الى شاب قد نكس فى الصلاة رأسه فقال له ياهذا ارفع رأسك ان الخشوع لا يزيد على ما فى القلب فمن اظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فانما اظهر نفاقا على نفاق

وعنه ايضًا انه وعظ رجلاً فقال لا يلهك الناس عن نفسك فان الأمر بصير اليك دونهم ولا تقطع النهار ساربا فانه محفوظ عليك

قوله (ارى ربوك) من الربوب وهو الفساد وفى القاموس ربب كيمنع من الأرب يربب ويجوز ان يكون من الربة وهو الدهاء وقلب الهمزة واوا لانضمام ما قبلها يقال ربوه يربوه

قوله (من نبأ يتبوأ) من العلم الخبيث الشريف

ما عملت واذا اسأت فاحسن فانى لم ار شيئاً اشد طلبا
ولا اسرع درگا من حسنة حديثة لذنب قديم والله اعلم

ولبعضهم

اذا لم يكن للمرء عقل يزينه * ولم يك ذا خُلق قويم ولا ادب
فهل هو الا ذو قوائم اربع * وان كان ذا مال كثير الحسب

(فائدة)

ذكر اسماء تآليف للعلامة ابن الجوزى رحمه الله استخرجنا اسمائها من كتابه هذا وهو (صيد الخاطر) وهاك تفصيلها منصلا مرتباً والفصل الذى ذكر فيه كل كتاب مكتوب بعد عدده كما ترى

كتاب عدد	صفحه	عدد فصل	
١	٨٦	٦٢	(ذم الهوى) بين فيه العشق واسبابه وادويته
٢	٧٢	٥٢	(لقط المنافع) فى الطب
٣	١٠٢	٧٠	(تلبيس ابليس)
٤	١٥٤		(مناقب الحسن البصرى)
٥	٢٠٥	"	(مناقب سفيان الثورى)
٦		"	(مناقب ابراهيم بن ادهم)
٧		"	(مناقب بشر الحافى)
٨		"	(مناقب احمد بن حنبل)
٩		"	(مناقب ~~احمد بن حنبل~~ معروف الكرخى)
١٠	٢٤٥	١٨٢	(كتاب الحيل) الظاهر انه له
١١		"	(الاذكياء)
١٢	٣٩٩	٢٩٣	(المنتظم فى تاريخ الملوك والامم) تاريخ عجيب

المخطوطات
الشبكة العربية

شبكة الألوكة
www.alukah.net